الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جـامعة قسـنطينة 03

كلية علوم الاعلام و الاتصال و السمعي البصري
قسم الصحافة

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: .....

صورة العرب في الصحافة الفرنسية المكتوبة

دراسة تحليلية لمضمون جريدة «Le Monde»

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه علوم في علوم الإعلام والاتصال

تخصص وسائل الاعلام و المجتمع

اعداد الطالب: **زغبي وليد** اشراف الدكتور: **بن زروق جمال**

لجنة المناقشة	الصفة	الجامعة
أ.د. ادريس بولكعيبات	رئيسا	جامعة قسنطينة 03
د. جمال بن زروق	مشرفا و مقررا	جامعة 20 اوت ـ سكيكدة
أ.د. جغيم الطاهر	عضوا مناقشا	جامعة قسنطينة 03
د. اعراب عبد الغني	عضوا مناقشا	جامعة باجي مختار ـ عنابة
د. سهام بولودالي	عضوا مناقشا	جامعة باجي مختار ـ عنابة
د. سميرة سطوطاح	عضوا مناقشا	جامعة باجي مختار ـ عنابة

قسنطينة، فيفري 2017

بسم الله و الحمد لله الذي قدرني على انجاز هذا العمل

شكر و تقدير

أتوجه بجزيل الشكر و أسمى عبارات العرفان إلى الأستاذ:
بن زروق جمال الذي كان لي خير موجه في إعداد
هذا العمل.

كل الشكر للمشرف الثاني
الاستاذ: KIYINDOU ALAIN استاذ التعليم العالي بـ :
Université Bordeaux Montaigne – Bordeaux. France

الشكر للأستاذ حسين خريف و الاستاذ ادريس بولكعيبات و
كل اساتذتي الافاضل دون استثناء و الشكر موصولا
لأعضاء لجنة المناقشة

كل الشكر لكل من ساعدني من قريب أو بعيد

زغبى وليد

ملخص الدراسة:

للصورة الذهنية دراسات سابقة كثيرة، و كانت صورة الشعوب لدى الآخر أهم دراسات الصورة الذهنية. و جاءت على فترات انقسمت بين فترات الصراع و السلم، و عرفت صورة العرب في المخيال الغربي مراحل مختلفة و تحولات كبيرة، إذ تعرف صورة العرب نوعا من النمطية المسيئة لهم و لدينهم الاسلامي.

تلعب وسائل الإعلام دورا بارزا في رسم الصورة الذهنية للمجتمعات في الذاكرة الاجتماعية.و لعل من اهم اسباب الصراع القائم بين العرب و الغرب هو وسائل الإعلام التى ساهمت في تغذية الصراعات و النزاعات من خلال معالجة احداث و قضايا العرب. جاءت دراستنا هذه لتقف على الدور الذي تلعبه الصحافة الفرنسية ممثلة في جريدة «لوموند» فيرسم صورة العرب في المخيال الفرنسي و الغربي. إذ تهدف دراستنا الى الوصول الى تشخيص الصورة من خلال تحليل المضامين الاعلامية التى عالجت بها الجريدة الشأن العربي خلال العام 2015 و الذي تزامن و أحداث شارلي إيبدو ثم هجمات باريس في شهر نوفمبر من نفس السنة. هذا و اعتمدنا في البحث على المنهج الوصفي التحليلي مع الاعتماد على تحليل المحتوى و التحليل السيميائي للصور الفوتوغرافية.

كلمات مفتاحية:

الصورة الذهنية ـ الصورة النمطية ـ الصحافة الفرنسية ـ العلاقات العربية الفرنسية ـ الصراع العربي الاسرائيلي – العرب

R E S U M E :

Nombreuses sont les études antérieures consacrées à l'image mentale. L'image des peuples auprès de l'autre, intervenant à différentes période de crise et de paix, en fut la plus importante des études consacrées à l'image mentale. L'image des arabes dans l'imaginaire occidentale a connu de grands changements et à différentes étapes. Ainsi, l'image des arabes et de leur religion l'Islam, est souvent entachée de stéréotypes négatifs à leur encontre.

Les médias jouent un rôle prépondérant dans l'esquisse de l'image des sociétés dans la mémoire collective. L'une des principales causes du conflit existant entre les Arabes et l'Occident en est sans doute les Médias qui ont contribué à alimenter discordes et altercations à travers le traitement de faits et d'événements liés aux questions arabes.

Notre présente étude consiste à cerner le rôle joué par la presse écrite française dans la représentation de l'image des arabes dans l'imaginaire français et occidental, en étudiant plus spécifiquement le journal ″ Le Monde ″. Elle vise à diagnostiquer l'image à travers l'analyse de contenus médiatiques par lesquels furent traités les questions arabes durant l'année 2015, qui a coïncidé à son début avec les événements de ″ Charlie hebdo″ et les attaques terroristes de Paris en novembre de la même année. Basé sur une approche descriptive et analytique, notre recherche consiste en l'analyse du contenu médiatique ainsi que l'analyse iconographique et sémiotique.

Mots-clés : Image mentale - stéréotypes - presse française - relations arabo - française - Conflit arabo - israélien - Arabes.

ABSTRACT :

Numerous are the previous studies dedicated to the mental image. The image of the peoples with the other one, occurring in different period of crisis and peace, was the most important studies dedicated to the mental image. The image of Arabic in the imagination Westerner knew big changes and about various stages. So, the image of Arabic and their religion the Islam, is often soiled by negative stereotypes against them.

The media play a leading role in the sketch of the image of societies in the collective memory. One of the main causes of the conflict existing between the Arabs and the West is there doubtless the Media which contributed to feed discords and altercations through the treatment of facts and events bound to the Arabic questions.

Our present study consists in encircling the role played by the French print media in the representation of the image of Arabic in the French and western imagination, by studying more specifically the newspaper ″Le Monde″. She aims at diagnosing the image through the analysis of media contents by which were treated the Arabic questions during year 2015, which coincided at his beginning with the events of ″Charlie weekly magazine ″ And the terrorist attacks of Paris in November of the same year. Based on a descriptive and analytical approach, our research consists of the analysis of the media contents as well as the iconographic and semiotic analysis.

Keywords : mental Image - stereotypes - French press - relations Arab - French - Arab Conflict - Israeli - Arabs.

فـــهرس المواضـــيع

	الملخص (عربي، فرنسي، انجليزي)	أ
	فهرس المواضيع	ت
	فهرس الجداول و الرسوم البيانية	خ
	تـقـديـم	11
	الفصل الأول: الاشكالية و اطارها المنهجي	
1.1	الإشكاليـــة	18
2.1	فرضيات الدراسة	20
3.1	أسباب اختيار الموضوع وأهميته	21
4.1	أهداف الدراسة	23
5.1	الإطار النظري للدراسة	23
6.1	منـهج الـدراســة	28
7.1	تحديد المفاهيم	35
1.7.1	الصحافة	35
2.7.1	العرب	37
3.7.1	الصورة الذهنية	40
	الفصل الثاني: الدراسات السابقة	
	الدراسات السابقة	44
	الفصل الثالث: الصورة الذهنية	
	تمهيد	91
.1.3	الصورة الفوتوغرافية	93
.2.3	الصورة الذهنية	94
.1.2.3	خصائص وسمات الصورة الذهنية	106
.2.2.3	الأبعاد النفسية والاجتماعية للصورة الذهنية:	108
3.3	الصورة النمطية	116
1.3.3	الصورة النمطية والتنميط	120
2.3.3	تاريخ المفهوم وتطوره	124
3.3.3	اتجاهات تعريف المفهوم	125
4.3.3	الصورة النمطية والتنميط في حقول معرفية متنوعة	126
4.3	خصائص تتعلق بنتائج استخدام الصورة	128
5.3	برامج الصورة	129

6.3 الصحافة والصورة 130
1.6.3 الصحافة كرسالة 131
1.1.6.3 الإنشاء الصحافي 132
2.1.6.3 أساليب الإقناع 137

الفصل الرابع: المراحل التى مرت بها صورة العرب في الإعلام الفرنسي

1.4 دور وسائل الإعلام الفرنسية في تكوين الصورة 142
2.4 صورة العرب و الإسلام في الإعلام الفرنسي 149
1.2.4 الجذور التاريخية للعروبة و أثرها في سلوك وسائل الإعلام الفرنسية؟ 150
1.1.2.4 ما قبل الإسلام 151
2.1.2.4 مرحلة ظهور الإسلام 153
3.1.2.4 مرحلة الحروب الصليبية 158
4.1.2.4 مرحلة الغزو الاستشراقي و التبشيري 161
5.1.2.4 الحملات الفرنسية 165
6.1.2.4 ما قبل استقلال الجزائر 167
7.1.2.4 المرحلة المعاصرة 169
3.4 كيفية تناول و سائل الإعلام الفرنسية مع العربي و المسلم 173
1.3.4 الرأي العام الفرنسي و القضايا العربية 174
1.1.3.4 مفهوم الراي العام 174
2.1.3.4 صورة العربي في الصحافة المطبوعة و المرئية 181
3.1.3.4 صورة العرب في الكتب المدرسية 186
4.1.3.4 العرب و الإسلام من خلال الإعلام المرئي الفرنسي 191
4.4 العربي المسلم و مشكلة الهوية و الاندماج 199

الفصل الخامس: العلاقات العربية ـ الفرنسية

تمهيد 208
5 أبعاد العلاقات العربية الفرنسية 209
1.5 أولا: أبعاد العلاقة من النكسة العربية الى حرب أكتوبر 1973 209
2.5 ثانيا: أبعاد العلاقة منذ حرب أكتوبر 1973 وحتى الربيع العربي 218
3.5 ثالثا: من الحوار العربي الأوروبي إلى الشراكة الأوروبية العربية 230
1.3.5 قضايا الإرهاب و التطرف 230
2.3.5 قضايا التسلح و أسلحة الدمار الشامل 232
.4.5 رابعا: ابعاد العلاقات العربية الفرنسية اثناء ثورات الربيع العربي 234
5.5 خامسا: الصراع العربي الإسرائيلي 249

.1.5.5	النفوذ اليهودي في فرنسا	251
.2.5.5	تاريخ النفوذ اليهودي في فرنسا	252
3.5.5	تنظيم اليهود الفرنسيين	255
4.5.5	الوضع السياسي لليهود الفرنسيين	256
5.5.5	علاقة يهود فرنسا باسرائيل	257
6.5	سادسا: الاسلاموفوبيا	261
1.6.5	النشاة التاريخية للمفهوم	262
	الفصل السادس: الصحافة الفرنسة وقضايا العرب	
	تمهيد	266
1.6	بدايات الصحافة في أوروبا	268
2.6	صحافة القرن الثامن عشر	274
3.6	صحافة القرن التاسع عشر	274
4.6	الصحافة الفرنسية	277
1.4.6	ظهور الصحافة اليومية الفرنسية	279
2.4.6	نماذج عن الصحافة الفرنسية	281
1.2.4.6	صحيفة «لوموند»	281
2.2.4.6	صحيفة «لو فيغارو»	282
3.2.4.6	صحيفة «ليبراسيون»	283
3.4.6	اشكال و نماذج عن الصحف الفرنسية	284
5.6	الاهتمام بالشؤون الدولية في الصحافة	287
6.6	الصحافة الفرنسية و رقابة الدولة	288
7.6	الصحافة الفرنسية المعاصرة تحت أيدي الدولة	292
8.6	مصداقية الصحافة	295
9.6	الصحافة الفرنسية وأزمة المصداقية	298
	الفصل السابع: صورة العرب في جريدة «لوموند»	
	تمهيد	304
1.7	المحتوى الاعلامي و اسلوب تحليل المضمون	305
2.7	عينة الدراسة	308
3.7	تحليل مؤشر مراكز الاهتمام	310
1.3.7	صورة الدول العربية في جريدة لوموند	310
2.3.7	تحليل بيانات مؤشر مراكز الاهتمام	334
4.7	تحليل بيانات مؤشر القيم	342
5.7	تحليل بيانات مؤشر السمات	355

6.7 تحليل بيانات مؤشر الفاعلين 359
7.7 تحليل بيانات مؤشر الاتجاه و اتجاهات وظيفة المضمون 363
8.7 تحليل بيانات مؤشر القوالب الصحفية 370
9.7 تحليل بيانات مؤشر العناوين 376
10.7 تحليل بيانات مؤشر الصورة الفوتغرافية 379

نـــتـــائج الـدراســـة 391

الخـــــــلاصـــــة 400

المـــــــراجـــــع 403

المـــــلاحـــــق 451

فـــهرس الجداول

جدول رقـم	01	توزيع اهم الصحف الفرنسية	286
جدول رقـم	02	عينة الدراسة	310
جدول رقـم	03	تكرار القيم في مواضيع العرب	347
جدول رقـم	04	تكرار القيم في مواضيع الارهاب	348
جدول رقـم	05	تكرار القيم في مواضيع الاسلام	350
جدول رقـم	06	تكرار القيم في مواضيع السياسة	353
جدول رقـم	07	توزيع المضمون على القوالب الصحفية	370
جدول رقـم	08	التصنيف التحريري للعناوين	377
جدول رقـم	09	مواضيع الصورة الفوتوغرافية المتعلقة بالعرب	381
جدول رقـم	10	مصادر الصورة الفوتوغرافية المتعلقة بالعرب	384
جدول رقـم	11	نوع الصورة الفوتوغرافية المتعلقة بالعرب	385

قائمة الرسوم البيانية

رسم بياني رقم	01	نموذج بناء الاطر الاخبارية	26
رسم بياني رقم	02	مؤشر مراكز الاهتمام	334
رسم بياني رقم	03	مؤشر مواضيع الارهاب و العنف	339
رسم بياني رقم	04	مؤشر مواضيع الاسلام	339
رسم بياني رقم	05	مؤشر مواضيع الربيع العربي	340
رسم بياني رقم	06	تكرار القيم في موضوعات الربيع العربي	352
رسم بياني رقم	07	تكرار السمات في المواضيع السياسية	358
رسم بياني رقم	08	مؤشر الفاعل في مواضيع العرب	361
رسم بياني رقم	09	اتجاه المضمون في موضوع الارهاب	365
رسم بياني رقم	10	اتجاه المضمون في موضوعات الاسلام	366
رسم بياني رقم	10	اتجاه المضمون في مواضيع عرب فرنسا	368
رسم بياني رقم	11	نماذج عن الصور الفوتوغرافية	383
رسم بياني رقم	12	شكل الصورة في مواضيع العرب	386
رسم بياني رقم	13	موضع الصورة على الصفحة	387

مقدمة

مقـدمـــة

يشهد العالم في مطلع القرن الواحد والعشرين تغييرات وتحولات عميقة، فبعد تلاشي ما كان يسمى بالقطبية الثنائية، شمل التغيير كل المستويات... فسياسيا، تحكم عالم اليوم قوة واحدة هي الولايات المتحدة الأمريكية. و اقتصاديا، عالم اليوم يحكمه مصطلح العولمة الذي لا يعترف بالحدود الإقليمية و الجمركية، و يسير وفق أهواء كبريات المؤسسات الاقتصادية. أما ثقافيا فيعتبر عالم اليوم كما صنفه العلماء عالم المعلوماتية و هي المرحلة الثالثة بعد مرحلتي الزراعة و الصناعة و أصبح عالمنا يعرف بـ «القرية الكونية الواحدة» على حد تعبير الباحث الغربي «مارشال ماكلوهان». إذ كان لوسائل الإعلام و ما شهدته من تطور، الدور الكبير على حركة كل المجتمعات السياسية والفكرية والاجتماعية والمادية و القيمية، و ذلك وفقا لما يخططه ملاك و أصحاب المؤسسات الإعلامية العملاقة.

وما عجل هذه التحولات هو الانفجار المعرفي و الإعلامي المتسارع و ما أحدثه من علاقات جديدة وطرق في العمل غير مسبوقة لم تعرفها البشرية من قبل، و ما فرضته ثورة الاتصالات من سرعة بالغة وترابطها ونقلها بسرعة فائقة، خلف أشكالا ونماذج متعددة من الأفكار والثقافات من مجتمع إلى أخر، كلها أدت إلى أشكال مختلفة من التغيرات في الحياة الفكرية ومظاهر العادات والقيم الاجتماعية والتي تتمثل في صراع الأجيال وتزاوج الأفكار والثقافات وفي عمليات الغزو والتتابع الثقافي.

و رغم ما شهدته البشرية من تطور علمي مذهل، لازال عالم اليوم تمزقه الأزمات و الصراعات و النزاعات. فأمنيا تضاعفت النزاعات في العالم ابتداء من ثمانينات القرن الماضي و ظلت الكثير من الصراعات القديمة كالصراع في الشرق الأوسط و الصحراء الغربية تستعصي على جهود السلام المبذولة. و استمر نشوب أزمات جديدة أغلبها عرقية و دينية و طائفية كأزمة التبت بالصين و دارفور و العراق و افغنستان... و بعدها جاء ما سمي بالربيع العربي الذي طغت احداثه على الساحة الدولية و على كل المستويات. اذ كانت الثورات التي قامت بها الشعوب العربية بمثابة الحدث الابرز الذي شهده العصر الحديث. فتم الاطاحة بعديد الانظمة

المستبدة بداية من هروب الرئيس التونسي بن علي الى تنحي الرئيس المصري الاسبق مبارك و قتل الرئيس الليبى الاسبق معمر القذافي و غيرها من الاحداث التى اتسمت في جلها بالدموية و العنف ... و في خضم الصراعات العربية بين الشعوب و الانظمة الحاكمة، تشكلت جماعات و ميليشيات مسلحة في معظمها، و ظهرت طوائف و مرجعيات دينية عديدة في البلاد العربية، كان ابرزها على ما يسمى بتنظيم الدولة الاسلامية في العراق و الشام «داعش» و اختلفت الدول الغربية في علاقاتها مع الشعوب العربية و الانظمة الحاكمة لها و كذا الجماعات المتطرفة التى امسكت بزمام الامور في البلاد العربية بين مساند و معارض و محايد.

ضمن حلبة الصراع هذه، تتموقع أزمة العرب و الغرب بخصوصيات و أبعاد متعددة منها السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية و الثقافية و كانت انعكاساتها متنوعة بقدر تنوع أسبابها، كما كانت هذه الأزمة شاملة في وقعها على كل من هو عربي مسلم. و منذ حدوث أزمة الحادي عشر من سبتمبر و عالمنا يعيش في أزمة دوامة دائمة ومستمرة، ويعيش أحداثاً متلاحقة تجلت كلها في سلسلة من الأزمات، أزمات كان للعرب و الإسلام فيها الدور السلبى الكبير من منظور المجتمع الدولي و كان الرابط الوحيد بين كل الأزمات هو الإرهاب. المفهوم الذي لم يحدد له و إلى يومنا هذا تعريف واضح متفق عليه بين العرب و الغرب، ما جعل دول العالم في أزمة مع هذا المفهوم العائم.

و كان قد بزغ صدام الحضارات كمفهوم جديد عرفه العالم متزامناً مع مفهوم آخر سعت الدول الكبرى إلى فرضه على الدول الصغرى وهو العولمة. وهما المفهومان اللذان يؤكدان على التباعد وعكسه، وعلى تقبل الآخر ونقيضه، و يعبران عن هذه الفترة الحضارية المشوشة التى يعيشها عالمنا المعاصر المهدد بالأسلحة الذرية و المتقارب بالمواصلات وثورة المعلومات والمحتدم بصراع الهويات الدينية والقومية.

وعلى الرغم من تبلور نظرية صدام الحضارات على يد العالم السياسي الأمريكي Samuel P. Huntington في عام 1993 إلا أن هذا المصطلح قد استخدم لأول مرة في سبتمبر عام 1990 في مقالة **لبرنارد لويس** حملت عنوان «جذور

الغضب الإسلامي» تشير إلى الصدام القائم بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي الغربي الذي أعلن قادته عن رفضهم للإسلام بنسقه الحضاري والقيمي مشيرون إلى خطر ما أسموه بالثقافة الراديكالية الإسلامية على عملية العولمة و من ثم على المصالح الغربية المختلفة.

و إن تداخلت العوامـل التى تغذي الصراعات فلِرجال الإعلام الدور الكبير في تغذيتها أو التخلص منـها، فالحكومات و الجيوش يُسخرون كل وسائل الإعلام الضخمة لتحقيق أهداف الدول، الامر الذي يتطلب جهود مشتركة لفرق عمل من تخصصات اعلامية مختلفة تتسم بدرجة عالية من الكفاءة و التناغم والقدرة الاقناعية[1].

هكذا تبدو جدلية العلاقة بين الإعـلام و الصراعـات و الحـروب التى نعيشها الان. و في هذا الإطار تنامى الاهتمام النظري والعلمي بدور الإعلام لمواجهة العدو. و المؤكد أن تكنولوجيات الإعلام الحديثة أصبحت توفر أساليب و أدوات جديدة للتعامل مع اهداف و مخططات رجالات السياسة و الحكومات. إذ بات الإعلام يُعتبر من العلوم والتخصصات التى لها مكانتها الفعالة ضمن اهم الركائز التى تعتمد عليها الدول في الشأن الداخلي و الخارجي لتحقيق براجمها الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية و غيرها. فالتعامل مع الاخر يستدعي نوعية مغايرة من المعالجات والتغطيات الإعلامية وكذلك نوعية خاصة من أنشطة العلاقات العامة تتجاوز الخطاب الرسمية والبيانات المُنمقة القائمة على الأكاذيب الساذجة والمبالغات المفضوحة والتى لا تصمد أمام التدفق الحر للآراء والمعلومات وتعددية اختيار المتلقي التى تتيحها عولمة الإعلام في ضل الانفجار الإعلامي الذي يشهده عالمنا الحديث.

الملاحظ أن بعض الباحثين في علوم الإعلام والاتصال وكذا علم الاجتماع تطرقوا إلى مواضيع عديدة حول الهوة بين العرب و الغرب. غير أن القليل منهم من تطرق إلى دراسة دور وسائل الإعلام في صناعة الصورة و بناء الذات من خلال الصورة التى يُنْعَت بها العرب في مختلف وسائل الإعلام الغربية المكتوبة، المرئية منها و المسموعة، وعلاقة الصورة لتى يرسمها الأخصائيين الإعلاميين للحد من كراهية العرب و الإسلام، في هذا السياق فإن بحثنا هذا يهدف أساسا لتحليل مضمون

[1] Mc Nair Braian, 2000, *journalism and democracy an evaluation of the political public sphere*, London and New York: Routledge

صورة العرب في الصحافة الفرنسية المكتوبة (أثناء عام 2015)، و حصر عوامل بناء وتشكيل هذه الصورة الإعلامية.

نظرا لأهمية الموضوع بالنسبة إلينا كباحثين في علوم الاعلام و الإتصال، ركزنا على تحليل جزء كبير من المراحل التى مرت بها الصورة التى تشكلت في المخيال الغربي منذ سنوات ما قبل الإسلام، حتى يتسنى لنا الكشف عن المكانة الاجتماعية الحقيقية للعرب في نظر وسائل الإعلام مُمثلة بالصحافة الفرنسية المكتوبة، حيث اخترنا جريدة «Le Monde» انموذجا. فبعدما استعرضنا واقع العلاقات العربية الفرنسية، توقفنا عند دراسة تعرُض الصحافة الفرنسية لصورة العرب و التى في كثير من الاحيان ما امتزجت و اختلطت بين مفهوم العروبة و الدين الاسلامي بكل تفاصيلها. أما عن المجال الزماني لدراستنا فكان العام 2015 الذي تزامنت بدايته بأحداث شارلي ايبدو و انتهت باهجمات التى هزت العالم بأسره المتمثلة في هجمات باريس في شهر نوفمبر 2015، ولندقق أكثر فإننا لم نُركز على المعالجة الصحفية للعرب و الإسلام فحسب، بل تعرضنا إلى تحليل الأسس التى من خلالها تُرسم صورة العرب في الصحف الفرنسية قبل، أثناء و بعد الاحداث.

بعد تحديد التساؤلات التى نحاول الإجابة عنها، وبناءا على كل ما قيل اعتمدنا إلى تقسيم بحثنا هذا إلى بابين: باب نظري و باب ميداني.
بعد تصور الملامح الكبرى لبحثنا، باشرنا بتحديد إطار الدراسة ومنهجيتها (الفصل الأول) و فيه تم تحديد الإشكالية و فرضيات الدراسة و كذا أدوات جمع و تحليل البيانات و تحديد عينة الدراسة و إطارها النظري

و لكثرة الدراسات السابقة التى توصلنا إليها و التى أخذت منا الوقت و العمل الشاق و تطلبت سفريات كثيرة خارج الوطن فقد لخصناها في دراسات مطابقة و مشابهة و إرتأينا وضعها في فصل مستقل شمل كل الدراسات و التى ساعدتنا كثيرا في تحديد الإطار العام لبحثنا.

هذا و قسمنا بحثنا هذا إلى سبعة فصول هي كالتالي :

الفصل الاول: الاشكالية و اطارها المنهجي

الفصل الثاني: الدراسات السابقة

الفصل الثالث: الصورة الذهنية و فيه تطرقنا إلى مفهوم الصورة الذهنية، أبعاد ومكوناتها و كذا أبعادها النفسية والاجتماعية ثم انتقلنا إلى الصورة النمطية والتنميط لنقدم بذلك مفهوم الصورة النمطية و أخيرا خصائص وسمات الصورة الذهنية.

الفصل الرابع : المراحل التى مرت بها صورة العرب في الإعلام الفرنسي. و فيه تطرقنا بالتفصيل إلى دور وسائل الإعلام الفرنسية في تكوين الصورة صورة العرب و الإسلام في الإعلام الفرنسي مُستدِلين بالجذور التاريخية بين العروبة، الإسلام و أوروبا و التى ارتأينا تقسيمها إلى أربع مراحل هي : ـ مرحلة ظهور الإسلام ـ مرحلة الحروب الصليبية ـ مرحلة الغزو الاستشراقي و التبشيري ـ المرحلة المعاصرة

و بعدها تطرقنا إلى الكيفية التى تتناول بها و سائل الإعلام الفرنسية مع العربي و المسلم و أخيرا العروبة والإسلام من خلال وسائل الإعلام الفرنسية.

الفصل الخامس: العلاقات العربية – الفرنسية

و فيه استوقفنا عند اهم المحطات التى رسمت تاريخ فرنسا و إعلامها. و التى لها علاقة بالعرب و الاسلام اذ تطرقنا الى المد الإسلامي في فرنسا، الاسلاموفوبيا، ظاهرة الحجاب و الارهاب الذي ظل يهدد الامن القومي الفرنسي... متوقفين عند احداث شارلي ابدو و هجمات باريس نوفمبر 2015

الفصل السادس: الصحافة الفرنسة وقضايا العرب

فيه تطرقنا إلى نشأة الصحافة وتطورها. من بداياتها في أوروبا، و مضامينها و اهتمامها بالشؤون الدولية و تخصصنا من العام إلى المعالجة الصحفية والإعلامية الدولية للقضايا العربية...

و في هذا الفصل كذلك خصصنا جزء للعمل الصحفي الفرنسي الذي يختلف عن باقي الصحافة العالمية، و تطرقنا إلى مصداقية الصحافة، كواليس الصحافة الفرنسية و الرقابة التى تخضع لها

الفصل السابع: صورة العرب في الصحافة الفرنسية المكتوبة و فيه استعرضنا نتائج التحليل الكمي و الكيفي

مما سبق سيتم تقسيم دراستنا إلى ثلاث محاور أساسية.

1. يحتوي المحور الأول على المضمون الرئيسي للدراسة النظرية و المتمثل في المعايير التى تعتمد عليها الممارسات الصحفية (طريقة تشكيل وبناء الصور و النصوص) و هو محور أساسي حيث يمكننا من التعرف على كيفية معالجة المنتوج الإعلامي و الأسس التى تبنى عليها الرسالة الإعلامية، مما يمكننا كذلك من التطرق إلى الجوانب المختلفة في تحليل أخلاقيات العمل الصحفي اتجاه العرب.
2. أما المحور الثاني فهو أكثر تقنية، حيث تتم فيه معالجة الدور المهنى والأدبياتي للمهنيين الإعلاميين حول المسائل المطروحة وبعبارة أخرى، إبراز المسؤولية الفردية للصحفي في المعالجة الإعلامية للأحداث وهو ما يمكننا من معرفة بعض الجوانب المتعلقة بالممارسات الصحفية وعلاقتها مع الأوساط المختلفة المكونة للمجتمع الفرنسي و الجماعات الاجتماعية المؤثرة فيه.

نتطرق في المحور الثالث إلى المشاركة الممكنة الإيجابية أو السلبية لوسائل الإعلام في محاربة الإقصاء و التمييز. و بمنطلق آخر يتعلق الأمر بمسألة شائكة تشغل بالنا: أي ضمير يمكن للرجل الإعلامي أن يشعر به من خلال الصور و النصوص التى ينتجها؟ وما موقفه اتجاه هذه المسألة؟

الفصل الأول

الإشكالية و اطارها المنهجي

1.1. الإشكاليـــة:

بعد انهيار الاتحاد السوفياتي نهاية ثمانينات القرن الماضي، بزغ صدام الحضارات كمفهوم جديد عرفه العالم، متزامناً مع مفهوم آخر سعت الدول الكبرى إلى فرضه على الدول الصغرى وهو العولمة. و كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر، التى نُسبت لجماعة إسلامية راديكالية، بمثابة القطرة التى أفاضت الكأس، فأدت إلى تشنُج كبير بين العرب و الغرب، و غذت الصراع العربي الإسرائيلي، و استخدم الغرب فيها كافة الوسائل، لتدعيم حربه على ما يسمى بالإرهاب و التطرف الدينى، و ابرز ما ترتب عن الحرب الإعلامية حـدة الصراعات الفكرية و التى سرعان ما تجسدت إلى نزاعات عسكرية لا نهاية لها، تدور جُلّها في العالم العربي و العالم الإسلامي، تجلت في كثرة الحركات المتطرفة التى تتخذ من العنف و القتل كمبدأ للحوار و الجوار

لا يختلف اثنان في أن هذا الصراع ليس وليد ظروف و عوامل حديثة أو عارضة، بل هو أزمة متجددة تمتد عبر سنوات طويلة بطول المراحل التى مرت بها العلاقات العربية الغربية، لكنها طفت إلى السطح وظهرت جليا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بفضل الإعلام الغربي و الدور الكبير الذي لعبه في ترسيخ الصورة السلبية لكل من هو مسلم و عربي، و جسد الصورة النمطية عن العرب... الأمر الذي أثّر على مصالح الشعوب العربية.

أصبح الإعلام في عصرنا الحالي مصدراً يستقي منه الفرد معلوماته و معارفه عن العالم المحيط به، فلم يعُد أداة لنقل المعلومات فحسب بل أصبح أداة لتوجيه الأفراد و الجماعات و تكوين مواقفهم الفكرية و الاجتماعية. و لذلك فإن ما يقارب الـ (70%) من الصور التى يبنيها الإنسان لعالمه مستمدة من وسائل الإعلام المختلفة.

ونظراً لأن الحكومات الغربية لا تستطيع تطبيق مخططاتها إلا من خلال التأييد الشعبى، فقد سعت الدول المهيمنة ذات النفوذ السياسي والقوة الاقتصادية والعسكرية والتقدم العلمي إلى الحصول على دعم شعوبها باستخدام كافة الوسائل الإعلامية المُمكنة، لإقناع مواطنيها داخلياً ودول العالم خارجياً بالصورة التى تُقدمها عن نفسها وعن

حُلفائِها وأعدائها بالشكل الذي يحقق لها مطامعها على الصعيد المحلي والدولي. ونظراً لما تمثله الصورة الإعلامية الذهنية و النمطية من أهمية شكلت الصورة السلبية التى رسمها الإعلام الغربي للعالم العربي و الاسلامي خطراً شديداً على شعوبه في مختلف أصقاع الأرض وخاصة بعد أن تم تدعيم تلك الصورة المغلوطة بما ترتكبه الجماعات المتطرفة من عنف و تعذيب و تنكيل، وما تلاها من حملات فكرية وحروب عسكرية ضد بعض الدول الإسلامية باسم محاربة الجماعات المتطرفة وما أعقب ذلك من إساءات إعلامية غربية متكررة ضد الاسلام و العروبة.

الصحافة الفرنسية المكتوبة، و باحترافيتها التى يُشهد لها، و من خلال استخدامهما لمختلف الفنون التحريرية و القوالب الصحفية المختلفة التى تمد القارئ بالمعلومات المُنظمة المُتراكمة عن العرب و المسلمين وقضاياهم، تُسهِم بشكل كبير في تكوين صورة ذهنية محددة الأبعاد، وتدعمها في بناءه الوجداني و المعرفي و الإدراكي، و من ثمة سلوكه تجاه العرب و المسلمين.

أسالت مجزرة شارلي ايبدو و هجمات باريس عام 2015 الكثير من الحبر، و التى تُعتبر واحدة من الاحداث على غِرار العديد من الأحداث التى ما تزال تفاجئ المجتمع الاوربي عامة و الفرنسي على وجه الخصوص. اذ تبدو تدخلات فرنسا في الشأن العربي عفويةً و جاءت في كل مرة بدافع التعاون و الصداقة و دعم الديمقراطية و الحرية. و تناقضت واختلفت العلاقات الفرنسية العربية من دولة إلى أخرى وفقا لأجندة سياسية و اقتصادية و عسكرية ساهمت في ترتيبها الصحافة الفرنسية بكل انواعها، خاصة منها المكتوبة. و أدت أحداث الربيع العربي و ما افرزته في الساحة العالمية من جماعات متطرفة على رأسها تنظيم الدولة في العراق و الشام «داعش»، في البلاد العربية و الغربية على حد سواء الى ارتفاع مستوى الكراهية اتجاه الاسلام و العرب الى اعلى مستوياته

من خلال دراساتنا السابقة المعمقة للصحافة الفرنسية، اكتشفنا أن ثمة أشياء كثيرة مخفية في كواليسها، و بتتبعنا للشأن العربي ـ الفرنسي، وجدنا أن الصحافة الفرنسية

المكتوبة والرائجة كثيراً بفضل كبر المجتمع المستهلك لها، أصبحت طرفا بارزا في صنع القرار اتجاه العالم العربي، و ذلك بفضل اللوبيات التى تمتلكها و تؤثر فيها. و تقوم بعدها بإعطاء الشرعية لتلك القرارات من خلال تدعيم القرارات بالصورة الذهنية التى ترسمها في المخيال الفرنسي. إذ يكفي متابعتها باستمرار، لمعرفة اتجاهات و نوايا صانعي القرار الفرنسي اتجاه العالم العربي وطبيعة تحالفاتهم مع إعلاميو الصحافة المكتوبة .

مما سبق، جاء بحثنا هذا الذي نسعى من خلاله إلى تحديد صورة العرب و الإسلام في الصحافة الفرنسية المكتوبة، و كذا الكشف عن العوامل التى من خلالها تُرسم هذه الصورة في ذاكرة الشعب الفرنسي و البحث في علاقة الإعلام بمختلف اللوبيات السياسية و الإعلامية و حتى الدينية الناشطة بفرنسا. و أول ما يمكن أن نتساءل حوله هو:

- ما هي الصورة الذهنية للعرب التى يرسمها الإعلام الفرنسي المكتوب في الذاكرة الاجتماعية الفرنسية؟

إلى جانب ذلك يمكن طرح تساؤلات فرعية منها:

- ما موقف الصحافة الفرنسية من العرب و الإسلام؟
- ما هي عوامل بناء الصورة المتعلقة بالعالم العربي و ديانته الإسلامية ؟
- ما مدى مساهمة الصحافة الفرنسية في توجيه الرأي العام الفرنسي نحو قضايا العرب؟

2.1. فرضيات الدراسة:

نطرح في بحثنا هذا عدة فرضيات أهمها :

- تقدم الصحافة الفرنسية صورة مشوهة للعرب و الإسلام عبر المعالجة الإعلامية.
- تركز الصحافة الفرنسية في معالجتها الإعلامية على السلبيات الصادرة عن العرب و الإسلام أكثر من الإيجابيات.

- بفضل احترافيته، يساهم الإعلام الفرنسي المكتوب و بشكل كبير في بناء مخيل جماعي عن الآخر، و توجيه الرأي العام

3.1. أسباب اختيار الموضوع و أهميته:

إن الأحداث والتطورات التى حصلت في فرنسا مؤخرا خاصة أحداث شارلي ايبدو و هجمات باريس في نوفمبر 2015 و كذا تفجيرا مطار العاصمة البلجيكية بروكسل... أسالت الكثير من الحبر، و الأزمة الامنية الحالية التى تعيشها اوربا و فرنسا بالتحديد إحتلت النصيب الاكبر من الاهتمام الاعلامي و الابحاث التى تقام حاليا. فإختيارنا إذن لهذا الموضوع ليس فقط من باب إنجاز مذكرة تخرج فحسب وإنما لأسباب ودوافع عديدة خاصة وأنه متمم لأبحاث سابقة حول نفس الموضوع، فما آلت اليه العلاقات العربية الفرنسية و ما تتخبط فيه بعض الدول العربية من مشاكل امنية و ضغوطات فرنسية، سياسية و اقتصادية، أفرزتها سنوات من التعالي و احتقار الآخر و نظرة مغلوطة و سلبية، جدير بالدراسة والتحليل. ومن بين أهم الأسباب التى جعلتنا نهتم بهذا الموضوع دون غيره هو حداثته وأهميته التى تجلت في الفترة الأخيرة.

أما عن أهمية الدراسة فتتمثل في طبيعة الموضوع الذي يمثل حاجة ملحة لنا كعرب و مسلمين حول العالم، بالإضافة للاهتمام الرسمي والشعبى العربيين بتصحيح الصورة السلبية المغلوطة المكونة عنه لدى الدوائر الفكرية والإعلامية ومن ثم الشعبية بالعالم الغربي. وقيام عدة جهات غربية ومنها اليونسكو برصد ملايين الدولارات لمتابعة وفحص ودراسة نقاط التماس بين العرب كأُمة ذات كينونة ثقافية و دين و بين محيطهم العالمي. مما ترتب عليه ضرورة مساهمتنا كباحثين عرب في توضيح تلك الصورة التى رسمها لنا الغرب بإصراره على وجود ما أسماه بصدام الحضارات القائم بين العالم العربي الإسلامي والغربي.

أما عن أهمية البعد الزمنى للدراسة، فتأتي هذه الدراسة في سنة من أهم سنوات الصراع الأمريكي والغربي المحتدم ضد عالمنا العربي والإسلامي. هذا و قد شهدت الأقلية العربية هجوماً ضارياً عليها في الساحة الغربية بسبب تفجير بعض القضايا

العقائدية لدى المسلمين والتى تتنافى مع القوانين العلمانية الموضوعة كدستور للدول الغربية المختلفة. ويمكن تحديد أهمية هذه الدراسة في الجانبين التاليين:

1 ـ الجانب النظري : سعت هذه الدراسة للمساهمة في إثراء الدراسات المتعلقة بالصورة الذهنية وتحليل مضمونها الاعلامي و السيميائي، حيث لوحظ أن أغلب الدراسات التى قدمت عن الصورة الذهنية للشعوب قد اعتمدت على تحليل المضمون دون الوقوف عند المراحل التى مرت بها هذه الصورة.

2 ـ الجانب التطبيقي : حاولت هذه الدراسة رصد مكونات الصورة الذهنية التى طرحتها جريدة «لوموند» الفرنسية خلال فترة من أهم الفترات العسيرة التى مرت بها فرنسا منذ الحرب العالمية الثانية، و التى جاءت بفعل الهجمات التى تبناها تنظيم الدولة الاسلامية و التى راح ضحيتها عشرات القتلى و مئات الجرحى و التى هددت الامن و الاستقرار في كامل التراب الفرنسي و التى على اثرها اعلن الرئيس الفرنسي حالة التأهب القصوى او حالة حرب، وذلك من خلال تحديد كيفية بناء صورة العرب.

و نلخص الاهمية في النقاط التالية :

1 كونها قضية رأي عام شغلت الكثيرين وأثرها بدأ واضحا في كل المجالات.

2 تناولنا لهذا الموضوع جاء متماشيا مع الطرح المتواصل الكثير من القضايا المصيرية للصراع العربي الاسرائيلي.

3 تقديم تفسيرات وتحليلات لهذا الموضوع من خلال تتبع مراحل تغير الصورة في منظور الصحافة المكتوبة وكذا الدور الذي تلعبه هذه الأخيرة (سلبى أو إيجابي) في وصف العرب و الاسلام.

4 دوافع ذاتية ذات صلة بالمعايشة الشخصية لأحداث هجمات شارلي ايبدو و كذا هجمات باريس نوفمبر 2015.

5 يعالج الموضوع قضية حساسة تتعلق بمصير العرب بأكملهم من خلال أحكام المجتمع

الفرنسي و المبنية على الإعلام.

4.1. أهداف الدراسة:

إن القيام بأية دراسة يكون هدفها الرئيسي هو محاولة الوصول إلى تشخيص أو علاج ظاهرة معينة مرضية كانت أو سليمة، وهدفنا الرئيسي هو الكشف عن صورة العرب في الصحافة المكتوبة، ومعرفة الظواهر التى تترتب عنها، وكذا إبراز التأثير المتبادل بين الصحافة و العلاقات العربية الفرنسية، فنحن نحاول تحديد طبيعة تأثير الصحافة المكتوبة في الصورة التى يرى فيها الفرنسيون العرب ويمكن إيجاز أهداف هذه الدراسة فيما يلي :

1. تعتبر حالة اللاأمن التى يعيشها العالم موضوع الساعة وحديث العام والخاص في فرنسا وقد أدى تفشي الارهاب لقلب باريس إلى تحفيزنا لخوض في هذا الموضوع ومحاولة الكشف عن الأسباب.
2. محاولة جديدة يمكن الاستفادة منها مستقبلا.
3. الكشف عن أهمية الصحافة المكتوبة الفرنسية في مجال الإعلام و توجيه الرأي العام ومدى اهتمامها بتطورات العالم العربي.

5.1. الإطار النظري للدراسة:

اعتمدنا في الدراسة على نظرية تحليل الأطر (Analyse d'encadrement) حيث تم استخدام هذه النظرية لمعرفة كيف تم تأطير و تحديد صورة العرب في صحيفة «لوموند» الفرنسية في فترة 2015 و التى صادفت احداث شارلي ايبدو شهر جانفي و كذا هجمات باريس شهر نوفمبر 2015.

و يعد مفهوم تحليل أطر التغطية الخبرية المختلفة من أبرز المفاهيم الحديثة التى تفسر دور الإعلام في تشكيل معارف الجمهور واتجاهاته حول مختلف القضايا. فالوقائع لا تنطوي في حد ذاتها على مغزى معين إنما تكتسب مغزاها من خلال وضعها في إطار

(Cadre) يحددها وينظمها ويضفي عليها قدراً من الاتساق والانسجام، من خلال التركيز على بعض جوانب الموضوع وإغفال جوانب أخرى[1].

و يقصد بالتأطير (Encadrement) اصطلاحاً الاختيار والتركيز واستخدام عناصر بعينها في النص الإعلامي لبناء حجة أو برهان على المشكلات ومسببتها وتقييمها وحلولها[2]. لذلك فأن الأطر الاخبارية عبارة عن أدوات «مفاهيمية» أو «تصويرية» يعتمد عليها الإعلام و الأفراد من أجل الوصول إلى تقييم ما للمعلومات[3]. أو هي العملية المعرفية التى بها تؤثر الرسالة الإعلامية على حكم الأفراد على الآراء و القضايا المطروحة[4]

و لهذا فأن الإطار الإعلامي هو تلك الفكرة المحورية التى تنظم حولها الأحداث الخاصة بقضية معينة[5] وهو بناء ينطوي على قدر كبير من التحيز[6].

ـ وإجرائيا يتحدد أطار قضية ما من خلال الكلمات الرئيسية، والمصطلحات والجمل والعبارات والصور فضلاً عن توظيف المصادر الإخبارية التى تبرز بدورها حقائق معينة، وتوجه أو تقود المتلقي إلى استخلاصات وأحكام بعينها حول القضية ذاتها[7]

ـ ويعود استخدام مصطلح (الأطر) إلى عامل الاجتماع جريجري باتسون (Bateson)، 1965م وقد طور كل من برجر ولوكمان (Berger & Luckman) هذا المفهوم 1967م،

---

[1] Gamson, W. A., *News as framing*, American Behavioral Scientist, Vol. 33, No. 2, 1989, p.157.

[2] محمد حسام الدين، «التغطية الصحفية الغربية لشئون العالم الإسلامي خلال عقد التسعينات»، رسالة دكتوراه، (كلية الإعلام – جامعة القاهرة) 2001، ص 78.

[3] Nauman, W.R, Just,M.R and Crigler,A.N. *Common Knowledge*, Chicago; University of Chicago press ,1992,P 60.

4 Nam- Jin Lee, Douglas M. Mcleed and Dhavan V. Shah , *Framing Policy debates ; Issue Dualism, Journalistic Frame and Opinions on controversial policy Issues*, Communication Research, 2008,P.697.

5 Gamson, W. A, opt. Cit, P. 157.

[6] خالد محمد صلاح الدين، «دور التليفزيون والصحف في تشكيل معلومات واتجاهات الجمهور نحو القضايا الخارجية»، رسالة دكتوراه ،(كلية الإعلام – جامعة القاهرة) 2001، ص 81.

[7] Laurn Tucker and Erine Wiggins , *Making connections, Framing as a Discursive strategy of Reader Response to Newspaper Coverage of a Lesbian Wedding* (Paper Presented to the lnragural conference for the mass communication research , university of south Carolina, Columbia, October 12-14 , 1997 , p. 17.

عندما أشار الباحثان إلى الطرق التى توظفها الجماعات المختلفة لتصنيف خبراتها الجماعية المستقاة من الواقع في فئات بعينها، واستدعاء هذه الفئات عند الحاجة إليها لبلورة المعلومات والخبرات الجديدة وإضفاء المغزى عليها ويرى الباحثان أن الإطار يمثل الطريقة أو الوسيلة التى يتم من خلالها فهم الأشياء[8].

في حين تبلورت ونشأت تلك النظرية على يد عالم الاجتماع جوفمان (Goffman) الذي طور مفهوم البناء الاجتماعي والتفاعل الرمزي من خلال مناقشته لقدرة الأفراد على تكوين مخزون من الخبرات يحرك مدركاتهم ويحثهم على حسن استخدام خبراتهم الشخصية[9].

كما حدد (Goffman) عام 1974م بدقة مصطلح الأطر والإجراءات المتبعة في هذا النوع من التحليل، وذلك في كتابة الرائد والمعنون باسم (تحليل الأطر) حيث أشار جوفمان في هذا الكتاب إلى أن الإطار هو مصطلح يوضح الكيفية التى يرتب وينظم من خلالها أفراد الجمهور خبراتهم المختلفة[10].

ويقدم مفهوم الإطار اقتراباً بحثياً يجمع الفروض المبعثرة لعدد من المداخل البحثية لدراسة النصوص الإعلامية مثل تحليل الإدراك ودراسة الصورة بتنظيم نتائج هذه الدراسات وتقديم أطار جدلي جديد (مركب مفاهيم) لبناء نموذج معرفي (براديغم) يقود عملية البحث في النصوص الإعلامية، بتقديم إطار شامل ينير الطريق لمعرفة كيف يتم التأثير على الوعي الإنساني عبر الإعلام من خلال القصص الخبرية والتحقيقات والأحاديث وأعمدة ومقالات الرأي[11].

[8] خالد صلاح الدين، مرجع سابق، ص 75.

[9] Stanley & Dennis , *Mass Communication theory. Foundation ferment & future*,. 2003 , p. 274.

[10] خالد صلاح الدين ن مرجع سابق، ص 75.

[11] محمد حسام الدين، مرجع سابق، ص 78.

فالإطار الإعلامي لقضية ما يعنى انتقاء متعمد لبعض جوانب الحدث أو القضية وجعلها أكثر بروزاً في الفصل الإعلامي و استخدام أسلوب محدد في توصيف المشكلة وتحديد أسبابها وتقييم أبعادها وطرح حلول مقترحة بشأنها[12].

وفي تحليل الإطار يتم التركيز على العناصر الاتصالية الأربعة وهي القائم بالاتصال والمحتوي والمتلقي والثقافة، وتعتبر الأخيرة هي السياق العام الذي يُستمد منه الأطر التى يتم توظيفها باعتبارها معالم ثقافية منظمة وثابتة في الواقع الاجتماعي اليومي، ونظام متكامل لتفسير الرموز الاتصالية وإدراكها خلال الحياة اليومية، ويقدم باران ودافيس نموذجاً يوضح عملية بناء الأطر أو تشكيلها في الشكل التالي[13].

بيان رقم 01 نموذج باران في بناء الاطر

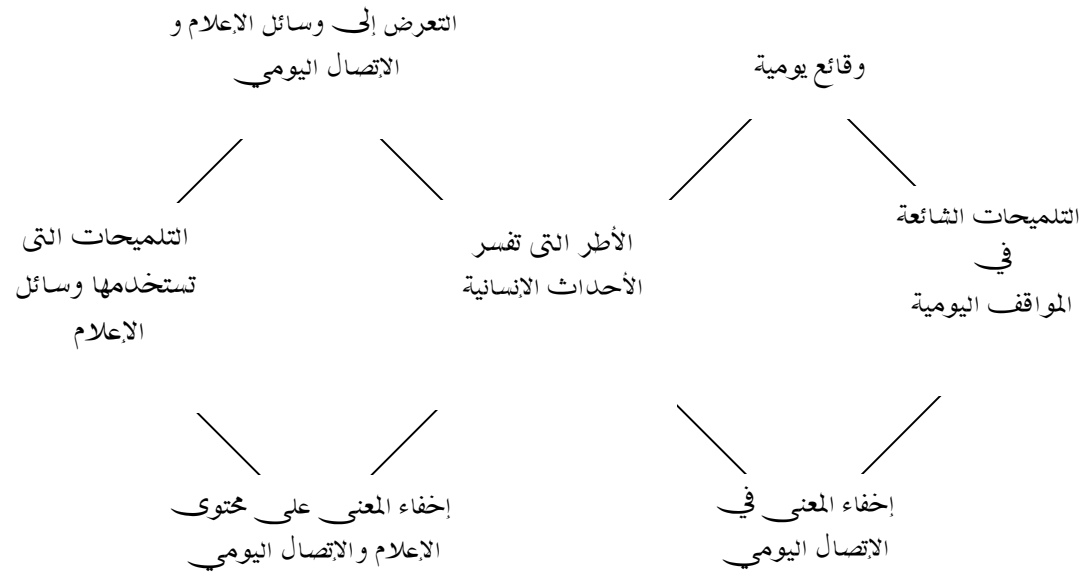

- إستخدام التأطير في مجال الإعلام:

يساعد اقتراب تأثير الإطار أو التأطير على إيضاح المفاهيم الإعلامية سواء المعيارية أو الفكرية أو الإجرائية الإمبريقية لأن له أهمية كبيرة في لفت الانتباه للتفاصيل التى

[12] حسن عماد وليلى حسين، «الاتصال ونظرياته المعاصرة»، الطبعة الثالثة، الدار المصرية اللبنانية، 2003، ص 348.
[13] خالد صلاح الدين، مرجع سابق، ص 81.

تشكل قوة الخطاب الإعلامي. ان كثير من النصوص الخبرية على سبيل المثال تعبر عن أُطر متجانسة في حالة، وعن أُطر متصارعة في حالة أخري[14].

فمثلاً يري فريدلاند أن أُطر معالجة الإعلام الامريكي لانتفاضة ميدان السلام السماوي في بكين ربعي عام 1989 كانت متجانسة ولم يعطي التطور التاريخي للحريات في الصين حقه من حيث التحليل ولم تعرض وجهات النظر المختلفة، وإنما قدمت الصين على أنها مكان لوأد الحريات والقهر والديكتاتورية[15].

إن الفكرة العامة لتشكيل الإطار الإعلامي على أنها عملية هادفة تقوم بها وسائل الإعلام والقائمون بالاتصال فيها بإعادة تنظيم المحتوي الإخباري ووصفه في إطار من أُطر اهتمامات المتلقين وإدراكهم، أو الإقناع بالمعنى أو المغزى الذي يستهدفه بعد إعادة التنظيم.

وهذا يتفق مع الرؤى الأولية للإطار الإعلامي في أعمال جوفمان في السبعينات و جامسون في الثمانينات و انتمان و اباخبر في التسعينات القرن الماضي[16].

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الباحثين قد دأب على استخدام بعض المصطلحات المرادفة لمصطلح (الإطار) ومن ابرز هذه المصطلحات، مصطلح النسق أو الاتساق، ومصطلح (الطروحات الاجتماعية)، ومصطلح (المعانى الاجتماعي) ومصطلح أنظمة التغطية الخبرية وكذلك مصطلح (السمات البارزة للموضوع أو القضية) وأخيرا فقد استخدم كلاً من جابسون و مود يجلياني (Gamon & Modigliani) مصطلح (المنظومة أو الحزمة الإعلامية) للإشارة إلى الرموز والمفردات اللغوية التى توظفها وسائل الإعلام فى تناول القضايا المختلفة.

---

[14] محمد حسام الدين، مرجع سابق، ص ص 80ـ81.

[15] Lconard Frieland et al. *International coverage of Beiying spring*, 1989; A comparative Approach (Colombia Sc; Association for education in journalism and mass communication), 1996.p.60.

[16] محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص ص 403ـ404.

ورغم ذلك فان مصطلح الإطار، هو الأكثر شيوعاً واستخداماً من قبل الباحثين في الدراسات الخاصة بالمضمون الإخباري بوسائل الإعلام فضلا عن دراسات الرأي العام والاتصال السياسي[17] و لأنه الأنسب لدراستنا فقد قررنا الاعتماد عليه.

6.1. منهج الدراسة:

من المنطقي جدا أنه بعد وضع فروض الدراسة، كان يجب علينا اختبارها. وكان أنسب منهج لدراستنا هذه هو استعمال المنهج الوصفي التحليلي مع أسلوب تحليل المحتوى، و ذلك بهدف الوصف الموضوعي الكيفي و الكمي المنظم لمحتوى موضوع الدراسة (صورة العرب في الصحافة المكتوبة الفرنسية) و نسعى باستخدام هذا المنهج إلى تحديد العوامل والظروف التى عليها تُبنى المضامين الإعلامية المكتوبة، و باعتمادنا على المنهج الوصفي التحليلي سنصف الظاهرة للوصول إلى أسبابها والعوامل التى تتحكم فيها، واستخلاص النتائج لتعميمها ...

و لأننا نعتمد على نظرية تحليل الأطر الإعلامية، فتحليل أطر التغطية الخبرية المختلفة لجريدة «Le Monde» قد تفسر دور الجريدة في تشكيل معارف الجمهور واتجاهاته و تصوراته اتجاه مختلف قضايا العرب و العالم العربي، كون الوقائع و الأحداث لا تنطوي في حد ذاتها على مغزى معين، وإنما تكتسب مغزاها من خلال وضعها في إطار يحددها وينظمها ويضفي عليها قدراً من الاتساق والانسجام من خلال التركيز على بعض جوانب الموضوع وإغفال جوانب أخرى.

بمعنى أخر... البحث عن المعنى الذي يحمله النص، القصد التبليغي المضمر داخل الموضوع، الرسالة الكامنة في النص... تلك هي أبرز المعطيات التى يتوقف عندها موضوعنا (تحليل المضمون) إذ تتخطى عناية تحليل المضمون، إلى اللغة المكتوبة والصورة والمواقف والرسومات،

اذ ارتبطت استخدامات تحليل المضمون بالدراسات الإعلامية بوصفها أداة واسلوباً

[17] خالد صلاح الدين، مرجع سابق، ص 77.

لتعرف المعلومات والتفسيرات من خلال الأنشطة الاتصالية المختلفة، وكان هذا الارتباط والنشأة قد تولد تبعاً للحاجة الماسة التى فرضتها منهجية علم الإعلام وتعقيداته منذ بواكير القرن العشرين وتحديداً بعد طغيان الصفة الجماهيرية عبر الوسائل، لتشكيل الخطاب الجمعي الجماهيري

وكانت المحاولات الأولى لاستخدامات تحليل المضمون ما قام به الباحثان ليبمان و تشارلز ميرز من خلال قيامهما بتحليل مضمون عينة من المادة الإخبارية المنشورة في جريدة نيويورك تايمز ، وقد تصاعد هذا النمط من الدراسات بعدما ظهرت إمكانية الضبط والسيطرة على عوامل التحليل واستحكاماته وجدواه في الوصول إلى نتائج يمكن الاعتماد عليها. وكانت مدرسة الصحافة في جامعة كولومبيا، قد اهتمت بتحليل المضمون اهتماماً واسعاً وكبيراً في ثلاثينيات القرن الماضي للعديد من الصحف الأمريكية، بالإضافة إلى بعض الدراسات التحليلية المتخصصة كدراسة جوليانت و ادواردز حول الأخبار الخارجية في الصحف الصباحية الأمريكية. و يشير اصطلاح التحليل(Analyse) بأنه عملية تستهدف إدراك الأشياء والظاهرات عن طريق فصل عناصر تلك الأشياء والظاهرات بعضها عن بعض، ومعرفة الخصائص التى تمتاز بها هذه العناصر ، فضلاً عن معرفة طبيعة العلاقات التى ترتبط بينها .

ويشير اصطلاح المضمون او المحتوى (Contenu) في علوم الاتصال الى كل ما يقوله الفرد من عبارات او ما يكتبه او ما يرمزه، والمعلومات التى تقدم والاستنتاجات التى يخرج بها والأحكام التى يقترحها أهدافا اتصالية مع الآخرين

و لجانا الى هذه الطريقة لتعذر مصداقية البيانات التى نجمعها من اتصالنا المباشر بالمبحوثين للتعرف على اتجاهاتهم وأفكارهم واستجابتهم من خلال الملاحظة والمقابلة و الاستبانة، اذ كانت التجربة التى اعتمدناها في بحث رسالة الماجستير غير مطابقة للواقع و كانت المقابلات التى اجريناها مع رجال الاعلام حول موقفهم من الهجرة المغاربية المقيمة بفرنسا آنذاك، بعيدة كل البعد عن الواقع. لذا ارتأينا الاعتماد فقط على دراسة النصوص المكتوبة لهذه الجماعات دراسة منهجية بإتباع طريقة منظمة وصارمة من

خلال أسلوب (تحليل المضمون)، كما اننا استخدمنا هذا الأسلوب للتعرف على الاتجاهات والآراء للتعرف على ما تؤديه جريدة «لوموند» الفرنسية من وظائف تحقيقاً لأهدافها و لأهداف ملاكها، و مدى تاثيرها على الجمهور

و يتسق أسلوب تحليل المضمون اتساقاً وثيقاً ومحورياً بالرسالة ونقصد بالرسالة النتاج أو الأفكار أو المفاهيم التى يراد توصيلها إلى الجمهور من خلال التتابع الرمزي والدلالي، وتكوينه وتحليله وإيجاد العلاقات الرمزية (الظاهرة) كالشدة، و التكرار، والكيفية، و درجات التأكيد، و تسيد القيم والاتجاهات والتأييد والرفض.. ، هذه الميادين هي ما يدخل ضمن وظائف تحليل المضمون، للوصول إلى اكتشافات وعلاقات بالإمكان تجزئتها أو تصنيفها، ومن ثم إيجاد ارتباطها والكشف عنها على أساس (كمي ونوعي، ذلك ان تحليل الرسالة.. لكلماتها.. أشكالها.. ألوانها ..أو اية سياقات أو رموز تعبر عن المضمون الصريح لها قد تدلنا على مؤشرات متنوعة تساعدنا في الغوص في النص، وبالتالي التنبؤ بمقاصد منشئ الرسالة واتجاهاته وتأثيراته على المتلقي من خلالها، ذلك ان التحليل الكمي المنظم يتيح لنا قياس مقاصد ومرجعيات المرسل وقدراته، وبؤر التركيز القيمي أو التفضيل الذي انساق معه النص أو المادة الاتصالية قيد التحليل والدراسة، كما وتكشف عن دوافع المرسل وقيمه التى يؤمن بها، و الأهداف التى يسعى إلى تحقيقها، و هذه تتصل وتتفاعل باتجاهاته السياسية والدينية والاجتماعية وتكويناته المرجعية (بيئة، عقائد، أفكار، تأثيرات أخرى مختلفة. هذه المرجعيات في ثنايا الرسالة، يمكن الكشف عنها ضمن نظام التصنيف اتساقاً مع أهداف البحث الرئيسة.

وتحليل المضمون كغيره من المفاهيم الاجتماعية ،لم يحسم بتعريف جامع مانع محدد بدقة إلى حد الاتفاق التام في ظل مشكلات حدود تطبيقاته وإجراءاته على المنجز الأدبي، واللغوي، والشكلي ..بالرغم من التطور والتوسع الذي شهده في استخدام الأساليب والتقنيات على المستوى الدولي ، وفيما يأتي بعض التعريفات التى أوردها د.احمد بدر في أحد مراجع الاتصال، و اتخذه على أساس أغراضه الاجرائية كأداة للبحث العلمي:

ـ كما جاء به كابلان، عام 1943 : تحليل المحتوى هو المعنى الإحصائي للأحاديث والخطب السياسية

ـ أما بيزلي عام 1969: فيرى أن (تحليل المحتوى هو أحد أطوار تجهيز المعلومات حيث يتحول فيه المحتوى الاتصالي إلى بيانات يمكن تلخيصها ومقارنتها وذلك بالتطبيق الموضوعي والنسقي لقواعد التصنيف الفئوي. (Categorization Rule))

ـ الأساليب البحثية التى تستخدم في وصف المحتوى الظاهر أو المضمون الصريح للمادة الإعلامية وصفاً موضوعياً،منتظماً ، كمياً. كما عرفه على انه ((أسلوب البحث الذي يهدف إلى تحليل المحتوى الظاهري او المضمون الصريح لمادة الاتصال ووصفها وصفاً موضوعياً ومنهجياً وكمياً بالأرقام.

ـ بينما أورد الدكتور محمد عبد الحميد، (2000)، لتحليل المضمون التعريف آلاتي (مجموعة الخطوات المنهجية التى تسعى إلى اكتشاف المعاني الكامنة في المحتوى، والعلاقات الارتباطية لهذه المعاني من خلال البحث الكمي، الموضوعي، و المنظم للسمات الظاهرة في هذا المحتوى)

و في حين يعتبر بعض الباحثين ان تحليل المضمون ليس منهجاً قائماً بذاته ،فقد يجمع الاغلبية على انه مجرد أسلوب او أداة استكمالية يستخدمها الباحث ضمن أساليب وأدوات أخرى في إطار منهج متكامل هو: المنهج المسحي. إذ يسعى الباحث عن استخدامه إلى مسح جمهور القرّاء ،والمستمعين أو المشاهدين، أو مسح الرأي العام أو المادة الاتصالية (عن طريق تحليل المضمون) بغرض الوصول إلى ارتباطات معينة، أو البحث عن قيم سائدة أو رموز دلالية أو يمكن التوصل أليها عن طريق تطبيق الإجراءات المنهجية الصارمة .

اضافة الى ما ذهبت أليه التعريفات السابقة من وصف طبيعة أو غرضيه تحليل المضمون فقد اعتمدنا عليه لخصائصه آلاتية:

ـ يسعى تحليل المضمون عن طريق تصنيف البيانات وتبويبها إلى وصف المضمون (المحتوى) الظاهر والصريح للمادة قيد التحليل، و لا يقتصر على الجوانب الموضوعية، وانما الشكلية أيضاً.

ـ يعتمد على تكرارات وردت أو ظهور جمل أو كلمات أو مصطلحات أو رموز أو أشكال بناءً على ما يقوم به الباحث من تحديد موضوعي لفئات التحليل ووحداته.

ـ تميزيه بالموضوعية وخضوعه للمتطلبات المنهجية (كالصدق والثبات) ،حتى يمكن الاخذ بأحكام نتائجه ،على أنها قابلة للتعميم.

ـ كونه عملية تحليلية منتظمة، و ان يعتمد أساسا الأسلوب الكمي في عمليات التحليل، بهدف القيام بالتحليل الكيفي على أسس موضوعية.

و اعتمدنا في تحليلنا لمضمون جريدة «لوموند» الفرنسية على طريقة وعدد العينة ونظامها كي تمثل مجتمع البحث تمثيلا شاملاً ودقيقاً، وكل خطوة من هذه الخطوات تتطلب قراءة وتفحصاً دقيقاً متتالياً للنص أو المنجز –المراد تحليله ومعايشته وترميزه و كانت لنا قراءة يومية للجريدة، قراءة متأنية وضحت لنا لكثير من الارتباطات والرموز التى قد تغفو عن عامة جمهور القارئين، إن ساعدتنا القراءة الكشفية في تحديد فئات الشكل و المضمون و في تحديد مؤشرات التحليل.

و لاعتمادنا على تحليل المضمون الإعلامي، فإننا اتبعنا الخطوات التالية

1. صياغة مشكلة البحث وفروضه أو تساؤلاته.
2. تحديد مجتمع البحث والعينة موضع الاختبار
3. اختيار وحدة التحليل و تحديد مؤشرات التحليل و تصنيف الفئات
4. المضمون الذي سيتم تحليله وتعريفها إجرائيا
5. تأسيس نظام حساب كمي
6. إجراء دراسة استكشافية لتحقيق الثبات
7. ترميز المضمون بناءً على التعريفات الاجرائية التى تمت صياغتها

8. تحليل البيانات التى تم استخلاصها ومناقشتها في ضوء جداول أو تصنيفات
9. استخلاص الاستنتاجات وتفسير المؤشرات الكمية والإحصائية

اخترنا على وجه التحديد جريدة «Le Monde» كعينة للإعلام الفرنسي المكتوب، لأنها الأكثر تمثيلا لمخلف التيارات السياسية، كونها وسطية و معتدلة التوجه، و هي الأكثر قراءة في فرنسا و كذا لطابعها الدولي. و لان المنهج الوصفي التحليلي يشمل أكثر من طريقة، فقد اتبعنا طريقة المسح اعتمادا على نظام العينات، و اخترنا بذلك العينة الدائرية المنتظمة، التى من خلالها سندرس الظاهرة بشكل عام، محيطين بكافة عواملها وأسبابها. و لجأنا لنضام العينات لكثرة الأعداد و المقالات التى تتناول موضوع دراستنا. و راعينا في طريقة المسح (المسح باستعمال نظام العيينات) أن تكون العينات التى ستُدرس، ممثلة للمجتمع لتكون النتائج أيضاً ممثلة للمجتمع نراعي أيضاً أن تفسر الإحصائيات التى يُحصل عليها تفسيراً سليماً.

باستعمال تحليل المضمون كأداة لجمع البيانات، و التحليل السيميائي للصورة الفوتوغرافية، فإننا سنُسلط الضوء على اختيار وتركيز واستخدام عناصر محددة في النص الإعلامي لبناء الصورة الذهنية المخطط لها. و تحليل المحتوى الكيفي و الكمي لكل مؤشرات المادة الإعلامية سيُشخص لنا الكيفية التى بها تُبْنى الرسالة الإعلامية، و تحدد صورة العرب و الإسلام في المخيال الفرنسي و الذاكرة الجماعية الفرنسية و الغربية على وجه العموم.

تعتمد دراستنا على أسلوب أو طريقة تحليل المضمون التى عرفها الباحثون كما يلي:

ـ أسلوب أو طريقة للبحث تهدف إلى الوصف الموضوعي والمنظم والكمي للمحتوى الظاهر لمادة الاتصال.

ـ رصد عدد مرات تكرار الفئات التحليلية في المضمون ، وذلك لقياس مدى التركيز النسبى على أمر ما .

- يتلخص تحليل المضمون في أربع خطوات هي: تحديد وحدات التحليل –تحديد الفئات المعالجة الكمية للبحوث وأخيراً الثبات والصدق في تحليل المضمون.

- أن منهج تحليل المضمون يجمع بين أسلوب المنهج التجريبى والمنهج التاريخي، فهو يهتم بتحليل محتوى المادة التى تقدمها وسائل الاتصال الجمعي.

وتحليل المضمون هو أسلوب أو أداة للبحث العلمي يمكن أن يستخدمها الباحثون في مجالات بحثية متنوعة وعلى الأخص في علم الإعلام، لوصف المحتوى الظاهر والمضمون الصريح للمادة الإعلامية المراد تحليلها (من حيث الشكل والمضمون) تلبية للاحتياجات البحثية المصاغة في تساؤلات البحث أو فروضه الأساسية ، طبقاً للتصنيفات الموضوعية التى يحددها الباحث ، وذلك بهدف استخدام هذه البيانات بعد ذلك إما في وصف هذه المواد الإعلامية التى تعكس السلوك الاتصالي العلنى للقائمين بالاتصال، أو لاكتشاف الخلفية الفكرية أو الثقافية أو السياسية أو العقائدية التى تنبع منها الرسالة الإعلامية أو للتعرف على مقاصد القائمين بالاتصال من خلال الكلمات والجمل والرموز والصور وكافة الأساليب التعبيرية ـشكلاً ومضموناًـ والتى يعبر بها القائمون بالاتصال عن أفكارهم ومفاهيمهم، وذلك بشرط أن تتم عملية التحليل بصفة منتظمة، ووفق أسس منهجية ، ومعايير موضوعية، وأن يستند الباحث في عملية جمع البيانات وتبويبها وتحليلها على الأسلوب الكمي بصفة أساسية .

ويمكن تصنيف اتجاهات تعريف تحليل المضمون في اتجاهين أساسيين هما:

1. الاتجاه الوصفي للمحتوى الظاهر للاتصال وليس بالمعاني الكامنة.
2. الاتجاه الاستدلالي للمعاني الضمنية أو الكامنة و قراءة ما بين السطور.

ويستخدم تحليل المضمون في تحليل محتوى المادة التى تقدمها وسائل الاتصال الجمعي (الجماهيري) كالصحف والمجلات والكتب والأفلام وبرامج التلفزيون ، وذلك بالوصف الموضوعي المنظم الكمي للمحتوى الظاهر لوسيلة الاتصال.

ويستند أسلوب تحليل المضمون إلى المسلمة التالية وهي أن اتجاهات الجماعات والأفراد تظهر بوضوح في كتاباتها وصحفها وآدابها وفنونها وأقوالها وملابسها ...فإذا ما تم تحليل هذه الأدوات فإن ذلك يكشف عن اتجاهات هذه الجماعات.

7.1. تحديد المفاهيم:

إن عملية تحديد المفاهيم شرط من شروط المعرفة العلمية الصحيحة، وأحد الطرق المنهجية في تصحيح البحوث، فهي تُجنبنا الوقوع في سوء التفاهم، و المتاهة في عالم الأفكار والنظريات، فالمفاهيم الاجتماعية تعاني من صعوبات، تتصدرها النسبية وعدم الثبات الكافي لقيام بناء معرفي ثابت، كما أنها قد تحمل معان عامية ودارجة كثيرا ما تختلط مع معانيها العلمية فتشوه صورتها ووضوحها كما تعاني أيضا من مشكلة التعدد في المنطلقات الايديولوجية والفكرية المختلفة الأمر الذي يترتب عليه التنوع الإستخدامي للمفهوم الواحد، وبذلك تتداخل أمام الباحث كثرة الاستعمالات المفهوم الواحد فيتيه أيها يختار، ومن هنا يجدر بنا تحديد معاني المفاهيم الآتية:

1.7.1. الصحافة:

تعددت تعريفات الصحافة واختلفت تبعا لاختلاف المنطلقات الفكرية لهذا المفهوم، وفي دراستنا هذه سنكتفي باستعراض أبرزها وأشملها معنى:

المفهوم اللغوي للصحافة: لقد ورد لفظ «الصحف» في القرآن الكريم في صورة الأعلى في الآيتين 18-19 «إن هذا لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم و موسى» والمصحف بكسر الميم وضمها وفتحها هو الجامع للصحف المكتوبة بين دفتين. وفي المعجم الوجيز تم تعريف الصحافة كما يلي: إنها مهنة من يجمع الأخبار والآراء وينشرها في صحيفة أو مجلة، والنسبة إليها صحافي والصحفي هو من يزاول حرفة الصحافة والصحيفة ما يكتب فيه من ورق و نحوه، ويطلق على المكتوب فيها والجمع صحف، والصحف هي مجموعة من الصفحات تصدر يوميا أو في مواعيد منتظمة بأخبار السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة وما يتصل بذلك. كما تم تعريفها طبقا

للموسوعة العربية المسيرة: بأنها صناعة إصدار الصحف باستقاء الأنباء وكتابة المقالات وجمع الإعلانات والصور ونشرها في الصحف والمجلات وتولي إدارتها.

المفهوم الإصطلاحي للصحافة: من أشهر ما قيل عن الصحافة هو قول نابليون بونا بارت «الصحافة ركن من أعظم الأركان التى تشيد عليها دعائم الحضارة والعمران» ويقول الفيكونت فيليب دي طرازي في الجزء الأول من كتابه تاريخ الصحافة العربية «أن أول من إستعمل كلمة الصحافة بمعناه الحديث الاصطلاحي كان الشيخ نجيب الحداد منشئ جريدة العرب بالإسكندرية، ويعرف الصحافة بأنها صناعة الصحف والصحف جمع قرطاس مكتوب والصحافيين القوم الذين ينسبون إليها ويعملون فيها». ويعرفها الأستاذ عبد العزيز مطر في دراسة تحت عنوان الصحافة في المعجم الجديد إذ يقول«الشائع الآن إستخدام كلمة الصحافة للدلالة على معنيين معنى مقابل لكلمة (Journalisme) أي المهنة الصحفية ومعنى مقابل لكلمة (Presse) أي مجموعة ما ينشر في الصحف». وهنالك من يعرفها بأنها« مطبوع دوري ينشر الأخبار السياسية والإقتصادية والثقافية والعلمية والتقنية والتاريخية ويشرحها ويعلق عليها» كما تعرف أيضا بأنها «العلمية الإجتماعية لنشر الأخبار والمعلومات الشارحة إلى جمهور القراء من خلال الصحف المطبوعة، لتحقيق أهداف معينة».

ويكاد يجزم الباحثون بصعوبة إيجاد تعريف جامع مانع للصحافة، يجمع بين محدداتها ومتطلباتها التى تميزها تمييزا دقيقا، ولهذا نجد كما رأينا أن المحاولات الخاصة بتعريف الصحافة ترتبط أساسا بإيجاد التعريف أو محاولة توظيفه، ومن هنا كان التعدد المداخل الخاصة في تعريف الصحافة التى تشارك في تحديد المفهوم.

المفهوم الإجرائي: الصحافة مطبوع دوري يصدر في مواعيد منتظمة يحمل في طياته مادة خبرية تتعلق بكافة الميادين (اقتصادية، سياسية، اجتماعية ...الخ). تتناولها بالشرح والتعليق لإشباع فضول القارئ وجعله على بينة بالمستجدات في مختلف المجالات.

2.7.1. العرب:

العالم العربي مصطلح يطلق جغرافيًا على المنطقة الممتدة من مصر غرباً إلى بحر العرب و الخليج شرقاً، شاملاً الدول التى تتخذ العربية كلغةٍ رسميةٍ فيها، والتى تنضوي تحت عضوية جامعة الدول العربية.

العرب فرع من الشعوب السامية تتركز أساسًا في الوطن العربي بشقيه الآسيوي والإفريقي إضافة إلى الساحل الشرقي لإفريقيا وكأقليات في إيران وتركيا و دول المهجر، واحدهم عربي ويتحدد هذا المعنى على خلفيات إما إثنية أو لـغوية أو ثقافية 18

سياسيًا العربي هو كل شخص لغته الأم العربية ووالده عربي. وتوجد أقليات عربية بأعداد معتبرة في الأمريكيتين وفي أوروبا و إيران وتركيا.

حسب التقاليد الإبراهيمية ينسب العرب إلى النبى إسماعيل عليه السلام، وحسب بعض الإخباريين والنسابين العرب إلى يعرب، كلا الأمرين لا يمكن إثباتهما من الناحية التاريخية. في التاريخ، فإن أقدم ذكر للفظ عرب يعود لنص آشوري من القرن التاسع قبل الميلاد، وحسب نظرية أكثرية الباحثين فإنه يعنى أهل البادية، في اللغة الآشورية وعدد من اللغات السامية الأخرى .[19]البادية المقصودة هي بادية الشام في جنوب الهلال الخصيب و امتدادها، لتشمل اللفظة شبه الجزيرة العربية برمتها، والتى دعيت منذ الحقبة الإغريقية باسم العربية باللاتينية (Arabia) ، بمعنى بلاد العرب[20]

النظرية البديلة تقول أن العرب اسم علم للشعب في البدو والحضر لا مضارب القبائل

---

[18] War of Visions: *Conflict of Identities in the Sudan.* p 405. By Francis Mading Deng

[19] طقّوش، محمد سهيل2009 م . «تاريخ العرب قبل الإسلام ».بيروت - لبنان : دار النفائس.صفحة 28. .

[20] معطي، علي. 2003 .« تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام»، الجزء الأول .بيروت - لبنان :دار المنهل اللبناني، مكتبة المدرسة. صفحات 25–26

فحسب[21]، بكل الأحوال فإن أقدم مملكة عربية حضرية غير مرتحلة هي مملكة لحيان في القرن الرابع قبل الميلاد وايضا مملكة كندة في القرن الثاني قبل الميلاد مع الاشارة لكون حضارة اليمن القديم، الزراعية وغير المرتحلة أساسًا قد صنفت بشكل حضارة سامية مستقلة، أو أفرد لها تصنيف فرعي خاص هو عرب الجنوب. خلال الازدهار الفكري في العصر العباسي، والمتأخر زمنيًا عن نشأة المصطلح، قالت المعاجم أن عربي تعنى غير أهل البادية، وأنّ أهل البادية يدعون أعراب.[22]

• درج المؤرخون العرب حتى الأيام الراهنة بقسمة تاريخ العرب إلى قسمين، قبل الإسلام والمدعو جاهلية، وبعد الإسلام الذي تمكن فيه العرب من سيادة إمبراطورية واسعة ومزدهرة حضاريًا، خصوصًا في العهد الأموي - سواءً في دمشق أم الأندلس - والعهد العباسي - خصوصًا العهد العباسي الأول وحاضرته بغداد - هذه السيادة أفرزت أنماطًا حضارية غنية، وتمازجت مع الشعوب الأخرى المعتنقة للإسلام، وانتشر الاستعراب في عدة أقاليم أهمها الهلال الخصيب، و شمال ووسط وادي النيل، والمغرب العربي، والأهواز، وبشكل أقل سواحل القرن الأفريقي، وتعرف هذه الأقاليم باسم الوطن العربي، ويعود لمرحلة النهضة العربية في القرن التاسع عشر، بروز ملامح الهوية العربية المعاصرة.

جغرافيا، يمتد الوطن العربي جغرافيًا من المحيط الأطلسي غربًا حيث يقع المغرب العربي إلى بحر العرب شرقًا، شاملاً الدول التى تُتخذ العربية كلغة رسمية فيها، والتى تنضوي تحت عضوية جامعة الدول العربية. يصل عدد هذه الدول إلى 23 دولة تعتبر مصر أكثرها سكانًا، والبحرين أقلها. يُشكل العرب الأقحاح أغلبية سكّان هذه الدول، التى تقطنها أيضًا بعض الشعوب غير العربية، من يُظهر القالب في الأسفل نسبة العرب من سكّان الدول التى تمثل العربية إحدى المكونات اللغوية بها، شاملاً

[21] *Arabs in Antiquity: Their History from the Assyrians to the Umayyads, Jan Retso.p.108*

[22] معنى كلمة عرب في مختار الصحاح، المعاني، 29 يناير 2014.

الأشخاص الذين يُعرفون أنفسهم بأنهم عرب من الناحية الوراثية أو اللغة الأم

و بجمع التعدادات السكانية بعضها مع بعض يكون عدد سكان الوطن العربي 338.621.469 نسمةً تقريباً (لعام 2015) مع التنويه أنّ هنالك فئات من السكان الذين لا يتكلمون العربية في دول مثل الصومال، جيبوتي، جزر القمر، السودان، والعراق وسوريا. إلا أنّه يوجد فئات أخرى من السكان الذين يتكلمون العربية لكنهم يسكنون دولًا أخرى غير منضمّة لجامعة الدول العربيّة مثل إقليم الأهواز في إيران وفيه 8 ملايين من العرب. يوجد عرب كذلك في تشاد و تركيا و إيران و اريتريا و مالي و إندونسيا و ماليزيا، وما يجب قوله هنا أن أغلبية هذه الدول تحد الدول العربية جغرافياً لذلك كان لا بد من أن يكون بعض سكانها عرباً أو قبائل قد تأثرت باللغة العربية فكانت هي المتداولة بينهم.

يتبع معظم سكان الوطن العربي الديانة الإسلاميّة والباقي أغلبهم من المسيحيين و هم يتركزون في بلدان المشرق العربي (لبنان و سوريا و مصر و فلسطين و الأردن و العراق). بعد اغتصاب فلسطين و تهجير أهلها و استقدام مهاجرين يهود من شتى أنحاء العالم، أصبحت غالبية السكان في فلسطين يهودية. كما توجد أعداد قليلة من اليهود في اليمن بالإضافة إلى تواجد يهودي سابق في العراق و سوريا و مصر.

الشريعة الاسلامية من أحد مصادر القوانين في البلاد العربية خاصة في بلاد شبه الجزيرة العربية. إلّا أنه واضح أنّ الشريعة الإسلامية لا تطبّق بكلّيتها في أيّ من هذه الدول إلا إذا استثنينا المملكة العربية السعودية. وبعض الدول العربية الأخرى هي شبه علمانية

يلتقي العالم العربي و العالم الاسلامي في اكثر من نقطة، اذ يعتبر العالم الإسلاميّ واحداً من المصلحات التى أطلقت على مجموعة من الدول تحتوي على سكّان تمارس الطقوس الإسلاميّة، والإسلام واحد من أهم الأديان وأكثرها انتشاراً في هذا العالم، ويوجد 86 دولة يطغى عليها هذا القالب الإسلاميّ، وتُعتبر القارتين الآسيويّة،

والإفريقيّة ذات النسبة الأكبر للدول الإسلاميّة، وتشترك هذه الدول مع بعضها البعض بعوامل الدين الإسلاميّ من جميع نواحيه، وجوانبه، ويبلغ التعداد السكّانيّ لهذا العالم ما يقارب 2 مليار نسمةً، بنسبة تصل إلى أكثر من (27%) من سكان العالم، وتبلغ المساحة الإجماليّة لها 41.707.540 كيلو متر مربع، بما يقارب (28%) من مساحة اليابسة تقريباً، وتعدّ اللغة الرسميّة فيها هي اللغة العربيّة لغة القرآن الكريم، وتحتوي على أكثر من 20 لغة فرعيّة، وهذا لا يعنى بأن كل شخص موجود على هذه الأراضي بأنّه مسلم، فإن نسبة السكّان المسلمين بينهم تصل إلى (85%)، حيث ينقسم الدين الإسلاميّ إلى قسمين (90%)من السنة، و (10%) من الشيعة و العلويين، أمّا النسبة المتبقيّة فهي تنقسم إلى (12%) للمسيحيين، و(05%) للهندوسيين، و (3%) للبوذيين اليهوديين، و (1%) ديانات أخرى كالوثنيين، والملحدين، والطاويّ، والسيخية، وزرادشتيّة، والجاينيّة، والروحانيين.

3.7.1 الصورة الذهنية:

بدأ استخدام مصطلح الصورة الذهنية (Image) عندما أصبح لمهنة العلاقات العامة تأثير كبير على الحياة الأمريكية مع بداية النصف الثاني من القرن الماضي، و قد كان لظهور كتاب: «تطوير صورة المنشأة» (Developing The Corporate Image) للكاتب الأمريكي بريست(LEE Briste) في عام 1960، أثر كبير في نشر مفهوم صورة المنشأة بين رجال الأعمال، و ما لبث هذا المصطلح أن تزايد استخدامه في المجالات التجارية و السياسية و الإعلامية و المهنية. و قد تبلور هذا المصطلح في مجال العلاقات الدولية بشكل واضح في عام 1965، حينما ظهر كتاب «السلوك الدولي» (Behavoir International) الذي اشترك في تأليفه هربرت كيلمان (Kelman) مع جماعة من زملائه من علم النفس و الباحثين في مجال العلاقات الدولية.

المفهوم اللغوي للصورة: وردت عدة تعريفات للصورة، فيرى جميل صليبا[23] في المعجم الفلسفي أنها: الشكل الهندسي، المؤلف من الأبعاد التى تتحد بها نهايات الجسم. و

[23] جميل صليبا، المعجم الفلسفي ج1، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1994، ص 741ـ742

هي الصفة التى يكون عليها الشيء، كما في قوله تعالى: «إن الله خلق ادم على صورته». و عرفت الصورة على أنها النوع، إذ يقال، هذا الأمر على ثلاث صور أي على ثلاثة أنواع. و تطلق الصورة على ترتيب الأشكال و وضع بعضها مع بعض، و اختلاف تركيبها و تسمى بالصورة المخصوصة. أو تطلق على ما يرسمه المصور بالقلم أو آلات التصوير، أو ارتسام خيال الشيء في المرآة... الخ من التعريفات اللغوية. مما سبق يتضح لنا أن للصورة جانبان، جانب مادي كالصورة الفوتوغرافية مثلا. و جانب حسي و معنوي، كالصورة الذهنية و هو ما نركز عليه في دراستنا هذه.

المفهوم الاصطلاحي للصورة الذهنية: الصورة (Image) مصطلح مشتق من كلمة لاتينية تعنى «محاكاة» (Imitation)، و معظم الاستخدامات السيكولوجية القديمة و الحديثة لهذا المصطلح تدور حول نفس المعنى، أو مرادفة له في مجال الاستخدامات السيكولوجية، مثل النسخة، إعادة الصورة الأخرى.

يعرف قاموس «ويبستر» الصورة الذهنية بأنها: « التقدم العقلي لأي شيء، لا يمكن تقديمه للحواس بشكل مباشر، أو محاكاة لتجربة حسية ارتبطت بعواطف معينة، أو تخيل لما أدركته حواس الرؤية أو السمع أو اللمس أو الشم أو التذوق»

يرى كينيث بلدنج (Kenneth Boulding) في كتابه الرائد «الصورة»[24]، أن الصورة الذهنية تتكون من تفاعل معرفة الإنسان بعدة عوامل منها، المكان الذي يحيا فيه الفرد، موقعه من العالم الخارجي، العلاقات الشخصية، و روابط الأسرة، و الحيوان، و الجيران، و الأصدقاء المحيطون به، و الزمان و المعلومات التاريخية و الاجتماعية التى يحصل عليها.

يرى كل من روبينسون و بارلو أن كلمة (Image) تشبه إلى حد كبير كلمة (Stereotype) «النمط الجامد» و أنها ترتبط مثلما «بالتحيز» (Préjudice) تلك الكلمة التى تعنى في أصلها اللاتينى «الحكم المسبق» (Prejuding) أو التسرع في الحكم قبل توافر الأدلة، كما يعتبر «هاملتون» «أن الصورة النمطية المقولية هي نظام العقائد الراسخة

[24] Kenneth Boulding, 1956, *The Image*, University of Michigan Press, pp. 64-81

في أذهان الأفراد»، في حين يعتقد هاسلام أن في العديد من الاصطلاحات الأساسية يمكن تعريف الأنماط الصورية المقولية كمجموعة من العقائد حول أخلاقيات مجموعة من الناس تحاول مجموعة أخرى نبذها من حياتها و وجودها بشكل واضح، و من هنا فإن كوندور يرى في الصور النمطية المقولية «نوعا من التمييز العنصري الذي تمارسه الأكثرية من ضد الأقلية، لأن تلك الصورة هي الهوية الاجتماعية لتلك الأقلية»، و لهذا يعتقد تاجفيل بأن الصورة النمطية المقولية تتحول إلى مشكلة اجتماعية عندما تتشارك مجموعة من الناس في الايمان بها ضمن التكوين الاجتماعي لتلك المجموعة، و بذلك تتحول تلك المشاركة إلى نوع من العزل الاجتماعي للمجموعة الأخرى.

المفهوم الإجرائي للصورة الذهنية: لقد تعددت مدلولات و تعريفات الصورة الذهنية، و نخلص التعريفات السابقة إلى التعريف الذي قدمه علي عجوة حول الصورة الذهنية. إذ يرى أنها: الناتج النهائي للانطباعات الذاتية التى تتكون عند الأفراد، أو الجماعات إزاء شخص معين أو نظام معين، أو شعب أو عرق أو جنس بعينه، أو منشأة أو مؤسسة أو منظمة محلية أو دولية أو مهنة معينة، أو أي شيء آخر، يمكن أن يكون له تأثير على حياة الإنسان، و تتكون هذه الانطباعات من خلال التجارب المباشرة، و ترتبط هذه التجارب بعواطف الأفراد و اتجاهاتهم بغض النظر عن صحة المعلومات التى تتضمنها خلاصة هذه التجارب، و هي تمثل بالنسبة لأصحابها واقعا صادقا ينظرون من خلاله إلى ما حولهم، و يفهمونه أو يقدرونه على أساسها.

الفصل الثاني
الدراسات السابقة

الدراسـات السـابقة:

من خلال تمعننا في الدراسات السابقة، فقد تفرقت الدراسات السابقة التى تناولت الصورة الذهنية للدول أو الشعوب في وسائل إعلام دول أخري باختلاف العلاقات السياسية و التى كانت خلال فترات الصراع والأزمات الى فترات السلم.

1. دراسات ميخائيل سليمان (1956)[1]

تعتبر أزمة السويس عام 1956 من أهم الأحداث في الشرق الأوسط في خمسينات القرن العشرين وما ترتب عليها من مواقف إقليمية ودولية. فبعد العام 1948 الذي اثر بشكل كبير على العالم العربي، وكان مقدمة لانسحاب بريطانيا من فلسطين وظهور المخطط الإسرائيلي، أخذت بريطانيا تركز اهتمامها على قناة السويس في مصر. بعد قرار التقسيم الدولي لفلسطين، أصبح هدف الدول الكبرى واضح لترسيخ نفوذها وفي أهم مناطق العالم في الشرق الأوسط والعالم العربي عامة ومنطقة برزخ السويس خاصة.

و استهدفت الدراسة تحليل معالجة الصحافة الأمريكية لأزمة السويس 1956 م وذلك من خلال تحليل مضمون المجلات الأسبوعية («لايف» ،«تايم» ، «نيويورك» ، «يو إس» ، «نيوز أندوورلد ريبوت» ، «ذات نيو ريبلك ذانيشن» ، «نيويورك تايمز») في المدة من جوان حتى ديسمبر 1956. و قامت الدراسة على فرضية أن نوعية المعلومات التى تقدم عن الشعوب الأخرى في الصحف والمجلات تحدد لهم صورهم التى في أذهاننا وخلصت الدراسة إلى:

- إن أغلب التقارير الصحفية والمراسلين يقدمون صورة مشوهة للعرب أهم معالمها «البداوة، التخلف، ساكنى الصحراء، الأشرار، الكارهين لإسرائيل، وانخفاض مستوي المعيشة، وانخفاض مستوي التعليم، والمكانة الوضعية للمرأة (الحريم)، الطباع الاستبدادية، القذارة... » في حين قُدم الإسرائيليون على أنهم « ديمقراطيون : ولهم صفات الغربيين وخصالهم».

[1] ميخائيل سليمان « صورة العرب في عقول الأمريكيين» ، ترجمة : عطا عبد الوهاب، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، 1987)، ص ص 29ـ47.

- إن أغلب كتاب التقارير الصحفية والمراسلين يشيرون إلى سوء معاملة اليهود في الماضي، وحقهم في العيش آمنين مطمئنين. ويقدم هؤلاء الكتاب العرب في صورة «معتدين» و«شقاة»، وأن إسرائيل تهاجم جيرانها العرب كـ «غارات رد فعل».

و في العام (1967)[2] قام الباحث بإعادة تطبيق أساليب دراسته الأولى عن تغطية الصحف الأمريكية للشرق الأوسط وعن وسائل الإعلام الأمريكية وحرب جوان 1967 مستخدماً نفس أداة التحليل ونفس الصحف، وخلص الباحث إلى أن الصحافة الأمريكية خلال حرب 1967 كانت مترددة في انتقاد إسرائيل أو مجرد لومها وكانت بصفة عامة منحازة إليها ومؤيدة لها واتبعت في ذلك أساليب عدة.

- اختلاق الأسباب والتبريرات المنطقية لأعمال إسرائيل وتصرفاتها.
- عدم عرض وجهات النظر العربية أو دفنتها.
- جعل الشيوعيين يتحدثون بلسان العرب.
- تجريد العرب من صفاتهم الإنسانية ولا يمكن الوثوق بهم وتسودهم روح التفكك.
- إلقاء اللوم على الحكام العرب (عبد الناصر : شخص يمثل كل ما هو رديء وكريه، سبب كل المشكلات) وإلقاء مسئولية شن القتال على مصر بعد أن سحبت قوات الأمم المتحدة من على الحدود.
- قدمت إسرائيل على إنها مجتمع متحضر على درجة عالية من التعليم، كذلك مدحت قدرتها على القتال وأن الإسرائيلي أمين واثق من نفسه.

و في العام (1973)[3] قام الباحث ميخائيل سليمان بإعادة تطبيق أساليب دراستيه الأولى والثانية على تغطية الصحف الأمريكية للشرق الأوسط أثناء حرب أكتوبر 1973 ومقارنة ذلك بتلك الصورة بعد حربي 1956 و 1967، كما حلل المجلات الأسبوعية ذاتها التي حللها في دراستيه، وخلص إلى حدوث تحسن ضئيل في طريقة عرض التصرفات العربية إذ كانت أعمال العرب ونياتهم المزعومة تنشر بتفهم

[2] ميخائيل سليمان (1987): مرجع سابق، ص ص 49ـ64.
[3] ميخائيل سليمان (1987): مرجع سابق، ص ص 65ـ82.

أكبر، إن لم نقل بتعاطف، وأهم تغيير نجده هو في حقلي ذكر إنجازات العرب وتسويغ أعمال العرب.

وقد أظهرت المجلات الأسبوعية (التى تم تحليلها) اهتماماً بوجهة النظر العربية، ونشر إنجازات العرب على أرض المعركة بصورة وافية، والأهم من ذلك أن الأعمال أو الآراء العربية أخذت تبرز أو توضع في إطارها الصحيح بشكل واف، كما يظهر التحليل أن وسائل الإعلام الأمريكية لم تتوقف بأي حال من الأحوال عن انتقاد أو إدانة البلدان العربية، على أن مقدار النشر لمصلحة العرب يعادل مقدار النشر الناقد لهم، وهذا تحسن كبير.

وإن ركزت الصحف على أن أعمال إسرائيل مبررة وأنها ترغب في السلام وأن الإسرائيليين «مضطهدين ويعتمدون على أنفسهم» وإن كان لهم بعض الصفات السيئة إلا أنهم «صادقون وغير حاسدين» واستمر وصف العرب بأنهم كاذبين وغير جديرين بالثقة.

و في دراسته للعام (1983)[4] خلص ميخائيل سليمان من تتبعه نتائج الدراسات السابقة حول الصورة العربية في وسائل الإعلام الأمريكية إلى عدة استنتاجات و استخلاصات منها :

1. إن معظم الدراسات قد أوضحت التحيز الأمريكي لصالح إسرائيل سواء في الاتجاهات أو في السياسات المقترحة تجاه شعوب ودول المنطقة، كما كشفت هذه الدراسات عن تحيز قوي ضد العرب ومجتمعاتهم وثقافتهم ومؤسساتهم.
2. لا توجد كتابات تاريخيه في أمريكا عن إسهامات العرب أو تاريخهم، كما لو كان العرب غير موجودين أو ليس لهم تأثير أو تم تجاهلهم كلية بواسطة المؤرخين وعلماء الاجتماع.

[4] Michael W. Suleiman (1983): «*The Effect of American perceptions of Arabs on Middle East Issues*». In: Edmund Ghareeb (ED) Split vision. Washington D.C., American – Arab affairs Council.

3. تأثرت الرؤية الأمريكية بالكتابات الأوروبية عن العرب، فتم النظر أليهم على أنهم «أصوليون، إرهابيون، أميون، خطرون» واستمرت هذه الصورة عن طريق المستوطنين الأوروبيين الأوائل الذين نقلوا معهم أسطورة التفوق على العرب.
4. إن الصور العامة للعرب في الصحافة الأمريكية يمكن تحديدها في النقاط التالية:

- ✓ يتم النظر إلى العرب والمسلمين على أنهم شيْ واحد.
- ✓ العرب إما في غنى فاحش أو فقر مدقع.
- ✓ العربي كذاب ومخادع ولا يمكن باي حال من الاحوال الثقة به.
- ✓ العربي قذر ولا أخلاق له.
- ✓ الجنود العرب مقاتلون جبناء والآلة العسكرية العربية غير فعالة.
- ✓ العرب ينفقون ثرواتهم على السلع الاستهلاكية والترفيهية وأعمال الكرم والسخاء و الجنس مثل شراء سيارة رولزرويس في لندن لمدة يومين ثم تركها في المطار للسائق بقية العام.
- ✓ العرب ملعونون إذا فعلوا، ملعونين إذا لم يفعلوا.

2. دراسات راجية محمد قنديل

جاءت دراسة العام 1976[5] بعنوان: الصراع العربي الإسرائيلي في صحيفة الجيروزاليم بوست. و دارت الدراسة حول صورة الصراع العربي الإسرائيلي في إحدى الصحف الإسرائيلية خلال فترة هامة من فترات الصراع العربي الإسرائيلي، وخلصت الدراسة إلي اختلاف صورة إسرائيل قبل حرب 1967 وبعدها، فقبل الحرب صورت إسرائيل علي أنها قبل حرب 1967 على أنها الدولة الصغيرة المعتدى عليها . و كانت الدراسة قد هدفت إلى معرفة كيفية تناول إسرائيل لقضية الصراع العربي الإسرائيلي حيث ركزت على تحليل افتتاحيات صحيفة «الجوررزاليم بوست» الإسرائيلية والتصريحات الرسمية وشبه الرسمية، وتوصلت الدراسة من خلال أداة تحليل المضمون إلى ما يلي:

[5] راجية محمد قنديل، «الصراع العربي الإسرائيلي في صحيفة جوزراليم بوست أعوام 1966 ،1967، 1968» رسالة ماجستير غير منشورة (كملية الإعلام – جامعة القاهرة)، 1976.

- حرصت إسرائيل على تقديم نفسها قبل حرب 1967 في صورة الدولة الصغيرة المحبة للسلام، المحاطة بعداء جيرانها العرب.
- أما فيما بعد نصر 1967 الذي حققته قدمت نفسها في صورة الدولة التى رغم انتصاراتها لا تزال تسعى للسلام مع جيرانها العرب الذين ما زالوا يضمرون لها العداء والكراهية وأنها قد أصبحت الآن تواجه الخطر العربي والسوفيتى الذي أصبح يساند العرب.

استهدفت دراسة العام 1981[6] و التى جاءت لنيل شهادة الدكتوراه و الموسومة بـ: صورة إسرائيل في الصحافة المصرية أعوام 73، 74 ، 78، التعرف على الصورة التى تعكسها الصحافة المصرية عن الكيان الإسرائيلي وذلك باستخدام المنهج التجريبى والتاريخي ودراسة الحالة وقامت بتحليل البيانات باستخدام أسلوب تحليل المضمون الكمي والكيفى كأداة تحليل ومقارنة المقالات الافتتاحية لصحيفة «الأهرام» و «روز اليوسف»، اعتمادا على الفكرة كوحدة قياس.

ومن أبرز النتائج التى توصلت إليها الباحثة في هذه الدراسة :

- بالنسبة لطبيعة إسرائيل وأهدافها كانت المعالم الرئيسية تعكس أفكار الدولة العدوانية، التوسعية، الاستعمارية، التدميرية، العنصرية التى تخشى السلام. ولكن هذه المعالم لم تكن تظهر في الصورة بنفس النسبة والوضوح، كما أن ترتيبها لأولويتها كان يختلف من سنة لأخري طبقا لاختلاف ما تمثله من مراحل الصراع والعلاقات والأحوال الدولية والإقليمية.

أظهرت الصحف المصرية إسرائيل قبل حرب أكتوبر 1973 بصورة سلبية وبعد حرب أكتوبر 1973 في صورة الدولة التى تعرقل تنفيذ قرار 242. كما اختلفت الصورتان عام 1973 و عام 1978 بالنسبة لأهداف إسرائيل الإقليمية والعالمية.

[6] راجية محمد قنديل، « صورة إسرائيل في الصحافة المصرية أعوام 73 ،74،78 » رسالة دكتوراه، غير منشورة (كلية الإعلام – جامعة القاهرة)، 1981.

✓ وفيما يتعلق بأسلوب إسرائيل لتحقيق أهدافها تبين أنها استخدمت القوة وأساليب الحرب النفسية واختلف أسلوبا أيضا من سنة لأخرى تبعاً لتغير أهدافها وأدوارها وطبيعتها.

✓ أما عن الدور الذي تلعبه إسرائيل فتبين أنها تلعب كلا من دور المخرب والبوليس الإقليمي، وتقوم بدور «المثير للتوتر والقلق» في المنطقة والشرق الأوسط باعتبارها أداة خدمة وتنفيذ المصالح الأمريكية والصهيونية.

✓ وكانت أهم السمات التى توضح علاقة إسرائيل بالمجتمع الدولي تؤكد على أنها لا تحترم المنظمات الدولية وقراراتها، وتتحدي المواثيق الشرعية الدولية، مما يؤكد أنها تمثل خطراً على أمن وسلامة المجتمع الدولي.

✓ عكس الجزء الخاص بالصورة الداخلية لإسرائيل بأنها دولة متقدمة عالميا ومتفوقة عسكريا، ولكنها تعانى من المشاكل الاقتصادية والحكومية.

✓ أبرزت مجلة «روزاليوسف» في عرضها لصورة إسرائيل التفاصيل الدقيقة وعكست المعالم والسمات بإسهاب، وكانت تتكرر بها الفكرة الواحدة بأكثر من طريقة بينما تميزت الصورة التى عرضتها الأهرام بالتركيز والتحديد والمباشرة.

3. دراسة إدمـونـد غريـب (1979)[7]

جاءت الدراسة بعنوان: الصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي فى الإعلام الأمريكي: صحيفة نيويورك تايمز نموذجا. و كانت الدراسة قد اجريت بهدف المقارنة بين تغطية الشئون العربية وتغطية أخبار إسرائيل في الصحافة الأمريكية.

وقد خلص الباحث إلى أن عدم التوازن في هذه التغطية يظهر في الجوانب التالية:

ـ في المساحة المعطاة لإسرائيل ولأخبارها بالمقارنة مع المساحة المعطاة لكل الدول العربية مجتمعة.

[7] إدمون غريب، « الإعلام الأمريكي والعرب في : الأعلام الغربي والعربي» أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية، لندن 1979، الإمارات العربية المتحدة، وزارة الإعلام والثقافة، ص ص 90ـ92.

ـ تنظر الصحافة عامة إلى الإسرائيليين على أنهم «الناس الطيبون» وإلى العرب على أنهم «الناس الأشرار» وينظر إلى إسرائيل على أنها امتداد لحضارة الغرب ولثقافته.

ـ في كثير من الأحيان تكون البيانات ونشرات الدعاية الإسرائيلية أساسا للأخبار، ويستخدم اسم « تل أبيب» بدلا من القدس في الإشارة إلى إسرائيل، ويشار إلى الإسرائيليين على أنهم « جنود الله» أو « كومندوز» أو «قوات أمن الله» بينما يشار إلى الفلسطينيين على أنهم «رجال عصابات» أو «متسللون» أو «مغيرون»، وتصبح حرب أكتوبر «حرب يوم الغفران» وحرب جوان تصبح «حرب الأيام الستة»: والأراضي المحتلة تصبح « يهودا السامرا» أو «الأراضي المستعادة» أو «الأراضي المدارة من قبل إسرائيل» و هكذا.

ـ استخدام عدد كبير من الأفعال المحايدة في سرد المعلومات للناطقين الإسرائيليين من قبل: سأل، أبلغ، قال، أعلن، بينما تستخدم للناطقين العرب أفعالاً وأوصافاً سلبية مثل: أدعي، زعم، هدد، اتهم، وما إلى ذلك.

5. دراسة إدوارد سعيـــد (1981)[8]

كان إدوارد سعيد من الشخصيات المؤثرة في النقد الحضاري والأدب وقد نال شهرة واسعة خصوصاً في كتابه الاستشراق المنشور سنة 1978. قدم كتابه أفكاره المؤثرة عن دراسات الاستشراق الغربية المتخصصة في دراسة ثقافة الشرقيين. وقد ربط إدوارد سعيد دراسات الاستشراق بالمجتمعات الإمبريالية واعتبرها منتجاً لتلك المجتمعات. مما جعل من أعمال الاستشراق أعمال سياسية في لبها وخاضعة للسلطة لذلك شكك فيها. وقد أسس أطروحته من خلال معرفته الوثيقة بالأدب الاستعماري مثل روايات جوزيف كونراد، ومن خلال نظريات ما بعد البنيوية مثل أعمال ميشيل فوكو وجاك دريدا وغيرهم

استهدفت هذه الدراسة رصد صورة الإسلام في وسائل الإعلام الأمريكية من خلال دراسة الكيفية التى تناولت بها وسائل الإعلام الأمريكية أزمة الرهائن

[9] Said W. Edward (1981):« *Covering Islam – How the Media & Experts Determine – How we see the rest of the world* » Panthen , Book , New York.

الأمريكية إبان الثورة الايرانية حيث قامت بتحليل المقالات التى تناولت ألازمة في الصحف الأمريكية.

وخلص الباحث إلى أن مكونات صورة الإسلام قد شوهت وأن الإعلام الأمريكي لم يخرج أطلاقاً من إطار السياسة الخارجية الأمريكية في تناولها للمشكلة.

6. **دراسة ماري مالك دافيد** (Mary Mc David) (1983) [9]

استهدفت الدراسة تحليل طرق المعالجة الصحفية للغزو الإسرائيلي لجنوب لبنان في الصحف الأمريكية، وقد خلصت الباحثة من هذا التحليل إلى عدة نتائج منها:

1ـ إن معظم العناوين كانت تحمل وجهة النظر الإسرائيلية.
2ـ إن الصور المنشورة غير مطابقة للحقائق وتحمل صورة إنسانية لإسرائيل.
3ـ إن الأخبار المعارضة لإسرائيل يتم دفنها في الصفحات الداخلية.
4ـ إن المصطلحات والمفاهيم المستخدمة في المعالجة كانت كلها مصطلحات إسرائيلية.
5ـ في معالجة الأخبار الإسرائيلية تم استخدام أسلوب خلق الأعذار والتبريرات، وكذلك أسلوب تحويل الأنظار والانتباه نحو موضوعات أخري أو أطراف أخري غير موجودة في الصراع.

7. **دراسة زهارو بولوس** (Thimios Zaharo Poulos) (1984)[10]

هدفت الدراسة الى تحليل صورة اليونان في الصحف الأمريكية وتوصلت إلى:

[9] Mc David, Mary (1983): « *Media Myths of the Middle East: The U.S. Press on the war of Lebanon*» In: Edmund Ghareeb (Ed) Split vision: The Portrayal of Arabs in the American media. Washington, D.C., The American – Arb Affairs Council.

[11] Zaharo Poulos T., " *the Image of Greece in the U.S, Pre* ". Journalism Quarterly., Vol. 61, No. 4 Winter 1984. PP. 601-905.

1 ـ ضآلة متوسط التغطية الإخبارية عن اليونان في الصحف التى أجريت عليها الدراسة حيث بلغت في الصحيفة الواحدة أقل من مساحة عمود واحد في الشهر.

2 ـ جاءت صورة اليونان على أنها دولة لا تمزقها الصراعات، غير هامة تتميز بالآثار القديمة والهجرة والحوادث والجرائم.

3 ـ كما أوضحت الدراسة أن أولى الموضوعات التى تم تغطيتها هي المفاوضات اليونانية – الأمريكية بشان القواعد العسكرية ثم الآثار فالهجرة والحوادث والجرائم.

4 ـ ومن خلال هذه الدراسة أيضا تم التعرف على أن الدول مثل اليونان التى لا تعد من صفوة الدول ولا تمثل منطقة توتر دولي لا تحظي بالتغطية الكافية في الصحافة الأمريكية.

8. دراسة عبد الحميد بديــول (1967 - 1984)[11]

صورة العربي والمسلم في الصحافة الفرنسية المكتوبة: ما بين سنتى 1967 و 1984 عنوان أطروحة دكتوراه ناقشها الباحث عبد الحميد بديول (Abdelhamid Bdioui) ونشرها في تونس، عن منشورات «بريمو» Primo سنة 1985 وتقع في 366 صفحة. أين يعالج الباحث مشاكل العمال المهاجرين متكلما عن همومهم وعن الأسباب التى دفعت بهم للهجرة، كما حلل بشيء من التدقيق رؤية الصحافة الفرنسية لأوضاعهم وارتباط الأحداث العربية وخاصة القضية الفلسطينية بهؤلاء المهاجرين، فما هي الصور التى نعتت الصحافة بها هؤلاء المهاجرين وما هي المحاور التى دارت حولها، وما هو دور المثقفين الفرنسيين، هذه الأسئلة وغيرها هي التى حاول الباحث الإجابة عنها. خاصة بعد أزمة البترول سنة 1973 وحرب أكتوبر وانعكاس كل ذلك على المهاجر العربي والمسلم.

[11] Abdelhamid Bdioui. *L'Image de l'arabe et du musulman dans la presse écrite en France : 1967- 1984*. Tunis: Primo, 1985. 366 p.

9. دراسة كينيث ليفيان (Kenneth Lewan) (1985) [12]

قامت الدراسة على تحليل المواد الصحفية في وسائل الإعلام الألمانية حول حرب 1967 في الفترة الواقعة بين جويلية حتى نهاية أوت 1967.

وقد خلص الباحث إلى عدة نتائج :

- ✓ إن صحافة ألمانيا الغربية في هذه الفترة قد أجرت مقابلات صحفية مع شخصيات إسرائيلية أو مندوبين إسرائيليين أو متعاطفين مع إسرائيل، وتم اختيار الأسئلة التى وجهت أليهم بشكل يظهر إسرائيل في وضع ايجابي، ولم يكن هنالك تمثيل مناسب للعرب.
- ✓ اتخذت الإحكام المسبقة عن العرب لأجل إبراز إسرائيل بصورة أفضل، كما منحت إسرائيل التبريرات والأعذار لتغيير مواقفها.
- ✓ أشارت الصحف الألمانية إلى ما أسمته بعقد «النقص العسكري والأزمة الاقتصادية» لدى العرب مقرونة باتهام سوريا بشن الهجمات الإرهابية ضد إسرائيل، لتضع مسئولية البدء بالحرب على عاتق العرب.
- ✓ تم تصوير الحياة في إسرائيل وعملية زج جنودها في المعركة تصويراً رومانتيكياً، إنها إسرائيل «الصغيرة والجسورة والمعتمدة على نفسها، وهي ترسل جنوداً ضاحكين يمزحون ويغازلون المساعدات الشابات الجميلات في الجيش» ،و أن الإسرائيليين بعد كل أزمة «يخرجون أكثر قوة وأكثر تضامناً».

10. دراسة سامي مسلم (1985)[13]

استهدفت الدراسة تحليل مضمون الكتابة الصحفية الألمانية الغربية حول الشرق الأوسط في الفترة الواقع ما بين جوان 1967 ومارس 1969، واقتصرت الدراسة على الصحف المحلية أو الإقليمية الصادرة في حدود المدينة أو المحافظة، بالإضافة إلى بعض الصحف والمجلات الصادرة على نطاق ألمانيا الغربية كلها.

---

[12] سامي مسلم، (1985) مرجع سابق، ص ص61ـ65.

[14] سامي مسلم ،« صورة العربي في الصحافة الألمانية الاتحادية»، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، 1985.

وقد خلصت الدراسة إلى عدة نتائج منها :

- ✓ إن الصحافة الألمانية تستخدم الصور النمطية عن العرب في تشويه صورتهم. كما وصفت العرب بخداع النفس والخيال والواسع لأنهم يحتاجون إليها في حياتهم اليومية كالخبز والأرز.
- ✓ إن الصحافة الألمانية تستخدم معايير مزدوجة في أدائها فهي تصف الفدائيين الفلسطينيين « بالإرهابيين» أو «مقاتلي المقاومة» و «مقاتلي الحرية» وتصف حركة فتح بأنها «إحدى منظمات الإرهاب» في الوقت التى تصف فيه الهجمات الإسرائيلية بأنها ضربات انتقامية من أجل الدفاع عن النفس، وتدين هذه الصحف مقاومة الشعب الفلسطينى للاحتلال الإسرائيلي، أما الممارسات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة ضد الفلسطينيين فإن هذه الصحافة تعتبرها «ممارسات إنسانية».
- ✓ إن الصحافة الألمانية نشرت مقالات عديدة عن القومية العربية «العمياء» كما أطلق عليها الإسرائيليون ووصفت الفدائيين العرب في صورة سلبية.

و اعتمدت دراسة سامي مسلم (1985)[14] على تحليل مضمون ثلاث صحف ألمانية يومية أسبوعية، ومجلة أسبوعية، وذلك في الفترة من 6 أكتوبر 1973 حتى 31 ديسمبر 1973.

وتوصلت إلى النتائج التالية :

- ✓ توازي وتلازم وتطور صورة العرب في الصحافة الألمانية الاتحادية بتطور العلاقة بين ألمانيا والأقطار العربية من جهة وإسرائيل من جهة أخري.
- ✓ استمرار الصورة العربية بسمات التعنت، «التأخر»، «الجبن»، والصورة الإسرائيلية بـ «الدولة الصغيرة»، « الدولة الشجاعة»، « الدولة المدافعة عن حقها من الفلسطيني الإرهابي». وذلك حتى حرب أكتوبر 1973.
- ✓ حدوث تغير جزئي للصورة في الأيام الأولى من حرب أكتوبر حيث وصف كتمان سر الحرب لدى العرب بأنه «مثير للدهشة» وكذا التعاون العربي،

[15] سامي مسلم، (1985) مرجع سابق، ص ص 65ـ69.

ووصف الجندي العربي بأنه « ذو روح قتالية عالية وشجاعة ولم يهرب أمام الإسرائيلي».

✓ ثم عادت بعد ذلك الصورة القديمة بنفس القوالب بسبب التدخل الصهيوني.

✓ وتوصلت الدراسة إلى أن الصحف الألمانية تميل في تحليلها إلى عقد المقارنات الدائمة بين القادة العرب كالمقارنة بين جمال عبد الناصر «الدكتاتور» أو معمر القذافي و أنور السادات «الليبرالي الواقعي».

✓ عدم حظي المقاومة الفلسطينية للاحتلال الإسرائيلي بالتأييد من الصحافة الألمانية حيث وصفت الفدائيين الفلسطينيين «بالإرهابيين» وعمليات المقاومة « بالاعتداء والتهديد والقتل».

11. دراسة غازي زين عوض الله (1985)[15]

قامت هذه الدراسة على فرضية أن هنالك علاقة بين إيجابيات العلاقات الأمريكية مع كل من العرب والإسرائيليين واتجاه معالجة افتتاحيات الصحف الأمريكية للموضوعات المتعلقة بالدول العربية وإسرائيل، وقد خلص الباحث إلى عدة نتائج منها:

✓ أنه في الفترة التى سبقت حرب جوان 1967 تم تقديم إسرائيل في صورة «ودية للغاية» وتقديم العرب في صورة «غير ودية» إلا أن هذا الاتجاه أخذ في الهبوط بعد حرب جوان 1967 إذ تم تقديم إسرائيل بشكل محايداً، وبقيت صورة العرب غير ودية.

✓ وتغير اتجاه الافتتاحية نحو العرب، بشكل مفاجئ بعد عام 1970، فظهرت صورة إسرائيل غير ودية، ومالت الصورة التى قدمت عن العرب إلى الحياد،وقد تجلى هذا بشكل أوضح في الفترة التى أعقبت حرب 1973، وفى تردد حكومة الرئيس الامريكي نيكسون في منح التأييد المطلق لإسرائيل.

[16] غازي زين عوض الله، «العرب في الصحافة الأمريكية» ، جدة : مطبوعات تهامة، 1985.

12. **دراسة نـــادية ســـالـــم** (1987)[16]

استهدفت الدراسة الكشف عن الصورة القومية للشخصية العربية والإسرائيلية في الولايات المتحدة الأمريكية من مارس عام1967 حتى أكتوبر 1974م حيث راعت الدراسة في اختيار الفترة الزمنية أن تكون ممثلة لما قبل وأثناء وبعد حربي 1967 و1973 بهدف الكشف عن التغيرات التى طرأت على الصورة بسبب هاتين الحربين وذلك باستخدام تحليل المضمون للصحف والمجلات الأكثر توزيعاً في الولايات المتحدة الأمريكية وهي:

(1) New York times Magazine (2) National review

(3) Time (4) New republic

(5) News Week (6) U.S. News.

وقد استخدمت الدراسة المنهج التجريبى باعتباره أكثر المناهج موضوعية لاعتماده على الأسلوب الكمي مع المنهج التاريخي ليساعد على فهم الأصل والجذور التاريخية مع استخدام منهج دراسة الحالة في الدعاية الصهيونية.

واستخدمت الاستبيان والاختبارات النفسية وتحليل المضمون كوسائل لجمع البيانات.

وأكدت نتائج الدراسة على :

- أثر الحروب على الصورة القومية المبرزة من خلال وسائل الإعلام المختلفة حيث أثرت حرب 1967 على الصورة الأمريكية عن الشخصية العربية وأبرزت سمات سلبية مثل « كاذب»، «فاقد الثقة بنفسه»، «إرهابي»، «متخلف» وأن الإسرائيلي «شجاع»، «واثق من نفسه»، «متحضر» و «تفكيره علمي منظم».

[20] نادية سالم، «صورة العرب والإسرائيليين في الولايات المتحدة الأمريكية»، ط 1، (القاهرة،: معهد البحوث والدراسات العربية)، 1987.

بينما حسنت حرب 1973 على الصورة وغيرتها فكانت السمات الواضحة للشخصية العربية «واثق بنفسه»، «شجاع ومنظم»، «متدين وقوي». والشخصية الإسرائيلية « مضطهد»، «فاقد الثقة»، «يشعر بالدونية»، «لديه إحساس بالعزلة».

- أثر التغير في النظام السياسي في بلد ما على الصورة التى تعتنقها الشعوب الأخري، فأثناء حكم الرئيس جمال عبد الناصر ركزت الصحافة الأمريكية على سمة «سلطوي» بينما أثناء حكم السادات وتغيير النظام السياسي المصري نحو «الليبيرالية السياسة والاقتصادية» وبتدهور العلاقة مع الاتحاد السوفيتى كانت صفات السادات «ليبرالي»، «محب للسلام»، «واقعي»، «متحضر»، و نعتت المرأة بـ «المتقدمة».

13. دراسة دومنيك كارنوي (تقديم الإسلام في فرنسا في القرن 17).[17]

تقديم الإسلام في فرنسا في القرن السابع عشر: مدينة مغربية: للكاتبة دومنيك كارنوي (Dominique Carnoy)، الصادر في باريس عن منشورات «هارماتان»، سنة 1988، ويقع في 368 صفحة، ويناقش المؤلف الرحالة العرب والإسلام، كذا المستشرقون والحروب الصليبية وهو موضوع مثير لأنه يتكلم عن الإسلام في المخيلة الفرنسية في القرن السابع عشر، قدم هذا البحث أساسا كرسالة دكتوراه في جامعة Lille الفرنسية ثم صدر في كتاب يطرح إشكالية علاقة الشرق بالغرب وعن الأوضاع في فلسطين والمغرب العربي، كما يقدم ببليوغرافية ثرية تبين مدى اهتمام الباحث بموضوعه.

14. دراسة حلمي خضر ساري (1988)[18]

جاءت الدراسة في اطار أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الإعلامي، قدمت إلى مدرسة التحليل الاجتماعي في جامعة برادفورد ببريطانيا عام 1983،. و جاءت الدراسة مغطية لكافة الوثائق والكتب الصادرة حول هذا الموضوع فشكل الجزء الأول

[17] Dominique Carnoy . 1998.*Représentations de l'islam dans la France du XVIIe siècle : la ville des tentations* /. Paris : L'Harmattan, 368 p

[23] حلمي خضر ساري، «صورة العرب في الصحافة البريطانية، دراسة اجتماعية للثبات والتغير في مجمل الصورة» ، ط1 (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية)، 1988.

منها والمكون من أربعة فصول، الأساس النظري للخلفية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى حددت طبيعة علاقة العرب بالغرب أما الجزء الثاني من هذه الأطروحة، والمكون من، فقد حاول أن يختبر امبريقياً صحة الخلفية النظرية في مدى توجيه الاعلام البريطاني للراي العام، مركزاً على المؤسسة الاتصالية الصحفية البريطانية بالتحديد كواحدة من أهم قنوات الاتصال الجماهيري في تشكيل وبلورة اتجاهات الرأي العام البريطاني فيما يتعلق بالعرب .

و حلل الباحث التغطية الإخبارية للوطن العربي في الصحف البريطانية خلال الفترة من 1967 حتى عام 1980، مع إجراء تحليل مكثف لأهم الأحداث التى وقعت خلال الفترة («حرب 1967»، «حرب 1973 »، «اجتماع أوبك 1973»، «مبادرة السلام 1977»، «اتفاقية كامب ديفيد 1978»، «تصريح البندقية »1980) وذلك في 4 صحف بريطانية هي : 1ـ «أكسبريس» 2ـ «الجارديان» 3ـ«التايمز» 4ـ «المورنتج ستار»

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية :

- ✓ أن الوطن العربي يتلقى من التغطية خلال فترات الحرب أكثر مما يتلقى خلال فترات السلم.
- ✓ أن الصحف البريطانية في عرضها لشئون الوطن العربي قد عكست مختبراً ثقافيا ذا استعلاء عرقي في نشر أحداث الوطن العربي، وقد تركز هذا الاستعلاء العرقي حول المصالح البريطانية الاقتصادية والسياسية
- ✓ أن الصحف البريطانية لم تقتصر فقط على إساءة عرض أخبار الوطن العربي بل أنها أبقت شرائح كبيرة من قرائها على جهلهم وتخبطهم فيما يتعلق بالتطور السياسي والاجتماعي والاقتصادي والتعليمى الذي مر به عدد من الأقطار العربية في عقدي (الستينات والسبعينات).
- ✓ و فيما يتعلق بفترة حرب أكتوبر، كانت جميع التقارير تدور في إطار قوالب جامدة حول تفوق إسرائيل عسكريا، وعدم قدرة العرب على أنجاز شئ، وخطورة العرب على المصالح البريطانية.

- و عن اجتماع الأوبك 1973، كان تركيز الصحف الإنجليزية يدور حول خطورة استخدام العرب للنفط، وأنه قد يعد سلاح يستخدم من قبل الدول العربية لتهديد المصالح البريطانية.
- و فيما يتعلق بمبادرة السلام 1977 أظهر السادات « كبطل عربي» «جنتلمان»، «باحث عن السلام»، و«المقياس الحضاري لبقية زعماء العرب».
- كان هنالك تأييد نسبي لاتفاقية كامب ديفيد 1978 من بعض الدول العربية وإدانة من البعض الآخر.
- و حول مبادرة السلام الأوروبية 1980، بدأ الظهور المتزايد للقضية الفلسطينية في الصحف البريطانية مع استمرار الموقف المؤيد لإسرائيل.

15. دراسة صونيا جرجس (1988)[19]

حاولت الدراسة التعرف على صورة مصر في صحيفة «نيويورك تايمز» الأمريكية خلال ثلاث فترات تاريخية، تمثل كل فترات تغيراً ذا دلالة في المناخ السياسي بين مصر والولايات المتحدة (أزمة السويس 1956، حرب 1967 ، معاهدة السلام 1979).

وتنطلق الدراسة من فرضية أساسية مفادها أن هنالك علاقة ارتباطية بين السياق السياسي «Political Context» والصورة التى تعكسها وسائل الإعلام للتعبير عن هذا السياق، فالتغيرات التى تحدث في السياق السياسي يجب أن تنعكس على الصورة المقدمة بواسطة الوسيلة الإعلامية.

وقد أتضح من الدراسة ثبوت صحة الفرضية وارتباط صورة مصر بالمتغيرات في العلاقة المصرية الأمريكية.

ولتحديد حجم التغيرات في صورة مصر وعما إذا كان يتفق أو يختلف مع توجهات العلاقات المصرية الأمريكية قسمت الباحثة طبيعة هذه العلاقة إلي: سلبية باتجاه السلبية – متوازنة باتجاه الايجابية – وأخيرا إيجابية، واختارت الباحثة عينة زمنية

[24] Sonia, Guirguis (1988):« *The Image of Egypt in the new York Times 1956-1967 -1979*» PHD discretion. School of Education , Health, Nursing & Arts Professions, New York University.

متمثلة في ثلاث أسابيع قبل الحدث وثلاث أسابيع بعدها كما ركزت على التغطيات الإخبارية.

وخلصت الدراسة إلى أن التغيير في العلاقات المصرية الأمريكية خلال الثلاث فترات قد قابله تغير في صورة مصر في «التايمز»، وكانت طريقة تغطية «التايمز» لأخبار مصر متفقة مع السياسة الأمريكية إزاءها.

16. **دراسة ديبورا بارانكو** (D A. Barranco) **و ليونارد شيل** (Shyle L) (1988)[20]

استهدفت الدراسة مقارنة التغطية الإخبارية للعرب مقابل الإسرائيليين في صحيفة «نيويورك تايمز» بين عامي (1976 و 1984).

وكانت أهم نتائجها :

- ✓ أن إسرائيل تحظي بتغطية أكثر فعلية من جيرانها العرب على الرغم من أهمية منطقة الشرق الأوسط، إلا أنه كما أشار جيمس أبو رزق (James Abourezk) مدير مركز الدراسات العربية بواشنطن إلى أن الحقيقة التى لابد من الاعتراف بها، هي أن رؤية معظم الأمريكيين للموقف في الشرق الأوسط أصبحت غير واضحة بشدة منذ عام 1948 بتأثير العرض غير المتوازن في وسائل الاتصال الأمريكية.
- ✓ أوضحت الدراسة أن الكمية غير المتجانسة من التغطية الممنوحة لإسرائيل قد تدل على اهتمام خاص بإسرائيل من جانب الصحافة الأمريكية، وقد يكون ذلك ناشئاً من مبدأ تعظيم القيم (Aggrandizement of values) حيث إن إسرائيل هي أكثر دول الشرق الأوسط قرباً للولايات المتحدة الأمريكية في النواحي الثقافية والسياسية والايديولوجية ولذلك فمن الممكن التنبؤ بأن الأمريكيين سوف يكتشفون أن الأخبار المتعلقة بإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية سوف تلقى اهتماما أكبر وأوسع.

[25] Debroah A. Barranco. Leonard Shyles. «*Arabs Vs. Israeli News Coverage in the New York Times 1979 and 1984*» Journalism Quarterly, Vol 65. No.1 , Spring 1988, pp 178_182.

- أثبتت الدراسة أن نسبة تكرار إشارات الإعلام «زعماء – اسم الدولة» بالنسبة لإسرائيل وأمريكا اكبر من تلك المنسوبة إلى الدول العربية ففي عام 1976 شكلت إسرائيل (44.6%) ارتفعت إلى(45%)عام 1984 في حين تكررت إشارات الإعلام العرب عام 1976 بنسبة (15.8%) وانخفضت تلك النسبة إلى (12.4%) عام 1984.
- إستحوذت لبنان من بين الدول العربية على أكبر نسبة مئوية (26.2%) من إشارات الإعلام عبر فترتي البحث، وهكذا سيطرت على الصفحات الرئيسية الخاصة بالشرق الأوسط في عام 1976 و1984 و تلتها عام 1976 سوريا (10.5%) وفلسطين / منظمة التحرير الفلسطينية (9.5%) و في عام 1984 العراق (6.6%) و ليبيا (5.8%)
- أوضحت الدراسة أن في متوسط تكرار المقالة الرئيسية والثانوية كانت إسرائيل ثم أمريكا تستحوذ على النصيب الأكبر بينما تأتي الدول العربية في المرتبة الثالثة.

17. دراسة عزة علي عزت عبد العزيز (1988)[21]

استهدفت الدراسة التعرف على الصورة المبرزة لدول الخليج من خلال الصحافة وتأثيرها على تصورات المواطن البريطاني عن دول الخليج وذلك باستخدام خطوات المنهج المسحي والوصفي وأداتي تحليل المضمون والاستبيان.

وقد أجريت هذه الدراسة على عينة من الصحف البريطانية وهي : «Expose Financial » « Gardian» « Daily Miror» «Times» «DailyTelegraph,»

و من أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة:

1. أثبت الاستبيان أن الصحافة جاءت في مقدمة وسائل استقصاء المعلومات الخاصة بالخليج وأهله وذلك بالنسبة للبريطانيين.
2. أن البريطانيين شعب واع يقيم ويحلل ما تنشره الصحف ولا يأخذه كقضية مسلم بها.

[28] عزة علي عزت عبد العزيز، « صورة دول مجلس التعاون الخليجي في الصفحة البريطانية في الفترة من 1973ـ1981 »، رسالة دكتوراه غير منشورة ، (كلية الإعلام – جامعة القاهرة)، 1988.

3. اظهر الاستبيان أيضاً أن البريطانيين يدركون ويعترفون بأن صحفهم ووسائل اتصالهم الأخرى تقدم عرب الخليج بشيء من المبالغة والتحيز والتشويه.
4. اختلاف الصورة التى تقدمها الصحف البريطانية عن الصورة المطبوعة لدي الإفراد البريطانيين حيث ركزت الصحف على السمات التى يمكن اعتبارها سيئة مثل « سلطوي، أناني، يشك في الآخرين، مسرف، المرأة متخلفة» في حين أن الصورة المنطبعة لدي الإفراد قد ظهرت عكس ذلك فهي غالبيتها تضم سمات طيبة مثل « نظيف، كريم متدين، وأن اجتمعا تلك الصورتين في سمة الثراء».
5. أن الصحف البريطانية تركز في تصوريها لحرب الخليج على المحددات السياسية للصورة، إذ تبرز سمات مثل « قومي، وطنى، سلطوي، مهدد».
6. تعد إساءة الصحافة البريطانية للصورة العربية جزءاً من أسلوبها الخاص حتى حيال الشعب البريطاني نفسه خاصة الصحف الشعبية التى تسعى وراء الفضائح وتبالغ في نشرها حتى وإن كانت تمس سمعة الشخصيات العامة البريطانية نفسها.

18. دراســة إليــاس إدريــس (1990)[22]

دراسة أجريت للتعرف على صورة العربي في التليفزيون الفرنسي، و خلص الباحث ان للتلفزة سلطة تهيمن على السلطات الأخرى وتوجهها وتخضعها لمنطقها. فالذي يحدث خلال فترة الانتخابات الفرنسية، ان التلفزة تخصص كل برامجها تقريبا لهذة الظاهرة. والصراع بين اليمين و اليسار و بين الصحفي الذي يمثل التلفزة. قائم على الحصول على صوت العربي المقيم في فرنسا.

اثبتت الدراسة ان العربي مجرد فكرة عائمة تستغل في جميع الاتجاهات لشراء أصوات الناخبين. هذا و لا أحد يتكلم عن مساهمة العرب في بناء المجتمع الاوربي وعن الدور التاريخي الذي لعبوه في بناء فرنسا.

فالاخبار تقدم، في الاذاعة كما في الشاشة الصغيرة، على أساس أنها حقيقة. أي يمكن التأكد من صحتها من عدمها في مطابقتها للواقع، و للعرب حصة كبيرة من الأخبار المتعلقة بالخارج. خاصة الحروب والكوارث والانقلابات العسكرية الخ.

[29] أنياس إدريس، « صورة العرب في الأجهزة السمعية البصرية في فرنسا» ، مجلة الوحدة ، عدد 66 ،ص ص203ـ210.

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج السلبية التالية:

1. غلبة الطابع التجاري على كل ما يقدم بما في ذلك الأخبار المتعلقة بالإحداث العربية، فهي تنقل صورة الأحداث دون أية تفصيلات في عمق الخلاف.
2. العربي دائما هو كبش الفداء في الحديث عن أزمة البطالة الفرنسية وكثرة المهاجرين إلى فرنسا.
3. يصور العربي في التليفزيون على أنه مجرم وخارج على القانون.
4. يطلق على الفرنسيين من أصل عربي بأنهم الجيل الثاني أو المهاجرون ويحرمون من المواطنة الفرنسية.
5. غياب الحديث عن مساهمة العرب في بناء المجتمع الأوروبي.
6. غياب الحديث عن تاريخ العلاقات الفرنسية العربية في العصور الحديثة حيث قامت احدي المخرجات الفرنسيات بإخراج فيلم عن أحداث الثورة الجزائرية وأذيع في جميع الدول الأوروبية إلا فرنسا.

19. **دراسة ماتيرا** (Matera) **و سلوان** (Salwen) (1992)[23]

بحثت هذه الدراسة العلاقة بين ما تنشره وسائل الإعلام عن دول أجنبية ومعرفة الجمهور بها وتقييمه لها، وذلك من خلال اختيار عينة عشوائية بلغت 629 مفردة في مقاطعة Dade بفلوريدا وتحليل مضمون الأخبار الخارجية المسائية في شبكات «CBS» «ABC» «NBC» الأمريكية وتحليل الأخبار الخارجية التى تظهر في الصفحات الثلاثة الأولى في صحيفتى«نيويورك تايمز» و«هيرالد ميامي» اليوميتين.

وانتهت الدراسة إلى اختلاف تقييم الجمهور للدول الأجنبية كمناطق تشكل خطرا تبعاً لاختلاف حجم التغطية الإعلامية عن الدول الأجنبية فالدول التى ترد حولها تغطية تضمن قدراً من الصراع يزداد احتمال تقييمها من الجمهور كمناطق خطرة أكثر من ذلك التى لا ترد عنها تغطية تتضمن صراعات.

[31] Salwen, M & Matera, " *Public Salience of Foreign Nations*", Journalism Quarterly , Vol , 69 No. 3, Fall 1992, pp. 625-632..

إضافة إلى الدراسات و الأبحاث التى سبق ذكرها، جاءت أبحاث أخرى حديثة قدمت على شكل ملخصات أوراق علمية، شارك بها أصحابها في اليوم الدراسي الذي نظمته مجموعة البحث في مجال تصحيح صورة الإسلام التابعة لكلية الشريعة بمدينة فاس (المملكة المغربية) يوم 9 ماي 2006م، وهي عروض خلت من عناصر أطرها المنهجية (كالاشكالية و الفرضيات و المنهج المتبع في البحث...الخ) و انصبت في معظمها على تشخيص صورة الإسلام في الغرب من خلال رصد مختلف المناهج والأساليب المتبعة في عملية التشويه والمغالطة من جهة، والبحث عن السبل والآليات الكفيلة بتصحيح الصورة ومعالجتها من جهة أخرى.

20. **دراسة ايناس محمد أبو يوسف** (1994)[24]

جاء الباحثة بعدة ابحاث حول الصورة الذهنية، كان اخرها دراسة موسومة بـ: الصورة الذهنية لانتفاضة الاقصى لدى النشء – دراسة ميدانية على طلاب المرحلة الاعدادية بمحافظة الجيزة، نشرت بمجلة الرأى العام بالقاهرة اكتوبر 2001.

و قدمت الباحثة كذلك ورقة علمية الى ندوة التعاون الافريقى فى مجال المرأة بالجماهيرية الليبية، موسومة بـ: صورة المرأة الأفريقية فى الخطاب الصحفى المصرى 2001.

و لعل ابرز دراسة للباحثة كانت تلك التى انجزتها لاجل الحصول على شهادة الدكتوراه العام 1994 و الموسومة بـ « العالم الثالث في الصحافة المصرية والأمريكية خلال الفترة من 1980-1989 ». و هدفت الدراسة إلى دراسة الأسس المنهجية لرسوم صورة العالم الثالث من خلال الصحافة في دول نامية ودولة متقدمة خلال عقد الثمانينات في إطار دراسة تطبيقية لأحدي القضايا المحورية في أحد مناطق العامل الثالث، وهي قضية الصراع العربي الإسرائيلي في منطقة الشرق الأوسط.

بهدف التعرف على صورة العالم الثالث كما تعرضها الصحافة المصرية والأمريكية خلال الثمانينات بالتطبيق على قضية الصراح العربي الإسرائيلي واستخدمت

[33] إيناس محمد أبو يوسف، « العالم الثالث في الصحافة المصرية والأمريكية خلال الفترة من 1980ـ1989 »، رسالة دكتوراه غير منشورة، (كلية الإعلام – جامعة القاهرة)، 1994.

أسلوب تحليل المضمون لصحيفتي «الأهرام» المصرية و «النيويورك تايمز» الأمريكية.

وأظهرت نتائج الدراسة أن :

- ✓ صحيفة «New York Time» الأمريكية قد ركزت في صياغتها للصراع العربي الإسرائيلي على أمن وسلامة الكيان الإسرائيلي المعتدي عليه دائما وأظهرت أن الصراع بين إسرائيل وفلسطين في الضفة وغزة هو صراع على الحدود بين إسرائيل والدول العربية المجاورة.
- ✓ في المقابل ركزت الأهرام على ضرورة إيجاد تسوية سليمة لحل الصراع.
- ✓ أن الولايات المتحدة هي القوة المحركة للسلام.
- ✓ أن على منظمة التحرير الفلسطينية أن تلحق بركب السلام.
- ✓ أن مرور الوقت ليس في صالح العرب وعليهم القبول بأي تسوية.

21. دراسة ثريا أحمد البدوي (1995)[25]

اندرجت الدراسة ضمن العمال المكملة لنيل درجة الماجستيربقسم العلاقات العامة والإعلان كلية الإعلام جامعة القاهرة، العام 1995 . تتكون الرسالة من أربعة عشر فصل هي: الأطار المنهجي للدراسة، الصورة الذهنية، الصورة النمطية، الصورة القومية، الأتصال الشخصي والصورة الذهنية، الأتصال الجماهيري والصورة الذهنية، المؤشرات البيئية والصورة الذهنية، المؤثرات النفسية والصورة الذهنية، المؤثرات الثقافية والصورة الذهنية، المؤثرات السياسة والصورة الذهنية، المؤثرات التاريخية والصورة الذهنية، قياس المتغيرات، الصورة الذهنية بين الأبعاد والتكوين، الصورة الذهنية بين الأتصال الجماهيري والأتصال الشخصي.

[34] ثريا أحمد البدوي، «دور الاتصال في تكوين الصورة الذهنية لدي الشعب المصري عن الأوروبيين : دراسة ميدانية على عينة من جمهور الشعب المصري»، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الإعلام – جامعة القاهرة)، 1995.

اذ أجرت الباحثة دراسة ميدانية على عينة من جمهور الشعب المصرى بمحافظة القاهرة والجيزة واستخدمت أسوب العينة العمدية نظرا لطبيعة الموضوع الذى يحتاج لمستوى ثقافى محدد.

هذا و استهدفت هذه الدراسة التعرف على حدود الدور الذي يقوم به الاتصال بأشكاله المختلفة «شخصي وجماهيري» في تكوين الصورة الذهنية عن الأوروبيين لدي الشعب المصري وكذلك تأثير هذه الصورة المتكونة على المساحة الاجتماعية بين الشعب الأوروبي والمصري هذا بالإضافة إلى التعرف على الملامح والأبعاد والسمات المختلفة لهذه الصورة الذهنية المتكونة.

و قد أخذت الدراسة عدم عوامل في عين الاعتبار مثل «متغيرات السن، التعليم، النوع، المستوي الاقتصادي والاجتماعي، والديانة... » وتأثير هذه العوامل على التعرض لوسائل الإعلام و كذلك على المعرفة بالأوروبيين وتكوين صورة عنهم واتخاذ مواقف إزاءهم وذلك من خلال دراسة ميدانية على عينة من الجمهور المصري بلغ مفرداتها (400) مفردة.

كما استخدمت منهج المسح وثلاث أدوات فرعية ممثلة في :

1. المناقشات الجمعية المتعمقة.
2. تحليل المضمون.
3. المقابلات الشخصية بالإضافة إلى صحيفة الاستقصاء في محافظتى القاهرة والجيزة.

وتوصلت الباحثة إلى عدة نتائج منها :

1. أثبتت الدراسة عدم وجود علاقة بين المتغيرات الديموجرافية وأبعاد الصورة. كما لا وجود علاقة بين الصورة المحلية والصورة الجزئية للمجتمع الأوروبى.

2. أثبتت الدراسة عدم وجود علاقة ذات دلالة احصائية بين الصورة المتكونة والمسافة الأجتماعية بين المصريين والأروبين. في حين وجود علاقة بين التعرض العام

لدى عينة الدراسة لوسائل الأتصال وأيجابية الصورة التفصيلية المتكونة لديها أزاء الأوروبيين.

3. أثبتت الدراسة عدم وجود علاقة بين الخبرة الشخصية بالأوروبيين والصورة العامة المتكونة تجاههم حيث أن الصورة المتكونة عند الأوروبيين يغلب عليها الصورة النمطية.

4. إن الصورة المشكلة لدي المصريين عن الأوروبيين يغلب عليها الطابع النمطي، حيث انخفض تأثير عوامل مثل «السفر» إلى هذه البلدان والاحتكاك والمعايشة على تكوينها.
5. ضعف دور وسائل الاتصال في تكوين الصورة الذهنية الصحيحة عن الشعوب والدول الأخرى في ظل وجود صورة نمطية ثابتة.
6. عدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الصورة المتكونة لدي المصريين عن الأوربيين والمسافة الاجتماعية بينهما

22. دراسة كمال قابيل (1996)[26]

جاءت الدراسة ضمن ابحاث نيل شهادة الدكتوراه، و جاءت الرسالة تحتوي على تتكون هذه الرسالة من خمس فصول هي: محددات الخطاب الصحفي الخارجي في البيئة العالمية. محددات الخطاب الصحفي الخارجي في البيئة الوطنية، محددات الخطاب الصحفي الخارجي في البيئة الصحفية، إنتاج الخطاب الصحفي الخارجي في الظروف العادية، إنتاج الخطاب الصحفي الخارجي في ظروف الأزمة الدولية دراسة حالة للأزمة العراقية، الخطاب الصحفي الخارجي في صحيفتي « الأهرام المصرية»، و «لوموند» اليومية الفرنسية .

و اهتمت هذه الدراسة بالتعرف على طبيعة المعالجة الصحفية للإحداث الخارجية في جريدتي «الأهرام المصرية»، «لوموند» الفرنسية خلال الأعوام من 1985-1993، وقد طبقت الدراسة على حرب الخليج الثانية.

[35] كمال قابل محمد، «المعالجة الصحفية للأحداث الخارجية في الصحافة المصرية، والفرنسية: دراسة مقارنة بين الأهرام ولوموند» ص 1985ـ1993، رسالة دكتوراه غير منشورة، (كلية الإعلام – جامعة القاهرة)، 1996.

وقد توصل الباحث إلى عدد من النتائج أهمها:

- ✓ إن المكانة الأضعف التى تشغلها مصر فى النظام السياسيى والأقتصادى لعبت دور فى زيادة أعتمادها على وكالات الأنباء العالمية.
- ✓ إن الخطاب الخارجى فى صحيفة الأهرام أكثر تأثيرا من نظيره فى صحيفة لوموند الفرنسية.
- ✓ تأكد توحد الخطاب الخارجى لصحيفة الأهرام مع السياسة الرسمية للدولة من خلال المرجعية الرسمية للدولة
- ✓ أستند خطاب صحيفة الأهرام بشأن الأزمة العراقية على المرتكزات الرئيسية للخطاب المصرى الرسمى
- ✓ أستند خطاب صحيفة الأهرام بشأن الأزمة العراقية على المرتكزات الرئيسية للخطاب الفرنسى الرسمى
- ✓ تأكد توحد الخطاب الخارجى لصحيفة «لوموند» مع السياسة الرسمية للدولة من خلال المرجعية المركزية للخطاب الرسمى
- ✓ على الرغم من تفوق صحيفة «لوموند» فى الظروف العادية فيما يتعلق ببراعتها فى توظيف الفنون الصحفية لإخفاء التناقض بين سياستها الفعلية وسياستها المعلنة إلا ان معالجتها لأزمة العراق تكشف عن فشلها فى هذا المجال.
- ✓ تلعب التحولات التقنية والثقافية التى تجرى على المستوى العالمى دورا مهما فى تحديد محتوى الخطاب الخارجي
- ✓ أبرزت الجريدتان الرئيس العراقى صدام حسين في صورة سلبية تتسم بالديكتاتورية والعدوانية، وتهديد السلام العالمي . كما أن هنالك تطابق تام بين مرتكزات الخطاب في كلاً من الجريدتين، ومركزات خطاب السلطة السياسية، ولاسيما رئيس الدولة في مصر وفرنسا

- ✓ برز تأثير التنظيم المؤسسي في الحد من حرية الصحفيين كأفراد وفي توجيه عملية إنتاج الخطاب بأكملها، لخدمة الخط السياسي، الذي يملكه الرئيس الأعلى للمؤسسة من سلطة كاملة في الإشراف على تنفيذه.

23. دراسة محمد عبد الفتاح (1997)[27]

جاءت الدراسة لنيل شهادة الماجستير، و جاءت الرسالة تتكون من خمسة فصول هي: وسائل الإعلام العربية وحرب الخليج الثانية، الأطار النظرى للدراسة، مشكلة البحث والأجراءات المنهجية، وسائل الإعلام والدراسات الدولية، نتائج الدراسة

أجرى الباحث دراسة تطبيقية على حرب الخليج لمعرفة دور وسائل الإعلام كأداة فى الصراع وقد تم اختيار بعض الصحف العربية تعبيرا عن وسائل الإعلام العربية وهى صحيفة الثورة العراقية، صحيفة الأنوار اللبنانية، صحيفة الأهرام المصرية)

و عنيت هذه الدراسة بالتعرف على دور وسائل الإعلام في إدارة الصراع وذلك بالتطبيق على حرب الخليج الثانية، حيث أجريت الدراسة على الصحف العربية الرسمية ممثله في صحف :

واستخدم الباحث أسلوب العينة العمدية حيث ان:

1. صحيفة الثورة العراقية تعبر عن وجهة نظردولة العراق صانعة الغزو
2. صحيفة الأنوار اللبنانية تعبر عن وجهة نظرالدولة المحايدة
3. صحيفة الأهرام المصرية تعبر عن وجهة نظر المعارضة لغزو العراق

ومن أهم النتائج التى توصل إليها الباحث من خلال تحليل مضمون تلك الصحف:

- ✓ كانت الصحف موضوع الدراسة أكثر ميلاً لوصف الأخبار التى تؤيد موقفها السياسي من الصراع في الخليج بالايجابية، ووصف الأخبار التى تعارض هذا الموقف بالسلبية.
- ✓ كما اعتمدت الصحف على المصادر الإخبارية، التى تتفق وموقفها السياسي من الصراع في الخليج.

---

[36] محمد عبد الفتاح، «دور وسائل الإعلام كأداة في إدارة الصراع : دراسة تطبيقية على حرب الخليج الثانية»، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الإعلام – جامعة القاهرة)، 1997.

- هنالك اتساق بين الموقف السياسي للدولة من صراع حرب الخليج الثانية ومضمون الأخبار الواردة في صحفها الرسمية حيث ظهر ذلك بوضوح في صحيفة الثورة العراقية والأهرام المصرية.
- تميل الصحف محل الدراسة إلى وصف الأخبار التي تؤيد موقفها من صراع حرب الخليج الثانية بالأيجابية وإعطاءها صورة محببة
- بصفة عامة فإن وكالة الأنباء رويتر هي أكبر مصادر الأخبار تكرارا في الأخبار الخاصة بحرب الخليج في الصحف موضع الدراسة يليها وكالة الأنباء الفرنسية.
- يوجد أرتباط بين الأفكار الرئيسية الواردة في الأخبار الخاصة بحرب الخليج في الصحف موضع الدراسة وكلا من المساحة المخصصة لهذة الأخبار وعدد الأعمدة المخصصة لعناوين هذة الأخبار.
- الرئيس حسني مبارك كان الشخصية الأولى التي حظيت بأهتمام صحيفة الأهرام المصرية حيث عرضت بأستمرار صورته الشخصية في أخبارها الخاصة بحرب الخليج أثناء فترة الدراسة.
- نجد أن هنالك تفوق بسيط لصحيفة الأهرام المصرية عن صحيفة الثورة العراقية في نسبة تأييد الجنسيات التي تتفق مع الموقف السياسي للدولة أومعارضة في نسبة تأييد الجنسيات التي تعارض الموقف السياسي

24. دراسة فرحات خوسروخار (إسلام الشباب) (1997) [28]

إسلام الشباب: للكاتب فرحات خوسروخار (Farhad Khosrokhavar)، الصادر في باريس، عن دار «فلاماريون» سنة 1997 والواقع في 223 صفحة. يتناول الكتاب موضوعا مهما، إذ يتطرق إلى الشباب العربي المسلم المولود في فرنسا، والذي يبحث عن هويته، فهو ولد في فرنسا، وأسرته آتية من عالم ذو عادات وتقاليد لا تمشي بالضرورة مع البلد الذي ولد وترعرع ودرس فيها، فما هو الإسلام والذي يريده، وكيف تعامله السياسة الفرنسية، وما هي الممارسات العقائدية التى يجب أن يقوم بها، خاصة في أجواء يعمها العنف والصور التى تحيكها وسائل الإعلام حول الإسلام . هذه المحاور وغيرها هي التى عالجها المؤلف باهتمامه بالدرجة الأولى بإسلام الأطفال في فرنسا.

[28] Farhad Khosrokhavar. 1997. *L'Islam des jeunes* /. Paris: Flammarion, 223 p.

25. **دراسة زاهـارنـا** (Zaharna) (1997)[29]

استهدفت الدراسة تتبع صورة الفلسطينيين شعبا وقادة في مجلة «التايمز» الأمريكية وذلك خلال الخمسة عقود الماضية، وقد خلص الباحث إلى أن هذه الصورة قد مرت بست مراحل يمكن تحديد أهم عناصر كل مرحلة منها على النحو التالي :

المرحلة الأولى (1948): الفلسطينيون غير المرئيين و فيها كان الفلسطينيون غير مرئيين على الإطلاق «The invisible Palestinians» ، اذ نوحظ في هذه المرحلة:

- ✓ اختفاء الفلسطينيين وكذا قادة و حركات فلسطين من التغطية الأمريكية.
- ✓ في الفترة من 1946-1949 كانت تستخدم مصطلحات مثل «عرب فلسطين» و«العرب المقيمون في فلسطين» وغيرها بدلا من مصطلح «الفلسطينيين».
- ✓ في الخمسينيات تم استخدام مصطلحات أخري مثل «الأردنيين» و«العرب غير الأردنيين»، و«عرب إسرائيل»، وهكذا، وبإطلاق لفظ العرب على الفلسطينيين فإنهم يكونون قد فقدوا هويتهم المميزة، وأصبحوا جزءاً من جماعة عرقية أكبر تمتد من المغرب إلى السعودية.
- ✓ و هكذا أصبح الصراع – كما تم تقديمه في «التايمز» – « صراعاً إسرائيلياً ضد الجماهير العربية».

المرحلة الثانية (1950-1967) الصورة المجزأة (Fragemnt Image) :

- ✓ كانت الصورة في هذه المرحلة مجزأة وكل جزء منها على نقيض الآخر، فمن ناحية، تم تقديم الفلسطينيين على أنهم «غير مهرة» و«بلا قادة» و«لا يمثلون تهديداً ذا قيمة».
- ✓ ومن ناحية أخري فقد اعتبر الفلسطينيون جزءا من الكيان العربي، ومن ثم فهم يمثلون تهديدا قويا لإسرائيل.

[38] R.S. Zaharna.1997. «*The Palestinian leadership and the American Media: Changing images. Conflicting Results*» In : Yahya Kamalipour (Ed) the U.S. Media & the Meddle East : Image and Perception. London, West Port ,Connecticut, Praeger.

المرحلة الثالثة (1967-1987) الصورة المقسمة «A Split Image» فقد انقسمت صورة الفلسطينيين إلى قسمين :

- الفلسطينيون كـ «لاجئين» حيث خلفت حرب 1967 مزيدا من اللاجئين الفلسطينيين ومزيدا من عجز المجتمع الدولي عن توفير الرعاية لهم، مما عزز من صورة الفلسطينيتين كلاجئين وضحايا «Victim Image».
- صور الفلسطينيين كـ «إرهابيين» وذلك من بداية السبعينات ثم ظهرت صورة أخري للفلسطينيين وهي صورتهم كإرهابيين، وأصبحت كلمة الفلسطينيين تساوي «الإرهابي المتخلف» و «رجل العصابات»، وأصبح الفلسطينيون وراء حوادث اختطاف الطائرات وأي حوادث إرهابية أخري.

المرحلة الرابعة (1988) الصورة المتقاربة «Converging Images»

لأول مرة – في صورة المرحلة – يصبح واضحا بصورة مميزة أن الصراع العربي الإسرائيلي كان صراعا بين الفلسطينيين والإسرائيليين وهو ما ظهر واضحا في التغطية الأمريكية للانتفاضة، ولأول مرة أيضا يظهر الرئيس الفلسطيني متحدثا في شكل أنساني «Human Face».

المرحلة الخامسة (1991) الصورة المرحلية (الكوبري) «The Bridging Image»

حيث دخل عنصر جديد من المعادلة الإعلامية الفلسطينية، إذ أصبح يتم الإشارة أليهم كمفاوضين، وأصبحت تنشر صور للوفد الفلسطيني مع الفلسطينيين في مناطق الاحتلال وكذا للقيادة في تونس، وذلك بعد مؤتمر مدريد وتكوين الوفد الفلسطيني.

المرحلة الأخيرة (1993) التقدم المفاجئ في الصورة «The Break through image»

حيث كان توقيع معاهدة السلام الفلسطينية الإسرائيلية إصلاح لصورة الفلسطينيين في وسائل الإعلام الأمريكية، وظهرت في هذه الفترة فكرتان :

- الإنسانية في مقابل التشويه السابق.
- إحلال فكرة السلام محل الصراع والمعية محل التفرقة « Identifying Togetherness with the enemy».

26. **دراسة محبوب هاشـــــم** (1997)[30]

استهدفت الدراسة تحليل المقالات الإخبارية (News Articles) عن العرب في الفترة الواقع بين أول يناير 1990 ونهاية ديسمبر 1993 وذلك في مجلتى «نيوزويك والتايم».

وقد خلص الباحث إلى النتائج التالية :

1 ـ أن تغطية الأخبار العربية في المجلتين كان معظمها سلبيا، خاصة في العامين الأولين (1990-1991) كـ (أخبار الغزو العراقي للكويت، الأزمات، الاختطاف، القتل...)

2 ـ وصف العرب في صورتهم النمطية باعتبارهم « متخلفين» و« إرهابيين» و«راكبى جمال»، «كلهم مسلمون»، «فاحشوا الثروة»، «برابرة»، «غير مثقفين»، «قتله»، «بدو»، «قاطنوا الصحراء»، «شهوانيون»، «لديهم ولع باغتصاب الفتيات الغربيات».

3 ـ إلى جانب السمات التقليدية والصور النمطي للعرب في وسائل الإعلام الأمريكية توجد بعض السمات التى فيها جزء من الصحة منها :

ـ منطقة الشرق الأوسط في انحطاط.

ـ العربي ملئ بالحركات الأصولية.

ـ يعاني الوطن العربي من نقص الديمقراطية.

ـ لا توجد وحدة عربية بل هي مجرد أسطورة.

ـ العرب قوم يعيشون في الماضي.

ـ وجود الرق والعبودية في بعض المناطق العربية.

[39] Mahoboub Hashem (1997):" *Coverage of Arabs In Two leading U.S. News-Magazines Coverage*" In: Yahys Kamalipour (Ed) The U.S., Media & The Middle East: Image & Perception (London, Westport , Connecticut.. Prager).

27. **دراسة صادق رابح (الإسلام في الخطاب الإعلامي في فرنسا)** (1998)[31]

الإسلام في الخطاب الإعلامي: كيف قدمت وسائل الإعلام الإسلام في فرنسا: عنوان كتاب صدر في بيروت، عن منشورات «البراق» سنة 1998 ويقع في 513 صفحة، للباحث الدكتور رابح صادق. الذي يقول «إن الصورة المشوهة للإسلام هي بالأساس حصيلة مجموعة من العناصر المتداخلة والمتشابكة، أهمها عنصرين: التراكمات السبية حول الإسلام داخل التاريخ الغربي، وبعض الممارسات السائدة داخل الفضاء الإسلامي». فقد تكلم الباحث عن دور الإعلام بكل وسائله، وعن قضية الحجاب والتطرف الدينى والنقاش الدائر في العرب حول الإسلام، وبالأخص في فرنسا، كما تكلم عن وضع المرأة وكيف استغلتها الصحافة الفرنسية للتنكيل بالمسلمين، وعن بعض الظواهر مثل كتابات سلمان رشدي، التى ساهمت في تأسيس صورة معقدة تمشي وأهداف بعض الأيديولوجيات والأفكار السياسية التى تؤكد على سلبيات الإسلام أكثر من إيجابياتها.

28. **دراسة نشوي حسانين حافظ** (2000)[32]

احتوت الدراسة (رسالة دكتوراه. بقسم الإذاعة والتليفزيون كلية الإعلام جامعة القاهرة، 2000) على ثمانية فصول هي: 1. الإطار المنهجي للدراسة 2. مراجعة الدراسات السابقة 3. الإطار النظرى للدراسة 4. الصورة الذهنية 5. دور التليفزيون فى تكوين الصورة الذهنية 6. قناة النيل الدولية: النشأة والتطور 7. نتائج الدراسة التحليلية 8. نتائج الدراسة الميدانية واختبار الفروض

اجريت دراسة أ للتعرف على صورة مصر والمصريين كما تبرزها قناة النيل الدولية من خلال تحليل مضمون عينة من البرامج التى قدمتها القناة خلال دورتين تليفزيونيتين (6 أشهر) من خلال شقين: دراسة تحليلية وأخري ميدانية من خلال منهج المسح في عام 1999 والتعرف على آراء عينة من الأجانب المقيمين في مصر

[31] Saddek Rabah. *L'Islam dans le discours médiatique : comment les médias se représentent l'islam en France ?* /. Beyrouth : Al- Bouraq, 1998. 513 p

[42] نشوي حسانين حافظ،« دور قناة النيل الدولية في تشكيل صورة ذهنية عن مصر والمصريين لدي الأجانب المقيمين في مصر»، رسالة دكتوراه غير منشورة، (كلية الإعلام – جامعة القاهرة) 2000.

عن قناة النيل الدولية ومدي مشاهدتهم لها، وتأثير ذلك على صورة مصر والمصريين لديهم. هذا واعتمدت الباحثة في الدراسة التحليلية علي عينة قوامها 23 يوما مستخدمة أسلوب الأسبوع الصناعى لإختيار هذه الايام من خلال الفترة من أول جانفي 1999 حتى نهاية جوان 1999، كما اعتمدت الباحثة في الدراسة الميدانية علي عينة عشوائية قوامها 203 مبحوث من الأجانب المقيمين بالقاهرة

أهم نتائج الدراسة:

1. ركز المضمون السياسى على نشاط رئيس الجمهورية وأداء كبار المسئولين وعلاقات مصر بالمجموعة العربية والقارة الأفريقية والعالم الثالث والعالم المتقدم وعكست معظم المعالجات المقدمة صورة إيجابية عن مصر فى جانبها السياسى.

2. ركز المضمون الإقتصادى على علاقات مصر الإقتصادية بدول العالم، والمشروعات التنموية بالداخل، والأداء الإقتصادى لمؤسسات الدولة والأداء الإقتصادى للقطاع الخاص، وعكست معظم هذه المعالجات صورة إيجابية عن مصر فى جانبها الإقتصادى.

3. جاء التليفزيون فى مقدمة وسائل الاتصال المصرية التى يستخدمها أفراد العينة.

4. تأتى نشرات الأخبار فى مقدمة المواد التى يحرص أفراد العينة على مشاهدتها.

5. جمعت ملامح صورة مصر لدى الاجانب المقيمين بين الجوانب الايجابية والجوانب السلبية.

6. يرى(42.2%) من أفراد العينة أن أسلوب تقديم برامج قناة النيل الدولية عادى ويتسم بالسطحية وغير موضوعى، بينما يرى (23.6%) أنه أسلوب جيد، ويرى (6.8%) أنه أسلوب ممتاز.

7. عكست البرامج الثقافية صورة ايجابية عن الحياة الفنية في حين أهملت أوجه الحياة الثقافية الأخرى.

8. كما أظهرت أن قناة النيل تعكس سمات ايجابية للمصريين، يأتي على رأسها التعاون والنشاط في العمل والقدرة على تحمل المسئولية.

9. أن الصورة التى تكونت لدي الأجانب المقيمين في مصر تجمع بين الجوانب الايجابية والسلبية.

10. كما يوجد ارتباط بين التعرض لقناة النيل وايجابية الصورة الذهنية لمصر والمصريين.

29. **دراسة أحمد بشنو** (2000) (نظرات في حملات تشويه صورة الإسلام والرسول صلى الله عليه وسلم في الإعلام الغربي والبرامج التربوية بفرنسا).

طرح الدكتور بشنو في هذه الورقة العلمية. سؤالين ثم أخذ يجيب عنهما، السؤال الأول: لماذا تشوه صورة الإسلام المسلمين في الإعلام الغربي؟ والسؤال الثاني: كيف تقدم مقررات التاريخ الفرنسية الإسلام والمسلمين؟

فبين الكاتب أن الغرب درج على ترويج الأكاذيب والأباطيل عن الإسلام والمسلمين، مستخدما في ذلك جل وسائل الإعلام، وموظفا لذلك كل التقنيات والقوالب والطرق الجذابة لينال من قدسية الإسلام وشخصية خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم، وبين الكاتب أن هذا يستوجب منا أن نتصدى لهذه الحملات المغرضة والظالمة، وذلك باستخدام نفس السلاح وهو الإعلام.

كما عرض الكاتب لدراسة أجريت على كتب التاريخ المدرسية الفرنسية للصف الخامس (الصف الأول الإعدادي) في سنة 2000، تبين من خلالها الصورة السلبية للإسلام والمسلمين، وتمثل ذلك في تقديم مفاهيم خاطئة عن الجهاد والخلافة والوحي وصورة النبى محمد صلى الله عليه وسلم والشريعة، وتعدد الزوجات وميراث البنت وميراث الولد... ففي هذه الكتب المدرسية بالذات يتم ربط الجهاد

بالتطرف والإرهاب واعتبار الإسلام دينا لا تتفق مبادئه وتعاليمه وقيمه مع مبادئ وتعاليم وقيم الحضارات الكبرى، وتعنى بها الحضارة الغربية.

30. **دراسة أيمن منصور ندا** (2000) [33]

احتوت الدراسة و التى اندرجت ضمن الاعمال المكملة لنيل شهادة الدكتوراه بقسم الاذاعة و التلفزيون بكلية الاعلام بالقاهرة. على 8 فصول هى: المقدمة والاجراءات المنهجية للدراسة، الصورة ـ المفهوم ـ الخصائص ـ التوجهات ـ الوظائف، الصورة الإعلامية والقرار السياسي، العلاقات العربية – الأوروبية: التاريخ ـ الرؤى ـ النماذج، الصور المتبادلة بين الوطن العربى وأوروبا.، الاطار النظرى الإعلامى للدراسة، نتائج دراسة تحليل المضمون، نتائج دراسة الجمهـور.

أجرى الباحث دراسة تحليلية مسحية بأسلوب المسح بالعينة على عينة براجية هى نشرات الأخبار الرئيسية المسائية الأخيرة بالقنوات الآتية:

ـ الفضائية المصرية. ـ الفضائية السورية ـ (BBC World) - (DW) الألمانية

ان استهدفت هذه الدراسة و التى امتدت فترة التحليل من 99/6/1 إلى 99/8/31 ثم من 2000/1/1 إلى 2000/3/31، الى تحليل سمات الصور الإعلامية المتبادلة بين الوطن العربي وأوروبا كما تعكسها المواد الإخبارية في القنوات الفضائية العربية والأوروبية ودراسة مدي انعكاس هذه الصورة الإعلامية على تصورات الجمهور في كل منطقة لخصائص وسمات أفراد ومؤسسات المنطقة الأخرى وقوفاً على الدور الذي يمكن أن تسهم به القنوات الفضائية في دعم الحوار الثقافي والحضاري بين الوطن العربي وأوروبا.

وذلك عن طريق تحليل عينة من المواد الإخبارية في القناتين الفضائيتين العربيتين وهما الفضائية المصرية والفضائية السورية والقناتين الأوروبيتين وهما الـ « BBC

[33] **أيمن منصور أحمد ندا**: « صورة الوطن العربى وأوربا كما تعكسها المواد الاخبارية فى القنوات الفضائية العربية والأوروبية » (رسالة دكتوراة) .القاهرة: قسم الإذاعة والتليفزيون كلية الإعلام جامعة القاهرة، 2000

world» البريطانية والـ «DW» الألمانية، بالإضافة إلى دراسة مسحية على عينة من الجمهور العام في مصر وسوريا وبريطانيا وألمانيا.

وقد لخصت الدراسة إلى عدة نتائج:

أ) نتائج كمية من تحليل المضمون الكمي «عينة المواد الإخبارية في الأربع قنوات موضوع الدراسة»:

1. أن عدد الأخبار الأوروبية ومساحتها الزمنية في النشرات العربية أكثر من عدد الأخبار العربية ومساحتها الزمنية في النشرات الأوروبية.
2. أن نصيب ورود الأخبار العربية في عناوين إخبار النشرات الأوروبية أكثر من نصيب ورود الأخبار الأوروبية في عناوين إخبار النشرات العربية.
3. أن موقع الأخبار العربية في النشرات الإخبارية الأوروبية أكثر تميزا من موقع الأخبار الأوروبية في النشرات الإخبارية العربية.
4. أن النسبة الغالبة من الأخبار العربية في النشرات الأوروبية هي أخبار خارجية في حين أن النسبة الغالبة من الأخبار الأوروبية في النشرات العربية هي أخبار داخلية.
5. ارتفاع نسبة الأخبار الايجابية المتبادلة بين الوطن العربي وأوروبا.
6. عدم توازن الأخبار العربية إلى يتم تقديمها في النشرات الأوروبية وكذلك عدم توازن الأخبار الأوروبية التى يتم تقديمها في النشرات العربية حيث تقدم وجهة نظر واحدة أو بعد واحد من الابعاد.

7. ارتفاع نسبة الأخبار العربية والأوروبية غير واضحة المصدر في النشرات العربية والأوروبية الإخبارية.

ب) نتائج كيفية من تحليل السمات العامة لصورة الوطن العربي وأوروبا في النشرات الإخبارية الأوروبية حيث خلص الباحث إلى عدد من الملاحظات:

1. سلبية الصورة العربية في مقابل ايجابية الصورة الأوروبية.

2. جزئية الصورة العربية في مقابل كلية الصورة الأوروبية.

3. أحادية أبعاد الصورة العربية في مقابل تعدد أبعاد الصورة الأوروبية.

4. كثرة المسكوت عنه في الصورة العربية وقلته في الصورة الأوروبية.

هنالك اختلالاً في التدفق الإخباري بين الشمال (أوروبا) والجنوب (الوطن العربي) من الناحية الكمية حيث أن حجم الأخبار المتدفقة إلى الجنوب اكبر من الأخبار المتدفقة إلى الشمال وكيفياً يتم التركيز عادة في تقديم صورة الجنوب في وسائل إعلام الشمال على الجوانب السلبية وتجاهل الايجابية في حين تقدم صورة الشمال في إعلام الجنوب بشكل ايجابي.

31. دراســة أمــال كــمال طه محــمد (2001) [34]

جاءت الدراسة و التى تنطوي ضمن ابحاث مكملة لنيل شهادة الدكتوراه، و تتكون الرسالة من 8 فصول هي: الإجراءات المنهجية للدراسة، دور وسائل الإعلام في تشكيل الصورة، الإطار النظري للدراسة، القضية العراقية في التسعينيات، مقارنة تغطية صحف الدراسة لأحداث أزمة القصور الرئاسية 1997-1998، مقارنة تغطية صحف الدراسة لأحداث أزمة نوفمبر 1998، مقارنة تغطية صحف الدراسة لأحداث الهجوم الأمريكي-البريطاني على العراق ديسمبر 1998، مقارنة التصورات التى وصفتها صحف الدراسة للأطراف الفاعلة في الأزمات العراقية

أجرت الباحثة دراسة مسحية مقارنة على عينة مكونة من صحف:الأهرام المصرية, والقبس الكويتية، إنترناشيونال هيرالدتريبيون الأمريكية، الصنداي تايمز البريطانية الصادرة خلال فترة التسعينيات وذلك فيما يتعلق بكافة المواد المنشورة عن القضايا التالية: أزمة القصور الرئاسية, أزمة أغسطس-نوفمبر 1998، الهجوم الأمريكي البريطاني على العراق 1998 وبلغ عدد المواد المحللة 1980 مادة

[44] أمال كمال طه محمد ،« صورة العراق في التغطية الصحفية العربية والغربية في التسعينات : دراسة مقارنة» : رسالة دكتوراه غير منشورة، (كلية الاعلام – جامعة القاهرة)،2001.

استهدفت الدراسة مقارنة صورة العراق في التغطية الصحفية في ألازمات العراقية الدولية في عدد من الصحف العربية والغربية خلال التسعينات ولمعرفة العوامل التى أثرت في تشكيل هذه الصورة واختلافها من صحيفة لأخرى.

وقد استخدمت الباحثة تحليل الخطاب وتحليل مسار البرهنة وتحليل القوي الفاعلة كأدوات للدراسة ولخصت إلى عدة نتائج أهمها :

- ✓ كثافة اهتمام الصحف موضوع البحث في تغطية أحداث وتطورات ألازمات العراقية الدولية وردود الفعل المتبادلة تجاهها والأطراف المؤثرة فيها.
- ✓ تزايد الاعتماد على الوكالات الغربية ومحدودية الاعتماد على الوكالات الإخبارية العربية في تغطية الأحداث وقد ظهر ذلك جلياً في صحيفة القبس الكويتية، كما ظهرت ندرة الاعتماد على الوكالات العربية في الصحفيتين العربيتين.
- ✓ شكلت المصادر الأمريكية المرتبة الأولى من بين مختلف المصادر التى استقت منها الصحف أنبائها.
- ✓ احتلت صحيفة «القبس» المرتبة الأولى من حيث الاعتماد على المصادر الأمريكية تليها صحيفة «الهيرالد تريبون» .
- ✓ قلة الاعتماد على المصادر العراقية هذا فضلاً عن أن الاعتماد عليها كان فقط في المناسبات التى يتخذ العراق فيها قرارات تتعارض مع القرارات الدولية، خاصة في صحف «القبس» و«الهيرالدتربثيون» و «الصنداي تايمز» الأمر الذي يعكس توظيف هذه الصحف استخدام المصادر بهدف تدعيم موقفها المهاجم لنظام العراق.
- ✓ الاعتماد على مصادر من المعارضة العراقية وكانت هذه هي السمة البارزة في التغطية الصحفية لصحيفة « القبس» الكويتية.

32. دراسة مارلين نصر (2001)[35]

العرب والإسلام من منظور المناهج الدراسية الفرنسية: 1986- 1997: للباحثة مارلين نصر (Marlène Nasr)، الصادر في بيروت و باريس، عن منشورات «خرطلة» و «مركز دراسات الوحدة العربية»، سنة 2001، ويقع في 376 صفحة. اذ ترى الباحثة أن الإسلام يلخص في العربي «البدوي» أي «ساكن الصحراء» وهي مترادفات تستعمل عوض بعضها، والعربي في هذه الكتب ليس له وجود مستقل، فهو موجود بوجود الفرنسي، و«دونية » المسلم أو العربي ثلاثية الأطراف، فهي عقلية، أخلاقية، واقتصادية. و هذه الصورة بحاجة إلى تصحيح ورؤيا موضوعية، كما تقول الباحثة، لكن العالم العربي والإسلام يقدمون على أساس أناس متخلفين لا علاقة لهم بالحضارة وبالتالي من الصعب عليهم أن يفهموا الحداثة.

33. دراسة وائل ماهر عـــارف قنـديل (2002)[36]

استهدفت هذه الدراسة الوصفية التفسيرية رصد العناصر الموضوعية بصورة مصر (الرسمية والشعبية) كما جري إنتاجها عبر الكتلة التحريرية للخطاب الصحفي لمراسلي عدد من وحدات المراسلة العربية «Arab Correspondene Units» العاملة في مصر وذلك من خلال تحلل تتبعي نقدي لمنظومة المقولات المركزية «PivotalStatements» في عدد من عينة الصحف العربية وهي صحيفة «الشرق الأوسط» و«الحياة» السعوديتين وصحيفتى «القبس» و «صوت الكويت» الكويتيين وذلك إزاء ثلاثة قضايا محددة سجلت حضوراً بارزاً في الفترة الزمنية للدراسة (1990-1996) وهي:

- ✓ أزمة الاحتلال العراقي لدولة الكويت وتداعياتها.
- ✓ وقائع الصراع العربي الإسرائيلي في التسعينات ومحاولة التسوية السلمية.

---

[35] Marlène Nasr. *Les Arabes et l'Islam vus par les manuels scolaires français : 1986- 1997*. Paris- Beyrouth : Karthala Center for Arab unity studies, 2001. 376 p.

[47] وائل ماهر عارف قاييل، « مصر في الخطاب الصحفي لمراسلي الصحف ووكالات الأنباء العربية العاملة في مصر خلال الفترة من 1990-1996»، رسالة دكتوراه غير منشورة، (كلية الإعلام – جامعة القاهرة)، 2002.

✓ وقائع المواجهة بين النظام السياسي المصري وجماعات العنف السياسي المُتأسلمة.

هذا وقد هدفت الدراسة أيضاً إلى التعرف على مستوي الاعتمادية « Standard of Reliability» على مكاتب وكالات الأنباء العربي في إنتاج الخطاب الصحفي عن مصر والصحف المبحوثة بالإضافة إلى رصد العوامل من خارج الخطاب (الخلفيات التاريخية، علاقة الخطاب المنتج بالسلطة السياسية، البعد المهنى) ومظاهر التأثير لهذه العوامل داخل مفردات الخطاب ومنظومة انحيازاته.

وذلك باستخدام منهج المسح الإعلامي والمنهج التاريخي المقارن ومنهج دراسة الحالة وتحليل المضمون والمقابلة غير المقننة والتتبع الرصيد لمسارات البرهنة وتحليل القوي الفاعلة كأدوات منهجية لجمعه المعلومات وتحليلها.

وقد لخص الباحث إلى عدد من النتائج أهمها :

✓ أن درجة اهتمام الصحافة العربية (المملوكة والممولة خليجياً في سياق هذه الدراسة) بالشأن المصري ارتبطت أساساً بحضور مواقف سياسية أبدها النظام المصري حيال قضايا عربية تتصل بشكل أو بآخر بالطرف العربي الخليجي.
✓ تجنبت الخطابات الخاضعة للتحليل بناء صفات لمصر تتعلق « بالريادية والقيادة والزعامة» و تم استبدالها بأن صانع القرار المصري قد اتخذ موقف « عادل وطبيعي» يتلائم مع البراجمية السياسية المصرية.
✓ على الرغم من خضوع الخطابات المنتجة من قبل مكاتب الصحف العربية لحواجز رقابية عديدة إلا أنها وجدت المراسلة لوكالات الأنباء قد بلغت من الجمود المهنى الذي أدي على نحو أو بأخر إلى فقد المصداقية المهنية.

34. دراسة ميرفت كامل الطرابيشي (2002)[37]

استهدفت الدراسة تقديم رصد وتفسير صورة الدول الإسلامية في الصحف اليومية الأمريكية قبل أحداث 11 سبتمبر وبعدها كما انتجتها صحيفتى «النيويورك تايمز» و «الواشنطن بوست»: باعتبارهما من أكثر الصحف الأمريكية انتشاراً ونفوذاً على المستويين الأمريكي والدولي.

ولخصت الدراسة إلى عدة نتائج منها :

- ✓ حدوث تحول خارق في تكوين الصورة المنتجة عن الدول الإسلامية بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 بالمقارنة بالصورة المكونة عن الدول الإسلامية قبل هجمات نيويورك وواشنطن.
- ✓ حولت المعالجات الصحافية غير المتوازنة والمنحازة صورة الدول الإسلامية إلى «عدو خطير وحقيقى» للغرب ينبغى مواجهته بكل الوسائل.
- ✓ وأوضحت الدراسة أن الصحافة الأمريكية قد استعانت بشبكة من المعلومات والتأويلات المغلوطة وميكانيزمات التشويه لتأصيل صورة « العدو الإسلامي» ودعمها في اتجاه هيكلي ثابت يربط المسلمين ثقافياً وحضارياً ودينيا بالعنف والإرهاب.

35. دراسة فانسون جيسر (Vincent Geisser) (2003)[38]

الإسلاموفوميا الجديدة: للباحث فانسان غيسير (Vincent Geisser) الصادر في باريس، عن منشورات «لاديكوفيرت» سنة 2003 والواقع في 122 صفحة. إن الخوف من الإسلام كما ترسمه بعض النوايا السيئة بكتاباتها وحضورها الإعلامي في المؤسسات الفرنسية يهدف إلى خلق جو يخيف الفرنسيين ويسيء إلى الإسلام والمسلمين، لذا استعمل الباحث مصطلح «الإسلاموفوبيا» وهو مركب من كلمة

---

[48] ميرفت كامل الطرابيشي ،« صورة الدول الإسلامية في الصحف اليومية الأمريكية قبل أحداث 11 سبتمبر وبعدها – دراسة تحليلية مقارنة»، الإعلام وصورة العرب والمسلمين، جامعة القاهرة – المؤتمر العلمي الثامن لكلية الإعلام، القاهرة، 2002.

[38] Vincent Geisser . *La Nouvelle islamophobie* /. Paris: La Découverte, 2003. 122 p

الإسلام والفوبيا أي الخوف والتوتر النفسي، وهذه الظاهرة تزداد يوما بعد آخر عن طريق الإعلام بكل وسائطه وموقف المثقفين العرب والغرب الذين خصصوا كتاباتهم لنقد الإسلام والتجريح به، ، قدم المؤلف في كتابه قراءة موضوعية لهذه الظاهرة.

36. **دراسة سارة احمد** (2007) [39]

سعت هذه الدراسة التحليلية إلى التعرف على كيفية تناول جريدة «نيويورك تايمز» الأمريكية لصورة الإسلام والمسلمين قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وذلك بتحليل المقالات التى غطت صورة المسلمين في الفترة ما بين 30 يوم قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

- و من اهم النتائج التى توصلت إليها :

✓ ورد قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر 40 مقال بهم كلمة إسلام و 47 مقال بهم كلمة مسلم، في حين تضاعفت هذه النسبة لتصل إلى 147 مقال وردت بهم كلمة إسلام و160 مقال وردت بهم كلمة مسلم عقب هذه الحادثة.

✓ قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر ركزت المقالات على الصراع العربي الإسرائيلي، في حين أن عقب هذه الحادثة تنوعت تغطية الصحيفة للإسلام والمسلمين وتم استخدام كلمة إسلام في سياق «العنف» وكلمة مسلم في سياق«الهجوم على الولايات المتحدة الأمريكية» و كذا « الحرب ضد الإرهاب».

37. **دراسة سعيد المغناوي: (تشويه صورة الإسلام في الغرب من خلال الإساءة إلى الرسول ص). (2009)**

في هذا البحث قدم الدكتور المغناوي جردا تاريخيا للإساءات التى تعرضت لها الأمة الإسلامية منذ سنة 2000م، ثم سرد بعد ذلك أنواعا وأشكالا متعددة من هذه

[52] Sara j Ahmed. « *Evaluating the New York Times Framing of Islam and Muslim Pre-Post 9-11*», The Faculty of The School of communication University of Houston",2007.

الإساءات، كما بين من خلال البحث أن الإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هي السائدة حاليا في الأوساط الغربية.

ثم طرح سؤالا وهو: لماذا الإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الوقت بالذات؟ وأجاب عنه من خلال الحديث عن بعض ما جاء في كتاب (نبي الشؤم) الذي أساء فيه صاحبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بشكل لم يسبق له مثيل.

بين المؤلف في بحثه أن الجرد التاريخي لكافة الإساءات التي تعرض لها الإسلام والمسلمون والرسول صلى الله عليه وسلم، وكذا تحديد أنواعها وأشكالها، من شأنه أن يساعدنا في عملية الرد عليها بالتصحيح، ومن شانه أيضا أن يساعدنا في معرفة ما تكرر منها في القرون السابقة، و بماذا رد عليها أو دحضها علماء الأمة في تلك الآونة.

كما أشار إلى أن الإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أو الإساءة إلى الإسلام والمسلمين بصفة عامة، لا يمكن تفسيرها بمعزل عن الأحداث السياسية التي يعرفها العالم اليوم، ومن ثم لابد من النظر بتمعن لأهداف العدو وإستراتيجيته الراهنة.

كما يجب التفكير في إستراتيجية مهمة للرد على كافة الإساءات الموجهة للإسلام المسلمين والرسول صلى الله عليه وسلم، من أجل تصحيح صورتهم في أذهان الغربيين، على أن تكون هذه الإستراتيجية مبنية على أسس علمية لا عاطفية.

38. **دراسة ناجية أقجوج : (تصحيح صورة الإسلام في الغرب: واجب العلماء ومسؤولية الإعلام).**

تعتبر الباحثة ان الإسلام اختزل في منظومة فكرية ثلاثية الأركان وهي الإرهاب والتخلف والشبق فالمسلمون تبعا لذلك عدوانيون وإرهابيون ومتخلفون وشهوانيون..! وهذه الصورة إنما تشكلت نتيجة إرث مرضي وترسخت في المتخيل الغربي بواسطة كتب التراث والكتب المدرسية المشحونة

بالافتراءات والأحقاد التاريخية المتجذرة والمفاهيم القروسطية، وأذكتها وسائل الإعلام والروايات الشعبية بتمريره المعلومات الخاطئة والمفاهيم المغلوطة، وبلورها الوعي والمتخيل المسيحي عن الإسلام والمسلمين.

كما بينت في هذا البحث، أهمية دور العلماء في هذه المرحلة، وكذلك نبهت على دور الإعلام بوسائله المختلفة في تصحيح المفهوم المشوه عن الإسلام، وأكدت على أن الإعلام والعلماء كلاهم مكمل للآخر، إلا أن الإعلام هو الواجب الذي لا يتم الواجب الأول إلا به، ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

كذلك بينت أن واجب العلماء من أئمة ودعاة ومفكرين هي تبصير المسلمين وتصحيح صورة الإسلام في أذهان وعقول الغربيين، ولخصت هذا الدور في أربع نقاط أساسية، تتوقف كل نقطة على الأخرى:

ـ ضرورة تطبيق المرجعية الدينية لأنها الأساس.(أولا).

ـ و ذلك من أجل فتح الحوار، وترشيد فكر الأجيال الصاعدة في الغرب.(ثانيا).

ـ و هذا لا يتم إلا بتكثيف جهود المنظمات الإسلامية في الغرب.(ثالثا).

ـ وتكثيف جهود هذه المنظمات لابد له من دعائم وأسس أهمها وأولاها بالذكر: ضرورة تفعيل دور الخرجين من الكليات الشرعية.(رابع).

كما بينت الكاتبة أن مسؤولية الإعلام تأتي بعد واجب العلماء، لأن الإعلام يعد أهم العناصر المؤثرة في الخطاب الديني من جهة، وفي بلورة وتفعيل دور الندوات والمؤتمرات التي تهدف إلى التصحيح من جهة أخرى، وهو الأمر الذي يتطلب عدة آليات، وقد لخصتها الكاتبة في النقاط الآتية:

ـ ترشيد وسائل الإعلام وتكوين أجيال من الإعلاميين المؤثرين في الرأي العام.

ـ توظيف المنابر الإعلامية لخدمة عرض الإسلام على اعتبارها الوسلية المثلى للرد على التهم والافتراءات ودحض الشبهات، عن طريق إنشاء القنوات الإسلامية التي تبث برامجها بكل اللغات الحية، وكذلك عبر مواقع النت.

ـ التنسيق بين وسائل الإعلام الإسلامية وبينها وبين وسائل الإعلام في الغرب.

ـ التعامل مع الإعلام الغربي بمنطق التحديث لا بمنطق التغريب، والعمل على إيجاد إستراتيجية من أجل فرض أنموذج عربي إسلامي على الغرب كما حاول الغرب فرض أنموذجه.

ـ رصد كل ما يبث في القنوات الغربية، من أخبار وأفلام لتصحيح ما يصدر عنها من تشويه وافتراء وتهم.

ـ التطلع إلى إعلام إسلامي يهدم أطماع الغرب في العالم الإسلامي.

ـ إعطاء الأهمية لصحافة الأطفال من صور البراعم ورسوم الكارتون، مرورا بالكلمة الصادقة والخطاب الجاد.

39. دراسة محمد غزيول (الصورة النمطية للإسلام والعرب من خلال الصناعة السينمائية).

بين الدكتور غزيول في هذه الورقة أن كثيرا من الدراسات تؤكد أن وسائل الإعلام الغربية ووكالات الأنباء الكبرى لا تنقل عن العالم الثالث سوى المظاهر السلبية والاضطرابات وعدم الاستقرار والكوارث والفضائح ولا تنظر إليه سوى أنه مليء بالانقلابات والفساد والعنف والتخلف.

وتشير الأدبيات في هذا المجال إلى أن وسائل الإعلام الجماهيري الغربية (أمريكا ـ بريطانيا – فرنسا ـ ألمانيا)تقدم صورا سلبية للعرب والمسلمين، حيث تصفهم بالمكر والدهاء والطمع والشغف بالنساء، وتسود تلك الصورة كثرا من المواد الإعلامية.

وكان لهذه الصورة السلبية التى تقدمها وسائل الإعلام عن العرب بصفة عامة والمسلمين بصفة خاصة في ظل ربط الإسلام بالإرهاب والعنف أكبر الأثر في التلفزيون والأفلام السينمائية، وقد عرض البحث لهذه الجزئية وفصل الكلام فيها.

تعليق على الدراسات السابقة:

في البداية تجدر الإشارة إلى كثرة الدراسات السابقة الأجنبية والعربية التى اهتمت بدراسة الصورة في وسائل الإعلام بصفة عامة والتى تناولت الصورة الذهنية للشعوب و الأمم، و ان تعددت الدراسات بين العربية و الاجنبية، و بين التى انجزت خلال فترات الصراع و فترات السلم، فقد اجتمعت الدراسات التى نعتت صورة العرب و المسلمين و أظهرت صورتهم في الصحافة متسمة بالسلبية منذ خمسينيات القرن الماضي وحتى الآن في حين اتسمت صورة الغرب لدى العرب بالايجابية على مدار التاريخ.

- ✓ اعتمدت الدراسات على مسوح تحليل المضمون بشكل كبير للوصول الى أسباب تكوين الصورة وبرامجها.
- ✓ لم يخرج الإعلام الغربي عن إطار سياسات دول الغرب في تناوله للشئون العربية والإسلامية و التى تخدم بالدرجة الاولى المصالح الغربية على الاراضي العربية.
- ✓ ركز الاعلام الغربي بشكل كبير على تقديم الأخبار التى تتعلق بالبلدان العربية والإسلامية من خلال إبراز الآفات والحروب والانقلابات على حساب الأخبار المتعلقة بعمليات التنمية المختلفة.
- ✓ ركزت أغلب دراسات الصورة على الصحافة كوسيلة إعلامية وقلت في وسائل الإعلام الأخرى.
- ✓ ازدادت دراسات الصورة في فترات الصراع والأزمات عنها في فترات السلم و الاستقرار.
- ✓ أتساق الموقف السياسي للدولة والتغطية الإعلامية لموقفها إزاء الصراعات والأزمات الدولية.

- ✓ ظهور الصورة الغربية بالإيجابية في وسائل إعلام الدول العربية في حين استمت الصورة العربية بالسلبية في وسائل الإعلام الغربية.
- ✓ تحيز الإعلام الغربي لإسرائيل وإظهارها في صورة الدولة المسالمة المتقدمة الإيجابية مقابل سلبية صورة الدول العربية كدول إرهابية متخلفة.
- ✓ في إطار الأوضاع العالمية الحديثة زاد الاهتمام على دراسة صورة المسلمين والعرب في الصحافة الغربية خلال بداية الألفية الحديثة في حين قلت في تسعينات القرن الماضي.

الفصل الثالث

الصورة الذهنية

تمـــهيـــد

تزايد الإهتمام بموضوع الصورة الذهنية وأهميتها بالنسبة للفرد أو المنظمة ، نظراً لما تقوم به هذه الصورة من دور هام في تكوين الآراء واتخاذ القرارات وتشكيل السلوك، وقد أصبح تكوين الصورة الطيبة هدفاً أساسياً يسعى الجميع لتحقيقه على أي مستوى وفي أي مجال من خلال الأداء الطيب الذي يتفق مع إحتياجات الجماهير المؤثرة والمتأثرة بسياسة الفرد أو المنظمة.

كما حظي موضوع الصورة الذهنية بإهتمام الباحثين في الدراسات الإعلامية، والإدارية، و الإجتماعية، والنفسية، والسياسية نظراً للدور المحوري الذي تقوم به الصورة الذهنية في التأثير على مجالات إهتمام هذه الدراسات ، وما تقوم به من دور مؤثر في سلوكياتنا وقراراتنا وحياتنا اليومية دون أن نشعر بتأثيراتها شبه المنتظمة في تسيير أمور حياتنا، إضافة إلى تكوين و توجيه الرأي العام اتجاه قضية معينة.

من الصعوبة بمكان تقديم حصرٍ منهجيٍ لمشكلة تعريف الصورة. فقد ورد المصطلح ليشير إلى معانٍ متعددة تبعاً للحقول المعرفية التى تعاطت هذا المفهوم. في الفلسفة حاول المختصون تأطير معنى الصورة وذلك بتمييزها عن المدركات الحسية الملموسة ورأوا أنها احد عنصري الفكر الذي يتألف من مادة وصورة. أما مادته فهي الحدود التى يتألف منها، وأما صورته فهي العلاقات الموجودة بين هذه الحدود.

و بدأ استخدام مصطلح الصورة الذهنية (Image) عندما أصبح لمهنة العلاقات العامة تأثير كبير على الحياة الأمريكية مع بداية النصف الثاني من القرن الماضي، و قد كان **أرسطو** أول من لفت الانتباه إلى أهمية الصورة الذهنية بوصفها عملية تسبق التفكير. ورأى بأنّ التفكير لا يمكن أن يتحقق دون وجود صورة ذهنية. وعرّفها بأنها كل ما يتحدد به الشيء ويتعين. وهذه إشارة إلى أن مفهوم الصورة تعنى الصفة أو الشكل وهي تقابل المادة وليس هنالك مادة بغير صورة إلا في

الذهن[1]. وهذا التعريف اعتمده كانت في نظرية المعرفة إذ فرق بين المادة والصورة وأطلق لفظ المادة على كل ما في المعرفة من عناصر مستمدة من الإحساس والتجربة وأطلق لفظ الصورة على ما في المعرفة من عناصر مستمدة من قوانين العقل التى تحاول أن ترتب معطيات الحس (الموجودات الحسية) وتفرغها في قوالب تساعد على إدراكها وفهمها. فالزمان صورة الحس الداخلي والمكان صورة الحس الخارجي. والمكان والزمان صورتان قبليتان تنظمان المدركات الحسية. وكذلك مقولات العقل ومعانيه الكلية[2]. أما الصورة عند هيوم (David Hume) فتعنى حصراً الأفكار التى تتشكل في الذهن بعد أن تغيب الانطباعات الناتجة عن الإحساسات المباشرة. ويعنى هيوم بالانطباعات جميع الإحساسات والانفعالات والعواطف. واعد الصور نسخاً باهتة (خاية فقدت حدتها) عن تلك الانطباعات الحسية المباشرة التى تبقى بعد اختفاء الانطباع وهذا ما يدعى الصورة[3].

و قد كان لظهور كتاب: «تطوير صورة المنشأة» (Developing the corporate image) للكاتب الأمريكي (Lee Bristel) في عام 1960، أثر كبير في نشر مفهوم صورة المنشأة بين رجال الأعمال، وما لبث هذا المصطلح أن تزايد استخدامه في المجالات التجارية والسياسية والإعلامية والمهنية. وقد تبلور هذا المصطلح في مجال العلاقات الدولية بشكل واضح في عام 1965، حينما ظهر كتاب «السلوك الدولي» (International Behavior) الذي إشترك في تأليفه «هربرت كيلمان» (H. Kelman) مع جماعة من زملائه من علم النفس والباحثين في مجال العلاقات الدولية.

ولقد عنيت الدراسات السياسية والإعلامية بصورة القيادات السياسية في بعض الشعوب وتأثيرها على صورة الشعب، الذي تنتمي إليه من ناحية، وتأثيرها على السلوك الجماهيري إزاء هذه القيادات من ناحية أخرى، ولهذا فإن الحكومات الديمقراطية تسعى إلى التعرف على رغبات الجمهور وكسب ثقتهم وتأييده، لأنه هو الذي سيقوم بتجسيد السياسات التى ترسمها، وعليه يتوقف زوالها أو

[1] Enc-of phelosophy. Vol. 8 , editor in chief Poul Edwards , The Macmillan Co. N.Y, 1967. P. 133

[2] جميل صليبيا. المعجم الفلسفي. بيروت: دار الكتاب اللبناني 1979. ص 745.

[3] Enc- of phelosophy p.134.

بقاؤها. فلقد تشابكت مصالح الناس، وتباينت اتجاهاتهم ورغباتهم، وزادت العلاقات الاجتماعية الاعتمادية بين المنظمات، كما زادت قوة الرأي العام، وأصبحت الحاجة ملحة لفهم دوافع ومطالب الأفراد والجماعات وأصبح كسب تأييد وتعاون وثقة الآخرين عن طريق الإقناع جزءا من العمل اليومي للمدير في أي نوع من أنواع المنظمات ، كما اهتمت الدراسات الإعلامية بدراسة صورة قطاعات المجتمع المختلفة من خلال ما يقدم في وسائل الاتصال الجماهيري، أو من خلال ما تعبر به الجماهير عن انطباعاتها إزاء هذه القيادات. حيث يتلخص كل هذا في الصور الذهنية بما تحمله من إيحاءات ودلالات قيمية بعديها المتنافرين، من حيث كونها صورا إيجابية كانت أو صورا سلبية، تبعا للمرجعية الفكرية والمنظومة القيمية للمجتمع ككل، والفرد وفقا لمصالحه، التى سرعان ما تجعله ينساق نحو أحد النمطين: الدخول في التنظيم الاجتماعي، وبالتالي الامتثال «للأنا الاجتماعي» أو الخروج عن هذه القوانين الضابطة وبالتالي حدوث ما يسمى «بالتعلل الاجتماعي».

قبل التطرق إلى حيثيات الصورة، نشير إلى أن الصورة نوعان: الصورة كشيء حسي (مادي) و المقصود بها، الصورة الفوتوغرافية – والصورة كشيء معنوي و المتجسدة في الصورة الذهنية.

1.3. الصورة الفوتوغرافية

وهي تقنية تسمح بتثبيت صورة الأشياء ونماذجها على مساحة حساسة للضوء بمواد كيميائية، أي الكتابة بالضوء، كما عرضت لأول مرة، أما على مستوى المختصين في مجال الإعلام و الاتصال، فقد أعطوا تعريفات عدة نذكر:

الصورة الفتوغرافية هي محاولة لفهم الواقع وتسجيله بالكاميرا، وإن كان فيه إغفال لمضمون الصورة والزاوية التى التقطت منها.[4]

وتعرف أيضا بأنها «عبارة عن تسجيل ثابت لحدث متطور منظور إليه من وجهة نظر معينة، وفي لحظة معينة، وهي أيضا رؤية ذاتية بالكاميرا لواقع موضوع»[5] ، وهذه

[4] Le message photographique, in *Lobvie et l'obus,* Seuil, 1982, p 11

الصورة عرفت إنتشارا واسعا لتصبح شيئا لا يستغنى عنه في الصحافة، هذه الصورة الفوتوغرافية الصحفية التى تعرف بأنها «التقرير الواقعي الذي يعده المصور الصحفي في أرفع شكل من أشكال الصحافة المصورة، وقد صارت الصورة تقريرا مصورا صادقا عن أوضاع البشر»[6]، بنقل اهتماماته والتعبير عنها بأساليب أكثر إقناعا وتأثيرا من المواد الصحفية بدون صورة. وسوف نفصل في موضوع الصورة، حتى نصل في ثنايا البحث إلى الكاريكاتير كوسيلة تصويرية تعبيرية.

1.4. الصورة الذهنية:

الصورة (Image) مصطلح مشتق من كلمة لاتينية تعنى «محاكاة» (Imitation) ومعظم الاستخدامات السيكولوجية القديمة والحديثة لهذا المصطلح تدور حول نفس المعنى، ومن ثم توجد معان متقاربة مترادفة مع هذا المعنى في مجال الاستخدامات السيكولوجية، مثل النسخة، إعادة، الصورة الأخرى... ولهذا وجب التركيز على فهمها والإحاطة بأهم معانيها.

في اللغة العربية يعرف المعجم الوسيط الصورة بأنها «الشكل والتمثال المجسم ، والصورة بمثابة خياله في الذهن أو العقل» ويقصد بالصورة في المعجم العربي الأساسي «كل ما يصور مثل الشكل أو التمثال المجسم والنوع والصفة ، وصورة الشيء هي خياله في الذهن أو العقل» ويعرف قاموس المورد الصورة بأنها « الإنطباعة الذهنية، أو عكس الصورة، أو يرمز أو يمثل»

وعرفت (Image) بحسب قاموس اكسفورد لتعنى نسخة طبق الأصل أو صورة أو مُحاكاة صرفة للواقع الخارجي وعلى الأغلب البصري[7].

أما في معجم المصطلحات الاعلامية فقد وردت كلمة (Image) لتشير أما لصورة ملتقطة بأحدى الآلات التصوير أو مرسومة. أو صورة شخص أو شيء في ذهن

[5] http://www.fotoartbook.com/?p=302
[6] Rhétorique de l' image, in *Lobvie et l'obus*, Seuil, 1982 , p 25
[7] Oxford Dictionary Of English Etymology,By C.Tous, Oxford Claredonc Press 196

إنسان ما أي فكرته التى كونها عن ذلك الشخص وصورته التى رسمها له في ذهنه أي انطباعاته عنـه[8]

و عرض معنى أكثر شيوعا لهذا المصطلح (الصورة الذهنية) في قاموس **«ويستر»** في طبعته الثانية (Webster's New Collegiate Dictionaty) و قد عرض القاموس تعريفاً لكلمة(Image) بأنها تشير إلى «التقديم العقلي لأي شيء لا يمكن تقديمه للحواس بشكل مباشر ، أو هي محاكاة لتجربة حسية إرتبطت بعواطف معينة نحو شخصية معينة، أو نظام ما، أو فلسفة ما، أو أي شيء آخر، وهى أيضاً إسترجاع لما إختزنته الذاكرة، أو هي تخيل لما أدركته حواس الرؤية أو الشم أو السمع أو اللمس أو التذوق» كما يعرفها القاموس ذاته بأنه «مفهوم عقلي شائع بين أفراد جماعة معينة يشير إلى اتجاه هذه الجماعة الأساسي نحو شخص معين، أو نظام ما، أو طبقة يعينها، أو فلسفة سياسية، أو قومية معينة، أو أي شخص آخر... »[9] ، أي الصورة التى ترسم «للآخر» وإن كان فيه إغفال لعوامل رسم هذه الصورة، ثم النمط الذي تتخذه

وفي السياق نفسه قدم كينيث بولدنغ (Kenneth Boulding) تعريفاً أخر للصورة في كتابه «الصورة» و الذي يعتبر رائدا، من خلال تعريفه لصورة المرشح في الانتخابات بأنها مجموعة من الانطباعات الذاتية التى تتكون عنه في أذهان الناخبين[10] وقد سبق لبولدنغ أن عرفها بشمولية أوسع بوصفها مرادفة أو بديلة لكلمة المعرفة. فمعرفتنا بالعالم قد يسميها شخص أخر صورتي عن العالم وهذا التعريف يتضمن جميع مجالات المعرفة ومضامينها مثل الصحة و الحقيقة، الشجرة وغيرها.

من خلال التعاريف السابقة، نستطيع القول بأنه ليس شرطا أن تكون الصورة الذهنية مجرد محاكاة الأشياء التى كانت لنا بها تجربة سابقة، وعلى تنوع التجارب السابقة، فهنالك صورا ذهنية لم تكن لنا بها معرفة سابقة ومع ذلك تشكلت، وصور الخيال العلمي خير مثال على ذلك.

---

[8] كرم شلبى: «معجم المصطلحات الاعلامية» ، القاهرة : دار الشروق، 1989، ص 285.

[9] Webster's Seventh New Collegiate Dictionary , G&C. MERRIAM 1967 P.

[10] نقلاً عن علي عجوة : « العلاقات العامة والصورة الذهنية » ، ص 6.

في حين الموسوعة البريطانية أوردت التعريف الذي جاء به «س – و- براي» C.W-Bray) الذي يرى أن الصورة الذهنية هي: «ذكريات شعورية تسترجع إدراكا ماضيا- كاملا أو مجزوءا، مع غياب المنبه (المؤثر) عن الإدراك»[11] فهذا التعريف أيضا ناقص يفتقر إلى الدقة فالصورة الذهنية ليست دائما – كما قلنا- استرجاع لما اختزنته الذاكرة، وكذلك قد يكون المنبه أحيانا مؤشرا قويا لظهور الصور الذهنية أو استرجاعها.

أما قاموس (Grand Larousse Universal) فحوى التعريفات التالية:

«الرمز أو التمثيل المادي لحقيقة غير مرئية (واقع غير مرئي) » و« تصور ذهني تكوّن انطلاقا من إدراك سابق» و«الرؤية الداخلية المرتبطة بالذاكرة والمشاعر التي لدينا، عن كائن أو عن شيء ما».

الصورة وفقاً للتعريفات السابقة إذا هي محتويات ذهنية تعتمد على خبراتنا السابقة مع العالم الخارجي. وقد يكون لها ما يقابلها في الدماغ[12].

وتبعاً لذلك فرّق الفلاسفة بين التصور القبلي والتصور البعدي. وعدّوا التصور القبلي هو التصور المحض المتقدم على التجربة. أما التصور البعدي فهو المعاني العامة المستمدة من التجربة. وعرف المعجم الفلسفي كلمة صورة على أنها مرادفة لمفهوم الشكل Form الصورة هي الشكل الهندسي المؤلف من الأبعاد التي تتحدد بها نهايات الجسم و ايضاً الصفة التي يكون عليها الشيء. ويحيلنا الأصل المعجمي للكلمة إلى معنى مقارب فقد وردت الصورة في لسان العرب لتشير إلى ظاهر الشيء وهيئته وحقيقة الشيء وصفته وجاءت في المنجد لتقتصر على صفة الشيء[13]. وفي كلتا الحالتين افترض المعنى المعجمي وجود تطابق بين الشيء وصورته في العقل مما أعطى الصورة بعداً حقيقياً ومصداقية سرعان ما تغيرت و استبعدت مع تطور استخدام المفهوم وما كشفت عنه التنظيرات اللاحقة في هذا المجال، التي تفترض بأن الصورة ليست بالضرورة نسخة طبق الأصل عما أُخذت

[11] Boulding , Kenneth : *The Image* , Ann Arbor , The University of Michigan Press, 966. P.6
[12] Ibid , P.134
[13] ابن منظور. « لسان العرب »، ج 6 ، القاهرة : دار العربية للتأليف و الترجمة، بلا تاريخ .

عنه بل إنها غالباً ما تكون مزيفة وغير حقيقية. وفي اللغة الانكليزية اشتقت كلمة (Image) من أصلها اللاتيني (Imago) التي تعني حصراً صورة (Picture) أو شبه (Likeness) و تقابل كلمة يُحاكي ويشابه.

كما عرفها جميل صليبا «بأنها بقاء الإحساس في النفس بعد زوال المؤثر الخارجي، أو على عودة الإحساس إلى الذهن بعد غياب الأشياء التي تثيرها»[14].

لقد تعددت مدلولات وتعريفات الصورة الذهنية، وإن كان ما تقدم يمس جانبا معينا دون الالمام الشامل، حيث نخلص أخيرا إلى تعريف ـ نعتقد بشموليته ـ ونتبناه خلال دراستنا باعتباره مفهومنا الإجرائي، وهو التعريف الذي قدمه علي عجوة حول الصورة الذهنية التي يراها بأنها: «الناتج النهائي للانطباعات الذاتية التي تتكون عند الأفراد، أو الجماعات إزاء شخص معين أو نظام معين، أو شعب أو جنس بعينه، أو منشأة أو مؤسسة أو منظمة محلية أو دولية أو مهنة معينة، أو أي شيء آخر، يمكن أن يكون له تأثير على حياة الإنسان، وتتكون هذه الانطباعات من خلال التجارب المباشرة، وغير المباشرة، وترتبط هذه التجارب بعواطف الأفراد واتجاهاتهم بغض النظر عن صحة المعلومات التي تتضمنها خلاصة هذه التجارب، وهي تمثل بالنسبة لأصحابها واقعا صادقا ينظرون من خلاله إلى ما حولهم، ويفهمونه أو يقدرونه على أساسها».

في الوقت الذي يرى فيه علي عجوة[15] أن لا شيء غير حقيقي في الصورة المتكونة عن فرد معين أو منظمة في أذهان الأفراد لأن هذه الصورة هي ذلك الفرد أو تلك المنظمة كما يراها هؤلاء الأفراد أو تلكم الجماعة سواء كانت زائفة أو صادقة، والشخص الذي تكونت لديه صورة معينة عن شيء سيتصرف مع هذا الشيء تبعاً لهذا التصور الذي كونه أو تكوّن لديه وفي إطار التحديد المعجمي ايضاً وردت كلمة (Image) لتشير إلى صورة أو فكرة محمولة في الذهن عن شيء ليس ماثلاً أمام الحواس وهي انطباع يخلقه شخص أو مجموعة

[14] نقلا عن جميل صليبا، مرجع سابق. الصفحة 74 – و ايضاً المنجد في اللغة ، لويس المعلوف ، ط37. بلا مكان: دار الفقه، 1996، ص440

[15] علي عجوة : « العلاقات العامة والصورة الذهنية » ، مرجع سابق ، ص 4.

أشخاص استناداً إلى المواقف والسياسات والممارسات السلوكية[16]. ويؤكد هذا التعريف على دور حامل الصورة في تحديد وتشكيل الصورة. كما أنه يحصر مجالها في إطار البنية الاجتماعية والنشاطات التفاعلية. في الوقت الذي تتضمن فيه الصورة معاني أوسع، فهنالك صورة الزمان والمكان و غيرها من الأنواع التى تجعل من الصعوبة حصرها في مجال واحد غير انه يواكب من جهة أخرى عملية الترحيل الذي خضع لها المفهوم في مجال العلوم السياسية و الإعلام اللذين اهتما على نحو خاص بموضوع الصورة من ناحية ارتباطها بالعملية السياسية مثل صورة الحزب أو صورة المرشح في الانتخابات أو صورة الشركة والمؤسسة ضمن مجال العلاقات العامة. كما يعكس المنحى الخاص الذي بدأ يتخذه مفهوم الصورة والذي بدأ يؤسس فيه لعلم جديد أطلق عليه (Imagology) .

والصورة الذهنية كما يعرفها إيمان زكريا (بأنها الخريطة التى يستطيع الإنسان من خلالها أن يفهم ويدرك ويفسر الأشياء) أي أن الصورة الذهنية هي الفكرة التى يكونها الفرد عن موضوع معين وما يترتب عن ذلك من أفعال سواء سلبية أو إيجابية وهي فكرة تكون عادة مبنية على المباشرة أو على الإيحاء المركز والمنظم بحيث تتشكل من خلالها سلوكيات الأفراد المختلفة.

و يعرفها عاطف عدلي العبد في دراسته غير المنشورة، «الإعلام و ثقافة الطفل العربي»: الصورة الذهنية هي الناتج النهائي للانطباعات الذاتية، التى تتكون عند الأفراد أو الجماعات إزاء شخص معين، أو نظام معين، أو شعب معين، أو جنس معين، أو منشأة أو مؤسسة أو منظمة محلية أو دولية أو مهنة معينة أو أي شيء آخر يمكن أن يكون له تأثير على حياة الإنسان، وتتكون هذه الانطباعات من خلال التجارب المباشرة وغير المباشرة، وترتبط هذه التجارب بعواطف الأفراد واتجاهاتهم بغض النظر عن صحة المعلومات التى تتضمنها خلاصة هذه التجارب، فهي تمثل بالنسبة لأصحابها واقعاً صادقاً ينظرون من خلاله إلى ما حولهم ويفهمونه أو يقدرونه على أساسها[17].

[16] Macmillan Dictionary Macmillan Publising CO. Inc. New York 1977.

[17] عاطف عدلي العبد: « الإعلام وثقافة الطفل العربي»، دار المعارف، سلسلة اقرأ الثقافية، العدد 603 نوفمبر 1995

هذا و تعددت التعريفات الإصطلاحية التى قدمها الخبراء والباحثون والكتاب للصورة الذهنية ، نختصر من بينها ما يلي[18]:

يعرف البعض الصورة الذهنية بأنها الصور العقلية التى تتكون في أذهان الناس عن المنشآت والمؤسسات المختلفة وقد تتكون هذه الصور من التجربة المباشرة أو غير المباشرة، وقد تكون عقلانية أو غير رشيدة ، وقد تعتمد على الأدلة والوثائق أو على الشائعات والأقوال غير الموثقة ، ولكنها في نهاية الأمر تمثل واقعاً صادقاً بالنسبة لمن يحملونها في رؤوسهم.

كما يعرفها البعض بأنها الناتج النهائي للإنطباعات الذاتية التى تتكون في أذهان الأفراد إزاء فرد معين أو نظام ما، وقد تتكون هذه الإنطباعات من خلال التجارب المباشرة وغير المباشرة ، وهى في النهاية تمثل دافعاً صادقاً بالنسبة لأصحابها ينظرون من خلاله إلى ما حولهم ويفهمونه على أساسها.

ويرى آخرون أن الصورة الذهنية هي عملية معرفية نفسية نسبية ذات أصول ثقافية تقوم على إدراك الأفراد الإنتقائى المباشر والغير مباشر لخصائص وسمات موضوع ما (شركة، مؤسسة، فرد، جماعة، مجتمع، نظام) وتكوين إتجاهات عاطفية نحوه سلبية أو ايجابية وما ينتج عن ذلك من توجهات سلوكية في إطار مجتمع معين ، وقد تأخذ هذه المدركات و الإتجاهات والتوجهات شكلاً ثابتاً أو غير ثابت، دقيقا أو غير دقيق.

كما يرى البعض أن الصورة الذهنية هي إستحضار العقل أو التوليد العقلي لما سبق إدراكه بالحواس ، وليس بالضرورة أن يكون ذلك المدرك مرئياً وإنما قد يكون مسموعاً أو مشموماً أو متذوقاً أو ملموساً، وهذا الإستحضار أو التوليد للمدركات الحسية مجال إختلاف بين البشر تبعاً لإختلافهم في أنواع التجارب مع الأشياء الحسية التى مر بها كل منهم.

[18] مقدم دكتور / أحمد الدسوقى. ورقة عمل حول موضوع « الصورة الذهنية لرجل الشرطة لدى الرأي العام المصري » ، وزارة الداخلية أكاديمية مبارك للأمن.

ويعرفها البعض بأنها محصلة محددات تاريخية وثقافية وسياسية و إجتماعية وتلك المحددات بدورها غير منفصلة عن العلاقات الواقعية وإنما هي انعكاس للواقع وهي وسيلة لتغيير الواقع وتطويره.

كما يرى البعض أن الصورة الذهنية مجموعة المعارف والمعتقدات التى يحتفظ بها الفرد وفقاً لنظام معين عن ذاته، وعن العالم الذي يعيش فيه في الماضي والحاضر والمستقبل.

ويرى رأى آخر أن الصورة الذهنية هي محصلة عدة تجارب حسية ، تترسب في وجدان الجماهير فجأة تجاه أي كيان له إتصال بهذه الجماهير سواء كان فرداً أو منظمة وخلال فترة زمنية طويلة ، وهي تعبير عن الواقع سواء كان صحيحاً أو غير صحيح ، وتظهر كلما إستدعاها مثير ما يرتبط بهذه التجارب.

كما اختلف مفهوم المصطلح من علم إلى آخر، ففي علم النفس نوقشت الصورة في ضوء علاقتها بالإحساس[19] . و عرف قاموس علم النفس الصورة الذهنية «بأنها الصورة المتكونة من عدد من التجارب الحسية للموضوع نفسه»[20] . وعدّت الصورة ضمن هذا المجال المعرفي إحدى أدوات التفكير الثلاث الصور، الرموز، المفاهيم كما عدت الأساس في كل النشاطات العقلية والمعرفية العليا إذ أنها تمكن الإنسان ليس فقط من أن يستدعي ما هو غير موجود، و إنما وهذه نقطة مهمة، أن يحتفظ بالتنظيم الفاعل للشيء غير الموجود[21].

وفي نظرية الجشطلت وهي النظرية المسماة بالنظرية الصورية. تطلق لفظة صورة على البنية والتركيب والتنظيم[22].

---

[19] يشير الخولي صاحب الموسوعة المختصرة في علم النفس والطب النفسي الى ان كلمة image هي في اصلها Mental image أي الصورة الذهنية او العقلية ولكنها عادة ما تختزل بكلمة واحدة وهي image

[20] ريا قحطان الحمداني: صورة الولايات المتحدة الاميركية في الصحافة العراقية ، رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة بغداد. كلية الاداب 2001. ص 25.

[21] خلدون وليد خليل فهمي:« المميز الدلالي وعلاقته بالنمطية والتصور » ، رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة بغداد. كلية الاداب 2002. ص18.

[22] جميل صيلبيا، ص 75

وعّرف معجم العلوم السلوكية [23] مصطلح (Image) بأنها صورة كاذبة وتقييم مضخم يقدمه المرء لنفسه ينحدر عما يجب على المرء آن يكون بدلاً مما هو في الواقع وتؤكد التعريفات التى أوردتها المعاجم النفسية لمفهوم الصورة على الجانب غير الموضوعي وغير الواقعي. فقد ورد مفهوم الصورة الاجتماعية (Social Image) في ذخيرة علوم النفس لتشير إلى انطباعات وجدانية تمثل آراء واعتقادات وتحاملات مبلورة يجري تخيل صورها بعمق في الفرد وفي المجتمع، ولكن لا مقابل موضوعي لها يمكن إثباته في الواقع، فليس لهذه الانطباعات أية علاقة مباشرة بالموضوع أو الموقف الذي أُسقطت عليه[24]. وقد أكد يونغ هذه القضية عندما ميز بين الواقع وبين صورته في أذهاننا مشيراً إلى الانفصال الكبير ما بين الوعي بالواقع وبين الواقع بما هو موجود فعلاً وان الواقع ليس سوى صور تمت معالجتها بعناية و أننا نعيش في عالم من الصور لا غير.

وفي الاقتصاد وظف مفهوم الصورة الذهنية ليشمل جميع المعتقدات و الأفكار والانطباعات التى يحملها الشخص تجاه مؤسسة معينة، وهذا المفهوم يقترب كثيراً من المفهوم الذي تبلور عن دراسات الصورة في حقل العلاقات العامة والدراسات الإعلامية[25].

ويستخدم مفهوم الصورة في الأدب على نحو مختلف تماماً عن استخداماته في الحقول المعرفية الأخرى بعيداً عن معنى الهيئة والشكل وتغيب عنه فكرة المعتقدات والانطباعات لتطلق على كل ما في اللغة من استعارة ورمز وتعبير ملموس. ويشير معنى الصورة في الأدب إلى :

1. الدلالات الرمزية للنص و هنا يكون التصوير معادلاً للتعبير المجازي.

2. الصورة في الأدب بوصفها أنماطاً تجسد رؤية رمزية أو حقيقية أو حدسية.

3. رسم قوامه الكلمات.

---

[23] Dictionary of Behavioral Science, by Bwnjamin B. Wolman in y: Van Nostrand Reinhold Co, 19973 , S.V. (Idealized Iamge).

[24] كمال دسوقي : « ذخيرة علوم النفس » ، القاهرة : الدار الدولية للنشر والتوزيع 1988. ص 684.

[25] (نقلاً عن: ريا قحطان: ص 25.)

4. إبداع خالص للذهن ولا تنتج عن مجرد المقارنة أو التشبيه أنما هي نتاج التقريب بين واقعتين متباعدتين[26]. فالصورة في هذه الحالة تفيد باستدعاء وتحسس ما هو عميق وما لا يمكن الإفصاح عنه بطريقة مباشرة وبهذه الطريقة تجعل حالات النفس محسوسة بصورة مباشرة أو حدسية .

في مجال علم الاجتماع ورد مفهوم الصورة الشعبية أو الصورة العامة (Public Image) ليشير إلى الصورة التى يحملها مجموعة من الأفراد في الوقت نفسه. خاصية العمومية ومصادر تشكيل الصورة التى تقع خارج إطار الفرد وفي إطار ما هو اجتماعي هي ما يجعل المفهوم يقع ضمن اهتمامات الدراسات الاجتماعية تحديداً

ويقربنا هذا التعريف للصورة الشعبية من مفهوم الصورة الاجتماعية الـ (Social Image) التى تعنى في ابسط معانيها الصورة التى يشترك في حملها عدد كبير من الناس ينتمون إلى جماعة أو كيانات اجتماعية واحدة[27].

وتنشأ الصورة الشعبية بحسب بولدنغ عما أسماه بالكون الخطابي (Discours) الذي يعنى عملية المشاركة بالرسائل و الخبرات. أما مصدر هذه الرسائل التى تبنى الصورة الشعبية فهو الطبيعة والناس الآخرين. وهذا لا يعنى أنّ كل الأفراد في مجموعة اجتماعية يستلمون الرسائل نفسها بالضرورة إذ أن كل واحد منهم يدرك الوضع من موقعه إلا أن الصورة التى تتكون في ذهن كل منهم تكون متشابهة إلى حد ما. ويضيف بولدنغ إلى وجود نقاط تشابه في صور الأفراد المختلفين في المجموعة يدفع سلوك المجموعة باتجاه تعزيز نقاط التشابه وتقويتها[28]. و يمثل الكلام مصدراً آخر من مصادر الرسائل التى تشكل الصورة الشعبية فالرموز أو الصور الرمزية التى تتوارد من خلال الكلام تؤدي دوراً مهماً في بناء الصورة الشعبية.

---

[26] نهلة بنيان محمد النداوي :«الصورة التخييلية في التراث البلاغي والنقدي» ، رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة بغداد : كلية الاداب 1998 . ص 8ـ9.

[27] Ibid .Boulding p. 132

[28] نقلاً عن: صفاء صنكور جبارة :« صورة بريطانيا في الصحافة العراقية 1945ـ1958» ، رسالة دكتوراه غير منشورة. جامعة بغداد. كلية الاداب 2001. ص 112.

و أدى اندلاع الحرب العالمية الأولى إلى اتساع ونمو عدد من الدراسات التى حاولت أن تكشف عما عّرف بالصورة القومية (National Image) وهي الصور التى تكونها الجماعات عن الجماعات الأخرى. ويعرفها سكوت بأنها الصورة التى تتألف من مجمل السمات التى يدركها المرء ويتخيلها عندما يتأمل (يفكر) في هذه الأمة[29].

وعرفها جان ميرل بأنها منظومة من الانطباعات و الأفكار والآراء و الاتجاهات التى تكّون تمثيلاً عاماً أو سائداً فهي عبارة عن وصف موجز أو تصور موحد لشعب دولة ما أو حكومته وفي المرحلة نفسها نشطت الدراسات الخاصة بالصورة النمطية (Stereotype) و هو المفهوم الذي يتداخل إلى حد كبير مع مفهوم الصورة (Image) إلى الحد الذي عالجه بعض الباحثين بوصفه رديفاً أو بديلاً لـ (Image)

وشهدت العقود الأخيرة انتشاراً واسعاً لمفهوم الصورة الذهنية في إطار دراسات العلوم الإنسانية وعلى نحو خاص الدراسات المتعلقة بالاتصال وكان لهذا النمو ارتباط كبير بالأهمية التى كشفت عنها الدراسات حول الدور الذي تؤديه الصورة في صياغة وتوجيه شكل العلاقة ما بين الأمم والشعوب وبين الجماعات الفرعية المتنوعة داخل المجتمع الواحد. ونتج عن هذا الاستخدام أن تبلور المفهوم واستقر بصيغة متداولة ليشير وكما عرفه قاموس ويبستر في طبعته الثالثة إلى مفهوم عقلي شائع بين الأفراد أو جماعة معينة يشير إلى اتجاه هذه الجماعة نحو شخص معين أو نظام أو طبقة بعينها أو جنس بعينه. أو فلسفة سياسية أو قومية أو أي شيء آخر. وفي تعريف اكثر تفصيلاً قدمه علي عجوة[30] تعنى الصورة الذهنية استحضار العقل أو التوليد العقلي La reproduction) (mentale لما سبق إدراكه بالحواس وليس بالضرورة أن يكون ذلك المدرك مرئياً و إنما قد يكون مسموعاً أو ملموساً، هذا

[29] عبد القادر طاش: « الصورة النمطية للاسلام والعرب في مرآة الاعلام الغربي » (الرياض : شركة الدائرة للاعلام 1989) ص 14. اذ يستخدم عبد القادر طاش في كتابه الصورة النمطية للاسلام والعرب في مرآة الاعلام الغربي مفهوم الصورة الذهنية بديلاً أو رديفاً للصورة النمطية ويؤكد ان الكلمتين تشتركان في دلالتهما غير ان الصورة الذهنية تعنى مطلق الصورة عن الحياة و الاشخاص وهي أعم من كلمة Stereotype كما انها لا تتميز بالثبات والجمود كما هو الحال فيما يخص الثانية [ينظر:عبد القادر طاش ، ص13ـ 14]

[30] نقلاً عن علي عجوة : العلاقات العامة والصورة الذهنية ص 4.

الاستحضار أو التوليد للمدركات الحسية يبقى مجال اختلاف بين البشر تبعاً لاختلافهم في أنواع التجارب مع الأشياء الحسية التى مروا بها.

ومن تعريفات الصورة الذهنية وترحيلات المفهوم عبر الحقول المعرفية المختلفة يمكن استخلاص الملامح الاتية:

1. أن الصورة هي محتويات عقلية أو حالات عقلية تدخل في إطار البنى المعرفية للفرد ومن ثم فأن أية دراسة للصورة لابد من أن تقع ضمن حقل الدراسات المعرفية.
2. على الرغم من أن الصورة خاصية فردية تخص الحالة العقلية للفرد إلا أنها يمكن أن تمثل ظاهرة اجتماعية من وجهة نظر حامل الصورة إذا كانوا جماعة تشترك في صورة واحدة أو المحمول الجماعات التى صورت كما أن مصادرها اجتماعية من خلال الناس الآخرين أو الخبرات والتفاعل أو حتى اللغة وتنتقل عبر عملية التنشئة الاجتماعية وهو ما يبرر دراستها في مجال علم الاجتماع بالذات.
3. أي صورة يمكن أن تبدأ في عقول بعض الأفراد ثم تصبح عامة (Public)عندما تنتقل بين الأفراد ويشتركون فيها وترتبط بهذه النقطة خاصية أخرى تعطي للصورة أهميتها وتأثيرها وهي اعتقادنا بأن الآخرين يشتركون معنا في الصورة نفسها عن العالم و عن الآخرين وهذا الاعتقاد هو جزء من صورتنا للعالم .
4. هنالك بعض الاستخدامات التى قربت كلمة (Image) من مفهوم الاتجاه والمواقف مثل صورة العرب عند الإنكليز وهذا يعنى أنها تشترك في المكونات الثلاث التى تؤلف مفهوم الاتجاه وهي المكونات المعرفية أي السمات المعرفية و الإدراكية التى يُفهم بوساطتها الشيء بطريقة عقلية، والثاني المكون التأثيري أو الانفعالي العاطفي المتمثل بالتفضيل وعدم التفضيل، والثالث المكون الحركي السلوكي الذي يضم مجموعة الاستجابات الحركية العملية التى يعتقدها المرء ملائمة إزاء الشيء في ضوء صفات الشيء المدركة مسبقاً. غير أن بعض الباحثين[31]. يعد الصورة المكون المعرفي للاتجاه، أي أنها الإدراك العقلي للشيء ومن ثم فان الصورة تمثل جزءاً من الاتجاه وليس رديفاً له.

[31] معتز سيد عبدالله : « الاتجاهات التعصبية »، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1989، ص58.

5. هنالك دلالات عدة لمفهوم الـ (Image) فقد تعنى نقيض المادة أو الفكرة أو المعرفة و احياناً تعنى البراديم و هنا اشار بولدنغ إلى ان الصورة المستندة الى فتوحات علماء معينين في مرحلة تاريخية على سبيل المثال تمثل براديم او نموذج علمي يشيع بين عالم العلم وينتشر في كافة الحقول المعرفية، أو هي انطباعات وفي اقرب معانيها إلى بحثنا تشير كلمة الصورة وتقترب من مفهوم السمعة فصورة مؤسسة أو شخص هي بالضرورة سمعته.

6. هذه التعددية الدلالية للمفهوم ناتجة بالدرجة الأساس عن شمولية المفردات التى تشكل صورنا أو الأنواع العديدة للصور، فهنالك صورتنا عن العالم وصورة الزمان وصور العلاقات وصور للقيم وصور للأفراد الآخرين الذين نشترك معهم في هذا العالم وفي مجال العلم ايضاً هنالك صور تحكم عالم العلم وفي ضوئها يتم تركيب العلاقات القائمة في الكون موضوع العلم.

7. من الأمور الواضحة بعد مراجعة المصطلح و ترحيلاته خلو المعاجم و القواميس السوسيولوجية من تعريف واضح أو حتى إشارة لمفهوم الـ (Image) على الرغم من أن علم الاجتماع تمت مراجعة عدد من المعاجم و القواميس السوسيولوجيية من مثل معجم علم الاجتماع لدنكن ميشل وموسوعة علم الانسان **لشارلوت سميث** وموسوعة علم الاجتماع للدكتور احسان محمد الحسن. تعامل مع هذا المفهوم على نحو مباشر في الدراسات الاجتماعية و الأنثروبولوجية مثل استخدام الصورة الشعبية (l'image publique) و الصور القومية (L'image nationale) أو الصورة العامة أو بشكل غير مباشر ضمن المعالجات السوسيولوجية لعمليات التمثيل الاجتماعي و التنميط الاجتماعي.

8. يتداخل مفهوم الصور على نحو كبير مع مفهوم الصورة النمطية.

مما سبق يتضح لنا جليا أن ثمة ضبابية وغموض كبيرين في تحديد معنى دقيق لمفهوم الصورة ... فهل هي انطباعات أو اتجاهات أو مدركات أو أفكار أو آراء؟؟.

في حين يرى **هولستى** أن الصورة الذهنية: مجموعه من المعارف والأفكار و المعتقدات التى يكونها الفرد في الماضي و الحاضر و المستقبل ويحتفظ بها و فق نظام معين عن ذاته و العالم الذي يعيش فيه ويقوم الفرد بترتيب هذه المعرف و المعتقدات

و يحتفظ بأهم خصائصها وابرز معالمها لاستحضارها عند الحاجة، كما يتدخل في تكوين هذه الصورة الخبرات السابقة المباشرة وغير المباشرة التي يتعرض لها الفرد .

1.2.3. خصائص وسمات الصورة الذهنية

هنالك العديد من السمات والخصائص المختلفة التي تتسم بها الصورة الذهنية، نذكر من بينها ما يلي :

1. عدم الدقة: ذهب كثير من الباحثين إلى أن الصورة الذهنية لا تتسم بالدقة، ولعل مرجع ذلك أساساً هو أن الصورة الذهنية مجرد إنطباعات لا تصاغ بالضرورة على أساس علمي موضوعي، بل تعد تبسيطاً للواقع، كما أن الصورة الذهنية لا تعبر بالضرورة عن الواقع الكلي، ولكنها تعبر في معظم الأحيان عن جزئية من الواقع الكلي ، لاسيما وأن الأفراد عادة يلجؤون إلى تكوين فكرة شاملة عن الآخرين من خلال معلومات قليلة يحصلون عليها لعدم القدرة على جمع المعلومات الكاملة.

2. المقاومة للتغيير: فالصورة الذهنية تميل إلى الثبات ومقاومة التغيير، وتتعدد العوامل التي تحدد وتؤثر في كم وكيف التغيير المحتمل في الصورة الذهنية، وبعض هذه المتغيرات يتعلق بالصورة ذاتها ، وبعضها الآخر يتعلق بالرسائل الواردة من خلالها.

3. التعميم وتجاهل الفروق الفردية: تقوم الصورة الذهنية على التعميم المبالغ فيه، ونظراً لذلك فالأفراد يفترضون بطريقة آلية أن كل فرد من أفراد الجماعة موضوع الصورة تنطبق عليه صورة الجماعة ككل على الرغم من وجود إختلافات وفروق فردية، والأفراد يستسهلون في إصدار الحكم على الأفراد من خلال تصنيفهم ضمن جماعات أخرى، ويترتب على ذلك أن الفئات والجماعات والمهن المختلفة يُكون عنها الجمهور صور ذهنية تتسم بالتعميم وتتجاهل الفروق والإختلافات التي قد تكون في بعض الأحيان جوهرية وأساسية.

4. تؤدي إلى الإدراك المتحيز: تؤدي الصور الذهنية إلى تكوين إدراكات متحيزة لدى الأفراد، فالصور الذهنية تبنى أساساً على درجة من درجات التعصب، لذا فإنها تؤدي إلى إصدار أحكام متعصبة ومتحيزة، فمن خلال

الصور الذهنية يرى الأفراد جوانب من الحقيقة، ويهملون جوانب أخرى لأنها لا تتمشى مع معتقداتهم، ولا تتسق مع إتجاهاتهم.

5. التنبؤ بالمستقبل: تسهم الصور الذهنية في التنبؤ بالسلوك والتصرفات المستقبلية للجمهور تجاه المواقف والقضايا والأزمات المختلفة، فالصورة الذهنية المنطبعة لدى الأفراد بإعتبارها إنطباعات واتجاهات لدى الأفراد حول الموضوعات والقضايا والأشخاص يمكن أن تنبئ بالسلوكيات التى قد تصدر عن الجماهير مستقبلاً.

6. تخطى حدود الزمان والمكان: تتسم الصورة الذهنية بتخطيها لحدود الزمان والمكان ، فالفرد لا يقف في تكوينه لصوره الذهنية عند حدود معينة بل يتخطاها ليكون صوراً عن بلده ثم العالم الذي يعيش فيه، بل وتمتد الصور التى يكونها إلى ما وراء المجرة التى يسكنها، وعلى مستوى الزمان، فالإنسان يكون صور ذهنية عن الماضي، ويكون صور ذهنية عن الحاضر، إضافة إلى المستقبل، وبذلك يتضح أن الإنسان يكون صوراً ذهنية عن الأزمنة والأماكن المختلفة، وفقاً لمعارفه ومدركاته ومشاهداته إضافةً إلى قدرته على التخيل و الإستنتاج.

كما يمكن لنا في هذا السياق أن نلمح عدة سمات وخصائص أخرى للصورة الذهنية وذلك على النحو التالي:

1. الصورة عملية ديناميكية متفاعلة تمر بمراحل متعددة تتأثر كل مرحلة بما يسبقها وتؤثر فيما يلحق بها، كما أنها متطورة ومتغيرة وتأخذ أشكالاً عديدة وقوالب مختلفة.

2. الصورة الذهنية عملية معرفية فهي تمر بمراحل العمليات المعرفية من إدراك و فهم و تذكر ، وتخضع للمتغيرات والعوامل التى تخضع لها العمليات المعرفية أو تتأثر بها.

3. الصورة الذهنية عملية نفسية مما يعنى كونها عمليات داخلية لها أبعاد شعورية إلى جانب أبعادها المعرفية.

4. الصورة الذهنية تتكون وتتطور في إطار ثقافي معين أي أنها لا تنشأ في فراغ وإنما تتأثر بكل الظروف المحيطة بها.

2.2.3. الأبعاد النفسية والاجتماعية للصورة الذهنية:

يتميز الإنسان عن غيره من المخلوقات بأنه الكائن الحي الوحيد الذي يستعمل الرموز للدلالة على المعاني، أو للتعبير عن أفكاره وعواطفه، والرموز قد تكون صورة أو كلمة أو إشارة أو نغمة أو راية أو حركة، تصدر عن أي جزء من أجزاء الجسم، أو غير ذلك [32]، فمن أهم أدوات التفاهم بين البشر: اللغة، التى وصفها دوسوسيير (1857- 1913) في الفصل الثالث من كتاب بعنوان (هدف علم اللغة) بقوله: «اللغة نظام من العلامات (Système of Signs) التى تعبر عن الأفكار، ويمكن تشبيه هذا النظام بنظام الكتابة، أو الألفباء المستخدمة عند فاقدي السمع أو النطق، أو الطقوس الرمزية، أو الصيغ المهذبة، أو العلامات العسكرية، أو غيرها من الأنظمة،ولكنه أهمها جميعا»[33] ، ذلك أنها (اللغة) من أوجب الأفاعيل الوجدانية التى بواسطتها يتم وعي الإنسان لذاته كمرحلة أولى، ليتطلع فيما بعد إلى محاولة إدراك الآخر[34]، ويتفق علماء النفس المحدثون على أن الرموز اللغوية هي أرقى أنواع الرموز وأقدرها على نقل المدركات من مجال الغموض اللاشعوري إلى حيز الموضوع الشعوري، واللغة في نظرهم مجموعة الرموز التى تنقل المعاني من إبهام الأحاسيس إلى نور الفكر، وفي رأيهم أن الرموز المصورة، لا يمكن أن تقوم مقام الألفاظ اللغوية، لأنها غامضة وغير محددة، ولا شك أن أدق الرموز في التعبير عن الأفكار هي الكلمات إذا استعملت استعمالا عقليا واعيا ، وربما نتفق مع اللغوي الاثنولوجي ألكسندر بوتينبيا (1835-1891) إذا سلمنا بأن لغة الشعر من أرقى الرموز وأقدرها على استمالة الآخر، حيث اعتبر أن «الشعر تفكير بواسطة الصور» وأنه «لا يوجد فن وبصفة خاصة شعر، بدون صورة» لما تحمله من قدرة على الإيحاء

فداخل المدرسة البنائية في علم النفس، ثم اعتبار الصورة إحدى المكونات الثلاثة الفرعية للوعي أو الشعور، وكان المكونان الآخران هما: الإحساسات والانفعالات (والعواطف)، وكانت تتم معاملة الصور في سياق هذا الاستخدام،

---

[32] علي عجوة، مرجع سابق، ص 22

[33] عبد الله إبراهيم – سعيد الغانمي: « معرفة الآخر » ، المركز الثقافي العربي- بيروت، لبنان، ص 74

[34] نجيب الحصادي: « جدلية الأنا – الآخر » ،الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر، ط1 ، 1996، ص 18

باعتبارها تمثيلا عقليا لخبرة حسية سابقة، ويكون هذا التمثيل بمثابة النسخة الأخرى لهذه الخبرة، وكان يتم اعتبار هذه النسخة أقل حيوية من الخبرة الحسية، ولكنها – أي هذه النسخة- تظل مع ذلك قابلة للتعرف عليها وإدراكها باعتبارها ذاكرة بهذه الخبرة.

هذا المعنى الخاص تم نقله واستخدامه بعد ذلك في مجال علم النفس المعرفي حيث تم النظر إلى الصورة باعتبارها (وبشكل عام)[35]:

1. الصورة الذهنية مجرد صورة حرفية للخبرة الأساسية، فليس هنالك ما يشبه عملية إسقاط شريحة مصورة مصغرة على شاشة من خلال جهاز عرض (Projector)، لكن هذه الصورة تكون من قبيل الصورة التى تبدو كما لو كانت هي الصورة الأصلية (As if picture)، وهذا يعنى أن التفكير، بالصور هو عملية معرفية تنشط كما لو كان المرء يمتلك صورة ذهنية مماثلة للمشهد الخاص الموجود في العالم الواقعي.
2. أن الصورة لم يعد ينظر لها بالضرورة باعتبارها مجرد إعادة إنتاج (Reproduction) لواقعة أو لحادثة مبكرة، ولكن بدلا من ذلك باعتبارها تتضمن عمليات بناء وتركيب، وبهذا المعنى فإن الصورة لم يعد ينظر إليها باعتبارها نسخة مكررة، فمثلا يمكن أن تتصور حيوان «و حيد القرن» وهو يقود دراجة بخارية، وهي صورة لا يمكن أن تكون نسخة لصورة أو خبرة واقعية تمت رؤيتها من قبل.
3. هذه الصورة «التى في الدماغ» يبدو أنها قابلة للتكييف أو للتحكم، ومن ثم يمكن للمرء أن يتصور وحيد القرن – مثلا- وهو يقود دراجته البخارية في اتجاهه أو بعيدا عنه أو حوله... الخ.
4. أن الصورة الذهنية ليست قاصرة بالضرورة على التمثيلات البصرية، رغم أن هذا النوع بالتأكيد هو أكثر شيوعا، فمثلا يمكن أن يقوم المرء بتفصيل أو تنويع معين في صورة سمعية (حاول أن تكون صورة لنغمة معروفة جدا) أو لصورة لمسية (صورة تصميم هندسي معين، مثلث مثلا، وتصور أنه يضغط على ظهرك... الخ، وتوجد لدى أفراد آخرين صورة متعلقة بالتذوق بالفم، أو الشم بالأنف،

[35] شاكر عبد الحميد: مرجع سابق، ص ص 223-225

وبسبب هذا الإطار الممتد فإن هذا الاستخدام يبدو أنه الأكثر مناسبة لنوع الصور التى نناقشها هنا.

5. هذا النمط من الاستخدام يمتد ليشمل مصطلحا آخر شديد الصلة به، حتى من الناحية الإثنولوجية، ألا وهو مصطلح الخيال (Imagination) رغم أن هذه المعاني هي أكثر معاني الصورة شيوعا، وهذا المصطلح (الخيال) الذي هو عملية تنظيم جديد لمجموعة من الخبرات الماضية بحيث تتجمع متسلسلة متماسكة بينها كثير من العلاقات المختلفة التى تؤلف صورا جديدة لم تكن موجودة من قبل، والتخيل على نوعين: تخيل إنشائي (Constructive) و يرمي إلى البناء ومساعدة الفرد على حل مشكلاته الحاضرة أو المستقبلية، والتخيل الهدام (Destructive) ويبعد الإنسان عن عالم الحقائق إلى عالم الأوهام بشكل يؤثر على حياته.[36] و بناء تفكيره.

حري بنا في هذا المقام ذكر الاستعمال الجديد للخيال وتوظيفه في العلاج، وهو ما أكده الدكتور كارل سيمونتون، عندما استخدم «العلاج بالتصور» (Imagery)، وهو علاج قديم تم تحديثه، حيث طبق هذا العلاج على (159) مريضا من المصابين بأمراض صنفت كسرطانات غير قابلة للشفاء، وقيل لأصحابها إنه ليس لديهم غير عام أو نحو عام للحياة برغم العلاج، وكانت النتائج مفاجأة، فحدث أن (40%) من مرضى هذه التجربة ظلوا على قيد الحياة بعد أربع سنوات، من بدئها، و(22%) أظهروا تحسنا ملموسا، و(19%) تراجعت أورامهم منكمشة، وكمحصلة عامة أظهرت الدراسة أن استخدام التصور العلاجي جعل هؤلاء المرضى يعيشون ضعف أقرانهم ممن لم يتلقوا غير العلاج الطبيعي[37].

في تعليقه عن نتائج تجربته الرائدة في أمريكا، قال الدكتور سيمونتون: «إن التصور يمكن أن يقوي الجهاز المناعي، بتخيل صور لكرات دم بيضاء قوية تقهر خلايا السرطان الضعيفة».

لأجل هذا العلاج بالتصور كرس عديد من علماء الغرب جهودهم ومنهم الدكتور: دينيس جيرستون أستاذ الطب النفسي بـ (سان دييجو) الذي ينشر مطبوعة

[36] أحمد زكي بدوي: « معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية » ، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة، 1993، ص73

[37] محمد المخزنجي: « العلاج بالتصور »، مجلة العربي، عدد 508، مارس 2001، الكويت، ص 156

دورية مخصصة لهذا العلاج تحت اسم (أطلنطا القارة المجهولة)، يقول جيرستون: «التصور هو اللغة الأساس داخلنا، فنحن نتفاعل عقليا مع كل شيء، عبر الصور، والصورة ليست فقط بصرية، ولكنها قد تكون رائحة أو ملمسا، أو مذاقا أو صوتا، وهي الأداة التى تتعامل بها عقولنا مع أجسادنا، ويقدر أن الشخص المعتاد تعبر ذهنه قرابة (10) آلاف فكرة في شكل صور يوميا، ونصف هذه الصور على الأقل ذو طابع سلبى، وزيادة الجرعة من الصور السلبية، يمكن أن يغير فيسيولوجية الجسم، باتجاه التدهور الصحي، على شكل صداع، أو إلتهابات مفاصل، أو قرح بالمعدة والجهاز البولي، وحتى أمراض القلب، ويكون العكس صحيحا، أي زيادة جرعة الصورة الإيجابية تعمل كحافز للتعافي»، كما كتب الطبيب السويسري بارا سيلسوز قائلا: «إن قوة التصور يمكن أن تلعب دورا مهما في الطب، يمكن أن تنتج المرض ويمكن أن تعالجه».

هذه الرؤية الحديثة لتأثير التصور العقلي على الجسم هي تاريخيا ذات جذور عميقة – كما أسلفنا- وعتيقة في معظم ثقافات العالم التقليدية، بل في الديانات أيضا. فالأطباء السحرة أو الشمانيون، لدى القبائل الإفريقية، وفي أمريكا الجنوبية، كما هنود النافاجو يشجعون المريض على رؤية نفسه معافى حتى يشفى، وقدماء المصريين واليونان- ومنهم أرسطو طاليس، و أبو قراط، كانوا يعتقدون أن الصور توقظ الروح في المخ، فتنشط القلب، وسائر أعضاء الجسد، كما كانوا يعتقدون أن التصور القومي للمريض يؤدي لظهور أعراضه فعليا [38] لذا ظهر في المجتمعات الحديثة العناية بالجانب النفسي/ الروحي للإنسان وجعله أولى من علاج الأمراض الجسدية، فقد ثبت علميا إذا تعللت النفس تعلل الجسد، والعكس ليس صحيحا دائما.

نخلص هنا إلى نتاجات التصور والمتمثلة في نقطتين [39].

[38] محمد المخزنجي: مرجع سابق، – ص 157

[39] Michel Denis*: Image et Cognition* – presse Universitaire de: France 2ème édition- 1989. Paris. p17

الأولى المواضيع الفعلية (والمادية) ففي هذه الحالة تقضي عملية التصور إلى إنشاء موضوع فعلي (مادي) موضوع جديد يتواجد من الآن فصاعدا في العالم المادي، ويظل متوفرا حتى خارج الظروف الفعلية لاستعماله،

الثانية تتمثل في المنتجات الإدراكية، في هذه الحالة يقضي نشاط التصور إلى حدث نفسي منفرد إلى حقيقة إدراكية عابرة (إنتقالية)، وإذا اقتضى الأمر، فإن هذا الحدث النفسي يمكن أن يعاد فيما بعد، لكنه لا يغير من الحالة الفعلية للعالم المادي الخارج عن الطرد، لذلك يرى جون بياجي أن دراسة الصور بصفتها أشكالا عليا للوسائل التصورية تشير إلى أن تمثل المعطى المحسوس أو المدرك، لا يشكل وحده معرفة، ولن يكون معرفة إلا بالاستفادة من الفهم العملي للتحولات التى تبين هذا المعطى.[40]

ومن زاوية أخرى أصبح الإعلام هو الأداة المشتركة والرئيسية في حياتنا، تعودنا أن نتعرض لوسائله بشكل يومي، ونتعامل معها وكأنها مكون أساسي لا يمكن الاستغناء عنه، فانتشرت وسائل الإعلام في السنوات الأخيرة، انتشارا كبيرا في كل المجتمعات، ومما لا شك فيه أن لكل وسيلة من وسائل الإعلام مقدرة على الإقناع، تختلف باختلاف المهمة الإقناعية للجمهور، كما أن للتلفزيون «اليد الطولى» في حياتنا، تواجدا، وتعرضا وتأثيرا، لأنه كما قال ولبر شرام: «إن له الغلبة على جميع الوسائل، وهو باب سحري إلى عالم الخيال والروعة والإشارة، إنه دعوة كلها إغراء للاسترخاء النفسي وطرح مشاكل الحياة ومتاعبها، حيث يستغرق الإنسان في متعة جميلة مع شخصيات القصة التى تجري حوادثها على الشاشة»[41] وهو ما يؤكد مقدرة هذه الوسيلة – على الأخص- ودورها في تكوين الصور الذهنية وبالتالي خلق الاتجاهات والقيم للأفراد...

إن الفرد يحصل على المعلومات والآراء والمواقف من وسائل الإعلام، وتساعده على تكوين تصور للعالم الذي يحيا فيه، ويعتمد عليها – بالإضافة إلى خبراته –

---

[40] Jean Piaget- Barbel inhelder: *L'image chez l'enfant* . presse universitaire de France. France 1966. p 446-447

[41] مندوب مظفر: «التلفزيون ودوره التربوي في حياة الطفل العراقي» ، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ب ط، 1983، ص11

في التعرف على الواقع المحيط به، ويرى شرام أن حوالي 70% من الصور التي يبنيها الإنسان لعالمه مستمدة من وسائل الإعلام الجماهيرية، حيث تعد احتمالات تأثر الفرد بما يتعرض له من وسائل الإعلام، احتمالات كبيرة، لأن لهذه الوسائل دورا كبيرا في الطريقة التي نبني أو نشيد بمقتضاها تصورنا للعالم، حيث تلعب المعلومات التي تتناقلها وسائل الإعلام، وخاصة تلك التي تتصف بالاستمرارية دورا في تكوين معارف الجمهور وانطباعاته، وتؤدي في النهاية، ربما بعد مناقشتها مع الذات والغير، إلى تشكيل الصور العقلية التي تؤثر في تصرفات الإنسان، وتنسج علاقاتهم بذواتهم وذوات الآخرين، مكونة علائق بينية (الإنسان ومحيطه).

وتعتبر الصورة النمطية من أهم الأساليب التي يلجأ إليها الدعائي، لأن معرفة غالبية الناس بكثير من القضايا تعتمد في الأساس على هذه الصور النمطية، ولذلك تعتبر هذه الصورة المبسطة مهمة في تحريك الناس والتأثير عليهم، فلقد نجحت الدعاية الصهيونية في تكوين صور سلبية عن العربي، حيث رسمته: «أسمر»، «زائغ العينين»، «متآمر»، «جبان»، كما قد قدمت صورة العربي إلى الرأي العام الألماني على النحو التالي: «إن العربي متخلف ورجعي، ولم يكن جنديا جيدا، إنه يهرب إلى الصحراء أما الجيش الإسرائيلي، وهو أيضا ليس على معرفة بالتقنية الحديثة، والتنظيم الحديث، لأنها غربية على نمط تفكيره الشرقي. وهو حالم وخيالي، شغوف بتناول القهوة، وحب النوم، ومقاومته للاحتلال الإسرائيلي لا يستطيع تقديرها، وهو إرهابي، وجبان وغدار... »[42] مما أنتج مشكلة اجتماعية تشترك فيها شعوب بمؤسساتها وبمنظمتها القيمية تعمل على إقصاء الآخر-العربي، بتقزيمه والنيل من إنسانيته.

و باختصار فإن وسائل الإعلام الجماهيرية تلعب دورا رئيسيا في خلق الصور المنطبقة في أذهان جمهورها، فهي النافذة التي تطل من خلالها الجماهير على العالم وعلى الأحداث المحلية والدولية، لأنها الامتداد الطبيعي لأبصارنا وأسماعنا على حد قول مارشال ماكلوهان، حيث تقوم الوسائل هذه بتضخيم هذه الصور بدرجة كبيرة، وبطبعها بقوة في الأذهان إلى درجة أن القارئ أو المستمع أو المشاهد، يشعر في أحيان كثيرة أنه التقى فعلا بالشخصيات التي تناولتها وسائل

[42] تيسير أبو عرجة: « الإعلام العربي » ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، مصر، ط1 ، 1996، ص 118

الإعلام. على الرغم من أنه لم يقابلها قط، ذلك أننا ننشئ علاقات مع هؤلاء الأشخاص، المعنويين كما ننشئ علاقات مع أصدقائنا، فإذا عدنا إلى أهم وسيلة اتصال جماهيرية وأقواها – على حد قول شرام ـ أي التلفزيون بمكانة اجتماعية تدل عليها مؤشرات وحدة التعرض لهذه الوسيلة، حيث وجد أن متوسط استخدامه في اليوم الواحد (6.75) ساعة، ومتوسط مشاهدة الفرد من (3 إلى 5) ساعات في اليوم الواحد وهذا في المجتمع الأوروبي، كما بينت الدراسات أيضا أن النساء يشاهدنه أكثر من الرجال، وأن السود يشاهدونه أكثر من البيض، وكذلك كبار السن جدا، وصغار السن جدا، يشاهدونه أكثر من متوسطي العمر، والأقل تعليما من أصحاب التعليم العالي، كما ينبهر محدودو الثقافة بما يقدمه التلفاز من مسلسلات حتى وإن كانت مملة وتنطبق هذه الظروف على الأوروبيين، والمجتمع الأمريكي، والياباني، والأسترالي كله[43] ، وهذا لا يحتاج تدليلا، بقدر ما يحتاج معرفة، فأول الأسباب التى تقف وراء هذه الظاهرة كون أن إنسان هذا العصر يركن إلى الراحة بسبب الشد العصبى اليومي، لصعوبة العيش وتعقد الحياة....

و يوضح نموذج «الغرس الثقافي» أنه كلما زاد الوقت الذي يقضيه الفرد مع التلفزيون كان من المحتمل أن يبنى الفرد مفاهيم الواقع الاجتماعي. بما يتطابق مع ما يقدمه التلفزيون، عن الحياة والمجتمع، وخاصة ما يتكرر عرضه من خلال التلفزيون، ويهتم نموذج الفرس الثقافي بمجموع النماذج التى يبثها التلفزيون، أي أنه لا يعتمد على مضمون أو تأثير محدد.. وقد وصف غـروس (Gross) و جـربنر (Gerbner) عملية «الغرس الثقافي»: «بأنها عملية تعلم عرضي وغير متعمدة حيث يكتسب مشاهد التلفزيون عن غير وعي الحقائق التى تقدمها الدراما التلفزيونية، والتى تصبح أساسا للقيم، والصور الذهنية عن العالم الحقيقي».

و لم يجزم جـربنـر وزملاؤه في دراستهم لتأثير التلفزيون بأن مشاهدة التلفزيون لها تأثيرات مباشرة، ولكنهم ناقشوا فكرة أن مشاهدة التلفزيون تكون، بناء أو إطارا رمزيا، وفكريا يستخدمونه بدورهم في تفسير الحقائق والأحداث اليومية التى تمر بهم، ولاختيار هذه الظاهرة ابتكروا ما يسمى بتحليل الغرس الثقافي (Culturation

[43] عبد الرحمان العيسوي: « موسوعة ميادين علم النفس »، ج7، دار الراتب الجامعية، لبنان، ط1، 2004، ص9ـ10

(Analyse ويرون أن هذا المدخل أفضل من أشكال التحليل الأخرى، وخاصة الدراسات التجريبية... وفي هذا الإطار الذي يوضحه نموذج الغرس الثقافي نجد أن التعرض الكثيف للأفكار الثقافية التى يعرضها التلفزيون تشكل مفهوم الواقع الاجتماعي لدى المشاهدين، وتساهم الدراما التى يعرضها التلفزيون بدور هام في نقل الصور النمطية، عن الأشخاص والمجتمعات التى تتناولها، ومن هنا فإنها تبنى صورا متراكمة في أذهان المشاهدين، مما يجعل المشاهد يربط بين هذين الصور المقدمة في الدراما والواقع الذي يدور من حوله، وكثيرا ما تكون الدراما التلفزيونية مصدرا هاما لتكوين صورة نمطية عن مجتمع معين لدى المشاهدين في مجتمع آخر [44]، وعلى سبيل المثال- ودائما في مجال العربي منظورا إليه- فقد أشار جالك شاهين إلى الآثار الخطيرة لتشويه صورة «الأنا» في برامج التلفزيون الأمريكية، قائلا: «إننى أعتبر أن هذه الصورة المعادية للعرب في برامج الترفيه التلفزيونية، تسحب نفسها على السياسة الأمريكية، ففي الوقت الذي تعامل فيه الأمة العربية والحضارة العربية باحتقار على يد معظم كتاب هوليوود ومخرجيها، تكون النتيجة أن العديد من الأمريكيين، وممثليهم السياسيين يتشبعون بانطباعات ومشاعر معادية للعرب، مستمدة من التواتر المكثف من التشويه المعتمد في البرامج التلفزيونية»[45] ، فهذه الصورة النمطية عن العربي تأخذ أبعادا أخرى «لتدمير ثقافة الآخر»، وهذا ما أكده عالم الاجتماع جورج بالنديه في كتابه (Pouvoir sur scène) إذ يذهب بعيدا ليؤكد أن ما يهدد الثقافات القومية ليست تلك البرامج الإعلامية التى اصطبغت بالصبغة الأمريكية، بل ما يطلق عليه هذا العالم «التخدير السلبى للحياة السياسية» والذي يتمثل حسبه في «الشر.. الديمقراطي»[46]، الذي يطال الشعوب الضعيفة والمنتمية إلى بلدان ذات إستراتيجية، قد تهدد مصالح الدول العظمى يوما ما.

في الاخير يجدر بنا الاشارة الى إجماع بين معظم الباحثين على أن الصورة الذهنية تشتمل على ثلاثة مكونات أو أبعاد أساسية تتمثل فيما يلي:

[44] عاطف عدلي العبد: مرجع سابق 22

[45] تيسير أبو عرجة: مرجع سابق ص 115

[46] حاتم بن عثمان: « العولمة والثقافة » ، دار النفائس، عمان، الأردن، ب ط، 1999، ص75

1. البعد أو المكون المعرفي : ويقصد بهذا البعد المعلومات التى يدرك من خلالها الفرد موضوعاً أو قضية أو شخصاً ما ، وتعتبر هذه المعلومات هي الأساس الذي تبنى عليه الصورة الذهنية التى يكونها الفرد عن الآخرين وعن الموضوعات والقضايا المختلفة ، وبناء على دقة المعلومات والمعارف التى نحصل عليها عن الآخرين تكون دقة الصور الذهنية التى نكونها عنهم، ووفقاً للبعد المعرفي فإن الأخطاء في الصورة الذهنية المتكونة لدى الأفراد هي أخطاء ناتجة أساساً عن المعلومات والمعارف الخاطئة التى حصل عليها هؤلاء الأفراد.

2. البعد أو المكون الوجداني : يقصد بالبعد الوجداني الميل بالإيجاب أو السلب تجاه موضوع أو قضية أو شخص أو شعب أو دولة ما في إطار مجموعة الصور الذهنية التى يكونها الأفراد ، ويتشكل الجانب الوجداني مع الجانب المعرفي ، ومع مرور الوقت تتلاشى المعلومات والمعارف التى كونها الأفراد وتبقى الجوانب الوجدانية التى تمثل اتجاهات الأفراد نحو الأشخاص والقضايا والموضوعات المختلفة ، ويتدرج البعد الوجداني بين الايجابية والسلبية ،ويؤثر على ذلك مجموعة من العوامل أهمها حدود توافر مصادر المعرفة ، كما يؤثر في بناء البعد الوجداني خصائص الشعوب من حيث اللون والجنس واللغة ، فإختلاف هذه الخصائص من الأمور التى تسهم في بناء الإتجاهات السلبية، والتجانس في هذه الخصائص يسهم في بناء الإتجاهات الإيجابية.

3. البعد أو المكون السلوكي : يعكس سلوك الفرد طبيعة الصورة الذهنية المشكلة لديه في مختلف شئون الحياة ، حيث ترجع أهمية الصورة الذهنية في أحد أبعادها إلى أنها تمكن من التنبؤ بسلوك الأفراد ، فسلوكيات الأفراد يفترض منطقياً أنها تعكس إتجاهاتهم في الحياة.

3.3. الصورة النمطية

يستخدم مفهوم الصورة الذهنية بمعنى (الإدراك) ويعنى التصور العقلي للآخر عند تحديد خصائص وسمات أسرة، جماعة، قبيلة، أو جنسية معينة، و هذه الصورة الذهنية تحكم رأينا عن الآخر و تحكم كذلك سلوكنا تجاه الآخر و تساعد التعددية والاختلافات الاثنية واللغوية في تدعيم هذه الصورة سواء بشكل ايجابي أو سلبى

فتكون صور ذهنية ايجابية أو سلبية. و تستخدم الصور الذهنية تجاه الدول والثقافات الأجنبية كما رسمت في الأدبيات والعقلية الوطنية ويمكن أن يستخدم المفهوم للإشارة للموقف من الذات الثقافية أو من الآخر على المستوى المحلي والتاريخي. و كثيراً ما يستعين الباحثون بمفهوم الصورة الاجتماعية والصورة النمطية للدلالة على قضية واحدة تتعلق بتصور أو انطباع أو اتجاه أو أفكار أو معتقد يشترك فيه مجموعة من الأفراد اتجاه جماعة أو مؤسسة أو فرد آخر إلى الحد الذي يتداخل فيه المفهومان أو يستعمل احدهما رديفاً للآخر.

نحاول في هذا العنصر معالجة مفهوم الصورة الذهنية و علاقته بمفهوم الصورة النمطية على افتراض أن العلاقة التى تربط ما بين المفهومين هي علاقة الجزء بالكل. بمعنى أن كل صورة نمطية هي صورة (Image) بالضرورة ولكن ليس كل صورة هي نمطية.

المصطلح في اللغة العربية:

في اللغة العربية و ابتداءً تتعدد المصطلحات الدالة على الصورة بسبب تعدد المجالات البحثية التى استخدم فيها المفهوم، يرى البعض انه من الأفضل استخدام مفهوم التصور بدلاً من الصورة لأن الصورة شيء ساكن وكيان جامد ولكن العملية التى اصطلح على تسميتها الصورة هي عملية ديناميكية متغيرة وليست استاتيكية جامدة ولأن التصور لا يكون إلا ذهنياً أو عقلياً[47] .

و هنالك مصطلحان في اللغة الانجليزية يشيران إلى مفهوم الصورة الأول كلي عام وهو(The image) (التصور) وهو المصطلح الأقدم في الاستخدام في العلوم الإنسانية حتى عام 1922.والمصطلح الثاني هو خاص جزئي و هو (The stereotype) أو (Thinking tabloid) وهو مصطلح استعاره الصحفي الأمريكي والتر ليبمان (1922) في كتابه «الرأي العام» من عالم الطباعة لوصف التصورات النمطية أو الثابتة. كما استخدم كل من كـاتـز وبريلي (1933) مصطلح (Stereotyped pictures) للإشارة للتصورات النمطية أو الجامدة وفي دراسة

[47] أيمن منصور ندا، «الصور الذهنية والإعلامية :عوامل التشكيل واستراتيجيات التغيير،كيف يرانا الغرب»، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، 2004، ص ص19ـ21.

بوخانان وكانتريل (1954) استخدم الباحثان مصطلح (Stereotyped image) للإشارة إلى التصورات النمطية أو الجامدة[48].

يعرف مفهوم الصورة النمطية لغوياً على انه شيء مؤكد لنموذج ثابت أو عام يعبر عن صورة ذهنية مسبقة شائعة لدى أعضاء جماعة معينة وتمثل رأى شديد التبسيط أو موقف مسبق أو حكم غير نقدي، و هذه الصور النمطية تعكس أفكار جماعات من الناس تجاه جماعات أخرى مختلفة عن الأولى لذلك فهي صور تفهم من جانب الأفراد الذين يشتركون في نفس الآراء والأفكار وهى قد تكون ايجابية أو سلبية ومع ذلك قد تحتوي على نوع من الاستعلاء تجاه الأفراد الذين توجه إليهم هذه الصورة وتتجاهل خصوصية الأفراد عن طريق تعميم صورة معينة على جماعة من الناس.

و تعرف الصورة النمطية على أنها شيء سلبى أو حكم مسبق فوفقاً لـ والتر ليبمان في كتابه الرأي العام سنة 1922 يمكن تعريف الصور النمطية على أنها تصور ذهنى لدى الفرد يتشكل بالصور التى نراها والتى ينتج عنها صور ذهنية نمطية يصعب تغييرها لذلك يمكن أن يؤثر التعليم على الصور النمطية و كذلك الجهود المبذولة للتعرف على الثقافات والجماعات المختلفة يمكن أيضا أن تساهم في تدعيم صورة نمطية معينة ويلعب العلام في هذا الإطار دوراً كبيراً في تشكيل الصور النمطية لدى الرأي العام ويتم ذلك عن طريق تحيزات الكتاب والمحررين والمنتجين والمقررين والمخرجين لتدعيم أو تحقير هوية معينة في ظل تفسير موقف معين بالرغم من أن معظم الإعلاميين يسعون إلى تحقيق الموضوعية أثناء عرض الأحداث.

وتشير الكثير من التعاريف التى حاولت أن تحدد معنى الصورة النمطية إلى أنها صورة ذهنية إلا أن هذه الصورة تتميز بمجموعة من الخصائص التى تجعلها بشكل أو بآخر تتمايز عن مفهوم الصورة الذهنية (Image). لعل أهمها هو عنصر التبسيط[49]. فالصورة النمطية هي صورة بالغة التبسيط والتعميم، يحملها الناس عن

[48] أيمن منصور ندا، مرجع سابق ،ص ص 22ـ23

[49] عرف حلمي خضر ساري الصورة النمطية بأنها تصور مفرط في التبسيط وتعميم مُبالغ فيه ثابت نسبياً ومليء بأحكام القيمة يرتبط بالفئة كعلاقة ملاصقة لها ودالة عليها : (يُنظر حلمي خضر ساري ص 761)

جماعتهم أو عن جماعة أخرى. و العنصر الثاني هو عنصر الثبات و التصلب بمعنى عدم قابلية الصورة على التغير.

عرفها عبد القادر طاش بأنها صورة ذهنية ثابتة يشترك في حملها افراد جماعة ما وتمثل رأيا مبسطاً او موقفاً عاطفياً او حكماً غير متفحص.. كما عُرفت بأنها تصور يتصف بالتصلب و التبسيط المفرد لجماعة ما يتم في ضوئه وصف الاشخاص الاخرين الذين ينتمون الى تلك الجماعة وتصنيفهم استناداً الى مجموعة من الخصائص والسمات تُميز تلك الجماعة.

ويُعد عامل الثبات وعدم المرونة من أهم العوامل التى اتفق على تحديدها الباحثون من إذ كونها الحد الفاصل الذي يميز الصورة عن الصورة النمطية. فالصورة مفتوحة، أي أنها تستقبل كل الصور وقابلة للتغير والتوسع باستمرار أما الصورة النمطية فتتسم بالثبات والجمود النسبى وترفض استقبال الرسائل التى لا تتفق معها. على الرغم من أن بولدنغ تجاوز هذا الفرق وعدّ الثبات النسبى من خصائص الصورة. إلا أن سكوت قد أكد بأن كون الصور نمطية أو غير نمطية يعتمد على تركيبتها وفيما إذا كانت مفتوحة أو مغلقة[50]. (ولو ان تحديد هذا العمل على المستوى العملي ليس بالأمر السهل).

أضاف ابراهيم الداقوقي في كتابه صورة الأتراك لدى العرب بأن اعتماد الصورة الذهنية على الخيال وتقبلها على التحوير وقابليتها على التغير هو ما يجعلها اقل جموداً من الصور المقولبة[51]. ومن الأمور الأخرى التى تميز الـ (Stereotype) عن الـ (Image) هو أن الأولى تقوم على أحكام مسبقة و افكار مدركة سلفاً في تعريف اخر لالبورت وتاكفيل عدّا فيه الصورة النمطية هي تلك الاحكام المسبقة التى تطلق على جماعة ما او فئة محددة.

كما عرفها اولفر ستاليري بأنها صورة ذهنية مفرطة في التبسيط يشترك في حملها عدد كبير من الناس حول فئة من الاشخاص او مؤسسة او حدث، يُنظر (ارادة زيدان راهي، ص 35) وعرفها اولبرت بأنها تبسيط مبالغ فيه للخبرات الناتجة عن الاتجاه يُنظر (بشرى عناد مبارك) : ص 68

[50] ارادة زيدان راهي: « الصورة النمطية صورة العرب في مجلة التايم 1973 ـ 1996»، دار الكتب بغداد، ص 17

[51] ابراهيم الداقوقي: « صورة العرب لدى الاتراك » ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1996 ، ص67

وعرفتها موسوعة علم الانسان بأنها صورة عن شخص او جماعة لا تقوم على الملاحظة او الخبرة وانما تنهض على افكار مدركة سلفاً ويتم تحليل هذه الانماط الجامدة في القالب جزءاً من الجانب الرمزي للعلاقات الاجتماعية[52]

في حين أن الصورة الذهنية، وكما يرى بعض الدارسين تعتمد على الإدراك العقلي للواقع وتُبنى على حقائق موضوعية وقد اختلف روبنسون و بارلو حول هذه النقطة إذ يرى أن كلمة (Image) تشبه إلى حد كبير الـ (Stéréotype) فالاثنتان ترتبطان بالتحيز و الأحكام المسبقة (Préjudice) أو التسرع بالحكم قبل توفر الأدلة[53]. ولذلك فهما لا يجدان فرقاً بين المفهومين.

ويرى فريق من الباحثين أن الصورة النمطية تختلف عن الصورة الذهنية من إذ أن الأولى تنطوي على أحكام قيمية وتكون مشحونة بالمشاعر الذاتية والعواطف الشخصية على عكس الصورة التى لا تتضمن بالضرورة مثل هذه الأحكام.

1.3.3. الصورة النمطية والتنميط:

لا توجد ترجمة عربية واحدة تقابل لـ (Stéréotype) لكن تستخدم الصورة النمطية لوردها بهذا الشكل عند أوائل من كتب في هذا الموضوع كإدمون غريب ، هشام شرابي، إدوارد سعيد ، مخائيل سليمان وغيرهم .

و يرجع استخدام الـ (Stéréotype) إلى عالم الطباعة، إذ تعنى الصفيحة المعدنية المطبوعة التى تصب في قالب أو آلة سباكة طباعية. ويتم استخدام القالب في إنتاج السطور المطبوعة التى يمكن استخدامها آلاف المرات من دون الحاجة إلى إعادتها[54] .

ويعتبر الصحفي الأمريكي والتر ليبمان أول من استخدم هذا المصطلح بوصفه مفهوم يراد به القول أن الشعور الوحيد الذي يحمله أي شخص حول حدث لم

[52] موسوعة علم الانسان: ص 717

[53] نقلاً عن علي عجوة: « العلاقات العامة والصورة الذهنية » ، ص 6

[54] John Harding , *stereotype in International Encyclopedia of the Social Sciences*,Vol.4,New York: Macmillian company & the Free Press, 1968,p.259

يجربه هو شعور نابع من تصوره الذهن للحدث وأن ما يقوم به لا يعتمد على معرفة معينة أو مباشرة بل على صورة صنعها أو أعطيت له. [55]

يعرف الباحث غردون اليوت[56] الصورة النمطية بأنها « اعتقاد مبالغ فيه يرتبط بفئة ، وظيفته تبرير السلوك إزاء تلك الفئة »

ويعرفها بعض الباحثون بأنها «رأي ثابت ذو طبيعة تقيمية وتعميمية ، يشير إلى فئة من الناس سكان محليين أو عنصر أو جماعة معينة .. الخ) الذين يجدهم متشابهين ضمن اعتبار معين[57]»

والفرق بين التنميط والتصنيف يرتكز أساساً على خلو التصنيف من حكم القيمة، فعندما نقول ألمان أو سودانيين فهذا تصنيف، لكن بمجرد الانتقال إلى الأحكام القيمية نكون قد انتقلنا إلى التنميط كالقول بان الألمان أذكياء أو السودانيين كسالى ...

ويسهم كل من التصنيف (Catégorisation) و العزو (Attribution) بشكل كبير في رسم الصورة النمطية أو عملية التنميط، لحد أن بعض الباحثين يرون فيه شكل من أشكال السلوك التصنيفي، حيث تستخدم سمة أو صفات مفردة لاستنباط مجموعة من التوقعات أو الصفات المعزوة، التى تكون بسيطة جداً إلى درجة يصعب معها وصف المجموعة المعينة بدقة، و في ذات الوقت فهي معممة بصورة واسعة على الأفراد حد الافتقار إلى قدر من الصحة كعزو الذكاء إلى الألمان والكسل إلى السودانيين مثلاً . هذا إلى جانب ارتكاز عملية التنميط على التعميم (Généralisation)، كتعميم الذكاء على كل الألمان والكسل على كل السودانيين.

يبدو أن ثمة تقارب بين مفهوم الصورة النمطية والأحكام المسبقة، فالأحكام المسبقة هي مواقف سلبية أو إيجابية تتخذ تجاه شخص أو جماعة ويصعب تصحيحها بسبب

[55] عن عبد الرحمان عزي ، محاضرات في الصورة النمطية لطلبة كلية الإعلام بجامعة الشارقة ، غير منشورة

[56] Gordon W.Allport, *The Nature of Prejudoce*, New York: Doubleday, 1954,p.14

[57] H.C.J Duijker and N.H. Fridje, *National Character and National Stereotype*. Amesterdam: North – Holland Publishing Co., 1961,p.115

الجمود والشحنات الانفعالية حسب تعريف الباحث الألماني أيريل ديفيس [58]، وبذلك تدخل الأحكام المسبقة في نسيج وتكوين الصورة النمطية.

وعرفتها الأستاذة إرادة الجبوري[59] بأنها « حكم قيمة ـ سلبي أو إيجابي ـ بالغ البساطة والتعميم يقترن بفئة من الناس (قومية ، ديانة ، جنس ، جماعة معينة .. الخ (متجاهلاً الفروق الفردية بين أعضاء تلك الفئة ويصعب تغييره في معظم الأحيان»، ويتضح أن تعريف الأستاذة إرادة الجبوري هو دمج وتلخيص لعدة تعريفات استعرضنا بعضها فيما سبق.

يمكن القول على نحو عام بأن الصورة النمطية هي صورة ذهنية، إلا أن الأخيرة تكون اعم واشمل كما أنها ليست بالضرورة جامدة أو مقولبة بل قابلة للتغيير. وان الصورة النمطية تمثل مرحلة لاحقة للصورة الذهنية أو هي صورة ذهنية في أقصى تطرفاتها فالصورة الاجتماعية متى ما تقولبت وجمدت وقادت إلى التعصب تصبح صورة نمطية.

ومع أن الصورة النمطية يمكن أن تكون سلبية أو ايجابية إلا أن التركيز يكون أكثر على الصورة النمطية السلبية وهذا متأتٍ ربما من طبيعة المشكلات التي تخلقها الصورة النمطية السلبية، و المتمثلة بإدامة السلوك المتحيز في المجتمع من خلال التشديد على الاختلاف بين الجماعات والمبالغة في تقديرها وهذا يقود وحسب المنظور الظواهري إلى فك روابط الألفة وتبرير التحيز ضدها أو حتى الاعتداء عليها. كما أن الصور النمطية السلبية تعمل على تحريف الواقع وتشويهه وقد وجد هاملتون أن الصور النمطية تؤدي إلى تحريف سلوك الأفراد الآخرين الذين يجسدون موضوع الصورة وتعليلها على نحو يتسق معها ويساعد على إثبات صحتها

كما أكد برونر و تاغويري أن إدراكنا للآخرين لا يقوم على معرفة بحقيقتهم في الواقع و إنما يقوم على توقعات عامة نشكلها حولهم وقد ابتكرا مفهوم النظرية الضمنية في الشخصية (Théorie de l'Implicite Personnalité) لوصف عمليات الاستنتاج

[58] نقلاً عن محمد قيراط ، محاضرات في الصورة النمطية لطلبة كلية الإعلام بجامعة الشارقة ، غير منشورة

[59] السيد ياسين : « الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر » ، بيروت ، دار التنوير ، 1981، ص 41

اللاشعورية التى تمكننا من تشكيل انطباعات عن الآخرين بناءً على أدلة محدودة بشأنهم.

ولعل اخطر ما تقود إليه الصورة النمطية هو أنها تخلق واقعاً خاصاً بها يؤدي إلى توجيه عملية التفاعل بطريقة تدفع الشخص المصور ليسلك بطريقة تعزز الصورة النمطية السائدة عنها.

المصطلح الأقرب إلى دراستنا هذه، هي المفاهيم التى جاء بها كل من روبينسون وبارلو، إذ يريان أن كلمة (Image) تشبه إلى حد كبير كلمة (Stéréotype) «النمط الجامد» وأنها ترتبط مثلها «بالتحيز» (Préjudice) تلك الكلمة التى تعنى في أصلها اللاتينى «الحكم المسبق» (Préjugé) أو التسرع في الحكم قبل توافر الأدلة[60] ، كما يعتبر هاملتون أن «الصورة النمطية المقولية هي نظام العقائد الراسخة في أذهان الأفراد»، في حين يعتقد هاسلام أن «في العديد من الإصطلاحات الأساسية يمكن تعريف الأنماط الصورية المقولية كمجموعة من العقائد حول أخلاقيات مجموعة من الناس تحاول مجموعة أخرى نبذها من حياتها ووجودها بشكل واضح»، ومن هنا فإن كوندور يرى في الصور النمطية المقولية «نوعا من التمييز العنصري الذي تمارسه الأكثرية ضد الأقلية، لأن تلك الصورة هي الهوية الاجتماعية لتلك الأقلية»، ولهذا يعتقد تاجفيل بأن الصور النمطية ا «تتحول إلى مشكلة اجتماعية عندما تتشارك مجموعة من الناس في الإيمان بها ضمن التكوين الاجتماعي لتلك المجموعة، وبذلك تتحول تلك المشاركة إلى نوع من العزل الاجتماعي للمجموعة الأخرى»[61]، ولهذا على مستوى «الأنا»

[60] -التشيؤ: التشيؤ réification مفهوم ماركسي، مهم في الاعتبارات الانثربولوجية و التى تطورت في كتاب رأس المال في شكل مصطلح ـصنمية السلعـ و التشيؤ هو: تصور الظواهر الإنسانية كما لو كانت أشياء، أي تصورها في صورة مصطلحات غير إنسانية، أو تصورها، من الممكن، في صورة مصطلحات فوق إنسانية. أن التشيؤ يتضمن قدرة الإنسان على نسيان أنه صانع أو مؤلف العالم الإنساني. و يتضمن فضلاً عن ذلك فقدان الوعي بالجدلية بين الإنسان, أي المنتج, و بين ما ينتج. فالعالم المشيء هو بالتحديد عالم أزيلت عنه الصبغة الإنسانية

[61] فبعد أن أخرج علم الاجتماع الغربي مفهوم التشيؤ reification والذي صاغه المفكر الهنغاري جورج لوكاتش من سياقه الاقتصادي إلى النطاق الاجتماعي (الانثروبولوجي) كمفهوم قادر على الحكم على طبيعة العلاقات الإنسانية، بات من الشائع في الأدبيات الاجتماعية الغربية النظر إلى طبيعة هذه العلاقات على أنها مجرد صورة مجسدة لحركة السلع المادية في الأسواق، وبالتالي تم اختزال منظومة الحراك الاجتماعي التى كانت تشكل في الماضي ـ بدءا من محاولة سقراط وأفلاطون لفهم الإنسان

الشرقي عبر مر العصور عرف الإقصاء والتهميش لفئة دون سواها وربما من الخلية الأولى للفرد، وجماعته المرجعية... وصولا إلى أرقى المنازل الاجتماعية، لذا أطلق اسم «الاستبداد الشرقي».

2.3.3. تاريخ مفهوم الصورة النمطية وتطوره:

دخل مفهوم الصور النمطية لحقل العلوم السياسية بعد الحرب العالمية الثانية ضمن الاهتمام بما يسمى بالشخصية القومية فظهر مفهوم الصورة النمطية القومية وهي «السمات الشائعة الثابتة التى تسري على شعب ما من جانب شعب آخر والتى تأخذ شكل العقيدة العامة الجماعية والتى تصاغ على أساس غير علمي أو موضوعي تأثراً بأفكار متعصبة تتسم بالتبسيط في تصورها للآخر».

وتطور المفهوم في الوقت الحاضر وأصبح يطلق ليصف تصور الغرب تجاه العرب والمسلمين وخاصةً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 في الولايات المتحدة الأمريكية ويطلق كذلك للتعبير عن تصور العرب والمسلمين تجاه الغرب في ظل تقسيم العالم إلى شرق وغرب أو إلى عدد من الحضارات وفقاً لصمويل هنتنجتون.

و في ظل العولمة ظهر مفهوم التشيؤ على انه تصور الظواهر الإنسانية كما لو كانت أشياء أي تصورها في صورة مصطلحات غير إنسانية أو فوق إنسانية فالعالم المشيئ هو عالم أزيلت عنه الصبغة الإنسانية ففي ظل العولمة يتحول كل شئ إلى سلعة قابلة للبيع والشراء وفق مبدأ المنفعة حتى إذا كانت الهوية!

وانتهاء بأعمال مفكري عصر النهضة- ضربا من التوق نحو سيادة الإنسان على الطبيعة، إلى ذلك التنميط الساذج المنطوي على إسقاط مفاهيم السوق وحركة السلع المادي على كافة تعقيدات الحياة الإنسانية بجانبيها الروحي والجسدي

3.3.3 اتجاهات تعريف مفهوم الصورة النمطية:

1.من الناحية اللغوية: يعنى مصطلح القوالب النمطية الجامدة في اللاتينية الحديثة (Ster-eo-tip) ويقابله في الألمانية لفظ (Stereos) وفي الانجليزية لفظ (Solid type) وكل ذلك يعنى (الأنماط الجامدة).

2. من الناحية التمثيلية التشبيهية: تعرف الصورة على أنها مجرد تصور ذهنى قد يكون حقيقة صادقة أو وهماً باطلاً أو هي مجموعة السمات الحقيقية أو المتخيلة عن ظاهرة ما فهي تعنى «كيفية تصور مجتمع لمجتمع آخر سواء أكان هذا التصور يعبر عن الحقيقة ويعكس الصفات الواقعية للانتماء إلى ذلك المجتمع أو انه يخضع لعملية تشويه متعمدة أو غير متعمدة»

3.من حيث التعريف التوصيفي الظاهري فالصورة النمطية هي «نموذج مبسط لبيئة الفرد تنشأ من تلقي الفرد رسائل عن طريق الاتصال المباشر أو غير المباشر ويتم ذلك داخل إطار اجتماعي ثقافي معين».

4.من حيث التعريف التلقائي التفسيري فالصورة النمطية تعنى «مجموعة معينة من التعميمات التى يتوصل إليها الأفراد من خلال العملية الإدراكية العامة للتصنيف».

5.من حيث التعريف الإجمالي الكلي فالصورة تعنى«نموذج عام شائع وثابت نسبياً للصفات الشخصية والسلوكية الخاصة بجماعة ثقافية أو عرقية أو لشعب من الشعوب».

6. من حيث التعريف التركيبى أو التجميعي:فالصورة تعنى «السمات الشائعة الثابتة التى تأخذ شكل العقيدة العامة الجماعية والتى تصاغ على غير أساس علمي أو موضوعي تأثراً بأفكار متعصبة تتسم بالتبسيط».

ومما سبق يمكن الإشارة للسمات العامة للصورة النمطية[62] و هي كالتالي:

[62] عبد الرحمان الحضيف: « كيف تؤثر وسائل الإعلام؟ » مكتبة العبيكات، السعودية ، ط2 1998 ص 49

1. الجزئية: بمعنى عدم وجود تعريف جامع مانع يجمع خصائص الاتجاهات السابقة.

2. التبسيط: بحيث يميل الباحثون نحو التبسيط الذي يخل أحيانا بطبيعة الظاهرة ويفقدها الكثير من خصائصها.

3. عدم الدقة: بسبب الاعتماد الزائد على اللغة كما أن إجمال خصائص المفهوم قد يجعلنا ننسى بعض الخصائص الجوهرية للصورة ومن ثم تصبح مشوهة وغير دقيقة في حالة النظر إلى الصورة على أنها تعميمات عن أعضاء جماعة معينة فلا يمكن القول بأن كل اليهود عنصريون تجاه العرب.

4. المبالغة في التعميم: بسبب إعطاء صفات مطلقة للصورة مثل«الانطباعات الثابتة» و «تصاغ على غير أساس علمي».

5. التحيز: بمعنى أن هذه التعريفات تميل إلى تبنى توجه معين نحو الصورة وغالباً ما يكون توجهاً سلبياً ويتم الربط بين الصورة وظواهر سلبية في المجتمع كالتعصب والعنف.

6. المقاومة للتغيير: بمعنى مقاومة أية تصورات بديلة لخصائص الصورة أو لسماتها على أنها ثابتة لا تؤثر فيها الأحداث المتغيرة وهذا غير صحيح فعلى سبيل المثال كان لدى الأمريكيين صورة سلبية نحو الألمان واتجاه ايجابي نحو الروس في أثناء الحرب العالمية الثانية واتجاه ايجابي نحو الألمان وسلبى نحو الروس بعد الحرب وهذا دليل على أن الصورة قابلة للتغيير.

4.3.3. الصورة النمطية والتنميط في حقول معرفية متنوعة:

ولدت دراسات الصورة النمطية في الولايات المتحدة الأمريكية وتأثرت بظروف موطنها واهتماماته، فوالتر ليبمان الذي يعد أول من طرح مفهوم الصورة النمطية، كان صحفياً أمريكيا إلا انه اهتم بالفلسفة والسياسة ويعد كتابه الرأي العام الذي حاول فيه الإجابة على الأسئلة التى أثارتها الحرب العالمية الأولى من أشهر مؤلفاته.

كانت الدراسات الاجتماعية من أولى الحقول التى انتقل إليها المفهوم وكانت الدراسات والبحوث الاجتماعية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن المنصرم تنصب بشكل أساسي على الصورة النمطية العرقية[63] (Racial Stereotype) كاستجابة مباشرة للصراعات العرقية والتعصب العرقي الذي كان سائداً في تلك الفترة .

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية دخلت الصورة النمطية إلى مجال البحث الاجتماعي ضمن الاهتمام بدراسة الشعوب الأخرى، كما دخل مفهوم الصورة النمطية إلى حقل العلوم السياسية وخاصةً ما يعرف بدراسات السلوك الدولي (International Behavior) و ذلك ضمن الاهتمام بما يسمى بالشخصية القومية فظهر مفهوم الصورة النمطية القومية التى توصف بأنها «السمات الشائعة الثابتة التى تسري على شعب ما من جانب شعب آخر، والتى تأخذ شكل العقيدة العامة الجماعية والتى تصاغ على أساس غير عملي أو موضوعي، تأثراً بأفكار متعصبة تتسم بالتبسيط في تصورها للآخر[64]»

و في الستينيات شهدت الدراسات حول الصورة النمطية خاصة في مجال الإعلام ازدهاراً كبيراً نتيجة لإقرار الحقوق المدنية ومن ثم تم تنظيم الندوات والمؤتمرات وورش العمل من قبل وسائل الإعلام المختلفة لتقدم نقداً للكيفية التى عكست و روجت بها تلك الوسائل الصور النمطية للزنوج والأقليات الأخرى.

و قد كانت هذه حقبة بمثابة التمهيد لدخول الصورة النمطية إلى ميدان علم الاجتماع الإعلامي من أوسع الأبواب في السبعينيات، وظهرت ما عرف بالصورة النمطية الاجتماعية (Stéréotype Sociale) كمقابل للصورة النمطية الشخصية في علم النفس (Person - Stereotype).

برزت الدراسات الخاصة بالتنميط الجندري (Gender Stereotyping) في الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي، ضمن الاهتمام الكبير بهذا الحقل الجديد، ونتيجة لتعاظم دور المنظمات الدولية العاملة في مجالات التنمية واهتمامها

[63] حيدر البصري: «عوامل السلوك الاجرامي بين الشريعة والقانون»، مجلة النبأ، العدد 52، (http://www.cdhrap.net/text/bohoth/13.htm)

[64] لومبروزو واسمه تشيزاريه (1835 ـ 1909) هو طبيب إيطالي ومؤسس علم الجريمة ، عن موقع (http://m274k.jeeran.com/soal73.html)

بهذه الدراسات التى تساعدها في وضع خططها. بل وامتد انتشار الاهتمام بالصورة النمطية ليصل إلى اللغة والآداب، وظهرت كثير من الدراسات النقدية التى تهتم بدراسة الصورة النمطية في النصوص الأدبية من قصة ورواية، وانتقل هذا الاهتمام إلى المسرح وغيره من الفنون.

نلاحظ من مما سبق أن مفهوم الصورة النمطية تطور منذ عشرينات القرن الماضي إلى يومنا هذا، ودخل إلى حقول معرفية مختلفة كالفلسفة، وعلم النفس، وعلم الأعراق، والسلوك الدولي، وعلم الاجتماع، وعلم النفس الاجتماعي، والإعلام، والإعلام الاجتماعي و الجندر، وعلم اللغة والآداب والفنون.

4.3. خصائص تتعلق بنتائج استخدام الصورة:

1.الصورة تقود الناس إلى تجاهل الاختلافات والفروق الفردية: بسبب المبالغة في التعميم لذلك فان الأفراد يفترضون بشكل تلقائي أن ما ينطبق على الجماعة ككل ينطبق بالضرورة على كل فرد فيها دون الأخذ في الاعتبار فكرة النسبية بين البشر وقد يرجع هذا الأمر لغياب البيانات والمعلومات الكافية عن المجتمعات البشرية مثل الاعتقاد بأن أي ألماني هو بالضرورة أبيض بالمقارنة بأي إفريقي.

2.الصورة تؤدي إلى تكوين ادراكات متحيزة لدى الأفراد: لأن الصورة مبنية على التعصب والأحكام المسبقة فقد تؤدي أحياناً إلى إصدار أحكام متحيزة ومتعصبة فمن خلال الصورة يرى الناس جوانب من الحقيقة و يهملون أخرى لأنها لا تتناسب مع معتقداتهم ومن هنا تصنع الصور النمطية.

3. الصورة تؤدي للتمركز حول السلالة: فهي قد تعنى الإعجاب بجماعة الفرد وتفضيلها على الجماعات الأخرى فكل جماعة ترى في نفسها المركزية دون غيرها من الجماعات الأخرى على أن عادات جماعة معينة صالحة لكافة الجماعات بغض النظر عن فكرة نسبية القيم.

4.الصورة تخلق نبوءة التحقق الذاتي لها:بمعنى أن السمات المنسوبة للجماعة الخارجية تخلق توقعات لسلوكهم وهذه التوقعات لها جانبان سلبيان أولهما أنها تؤثر

على سلوك أفراد الجماعة الداخلية و ثانيهما أنها تؤثر على طريقة إدراك وتفسير تصرفات أفراد الجماعة الخارجية.

5.3. برامج الصـــورة:

إذا سلمنا بأن السلوك البشري ما هو إلا مجموعة التصرفات والتعبيرات الخارجية التى يسعى عن طريقها الفرد لأن يحقق عملية الأقلمة والتوفيق بين مقومات وجوده الباطنى ومقتضيات الإطار الاجتماعي الذي يعيش في داخله[65]، فإن هذا السلوك الظاهري ينبغي التخطيط له لرسم صورة مرغوبة لدى الآخر، ومنه فإن أي محاولة لتخطيط برامج الصورة يستدعي دراية بميكانيزمات هذه العملية واستقراء لسلوك الفرد واتجاهاته، والعوامل التى تحكمها.

فلقد أثبتت الدراسات النفسية والاجتماعية أن تكوين الصور الذهنية من العمليات المعقدة التى تخضع لتفاعل العديد من العوامل النفسية و الاجتماعية، وأثبتت الدراسات العديدة التى أجريت في مجال علوم الإعلام والاتصال أن تأثير الاتصال في تكوين أو تعديل الصور الذهنية لا ينفصل عن الأوضاع النفسية والاجتماعية، على أساس أن الاتصال هو الحاوي العام لكل نشاطات الإنسان ولا يمكن التخلص منه مطلقا حسب مدرسة (Pallo Alto)، فلكي تتم عملية التخطيط والبرمجة هذه، نجد أنفسنا أمام مسألة جوهرية: ما هي أنواع الصور الذهنية؟ وما هي خصائص كل نوع؟

يصنفها جيف كينز (Jef Kins) إلى خمسة أنواع:[66]

1ـ الصورة المرآة: وهي الصورة التى ترى المنشأة نفسها من خلالها، كما أن لكل شخص صورة عن ذاته.

2ـ الصورة الحالية: أي الصورة التى يرى بها الآخرون المؤسسة أو التى يرالك بها الآخرون والتى ترسمها يوميا سلوكاتك.

---

[65] حامد عبد الله ربيع: « مقدمة في العلوم السلوكية » ، دار الفكر العربي، مصر ، ب ط ، 1972 ، ص 56

[66] عاطف عدلي العبد: مرجع سابق، 1993، ص 287

3ـ الصورة المرغوبة: التى تود المنشأة أو أي شخص أن يكونها لنفسه في أذهان الجماهير، فهي إن جاز التعبير سجال بين (الموجود) و(المنشود) فهي تمثل فجوة بين الصورة المرآة والصورة الحالية.

4ـ الصورة المثلى: وهي أمثل صورة يمكن أن تحقق إذا أخذنا في الاعتبار منافسة المنشآت الأخرى وجهودها في التأثير على الجماهير، ويطلق عليها البعض الصورة المتوقعة، وكذلك يحتدم الصراع حولها بين القادة السياسيين للظهور بهذه الصورة.

5ـ الصورة المتعددة: وتحدث عندما يتعرض الأفراد لممثلين مختلفين للمنشأة أو دولة أو أشخاص... يعطي كل واحد منهم انطباعا مختلفا عنهم.

يؤكد في هذا المجال كارل دويتش أن وجود عوامل ومؤثرات يساعد في إحداث تغيير في الصورة القائمة، ويلفت النظر إلى أنها ليست قاصرة على كم المعلومات المتدفقة على الفرد، فهناك من الأحداث ما يستطيع التأثير على الصورة القائمة وتغييرها[67]، وقد ثبت في مجال الإقناع، والتأثير أن عملية الإقناع وخلق صور مرغوبة تحتاج إلى تفاعل جملة من العوامل، من القائم بالاتصال إلى المؤسسة أو مختلف الشخصيات وصولا إلى طبيعة الخدمة أو الأفكار الترويجية أو الدعائية.

6.3. الصحافة والصورة:

إن الصحافة كمؤسسة اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية، تلعب دورا كبيرا في خلق التصورات أو الصور المنطبعة لدى الأفراد والجماعات، بواسطة طرق عدة تمارس بها هذه الوسيلة قوتها التأثيرية والإقناعية في التغيير أو التعزيز أو الاكتساب لأنماط وتصورات يبنيها الأفراد عن بعضهم بعضا، ومادام موضوعنا يعنى بالصحافة (المكتوبة) الجزائرية كوسيلة لخلق وبناء صور للطبقة السياسية، لذا نتناول موضوع الصحافة من خلال العنصرين التاليين:

[67] عبد العزيز شرف: « وسائل الإعلام ومشكلة الثقافة » ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر 1999، ص 241

1.6.3. الصحافة كرسالة – أو الإنشاء الصحافي –:

جدير بالذكر إلى أنه ليس من اليسير الحصول على تحديد عربي لماهية الصحافة – كمدلول ومهنة أو كمفهوم اصطلاحي مادي ـ لأن الصحافة كعلم وفن أمر طارئ على شؤون المهن والكتابة العربية، لذا تعد المراجع الأجنبية أفضل مستند لإلقاء الأضواء على حقيقة هذه الوسيلة الإعلامية الأساسية، يقول بيار ألبرت (Pierre Albert) عن الصحافة[68]: أنها في آن واحد إنتاج صناعي وخلق فكري، ولا تتبين العلة الحقيقية لوحدتها إلا من خلال تحديد الوظائف الاجتماعية التي تؤمن بها كل واحدة، من منشوراتها في مستويات متفاوتة، إنها على الصعيد الفكري إحدى وسائل الاتصال الدورية التي تتخذ الكلمة أساسا، والصورة الجامدة والخط واللون مساعدا في تكوين المرسلة الإعلامية، وهي على الصعيد المادي صناعة، وفن الكتابة والنشر في المطبوعات الدورية.

أما المهمات والأهداف بعيدة المدى فهي الأصعب تحديدا، ذلك لأن لكل مجموعة حضارية أو سياسية كبيرة في العالم، رأيا أساسيا مختلفا عن رأي الأخرى، ولأن الأعضاء الحضارية والسياسية الواحدة قد يختلفون أيضا حول طبيعة مهمتها وأهدافها، أدولف أوخس ناشر جريدة نيويورك تايمز (New York times) يقول في رأي شائع له: الصحافة مهنة مكرسة للصالح العام، ولفضح الألاعيب، والشرور وعدم الكفاءة في الشؤون العامة، مهنة لا تؤثر الروح الحزبية الضيقة في ممارستها، بل تكون عادلة ومنصفة لأصحاب الآراء المعارضة، مهنة شعارها المرشد هو: (ليكن هنالك نور). وإن هذه النظرة الطوباوية لوظيفة الصحافة فندها هذا العصر.

هذا كله يحيلنا إلى دراسة هذه الرسالة أو الإنشاء الصحفي، حيث سنتناولها من خلال: الإنشاء الصحفي (أو القوالب الصحفية التي تصاغ من خلالها) ـ ثم الأساليب الإقناعية التي توظفها، وكل منهما يلعب دورا أساسيا في تثبيت تصوراتنا عن العالم، واتخاذ أنماط من التفكير تتراوح ما بين الأحكام المسبقة، والقوالب الجامدة أو الصور المنطبعة التي قد تبدو غير قابلة للنقاش أو التراجع عنها بدعوى كونها بديهيات الموروث الثقافي للأمة...

[68] محمود سيّد: « الصحافة المشبوهة » ، مركز الحضارة العربية، القاهر، ب ط ـ 2000 ، ص ص 11ـ 12

1.1.6.3. (أ) الإنشاء الصحافي:

الإنشاء الصحافي ككل إنشاء إعلامي، هو تكوين مرسلة لغوية (مقروءة) تتنقل إلى الملتقط (القارئ)، وتؤمن له الاتصال و الإعلام، وفي هذا العصر الذي تطورت فيه أشكال الخلق والابتكار، يصعب وضع فنون التحرير والكتابة الصحفية في قوالب جامدة، محدودة المنطلقات والعناصر والأساليب، إنما لا بد من اختيار بعض الفنون الصحافية هي في أساس فنون الكتابة الأخرى، لتكون نماذج معينة من الإنشاء الصحافي العام. نذكر: الخبر المقال وما يدخل في نطاقه من افتتاحية وزاوية أو عمود أو تعليق سياسي، وحديث وريبورتاج، وكاريكاتير...الخ. ويعتبر الخبر المادة الخام لكل هذه الأجناس الصحفية لتعبر عن مجمل مضامين الرسالة الإعلامية للصحافة، مستهدفة بذلك – أي الأنواع الصحفية- إيصال رسالة محددة للقارئ، لتخاطب بها ذهنه ومشاعره قصد ترسيخ قناعة محددة لديه، وبالتالي دفعه لأن يسلك سلوكا في المجتمع يتوافق مع هذه القناعة.

وعن طريق تكرار الصحيفة لفكرة معينة في أكثر من قالب وأكثر من شكل من أشكال التحرير الصحفي فإن ذلك يؤدي إلى بث هذه الفكرة في عقول الأفراد وجعلهم يتحدثون عنها كأنها أفكارهم، لأن الفرد يقرأ الفكرة في صورة خبر ثم في صورة مقال، ثم صورة حديث، وهذا يؤدي إلى التأثير في أفكار وعقول الأفراد وبث تصور معين لديهم.

لذا فإن الصحافة اليوم تسعى للتنويع في مادتها الصحفية بالاستغلال العلمي لنظرية الأنواع الصحفية، بالتوظيف المنطقي لجنس صحفي دون آخر، تبعا لخصوصيات كل جنس والصحيفة الناجحة تلك التى تعي أهمية التنوع، طبقا لقول حكيم الأدب العربي حين يقول: «إن الصحافة المثالية مائدة يجب أن تكون حافلة بكل أنواع الفيتامينات، يتناول القارئ منها ما يزجي فراغه وينمي إطلاعه ويقوي عضلاته المفكرة» لأن للأنواع الصحفية – كما ذكرنا- ميراث ينفرد بها كل نوع مما يزيد اهتمام القارئ وبالتالي الاهتمام بمحتوى الرسالة الإعلامية.

فالخبر مثلا يحمل عناصر الجدة ومواكبة الأحداث والإثارة، وهي ما يصطلح عليها بالقيم الإخبارية، وتلعب الأخبار أهمية كبرى في الحياة الاجتماعية للأفراد، فهي

الأساس الذي تبنى عليه أحكامهم وتصوراتهم حول العالم الذي يعيشون فيه، وعلى ضوئها يجري تصريف شؤون حياتهم اليومية، وتعمل الأخبار على تكوين ونمو المعرفة وإحداث التغيير من خلال ثلاث عمليات رئيسية:

أ ـ تدعيم قدرة الأفراد على إدراك ما يجري حوله من أحداث، وبدون هذا الإدراك لا يمكن تأسيس صرح المعرفة لديهم، وبالتالي عدم القدرة على المشاركة وإبداء الرأي في هذه الأحداث.

ب ـ توسيع معارف الأفراد حول الأسباب ومسببات ما يجري من أحداث سطحية، وعلاقات الارتباط بينهما، وهنالك يصبح هؤلاء الأفراد واعين ومتهيئين لاتخاذ المواقف وإصدار الأحكام وتشكيل التصورات.

ج ـ تعزيز قدرة الأفراد على فهم وتفسير الأحداث المختلفة والمتنوعة التي يمتلىء بها محيطهم القريب أو البعيد وبهذا الفهم والتفسير تتحسن قدراتهم على التنبؤ بمجرى حركية الأحداث في المجتمعات، على ضوئها.

وتزداد فرص الخبر في الظهور والتأثير على الأفراد وفقا لقيمه الإخبارية، ونعنى بها تلك العناصر التي إذا توفرت في أحد الأخبار كلما زادت فرصته في النشر أو الإذاعة، ونجمل هذه القيم الإخبارية في:

- ✓ **التأثير**: ويعنى أنه كلما اهتمت قطاعات كبيرة من الجمهور بمضمون الخبر كانت فرصته في النشر أكبر.
- ✓ **الشهرة** : وتعنى شخصية معروفة أو مؤسسة مفتوحة على الجمهور، أو دولة ذات وزن خاص، وهنالك قول مأثور في هذا المجال: (الأسماء تصنع الأخبار).
- ✓ **القرب**: ليس القرب الجغرافي فقط، ولكنه يمتد إلى القرب السوسيولوجي أو العاطفي.
- ✓ **الصراع** : أي حوادث تتضمن صراعا بين أشخاص أو مؤسسات، وقد يكون صراعا ماديا، ولكن الأكثر احتمالا أن يكون اختلافا في الآراء، والتاريخ الإنساني عبارة عن صراع بين الأفراد أو الدول أو صراع بينه وبين الطبيعة

✓ الحالية: وهي تختلف عن الجدة، إذ تتعلق بالأحداث التى تكون مجرى حديث الناس (حادثة واترغيت وإستقالة الرئيس الأمريكي نيكسون جراءها، وقضية أوراق البنتاغون).

✓ **الغرابة**: تلك الأحداث التى تخرج عن المألوف، أو عن نطاق الخبرة اليومية للأفراد.

هذا ويجمع المحترفون حول ثلاثة عناصر للقيمة الإخبارية، هي: الحداثة، الصراع، والشهرة، وهي عناصر إثارية لرواج أفكار الصحيفة تجنح بعض الصحف إلى الإثارة وبالتالي تتموقع حول التعريف البدائي والهزلي للخبر الذي قدمه اللورد نور ثكليف الذي نشره عام 1865 حيث يقول: «إن الخبر هو الإثارة والخروج عن المألوف، فعندما يعض الكلب رجلا، فليس هذا بخبر... ولكن عندما يعض الرجل كلبا... فهذا هو الخبر... » أو ما صار يعرف بالصحافة الكلبية.

نعلم يقينا أن لكل نوع من الأنواع الصحفية ميزاتها الخاصة والمنفردة على غرار الخبر، ولكن هذه الأجناس تأتي بعد الخبر من حيث الأهمية ولفت الانتباه، لذا لن نفصل فيها وفي مزاياها، لنسلط الضوء على نوع تعبيري صحفي بدأ يأخذ مكانته في الصحافة اليوم، والصحافة الجزائرية كنموذج. فالقارئ أحيانا يقتنى الجريدة فقط من أجل هذا النوع، وربما لا يقرأ مادة غيره، وهو:

ـ الكاريكاتير انتشرت صحافة الرسم الكاريكاتوي بفضل الرسام الشهير ريتشارد بلاتون الملقب «بأبي الرسم الكاريكاتوري المتحرر»، عندما ابتدع أول شخصية كارتونية في الصحافة الأمريكية هي (الولد الأصفر)، فأطلق بسببه لقب الصحافة الصفراء على هذا النوع من الصحف، لكن ما يهمنا هنا هو ميزات هذا النوع من الصور، وأسباب الرواج التى يحظى بها.

والكاريكاتير هو كلمة معربة عن أصل إيطالي تطلق على صورة مرسومة لشخص أو مجموعة من الأشخاص، أو مشهد من المشاهد، أو مثالب ونقائص وأخلاق وعادات وغيرها من الأعراض السيئة التى تشيع في مجتمع من المجتمعات، والدافع الأساسي لذلك قد يكون هجوما للأعداء للنيل منهم وتحطيم معنوياتهم وللنقد الاجتماعي، حيث يعتبر ذلك أقوى سلاح اجتماعي تحافظ به الجماعة على كيانها

ومقوماتها المختلفة فهذه الكلمة إذن تعنى التشويه وإبراز الأخطاء الأساسية في الشيء أو الشخص المرسوم، وهنا يضيف **كلودلوي** بقوله: «هذا التشويه ليس لمجرد المزاج، ولكن هدفه الحقيقي هو تشويه صورة للحصول على الصورة الحقيقية، أو الأصلية».

والصورة الكاريكاتورية القلمية منذ القديم تتألف من العناصر الآتية:

- ✓ عنصر التجسيم للعيوب أو المسخ لصورة الشخص الذي هو موضوع الكاريكاتير.
- ✓ عنصر التوليد للمعاني واستطراد الأفكار، فكل معنى منها يذكر بالآخر، وكل فكرة منها توحي بأخرى، وهكذا حتى يستنفد الكاتب كل هذه المعاني والأفكار ما استطاع.
- ✓ عنصر النكتة التى ترد على ذهن الكاتب أثناء الكتابة.
- ✓ عنصر التشبيه أو التمثيل، وهو العنصر الذي يستوحي فيه الكاتب خياله ويستعين به على عملية المسخ.

ويعتبر الكاريكاتير السياسي مصدرا يمكن الاعتماد عليه، والثقة به في معرفة المواقف العامة تجاه دولة ما، كما يمكن التنبؤ من خلاله يرد الفعل أو اتجاهات الجمهور نحو هذه الدولة، خاصة عندما تعلم أن القارئ العادي يوليه هو والعناوين اهتماما كبيرا، مما يولي المقالات المعقدة والتحليلات المفصلة، كما يقوم هذا النوع من الكاريكاتير بعدد كبير من الوظائف منها: الإقناع، وترتيب أجندة الجمهور، ولكن الوظيفة الأساسية التى يقوم بها بالنسبة للقراء على حد تعبير (De Sousa) هي عمله كإطار يضم ويحصر كافة الأحداث والجوانب المتعلقة بقضية معينة، وهذا الإطار يجري بداخله تكثيفا لعدد كبير من الأفكار والدوافع المرتبطة ببعضها في صورة يمكن فهمها بسهولة، وهذه الصورة تكون استخلاصا لجوهر القضية، ويمكن استيعابها والاحتفاظ بها لفترة طويلة[69].

لقد أصبح الفن الصحفي الحديث يخاطب البصر كثيرا، إذ يعتمد على الصور والرسومات في تحقيق أهداف الصحافة في عصرنا هذا الذي سمي بعصر «حضارة الصورة» والذي تسود فيه لغة بصرية جيدة نشأت بفضل التقدم

[69] محمود أدهم: «مقدمة في الصحافة المصورة»، مطابع الدار البيضاء ، المغرب، 1998، ص 52

التكنولوجي في وسائل الاتصال، إذ يقول الكاتب ف ـ فريزر بوند «إننا نعيش مرة أخرى في حقبة من الزمن هي حقبة الصور»[70]، ولهذه الأهمية عدة الصور والرسوم أهم وسيلتين من وسائل الاتصال غير اللفظي، وظهرت بين وسائل التعبير الأخرى بالنسبة للاتصال، ففي مجال الاتصال العام نشط استخدام الصور على أنه أهم وسيلة من وسائل نقل الأخبار أو على أنه بديل للأخبار المكتوبة، منذ الحرب العالمية الأولى. ثم ما لبثت الصحف أن توسعت في استخدامها إلى درجة أنها أصبحت اليوم تزاحم أعمدة الأخبار، باعتبارها وسيلة من وسائل التعبير، كما ظهرت مجلات مصورة تعتمد على الصورة وتنفق في تقديم الصورة التى تجتذب انتباه الجمهور[71] لأن الكاريكاتير يقوم بعدة وظائف، كالإخبار، وإثراء المحتوى، وجذب الانتباه، والتزيين في كل المواضيع التى يتناولها، لهذا تعتبر الصورة بصفة عامة أبلغ من الكلمات، فهذا الحكيم الصينى كيفوشيوي يقول: «إن ألف كلمة لا يمكن أن تعبر ببلاغة مثل ما تعبر صورة واحدة».

نخلص أخيرا إلى الصورة الصحفية – والكاريكاتير بصفة أخص ـ تعبر عن ثلاثة مواضيع رئيسية هي[72]:

1. الأحداث: وهي نقل للواقع الموضوعي للدلالة على وقوع الحدث، وتنشر هذه الصورة في المادة بمصاحبة التقارير والتحقيقات والحوارات والمقالات....
2. الأشخاص: تركز الصورة الصحفية في موضوع «الأشخاص» على صانعي الأحداث وأبطال الوقائع سواء تعلق الأمر بشخص أو بمجموعة من أشخاص، وسواء أكانت الشخصيات تاريخية أو عصرية.
3. النشاطات: تغطي الصورة الصحفية في هذا المجال النشاطات على اختلافها مثل النشاط العلمي والرياضي والأدبي والدينى والسياسي وما إلى ذلك.

[70] حسن حمدي : مرجع سابق، 1987 ، ص 111
[71] محمود أدهم: مرجع سابق، ص 30.
[72] رقية بوسنان: مرجع سابق – ص 59.

2.1.6.3. (ب) أساليب الإقناع:

إذا كانت القوالب الصحفية وفي صدارتها «الخبر» ثم الكاريكاتير كصورة تلقى تداولا اليوم في القراءة والنشر، وهما جنسين على قدر كبير من التأثير واستمالة القارئ لخصائصهما المنفردة وفي تشكيل الصور الذهنية في عقول الجماهير، فإن الرسالة الإعلامية تزيد قدرها الإقناعية إذا بنيت بناء علميا مدروسا من قبل مهندسي الصحيفة.

كما يعد ما يسمى «مبدأ الاصطياد» الذي ينظر إلى وسائل الإعلام كقوة كامنة يمكن أن تحقق فعالتيها القصوى، مبدأ هاما في الصحافة، حسب مراعاة ما يلي:

مراعاة الزمن: أي تزامن الرسالة مع حدث ما، أو ظرف مناسب للعملية الاتصالية.

استخدام مبدأ المحاصرة والشمولية، فكلما كانت وسائل الإعلام محاصرة الجمهور المستهدف، فإنها تضيف عليه فرصة الإفلات من الرسالة الإعلامية وتزيد من إمكانية نجاحها.

التركيز والتكرار، حيث يؤدي تراكم الرسائل الإعلامية لدى الجمهور بأساليب مختلفة تسهم في محاصرته وتسهم في تدعيم فهم الرسالة وتثبيتها لدى الجمهور، كما يتيح التكرار للرسالة الواحدة على مرات عديدة من فرصة إطلاع الجمهور عليها وفهمها.

الانسجام إذا قام المتصلون بإعداد رسائل يؤمن بها وتنسجم مع قناعتهم وانتماءاتهم الفكرية والاجتماعية.

فإذا توافرت هذه العناصر يمكننا الاتفاق مع رأي بيرلسون (Berlson) وشتاينر (Steiner)[73] كون أن الناس تستجيب للاتصال الإقناعي بناء على استعداداتهم وتبعا لذلك يحدث التغيير في الآراء والمعتقدات أو تظهر المقاومة لهذا التغيير، ومنه

73 محمد عبد الحميد:« نظريات الإعلام واتجاهات التأثير» ، عالم الكتب، مصر ، ط 2، 2000 ، ص 332.

فإن الاتصال يتزايد حينما تكون الرسالة الاتصالية موائمة لآراء ومعتقدات المتلقي، وعليه نتساءل: ما هي العوامل التى لها علاقة بالرسالة الإعلامية وتجعل الجمهور يتأثر بمضمونها؟

ندرج هذه العوامل في:

أولا: أن يكون مضمون الرسالة الإعلامية يتعلق بقضية تشغل الرأي العام، فالقضايا التى تكوّن أحاديث الناس هي التى تشد انتباههم ويتفاعلون معها، ولا أدل على ذلك من الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للنبى (ص)، فقد نشرت صحيفة بجيلاندز بوستن في سبتمبر 2005، إثنا عشر (12) رسما كاريكاتيريا مسيئا للرسول (ص)، ما أثار غضب أكثر من مليار مسلم[74].

فإذا ما تبنت وسائل الإعلام قضية من هذا النوع فستستحوذ على اهتمامهم وسيتابعون تفاصيلها وسيتأثرون بالمعلومات التى تقدمها لهم خصوصا إذا كانت وسائل الإعلام هي المصدر الوحيد.

ثانيا: تكرار عرض الرسالة الإعلامية، يتأثر الإنسان بداهة بالمعلومات (الرسائل الإعلامية) من خلال عملية معروفة تتكون من أربع مراحل هي: التعرف، التفسير، الحفظ وأخيرا الاسترجاع، فالفرد الذي (يتعرض) لمعلومة، يسعى إلى التعرف عليها، ثم تفسيرها من خلال مقارنتها بما لديه من خبرة سابقة، ثم يحفظها في ذاكرته، ثم يسترجعها حينما يحتاج إليها. فهذه العملية التى تسمى (عملية اكتساب المعلومات) مرتبطة بسلوك إنساني آخر يسمى (الانتباه الاختياري) أي إن الفرد هو الذي يختار طواعية التعرض لمعلومات دون أخرى، هذا السلوك (الانتباه الاختياري) تؤثر فيه عوامل كثيرة منها التكرار، أي إن تعرض الإنسان المستمر، أو لعدة مرات لرسالة إعلامية تجعله يختار الانتباه إليها.

ثالثا: طريقة عرض الرسالة الإعلامية، فمع التطور الهائل لوسائل الاتصال الجماهيري، ودخولها مجال التقنية المتقدمة جدا، تضاعف مرات عديدة التأثير الذي تحدثه تلك الوسائل... فقد صارت تأتيه الرسالة محفوفة بكثير من المؤثرات النفسية والسمعية

74 علي عجوة ـ مرجع سابق ص 114 – 115

البصرية، وصار الإخراج (طريقة العرض) فنا قائما بذاته تبدع فيه العقول أعمالا خلاقة[75].

على مستوى المطبوع وظفت الصورة والألوان وحجم الخط والخطوط والرسوم التوضيحية والخلفية المظللة، ومكان النشر في الصحيفة أو المجلة لدعم عنصر التأثير في الرسالة.

رابعا: طريقة صياغة الرسالة الإعلامية، تمثل صياغة الرسالة عاملا آخر من العوامل التى تسهم في تأثير الرسالة الإعلامية في الجمهور، فإذا كان العامل السابق طريقة عرض الرسالة الإعلامية يتعامل مع الحس، أي ما هو ظاهر ومسموع تبصره العين وتسمعه الأذن، فإن هذا العامل، يخاطب العقل والفكر والخيال، إنها الطريقة التى تقدم فيها (الفكرة) التى تقوم عليها الرسالة نفسها، أو هي القالب الذي تصاغ فيه الأفكار.

ففي هذا المجال هنالك توصيات عديدة بضرورة اختيار الرموز اللغوية الواضحة والمفهومة، والمألوفة، والبعد عن الألفاظ أو الرموز المهجورة، مع مراعاة خصائص الجمهور فيما يتعلق باستخدام قواعد النحو والصرف والأساليب البلاغية... ولكن ما يثير الجدل هو شيوع الاعتقاد بأن اللغة الانفعالية (Intense langage) أحد الأساليب الهامة في الإقناع، وبالتالي يعتبر مستوى اللغة الانفعالية أحد الخيارات في الرسائل الإقناعية، هذا وتتباين مستويات اللغة الانفعالية، فإذا كان الرجال يمكن أن يستخدموا اللغة الانفعالية ويظلوا مقنعين، فإن النساء يكن أكثر تأثيرا عندما تستخدم لغة أقل انفعالية.

يتضح مما سبق أن الصحافة من وسائل الاتصال الجماهيرية التى تخلق تصوراتنا عن أنفسنا وعن العالم المحيط بنا، وهذه الوسيلة ما يزيد من خلق هذه التصورات هو بناء الرسالة ومضمونها من قوالب صحيفة «الخبر» الصحفي والكاريكاتير كأهم وسيلتين تأثيريتين على القارئ، دون تجاهل القوالب الأخرى، ثم أن الأساليب الإقناعية للرسالة الصحفية هو كذلك عامل هام في خلق الاهتمام والاتجاه وبالتالي التصورات.

[75] محمود سيّد: «الصحافة المشبوهة»، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ب ط، 2000 ،ص 26

لكن الرسالة الصحفية قبل أن تتواجد لدى القارئ بالشكل المراد، كانت عبارة عن أفكار، ومنبهات تثير فئة على عاتقها نشر الأفكار، وهذه الفئة لا تقل أهمية عن الرسالة ومضامينها.

الفصل الرابع

المراحل التى مرت بها صورة العرب في الاعلام الفرنسي

1.4. دور وسائل الإعلام الفرنسية في تكوين الصور

اضافة الى دورها الاخباري و الترفيهي، تكاد تجتمع الدراسات الاعلامية على كون ان وسائل الاعلام هي احدى الوسائل الفعالة التى يتم من خلالها تشكل الصورة الذهنية لدى الجمهور في مختلف المجالات، فاستطاعت امريكا باعلامها الضخم ان ترسم لنفسها صورة جد ايجابية و قوية لدى مختلف شعوب العالم، و الطريقة التى ترسم بها المراة في وسائل الإعلام كونت صورة نمطية عنها لدى الجماهير، فيمكننا اعتبار ان وسائل الاعلام عامل هام في تشكيل الصورة الذهنية عن الافراد و الشعوب من خلال ما تبثه من اخبار و مضامين اعلامية مختلفة

و توجد الكثير من العوامل التى تجعل من الاعلام الحديث يقوم بالدور هذا و نذكر منها

- ✓ الانتشار الواسع لوسائل الاعلام و امتدادها و قدرتها البالغة على استقطاب مختلف شرائح المجتمعات، و كان للتكنولوجيا الحديثة الفضل الكبير في اتساع نطاق تغطية وسائل الاعلام بمختلف اشكالها، و كذا سهولة و بساطة الوصول اليها بسرعة فائقة تتزامن و الاحداث
- ✓ تعدد وسائطها و تنوعها جعل منها تستولي على معظم الاوقات التى نعيشها، فوسائل الاعلام بميزاتها تجعلنا نشعر بمشاركة العالم و عدم عزلتنا.

هذا و تعد الوظيفة الاخبارية احدى اهم الوظائف التى تقوم عليها وسائل الإعلام، كونها تلبى حاجة الفرد لمعرفة ما يدور من حوله من أحداث، كما انها تشبع فضوله و تساعده على تكوين وجهات نظر تجاه الاحداث و اتخاذ مواقف اتجاهها

و اذا كان البحث عن الاخبار حاجة انسانية قديمة، فان ظروف العصر الحديث قد زادت من شدة حاجات و شغوف الانسان و فضوله، و في ظل التفكك الذي تشهده العلاقات الانسانية في عصرنا الحديث، جاءت تكنولوجيات الاعلام و الاتصال الحديثة لتقوم بدور رعاية الافراد عن طريق تزويد الانظمة الاجتماعية بالأخبار و المعلومات و اطلاعهم عن اخر تطورات الانباء و تجعلهم على اتصال

بالعالم المحيط به دون الاحتكاك الفعلي به. الشيء الذي يجعلهم يحسون بالمشاركة

من خلال اهمية المضامين الاخبارية بالنسبة للجمهور كما بالنسبة لوسائل الإعلام، فان معرفة طرق و اساليب بنائها و تكوينها للصورة الذهنية او في نقلها تعتبر مهمة جدا لفهم تأثيرها و معرفة نتائجها

من الدراسات السابقة، يعتبر أغلب الباحثين (العرب و غير العرب) أن صورتي العرب و الإسلام في وسائل الإعلام الغربية المقروءة و المرئية، يتعاطى معها في غير حقلها وبطريقة سلبية و سطحية، لذا يجب البحث عن منظور معرفي جديد يمثل ضرورة ملحة لإبعاد هذه القضية الخطيرة ذات الأبعاد الحضارية من هذا التعاطي.

والمتتبع لوسائل الإعلام الغربية يدرك دونما أي دراسة أو بحث عن الدور الخطير الذي تلعبه في تشويه صورة العرب و الإسلام لدى الرأي العام الغربي و العالمي، وذلك بوصم الإسلام وبوصمة الإرهاب و التطرف و الأصولية، و اتخذوا من أحداث العنف التى تطال أكثر من بلد عربي، وكذا الهجمات التى تطال الدول الغربية، كحجة وبرهان لتأكيد هذه الصفات و النعوت عن العرب، الإسلام و المسلمين[1].

وظهرت قضية معالجة القضايا العربية و تناول الإسلام في صدارة الأخبار الغربية و التحاليل، وتتابع باهتمام شديد، إلى وصف ما (Mourad Hofmane) وهذا ما دفع السفير الألماني في المملكة المغربية مراد هوفمان يحدث قائلا «...وكأننا نقف وجها لوجه في بداية الحقبة الجديدة من الحروب الصليبية» واعتبر بعض الخبراء أن هنالك ارتباط بين التجهيل والتضليل وبين النظام الإعلامي الدولي الغربي الذي يخفي الكثير من الحقائق والمعلومات ويحجب الكثير من الأحداث، وفي الوقت نفسه .يقوم بتقديم المعلومات بأساليب معينة و في قوالب مدروسة تؤدي إلى دفع الجماهير لاتخاذ ردود أفعال ومواقف طبقا لما تريده القوى المسيطرة على عملية تدفق الأنباء و المعلومات، بحيث يتم في كثير من الأحيان استخدام المضامين التى

[1] العيد جلول: « حول الحوار في عالم متغير » ، الملتقى العلمي الدولي الرابع، آلية العلوم الإسلامية، الجزائر من22 الى 23 افريل 2003 ص 1

تؤدي إلى زيادة الخوف لدى الجماهير لكي تدفعها لتأييد سياستها، هذا ما ظهر بوضوح عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 في السياسة الإعلامية الأمريكية[2]

وهذا ما يدفعنا للقول أن هنالك علاقة وطيدة بين الأنظمة الإعلامية الغربية، وبين أنظمتها السياسية و الاجتماعية، وهذا ما لا يجب إغفاله عند الحديث عن الصور الذهنية التى تكونها هذه المؤسسات الإعلامية عن فرد أو جماعة أو أمة أو موضوع ما.

وقد كانت وسائل الإعلام الأمريكية السباقة في استخدام هذا الأسلوب خلال الحرب الباردة، وحرب الخليج، وحرب أفغانستان. كما استخدمت وسائل الإعلام الفرنسية هذا الأسلوب في تغطيتها عام 2004، لازمة الحجاب و البرقع، فرغم قلة أهميتها إلا أنها دامت مطولا (عامي 2003 و 2004) لتجعل منها قضية رأي عام، و تفانت جميع وسائل الإعلام الفرنسية في معالجتها.

ففي دراسة أجراها توما ديلتومب اتضح أن أكثر من 1284 مقالا وتحقيقا و ربورتاجا وافتتاحية وعمود...الخ، غزوا صفحات ثلاث جرائد يومية حول قضية الحجاب، بمعدل مقالين في اليوم لمدة ستة أشهر وفي المقابل نجد المواضيع التى تهم فرنسا داخليا مثل إصلاح النظام الاجتماعي لم يظهر سوى بتكرار 478 مرة فقط، أي بمقدار 3 مرات أقل من موضوع الحجاب في فرنسا. [3]

إذا كان للصحافة المكتوبة الفرنسية دور توجيهي، فالأحداث السطحية المتعلقة بالعرب و الإسلام تبقى من أهم العناوين الموجهة للرأي العام الفرنسي. لنذكر على سبيل المثال ما حدث في مدينة ليون عام 2003 حيث منع ثلاث فتيات من مزاولة دروسهن كونهن يرتدين اللحاف الإسلامي. فعولج الحدث أولا من طرف الصحافة المكتوبة اليومية المحلية لمدينة ليون. ونُعِتْن الفتيات بأنهُّن «ساقطات» في وجهة نظر الصحافة، ليتسع الإهتمام بالموضوع و تكبر دائرة انتشار الحدث إلى الصحف الوطنية، ثم إلى ذات الطابع العالمي. و إختلفت المعالجة

[2] مصطفى الشريف: « شروط الحوار المثمر » ، أعمال الملتقى الدولي، الجزائر من 24 الى 26 مارس 2003، ص ص60 ، 25

للموضوع من صحافي لآخر، بين مؤيد ومعارض بما تمليه المصالح والآراء الشخصية لكل صحافي. حيث أصبح سكان أطراف المدينة الليونية الفرنسية المادة الأولية للعناوين الرئيسية للصحافة، وأيضا محل للمنافسة الحادّة بين العناوين المنشورة المحلية، (Lyon Matin)– (Le Progrès) و كذا الصحافة العالمية كـ (Le Monde) – (Libération) – (Figaro . وبهذا الاهتمام البالغ للمسألة، تعدّى حدث الفتيات مكانة الأحداث التافهة ليصبح مسألة رأي عام ذا طابع عالمي وكذا سياسي، إستلزم تدخل أهم كبار مسؤولي الجمهورية الفرنسية وكذا العالم العربي الإسلامي. فتنافست أكبر أجهزة الإعلام على معالجة الحدث من خلال عناوينها الكبيرة التى لعبت دورا على الفِعلية الوطنية من جهة، والمعالجة الفعلية من جهة أخرى. و كون تطور الحدث جعل منه حدث وطني حساس، ربط بالعرب و بالمسلمين بصفة أو بأخرى.

و هنا نشير أن مثل هذه الأحداث أنشأت نقاط قوية ومكثفة في المعالجة الإعلامية للهجرة والمهاجرين، حيث تركت أثر «قالب» في حكايات وروايات الصحافة المكتوبة، إلى حد جعل (العنف، اللاأمن، الخوف، الإنحراف..) مراجع ضرورية لازمة في تصوير كل ما يتعلق بمن هو عربي، مسلم. فخلال العشريتين الأخيرتين شكلت قضايا الأمة العربية و الديانة الإسلامية ملجأ للحذر الإعلامي، لكن هذا الاهتمام لم يأخذ شكل واحد. فتدفق الحوارات التى تخص الإسلام و العروبة أدى في لحظات إلى إتساع الهوة في المعالجة الصحافية بين مؤيد ومعارض.

عرفت الأحداث والمواضيع التى تدور حول الإسلام باللاأمن المدني و الاجتماعي، العنف المدني، وتلك التى تتعلق بالسلم الاجتماعي في مجتمع متعدد الثقافات، فهو يواجه صعوبات لإندماج ثقافة الإسلام والشعوب العربية المسلمة. فصُورت أحداث المتعلقة باللحاف الإسلامي مرورا بأحداث باريس والضواحي إلى أحداث الكاريكاتورات المصورة للرسول صلى لله عليه وسلم، و كذا الثورات العربية (الربيع العربي) في قالب واحد كان جد سلبي. فكانت المراسلات بين حدث رمزي ونوع من علم البيان. إذ إتّضح جليّا أنه قد قُدّم حكم خاص مسبق سلبي للعرب في جوف الإعلام الفرنسي، وُضعت فيه الأحداث الشعبية للهجرة، في شكل مصفوفة ملائمة كموضوع حالي متجدد، يتمثل في

جدل شعبي تلعب أدواره الأولى الصحافة المكتوبة، إن لا يختلف المنشطين الصحافيين وصانعي الحدث الإعلامي في التعليقات والتوجيهات الإفتتاحية في تغطيتهم الإعلامية لهذه الأحداث في مجموع الصحافة المكتوبة المهمة. فالصحافة لا تستطيع القول للناس ما يضنوه، لكن تستطيع أن تملي على الرأي العام ما يجب أن يُضَن»[3]

و تمثل التغطيات الصحفية لمواضيع العرب و الإسلام ... تحريفا منظما للأخبار بهدف تشكيل صورة مصنوعة عن الواقع، خصوصا إذا علمنا أن عدد المرتديات للحجاب لم يكن ملفتا للنظر، إذ أن الأرقام الموجودة تبين حسب السيدة حنيفة شريف مسؤولة التربية الوطنية«أن عدد المحجبات بين أساتذة وطالبات انتقل من150 الى 300 بالمائة من 1994 الى عام 2003 »[4]

و في سياق الحديث عن الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في رسم و تكوين الصورة الذهنية، ذلك أنها تستطيع أن تشكل الرأي العام و ذلك بإحداث تغييرات كبيرة في تقبُّل فكرة لم يكن يقبلها من قبل، و المثال على ذلك... بريطانيا. حيث أن ادوارد هيث أُجبر على الاستقالة من رئاسة الوزراء و ذلك بسبب فضائح جنسية لعدد من الوزراء .. أما في نهاية الأمر فيما يتعلق بالأميرة ديانا أميرة بريطانيا (السابقة) فتقابل علاقاتها غير الشرعية باحترام و تقديس حتى أن وسائل الإعلام الغربية عادت تساوي بينها و بين الأم تريزا.

وإذا نظرنا إلى هذه القضية ومثيلاتها في الإعلام الغربي فإننا نجد تحقيق مقولة أمبرتو إيكو و مايكل سوركين في قولهم «إننا نعيش عصر الزيف» [5] .اذ، تحولت وسائل الإعلام إلى آلة لنشر الزيف، وهذا يعود إلى تحكم أمور كثيرة في خطابها الإعلامي. وسوسيولوجيا الإعلام تعلمنا كيف أن المؤسسة الإعلامية لا تنشأ من فراغ، وإنما هي بدورها محكومة بشروطها الاقتصادية والاجتماعية و الثقافية، وتاريخ

[3] BREGMAN Dorine, 1989, *La fonction d'agenda : une problématique en devenir*, Hermès, p 4.

[4] زكي ميلاد، علي الربيع: « الإسلام و الغرب، الحاضر و المستقبل » ، دار الفكر المعاصر، الطبعة 1، 1998 ، ص17

[5] سليمان صالح: « الإعلام الدولي »، مكتبة الفلاح للنشر و التوزيع، الكويت ، 2003 ، ص 68

وواقع الإعلام أظهر لنا أن المؤسسة الإعلامية تنطق باسم وتخدم مصالح وتنشر فكر قوى اقتصادية واجتماعية وسياسية معينة.

و في هذا السياق صرح بورديو (Bordieu) بأن الكلمات سيطرت على عالم الصورة، فتولدت لديها الرغبة في إعادة تشكيل كل الكلمات، كلمة بكلمة، الحال الذي نجده في الخطابات الصادرة عن أقلام الصحافيين المختصين، الذين يأخذون دوما الطابع الساذج دون أن تكون لديهم أية فكرة عن صعوبة وخطورة تأثير أفكارهم على مستهلكي وسائل الإعلام. فالصورة لا تعنى شيئا دون الكلمات التى تصاحبها. فما مدى إرتباط الصورة بالكلمة؟[6]

مما سبق يتجلى لنا أن المؤسسة الإعلامية لا تحدد إيديولوجيا ولا ترسم سياسة ولا تتخذ قرارات، وإنها في أغلب الأحيان تعمل في ظل مناخ وإيديولوجيا معينة وبتعبير أخر، فالمؤسسة الإعلامية هي صوت سيدها وينتفي بذلك حسب أديب خضور، «وهم المؤسسة الإعلامية المحايدة أو المستقلة أو الموضوعية، ما يعنى أن المؤسسة تعمل وتبدع ضمن الإطار المرسوم لها، ومن أجل تحقيق الأهداف الموضوعة لها فهي تكون ناجحة بمقدار ما تستطيع أن تحققه من هذه الأهداف، وتخدم هذه السياسات عبر فن إعلامي متطور»[7] كما يتأثر مضمون الخطاب الإعلامي أيضا بالمجتمع، وبالمستوى الحضاري و الثقافي والتعليمي وبالأفكار السائدة، وهذا ما ينعكس على هربرت كيلمان.

وبما أن وسائل الاتصال الجماهيري واحدة من المؤسسات التى تكون صورا في سياق سعيها المحموم لتحقيق وظائفها وإنجاز أهدافها ومهامها من خلال نشاطها الاتصالي المتمثل في نشر معلومات و الصور و الأخبار والرسوم و الأصوات و الوثائق و التحليلات و الشروح و الأفكار ، وغيرها من الأمور... فهي بالتالي في حالة سعي دائم لإنجاز مهمة تكوين الصور، ولذلك يذهب أديب خضور إلى القول «أنه لا توجد أية مادة إعلامية محايدة، بل تسعى كل مادة إعلامية إلى تكوين الصورة التى تحاول الوسيلة الإعلامية رسمها وتكوينها عن الحدث أو الظاهرة أو

[6] BOURDIEU Pierre, *1996, sur la télévision, liber, raison d'agir,* Paris

[7] أديب خضور: « صورة المرأة في الإعلام العربي » ، دار الأيام ش.ذ.م.م للطباعة و النشر و التوزيع ،الطبعة الأولى، الجزائر، 1999 ، ص22

الشخصية أو حتى النظام ككل وتمثل بذلك وسائل الإعلام ترسانة ضخمة من العناصر التى تمكنها من تحقيق ذلك»[8] . و بالتالي فهذه الوسيلة إذا غير معنية بتقديم صورة موضوعية أو محايدة، بل هاجسها الأقوى هو تقديم صورة معينة، وهذا ما يؤكد على أن الصورة التى تكونها الوسيلة الإعلامية تحمل حكما قيميا و أطرا مرجعية) سياسة، واقتصادية واجتماعية ودينية...الخ (و كذا أثارا ثقافيا وبعدا إيديولوجيا، لذلك فإن هذه الصورة المكونة من طرف وسائل الإعلام ليست تجسيدا محايدا أو موضوعيا للواقع، بل هو تجسيد مشروط بهوية الوسيلة وغايتها.

وهنالك من يعتبر من الإعلاميين أن نجاح الصورة أو فشلها يتوقفان على مدى تزيفها للواقع أو للحقيقة، أو على مدى نقلها للواقع بصدق، وتبشيرها بالحقيقة. ولكن لوسائل الإعلام مشاريع مغايرة، و صلتها بالأخلاق ليست دائما وثيقة وقد تكون خيالية أحيانا، بالتالي فهذه الوسائل منهمكة في تكوين صور قادرة على خدمة هذه المشاريع وإنجازها.

وفي الأخير يمكن لنا أن نتبنى موقف أديب خضور عن فهم الصورة التى تكونها هذه الوسائل والذي «اعتبر أن الصور التى تكونها وسائل الإعلام عن الأحداث والظواهر و القضايا والأشخاص...وغيرها لا تعد ثقافة فرعية، بل هي جزء من الثقافة الشاملة، وبالتالي يصبح من الضروري لفهم هذه الصور التعرف عليها وعلى مسبباتها ودوافعها ومرجعياتها ككل، ووضعها في سياقها الاجتماعي وكذا الاقتصادي و السياسي و الثقافي»[9]

ومن هنا نخلص إلى استنتاج مفاده أن الصور التى تكونها وسائل الإعلام عن اي موضوع أو أية أمة من الأمم أو فرد من الأفراد لا تكون بمعزل عن الظروف الاجتماعية و الاقتصادية و الموروث الثقافي و الديني وبصفة عامة ليست بمعزل عن السياق العام الذي يحيط بها، لذا لا يمكن الجزم في موضوعية وحيادية وسائل الإعلام ونزاهتها في بلورة الصور وتكوينها في أذهان المتتبعين لها.

[8] اديب خضور، المرجع نفسه، ص 24

[9] أديب خضور، نفس المرجع ، ص22

2.4. صورة العرب و الإسلام في الإعلام الفرنسي:

«الأصولية»، «الإرهاب»، «التطرف»، «البداوة»، «التخلف»، و «العنف»، و «الحجاب»، كل هذه النعوت و المفاهيم و المصطلحات من منظور الإعلام الغربي هي سمات و خصائص (الآخر) الشرق، و تخص بالذكر، المجتمعات العربية و المسلمة على حد سواء. و بما أننا ذكرنا الشرق، فهذا يعنى وجود (الأنا) أي الغرب، و الغرب ليس كلا واحدا، كما يقول إدوارد سعيد في كتابه: الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية، بالرغم من وجود عوامل و خصائص ثقافية، و سياسية و حضارية مشتركة[10].

و إن اختلفت السمات التى ينعت بها العربي المسلم، فتطابقت الصفات و السمات و الخصائص التى تصف هذا الغرب (الآنا). إذ تتمثل في «الحرية» «الديموقراطية»، و «حقوق الإنسان»، و «التسامح»، و «التقدم التكنولوجي»... و كل هذه الخصائص، على ما يبدو للغرب، مخالفة تماما و بشكل كامل، لخصائص الشرق.

و مما لا شك فيه، أن الشيء الوحيد الذي يستطيع أن يبث هذه الأفكار و يؤكد صدقها و حقيقتها، هو وسائل الإعلام، إذ أصبحت أداة مهمة و فعالة من أدوات السلطة السياسية، و صراع الدول، و الشعوب، و الحضارات.

و لمعرفة فلسفة الإعلام الأوروبي، و خاصة الفرنسي، كأحد المكونات الأساسية المهمة و الفعالة من ذالك (الآنا) و دوره في صراع الحضارات بين (الأنا و الآخر)، الغرب و الشرق، سنحاول التطرق إلى اهم المراحل التاريخية التى مرت بها صورة الأخر، و التى قد تساعدنا على فهم هذا (الآخر).

حسب تعبير المفكر الفرنسي ريمون آرون[11]. للوصول، في النهاية، إلى حوار حقيقي و بناء من منطلق «الندية»، كما يقول المفكر الفلسطينى أحمد صدقي الدجاني في كتابه: العلاقات العربية الأوروبية بعد عقد من الجوار[12].

---

[10] لويس برنارد ، سعيد إدوارد: «الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية» ، دار الجيل، بيروت، 1994، ص40.

[11] Seurin, J-Louis, cours de théorie politique, faculté de droit et d'Economie, Des Sciences politiques de Bordeaux, 1989, p36

إذن، بناء على ما تقدم، سنحاول الإجابة عن سؤالين أساسيين و مهمين لفهم هذه الظاهرة:

السؤال الأول: هل للجذور التاريخية بين الإسلام و العروبة و فرنسا و أوروبا أثر في سلوك وسائل الإعلام الفرنسية حاليا؟

السؤال الثاني: كيف تتناول وسائل الإعلام المكتوبة الفرنسية صورة الإسلام و العرب؟

1.2.4. هل للجذور التاريخية بين العروبة، الإسلام و أوروبا أثر في سلوك وسائل الإعلام الفرنسية حاليا؟

من خلال ما سنستعرضه، فلا يعد المبحث تأريخا للعلاقات العربية الاوربية او اعادة لكتابة أحداثها، لأننا لن نوفي لعدم توفر دراسات تاريخية تسرد الواقع كما كان. و انما سنتطرق اليه لنركز على اهم الاحداث و الوقائع التى كانت وراء تحديد طبيعة علاقة العرب و الاسلام بأوربا و بالتالي التطرق الى الصورة التى يرسمها الغرب عن العرف وفقا لاحداث و وقائع معينة، اذ ان الصورة اختلفت في شكلها من فترات الصراع و النزاع الى فترات السلم و غيرها

و لا يمكننا الحديث عن الصورة دون التطرق الى ظروفها السياسية و التاريخية، فالفصل بين الصورة و ظروف بناءها (السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية ...) قد يجرنا الى عدم فهم الاسس التى على اساسها رسم الاعلام تلك الصورة الذهنية للعرب من مخيال الغرب، فالكثير من الدراسات و التجارب اثبتت ان السياسة و التاريخ لهما الدور الكبير في تغيير معالم الصورة الذهنية، و لهذا ارتأينا ان نتطرق الى العلاقات التاريخية بين العرب و اوربا و توضيح صورة العرب لدى الغرب الموافقة بالتوازي مع مرحلتها التاريخية و الظروف التى ساعدت على تشكيل تلك الصورة

[12] الدجاني أحمد صدقي: «العلاقات العربية الأوروبية بعد عقد من الحوار» ، منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول، الكويت، 1980، ص6.

الواقع أن السؤال الذي يفرض نفسه دائما و باستمرار، في نقاشات المثقفين، و السياسيين العرب و المسلمين، و حتى العامة هو: ما هي العوامل و الأسباب الكامنة وراء صنع الإعلام الأوروبي، و خاصة الفرنسي، لهذه الصورة السيئة القاتمة عن الإسلام و العرب؟

على الرغم من أن المفكر المغربي محمد عابد الجابري طرح هذا السؤال و أجاب عنه، بالقول بأنها عوامل و أسباب تتصل بآلية (Mécanisme) سيكولوجية من الرغبات الدفينة التي ترغب بالآخر و تحتاج إليه (النفط و الموقع الإستراتيجي) من جهة، و تريد التخلص منه (المهاجرين) من جهة أخرى[13].

إلا أننا و من خلال الدراسات السابقة التي اطلعنا عليها، و كذا دراسة المراحل التاريخية للعلاقات الفرنسية بالعرب، في شتى المجالات، نعتقد بأن جذور الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام و العرب في العقل الأوروبي و بالأخص الفرنسي، قد بدأت و تطورت مع ظهور و توسع الديانة الإسلامية في القرن السابع الميلادي. فخلال هذه القرون تكونت صورة سلبية سوداء، ظلت تسيطر على الفكر و العقل الغربي إلى يومنا هذا، رغم الاختلاف في الأشكال الصحفية الذي عرفه المضمون الثابت لهذه الصورة المشوهة من مرحلة إلى أخرى[14]، و ذلك تبعا لطبيعة العلاقة بين الإسلام و الغرب –قوة كانت أم ضعفا- دون أن يمنعنا ذلك من القول، بأن الصورة العامة لدى الغرب عن الإسلام أنه دين غاز غير مرغوب فيه و معاد. و في هذا السياق يمكننا إجمال تاريخ العلاقة الجدلية بين (الإسلام و المسيحية)، أو (الشرق و الغرب)، بسبع مراحل متتالية على النحور التالي:

[13] الجابري، محمد عابد: « مسألة الهوية: العروبة و الإسلام...و الغرب » ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995، ص167.

[14] يسين، السيد: « الشخصية العربية: بين صورة الذات و مفهوم الآخر » ، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1993، طبعة1، ص92.

1.1.2.4. ما قبل ظهور الاسلام:

ان العلاقات العربية الاوروبية قديمة قدم وجود كل منهما، فالصلات بين الشرق و الغرب لم تنقطع منذ ان قامت الحظارات القديمة، و يبدو ان « قابلية الشرق العربي للاستعمار» هي خاصية لازمته في اغلب فتراته التاريخية، حيث مد اليونانيون بقيادة اسكندر المقدوني[15] سلطان حكمهم على الشرق (مصر، العراق و الشام) مؤسسين عن طريق الحروب امبراطوريتهم العظيمة و بالمقابل فقد تاثر اليونانيون بثقافة المشرق العربي آنذالك، اذ لبس الاسكندر ملابس الفراعنة و قدم القرابين لأهلتهم و زار اماكنهم المقدسة.

اما في عصر الدولة الرومانية فقد تزامنت علاقة الشرق بالغرب و العداء الحاد على اغلب العلاقات و في كثير من الأحيان، كما كان الحال في «الحروب البونية»[16] بين الرومان و قرطاجة و التى استغرقت مائة عام تقريبا ما بين (264 142) و استكانة من جانب العرب في احيان أخرى فكان البحر الابيض المتوسط عبارة عن بحيرة رومانية خالصة.

ان للصورة الغربية الحديثة عن الوطن العربي جذورا في الكتابات القديمة، و التى، تحمل في جوهرها كثيرا من السمات و الابعاد التى وردت فيها.

فقد اشار هيرودوت، المؤرخ اليوناني، الى الاراضي العربية و وصفها بأنها «ارض التوابل» و «ارض العجائب» و على انها كذلك ارض مليئة بالمخاطر و الأهوال حيث المخلوقات المجنحة تقف حارسة للتوابل، و يذهب هيرودوت الى ان العطور الغالية و التوابل قد جعلا لهواء الجزيرة العربية رائحة زكية

[15] أحد ملوك مقدونيا الإغريق، ومن أشهر القادة العسكريين والفاتحين عبر التاريخ. وُلد الإسكندر سنة 356 ق.م، وتتلمذ على يد الفيلسوف والعالم الشهير أرسطو حتى بلغ ربيعه السادس عشر. وبحلول عامه الثلاثين، كان قد أسس إحدى أكبر وأعظم الإمبراطوريات التى عرفها العالم القديم، والتى امتدت من سواحل البحر الأيوني غربًا وصولاً إلى سلسلة جبال الهيمالايا شرقًا. يُعد أحد أنجح القادة العسكريين في مسيرتهم، إذ لم يحصل أن هُزم في أي معركة خاضها على الإطلاق

[16] الحروب البونية أو الحروب الفونية أو الحروب البونية مصطلحات على اختلافها فهي تدل على مدلول واحد الا وهو الحروب الثلاثة دارت بين روما وقرطاج .وهي تعرف باسم البونية لأن اللفظ اللاتيني لكلمة قرطاجي كان بونيكي .Punici

المؤرخ اليوناني ستـرابو [17] (Strabo) في كتابه الجغرافيا، و المكتوب قبل الميلاد بفترة قصيرة الى ان الارض العربية ارض خصبة و غنية بالتوابل و المخلوقات العجيبة، و لكن يسكنها اناس خاملون و كسالى، ينام معظمهم فوق اغصان الشجر و يصف المؤرخ الصحراء العربية بأنها «ارض رملية خالية من مظاهر العيش إلا من بعض اشجار النخيل و بعض عيون الماء، و ساكنوها من البدو يسكنون الخيام، و يحترفون النصب و يركبون الجمال و يعيشون على لبن الحيوانات»

اما بلـينى [18] (Pliny)، و هو مؤلف روماني، عاش في القرن الاول ميلادي، فكان من اوائل الذين تحدثون عن البدو (العرب) و اشار الى ان التجارة هي النشاط الرئيسي لسكان المدن، حيث تمر تجارتهم عبر الطرق الصحراوية، و تحمل قوافلهم العاج و ريش النعام و الذهب و الفضة و التوابل و العطور و الاحجار الكريمة و غيرها من البضائع. و في المقابل لا توجد دراسات متاحة عن صورة اوربا لدى العرب او عن مدى اهمية هذا المكان لهم، و ان كانت الدراسات تشير الى ان العرب كانوا يتجهون شرقا نحو الهند و الصين و جنوبا نحو افريقيا اكثر من اهتمامهم بالتوجه ناحية الشمال (اوروبا)

2.1.2.4. مـرحـلة ظـهـور الإسـلام:

لم تكن العلاقة بين العرب و الدولة الرومانية الشرقية في صدر الاسلام على شيء كثير من الصفاء، لاتخاذ كل منها عقيدة دينية تخالف الأخرى و كذا لانتزاع العرب لبلاد الشام و مصر و المغرب العربي الكبير من ايدي الروم. هذا و كانت الدولة الرومانية الشرقية بحاجة للمنتجات الشرقية التى تأتيها من العرب، الشيء الذي جعل الروم في حاجة لاستمالة التجارة العربية التى كانت تأتيها عير البحر الأحمر اذ بقيام الدولة الاسلامية تأثرت تجارة الروم بدول الشرق الاقصى كالهند و الصين، فقل نشاطها و صار الروم يرون ان قيام الدولة الاسلامية حال دون

[17] سترابو مؤرخ وجغرافي وفيلسوف يوناني. ولد سترابو في كبادوكية (آكاسيا) سنة 63 أو 64 ق.م لأسرة ثرية، تتلمذ على يد الكثير من الجغرافيين والفلاسفة في اليونان وروما وكان من الفلاسفة الرواقيين وكسياسي كان من أنصار الأمبريالية الرومانية

[18] يعتبر بلينى الأكبر (23-79 بعد الميلاد) أشهر مؤرخ روماني على الإطلاق فقد كانت كتاباته الجغرافية والتاريخية والطبيعية لها حيّز كبير في إثراء الثقافة الرومانيّة و كان اول من اطلق تسمية "الخليج العربي" علة المنطقة. في القرن الأول للميلاد

وصول بضائعهم على احسن حال من الشرق الأقصى، الشيء الذي زاد من توتر العلاقات بين الوم و الدولة العربية الاسلامية

و بقيام الدولة الإسلامية تأثرت علاقة الغرب مع الشرق ببداية الدعوة الإسلامية، ثم الفتوحات الإسلامية وصولا الى انتشار الإسلام، و هي الفترة الزمنية التى تمتد من القرن السابع إلى القرن الحادي عشر، حيث كان الغرب يعيش في حالة انحطاط فكري، و مادي، ملموس و ملاحظ –على الأقل– بالمقارنة مع الدين و الحضارة الجديدة الفتية المتمثلة بالإسلام.

و زادت الفتحات الاسلامية لبعض الدول الاوربية من حدة التوتر بين اوروبا و العرب بإسلامهم، حيث تم في العقد الاخير من القرن الاول للهجرة فتح شبه جزيرة الاندلس على يد طارق بن زياد[19] و موسى ابن نصير، و في اوائل القرن الثاني للهجرة تم فتح فرنسا لتجتاز الجيوش الاسلامية جبال «البيرينيه» و تقدمت شمالا وصولا الى مدينة «بواتييه» الفرنسية و التى على مشارفها جرت وقائع ملحمة «بلاط الشهداء» عام 732 ميلادي و استقر العرب في «باليرمو» بعد فتحها عام 831 ميلادي

و قام الاغالبة من تونس بفتح «كورسيكا» جنوبي فرنسا عام 809 ميلادي و من ثمة استولوا على «سردينيا» الايطالية عام 810 ميلادي ثم استولى جماعة من المنفيون من الاندلس على جزيرة «كريت» اذ قاد الوزير الاغلبى القاضي اسد بن الفرات بقيادة اسطول عربي لفتح «صقلية» المنفذ الجنوبي لأوروبا الوسطى عام 827 ميلادي. و كانت الصورة الرائجة عن العرب لدى المخيال الأوربي، انذالك، ان العرب و المسلمين هم شعوب هائجة، شعوب سلبية، ميزتها النهب، و

[19] طارق بن زياد قائد عسكري مسلم، قاد الفتح الإسلامي لشبة الجزيرة الأيبيرية خلال الفترة الممتدة بين عامي 711 و 718م بأمر من موسى بن نصير والي أفريقية في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك .يُنسب إلى طارق بن زياد إنهاء حكم القوط الغربيين لاسبانيا .وإليه أيضًا يُنسب" جبل طارق "وهو الموضع الذي وطأه جيشه في بداية فتحة للأندلس. يُعتبرُ طارق بن زياد أحد أشهر القادة العسكريين في التاريخين الأيبيري والإسلامي على حدٍ سواء، و تُعدّ سيرته العسكريّة من أنجح السير التاريخيّة. اختلف المؤرخون حول أصول طارق بن زياد، فمنهم من قال أنه عربي، ومنهم من قال أنه بربري أمازيغي، و قالوا أنه فارسي

كان الاسلام في عيون الغرب انذالك يعتبر تمزقا شيطانيا في صدر الكنيسة المسيحية خاصة و انها لم تنتصر على الوثنية إلا منذ حوالي ثلاث قرون ، ليأتي الشعب المسلم البربري ليزيدها انشقاقا و تصدعا. هذا و قد كانت صور الاسلام الدخيل على اوربا مشوهة بفعل تجميع و احياء الحكايات و القصص المؤلفة و المستهزئة بالاسلام و المسلمين، فاعتبر الاسلام قوة خبيثة شريرة.

و منذ القرن الثاني عشر، وتزامنا مع ترجمة القرآن الكريم من قبل رجال الدين المسيحيين إلى اللغة اللاتينية، كانت صورة النبى محمد صلى الله عليه و سلم (في أذهان الغربيين) على أنه نبى كاذب (Faux prophète)، كافر(Apostat)، داعر (Lubrique)، و زان(Fornicateur). و كانو يلقبونه بـ «امير العرب»، اما العرب انفسهم فقد نظر اليهم الاوربيون انهم «وثنيون»، «جهلاء»، «مصدقي النبى المزيف» «الغلاظ و القساة»، و كانت مكة المكرمة و المدينة المنورة عبارة عن اماكن للـ «الفسق و الدعارة» في نظرهم.

لم يكن هناك شيء في تراث أوربا القديم من شانه مساعدة شعوبها على معرفة الإسلام، أو فهمه. لقد كان الإسلام، على عكس اليهودية، دينًا جديدًا جاء بكتاب يحمل كلام الله بلغة غريبة لا يعرفها الأوربيون. لقد كان ظاهرة جديدة في التاريخ الإنساني، ولم يعرف الأوربيون عنه في تلك الفترة سوى تلك الدعاية المغرضة التى روّجها رجال الكنيسة الكاثوليكية المتعصبون حول محمد صلى الله عليه و سلم و دينه الجديد بالنسبة لهم. و على المستوى الدنيوي، كان نجاح الإسلام متجسدًا في وجوده القوي على ضفاف البحر الابيض المتوسط، وفي شبه الجزيرة الأيبيرية «الأندلس»، وكان المسلمون بالنسبة لأوربا آنذاك بمنزلة «الجار» القوي، الغنى، المخيف، كما كان يستثيرون دوافع الحسد والقلق في نفوس قادة المجتمعات الأوربية في ذلك الزمان

و كان مفهوم الإسلام في المخيلة الغربية، مرتبطا بروح الغزو، و العنف، و التعصب[20]. و في هذه المرحلة، تكرست النظرة المسيحية (الغرب) للإسلام (الشرق) و حضارته بنقطتين أساسيتين:

[20] Césari, Jocelyne, *Etre musulman en France :Associations, Militants et Mosquées*, Khartala, Paris, 1994, p10

الأولى: أن الإسلام دين شهواني و مادي في فكره، مستندة في ذلك إلى قضية تعدد الزوجات.

الثانية: مبادىء الاسلام تقوم على القوة و العنف و العدوان[21].

ما لاحظناه في دراستنا لهذه المرحلة، أنه في حين كان المسيحيون العرب في نجران في المملكة العربية السعودية معتدلين تجاه الإسلام، فإن الغرب قد احتفظ عن الإسلام بصورة سوداء قاتمة، لأن ثمة ارتباطا في ذهنية و مشاعر الغرب بين الهجمات البربرية على أوروبا و الغزوات العربية. و ما تزال هذه الأفكار حية في أذهان بعض المفكرين الغربيين إلى يومنا هذا، و بالتالي، لم يستطع الغرب طيلة العصور الوسطى، أن يفرز صورة متماسكة واضحة، و صحيحة عن الإسلام.

و لقد صور الأدب الشعبي في الغرب (في القرون الوسطى) المسلمين صورا ما تزال ماثلة في اللاشعور الجمعي (l'inconscience collective) للغربيين من أبرزها الصور التالية:

- الإسلام دينا وثنيا.
- النبي محمد ﷺ ساحرا وداعيا إلى اللذات الحسية.
- القرآن خرافات مستعارة من الإنجيل بعد تشويهها.
- الإسلام جزءا فاسدا من المسيحية.
- الإسلام قائما على البطش و القوة و أن ذلك حقيقة تاريخية.
- صورة الجنة في القرآن مادية و جسدية.
- التشريع الإسلامي ترسيخا لهذه الصورة (تعدد الزوجات)[22].

باختصار، لقد كان الغرب يرى نبينا محمد ﷺ ، رجلا ساحرا، دمر الكنيسة في إفريقيا و الشرق بسحره و خداعه، و عزز نجاحه هذا، بالسماح بالانحلال الجنسي[23].

---

[21] جعيط هشام: « أوروبا و الإسلام صدام الثقافة و الحداثة » ، دار الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، 1995، ص13.

[22] علاء الدين بكري: « حول كتاب أوروبا و الإسلام » ، مجلة الفكر العربي، السنة الثانية، عدد1، بيروت، 1980، ص 190.

[23] Rodinson, Maxim, *la fascination de l'islam*, Librairie François Maspero, Paris, 1980, p27.

و يعود السبب في تكوين هذه الصورة المشوهة عن الإسلام حسب رأي المفكر التونسي هشام جعيط، في كتابه أوروبا و الإسلام إلى «التحدي الذي كان يطرحه الإسلام هنالك، و عدم المرور بتجربة التعدد الديني في المجتمع المسيحي، بينما تكون الإسلام على أساس التعايش مع الديانات السماوية الأخرى منذ البداية»[24].و قد لخص المستشرق الفرنسي المعاصر ماكسيم رودنسون في كتابه روعة الإسلام بداية العلاقة و الاتصال بين الغرب و الإسلام، بالقول «لقد كان المسلمون خطرا قبل أن يصبحوا مشكلة»[25].

عموما فالجهل والعداء كانا من أبرز خصائص الموقف الأوربي من الإسلام والمسلمين القرون الأولى من تاريخ العلاقات العربية الإسلامية – الأوربية ، و يجب الاشارة الى ان هذا الموقف لم يكن ثابتًا، كما أنه لم يكن سائدًا في نطاق جغرافي ثابت، فقد كان هنالك قدر كبير من التفاوت في المواقف الأوربية بحسب طبيعة الأماكن التى تعاملت مع المسلمين من ناحية، وبحسب درجة الوجود الإسلامي ومدى قربه أو بعده من ناحية أخرى. فقد كان الإسلام والمسلمون مشكلة بحر متوسطية لا مشكلة أوربية عامة في العصور الوسطى الباكرة، إذ كانت إيطاليا وصقلية، وجزر البحر المتوسط، وإسبانيا، هي التى جرّبت الاحتكاك الفعلي بالمسلمين وعانت من الغزو والحرب. ولكن شمال أوربا وغربها كانا يريان في المسلمين عدوا من بين أعداء محتملين. وعلى حين كانت المشكلة بالنسبة للمناطق البحر متوسطية مشكلة سياسية واقتصادية وعسكرية، كانت بالنسبة لمناطق الشمال والغرب الأوربي مشكلة معرفية في المحل الأول. ولهذا نجد في كتابات هذه المناطق نغمة تشي بالبعد الجغرافي والمعنوي حين يكتبون عن المسلمين. ومَن يقرأ كتاباتهم يتضح له جليا ان الصورة المرسومة عن المسلمين و العرب هي نتاج وهمي لخيال سلبى نمطي مفتعل. ولم يكن هذا الموقف في حقيقته سوى حصاد الجهل الذي تمت تغطيته باختراع الصورة الخيالية السلبية النمطية للإسلام والعرب المسلمين.

[24] علاء الدين، بكري، مصدر سابق، ص190.

[25] Rodinson, Maxim, op. Cit, p19.

3.1.2.4. مرحلة الحروب الصليبية:

حروب «الفرنجة» أو «الحملات الصليبية » أو«الحروب الصليبية» ، مجموعة من الحملات والحروب التى قام بها أوروبيون من أواخر القرن الحادي عشر حتى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (1096م 1291م)، كانت بشكل رئيسي حروب فرسان، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الذين اشتركوا فيه وكانت حملات دينية تحت شعار الصليب، و لأجل الدفاع عنه. و ذلك لتحقيق هدفهم الرئيسي وهو السيطرة على الأراض المقدسة ممثلة اساسا في بيت المقدس، و كانوا فرسانهم يخيطون على ألبستهم على الصدر والكتف علامة الصليب من قماش أحمر.

كان السبب الرئيس وراء سقوط البيزنطيين، الدمار الذي كانت تخلفه الحملات الأولى المارة من بيزنطة (مدينة القسطنطينية)[26] عاصمة الإمبراطورية البيزنطية وتحول حملات لاحقة نحوها. و كانت الحروب الصليبية سلسلة من الصراعات العسكرية تحت غطاء الطابع الديني الذي خاضه الكثير من الأوروبيين المسيحيين ضد التهديدات الخارجية والداخلية. وقد خاض في الحروب الصليبية ضد المسلمين، وثنية من المسيحيين الروس والأرثودكس اليونان، والمغول، والأعداء السياسيين للباباوات. اذ كان الصليبيون يأخذون الوعود ويمنحون التساهل.

و شجعت انتصارات الاسبان على العرب و المسلمين في الأندلس، حين استولى الفونس السادس[27] على طليطلة العام 1085 ميلادي، و حين استولى النورمانديون على جزيرة صقلية العام 1091 ميلادي، على متابعة الحروب و الحملات على ديار المسلمين في عقر دارهم، و مما فتح شهية الاوربيين هم السلاحقة العام 1071 ميلادي على البيزنطيين في موقعة «منازكرت» و تهديم

[26] القسطنطينية عاصمة الأمبراطورية الرومانية خلال الفترة من 335 م إلى 395 م و عاصمة الدولة البيزنطية من 395 إلى 1453 حين فتحها العثمانيون فدخل محمد الفاتح القسطنطينية، وأطلق عليها إسلامبول أو الآستانة. وبدخوله صارت المدينة عاصمة السلطنة العثمانية. غُيّر اسمها في عام1930 إلى إسطنبول ضمن إصلاحات أتاتورك القومية.

[27] ألفونسو السادس (1040م 1109م) كان ملك ليون من 1065م إلى 1109م . و كان ملك قشتالة عام 1072 بعد وفاة اخيه. كما أنه كان أول ملك اسمه الفونسو يحكم مملكة قشتالة، لذلك يطلق عليه البعض اسم "الفونسو الأول". في عام 1077 اعلن نفسه "إمبراطور الإسبان"، هو أبن فرناندو الأول ملك ليون وقشتالة و سانشا من ليون.

«القسطنطينية»، مما دفع بالإمبراطور الكسيس الاول بطلب النجدة من البابا اربانوس الثاني الشيء الذي وحد الكنيستين الشرقية و الغربية من خلال تقديم العون و المساعدة للبيزنطيين.

في الفترة ما بين العام 1095 ميلادي و العام 1291 م تم شن تسع حملات بهدفين اثنين هما:

الاول هو رغبة رجال الكنيسة من المتعصبين في تخليص بيت المقدس و الاراضي المسيحية ذات القداسة من ايدي المسلمين و هيمنتهم

الثاني هو رغبة نبلاء اوروبا في الغنى و الثروة و السيطرة و الهيمنة على المال و النفوذ.

لعل اهم ما ميز الحروب الصليبية هو اشتداد الصراع و النزاع بين مختلف القوى الإسلامية. فكان العالم الإسلامي آنذاك، يمر بمرحلة خطيرة من التفكك و التجزئة، فالخلافة العباسية كانت رازحة تحت سلطان السلاجقة الذين كانوا بدورهم في نزاع مع الفاطميين، و هنا ظهرت أوروبا كمهددة للشرق[28]. مستخدمة السيف من جهة، و الشعارات و الدعايات الدينية من جهة أخرى، لتؤكد من جديد استمرار الصراع (الإسلامي المسيحي)، أو بشكل أصح (الشرق و الغرب).

و ظلت صورة العربي السيء مطبوعة في اذهان معظم الاوربيين لزمن طويل من هذة المرحلة، و تظهر هذه الصورة عند سوذرن[29] الذي كتب عن الاسلام متاثرا بمصادر تاريخية غير علمية و لا موضوعية. فقد صور سوذرن النبى محمدا ﷺ ساحرا، دمر الكنيسة في افريقيا و الشرق بفعل السحر و الخداع. و وضع «شتركر» في القرن الثالث عشر كتابا عن «كارل الكبير» نعت فيه النبى محمدﷺ بمعبود المسلمسن الجهلاء المشركين. و كان شعار الحروب الصليبية « قتلك العربي المسلم هو طريقك لحب الرب»

[28] أبو صالح عباس: « الأمراء التنوخيون و الحملات الصليبية » ، مجلة الفكر العربي، السنة الرابعة، العدد28، بيروت، 1982، ص 44.

[29] ريتشار سوذرن: «صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى»، ترجمة د/رضوان السيد صادر عن دار المدار الإسلامي 2006عدد الصفحات 166

وكان لاحتكاك الاوربيين بالعرب المسلمين الفرصة للتقليل من سلبية الصور الذهنية، فابدوا احيانا اعجابهم بالفروسية و حسن الضيافة و النبل و غيرها من سيم العروبة و الإسلام. اما صلاح الدين الايوبي[30] فقد احيطت شخصيته بأساطير اوربية كثيرة، كرحلته الوهمية الى أوربا و وقوع ملكة فرنسا، زوجة الملك فليب في حبه، و هي التى قالت فيه مرة «ان فارسا بهذا الكمال، يجب ان يعتنق المسيحية»، و نسبوا اليه كذلك في بعض رواياتهم انه فتن «الينور» سيدة مقاطعة «الاكيتان الفرنسية» بحبه، و كما انهم سموا اولادهم باسمه في فرنسا.

و خلال معظم فترات الحروب الصليبية، تم تصوير الإسلام على أنه دين وثنى، و أن محمدا ﷺ رسوله ساحر، و شخص فاسد و زعيم شعب فاسد[31]. إضافة إلى الإدعاء بأن العرب و المسلمين، يقومون بمنع الحجاج المسيحيين من زيارة بيت المقدس، و بالتالي، كان هنالك، بل و لا يزال، أدب و ثقافة يحاولان أن يبررا الحملات الصليبية الغربية تجاه الشرق، فالحروب الصليبية لم تكن كما وصفها الكاتب اللبناني، أمين معلوف في كتابه «الصليبيون من وجهة نظر عربية حربا دامية، عنيفة، و بربرية»[32]، بل كانت و ما تزال تراها الثقافة الغربية، حروبا سمحت بالاتصال بشعوب لها ثقافات مختلفة، و أنها عرفت «بحضارة الشرق»[33]. و هذا التفسير، يرضى الذوق الأدبي و الثقافي المسيحي (الغربي) في الماضي و الحاضر.

---

[30] الملك الناصر أبو المظفر صلاح الدين والدنيا (1193 - 1138م)، المشهور بلقب صلاح الدين الأيوبي قائد عسكري أسس الدولة الأيوبية التى وحدت مصر والشام والحجاز وتهامة و اليمن في ظل الراية العباسية، بعد أن قضى على الخلافة الفاطمية التى استمرت 262 سنة. قاد صلاح الدين عدّة حملات ومعارك ضد الفرنجة و غيرهم من الصليبيين الأوروبيين في سبيل استعادة الأراضي المقدسة التى كان الصليبيون قد استولوا عليها في أواخر القرن الحادي عشر، وقد تمكن في نهاية المطاف من استعادة معظم أراضي فلسطين ولبنان بما فيها مدينة القدس، بعد أن هزم جيش بيت المقدس هزيمة منكرة في معركة حطين

[31] طاش عبد القادر: « صورة الإسلام في الإعلام الغربي » ، الزهراء للإعلام و النشر، القاهرة، 1993، ص48.

[32] Maalouf Amin, *Les croisades : Vues par les arabes*, JC .Lattès, Paris, 1989

[33] نصر مارلين: « صورة العرب و الإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية » ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995، ص 92.

4.1.2.4. مرحلة الغزو الاستشراقي و التبشيري:

قبل الخوض في مرحلة الاستشراق و التبشير. كان لا بد علينا ان نتطرق الى ما سبقها من تاسيس لدولة العثمان و التى تأسست و تكونت في المنطقة الشرقية من اسيا الصغرى عام 1300 ميلادي و التى توسعت على حساب البيزنطيين و السلاجقة وصولا الى البر الاوربي كبلغاريا و صربيا تاركين وراءهم القسطنطينية تنتظر مصيرها المحتوم على يد السلطان العثماني محمد الفاتح، و كان اسلافه قد اثارو الرعب في أوربا، اذ حاصر العثمانيون سنة 1683 ميلادي مدينة فيينا عاصمة النمسا. لتنكسر الهيمنة العثمانية ببداية الحرب العالمية الاولى.

ابان الحكم العثماني للدول العربية، تم فرض حصار ثقافي كامل عليها ليعيش العرب ثلاث قرون في عزلة عن العالم الخارجي، و في جهل عما يدور في اوربا و غيرها

ابان الحكم العثماني بقيت صورة العرب عند الغرب هي صورة الشرقي الغبى، غير العقلاني، العاجز عن ادراك الواقع، اذ ان العربي روحاني اكثر منه عقلاني واقعي. يعيش في بيئة غريبة تسكنها الجن و الخرافات... الخ. كما ازدادت القصص المتنوعة عن العرب في هذه الفترة مع ازدياد زيارات الاوربيين للبلاد العربية و كانت القصص في مجملها تصور العربي على انه خطير، فظ، عدائي و لا يظهر المودة للمسافرين. يعيش في البغاء و على القرصنة. كما اختلطت لدى الغرب صورة العربي بالتركي و يرجع ذلك اساسا الى ان الدولة العثمانية لما بسطت سيطرتها على البلاد العربية، اصبحت الصورة اتجاه تلك الشعوب هي نفسها صورة الشعب التركي او العثماني

بعد سيطرة الحكم العثماني على البلاد العربية تأتي مرحلة الغزو الاستشراقي و التبشيري و هي الفترة الممتدة من القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر. و يمكن اعتبار هذه الفترة تمهيدا للغزو الاستعماري الجديد ـ خصوصا في بريطانيا و فرنسا و هولندا ـ الذي استمر حتى استقلال الدول العربية و الإسلامية في الأربعينيات و الخمسينيات من هذا القرن.

فقد ارتبط الاستشراق (L'orientalisme) بالنصرانية أو التبشير بها، من خلال الحملات التي كان يقوم بها الرهبان و القساوسة، من أجل نشر أفكار هذا الدين.

بحيث أن الأديرة أصبحت بمثابة وزارات دعاية منظمة، تمد السلطة السياسية بما يلزمها من الرسائل السياسية المناوئة للإسلام[34]. و بشكل أو بآخر، ارتبطت هذه النشاطات الدينية و الإنسانية أيضا بأهداف استعمارية سواء من الناحية الثقافية، أو السياسية أو الاقتصادية، و في هذه المرحلة كانت الصورة العامة عن الإسلام أنه دين جامد و غير قابل للتطور.

و إذا كان هنالك بعض المفكرين كـ ألبرت حوراني في «كتابه الإسلام في الفكر الأوروبي»، يحاول تبرير الاستشراق و إظهار «حسن نيته الفكرية و الحضارية»، بالقول مثلا إن الاستشراق جاء نتيجة النظرة الناجمة عن المعرفة المتزايدة، لما يؤمن به المسلمون، و ما فعلوه في التاريخ، و ناجمة أيضا عن الأفكار المتغيرة في أوروبا و دور الدين و التاريخ[35]. إلا أنه يبدو لنا، بأن الاستشراق مختلف عن التاريخ، حيث أن هذا الأخير يحاول أن يفهم فقط، و لا يضع موضوع الشك أسس المجتمع الذي يدرسه، في حين يعطي الاستشراق نفسه حق الحكم، بل و حتى الاتهام و الرفض[36].

فمثلا، عبر المستشرق الفرنسي فولنييه عن آرائه حول القرآن، في نص يستحق منا، أن نسرده لتوضيح الفكر الاستشراقي الفرنسي، و تأثيره على تكوين العقل الغربي و وسائل الإعلام الحالية، فيقول: «إن أبعد ما يكون عن روح الإسلام هو إصلاح مفاسد الحكم، و يؤسفنا القول على العكس من ذلك، بأنه السبب الرئيسي لها، و لحصول الاقتناع، يكفي أن نتفحص الكتاب الذي استوعب هذه الروح.

[34] بوزاني السندور: « تطور أوروبا الغربية للحضارة العربية و تجاوبها معها: عرض تاريخي و تفسير » ، مجلة شؤون عربية، عدد28، جوان، 1983، تونس، ص66.
[35] حوراني البرت: « الإسلام في الفكر الأوروبي » ، الأهلية للنشر و التوزيع، بيروت، 1994، ص9.
[36] جعيط، هشام، مصدر سابق، ص47.

من يقرأ القرآن (يضيف فولنييه) سيضطر إلى الاعتراف، بأنه لا يقدم أي مفهوم عن واجبات الناس في المجتمع، و لا عن تكوين الهيئة السياسية، و لا عن مبادئ فن الحكم، و بكلمة واحدة، لا شيء مما يشكل نظاما تشريعيا».

و يتابع فولنييه «إن القوانين الوحيدة التى توجد فيه، يمكن ردها إلى أربعة أو خمسة أوامر، خاصة بتعدد الزوجات، و الطلاق، و الرق و الإرث... و أنه خلال هذه الفوضى للهذيان المستمر، فإن الفكر العام السائد، و المعنى المكثف يتمثلان في التعصب الحاد و العنيد... و لم يكن هدف محمد الهداية، بل السيطرة، و لم يكن يبحث عن أتباع بل عن رعايا»[37].

يقول لويس بوركهارت (Lewis Burckhardt) انه لا يمكن وصف العرب الا بأنهم امة من اللصوص، مهنتهم الرئيسية هي النهب و السلب، و ان الاحتيال هو موضوع تفكيرهم الرئيسي، و لكننا (يقصد الاوربيين) لا يجب ان ننظر الى هذا السلوك نظرتنا نفسها الى فكرة الجريمة التى نراها عند قطاع الطرق و مقتحمي البيوت عندنا في اوربا، فالعرب ينظرون الى مهنتهم بافتخار، لدرجة وصفهم للبطل بالسارق، و يصف بوركهارت الرجال العرب بالغيورين على نسائهم و لو كانوا يسمحون لهم بالحديث الى الغرباء و ملاطفتهم في حين وصف النساء العربيات بالكثيرات للحديث و مغرمات بالحكي و انهى بوركهارت انهن يسلين و يرفهم ضيوفهن في غياب ازواجهن

ريتشارد بيرتون (Richard Burton) تعرض لموضوع الكيف (Kayf) عند العرب، اذ عرفه على انه الطريقة التى يستمتع بها العرب بحياتهم

اما تشالز دوتي (Charles Doughty) فقد نظر الى الجنس العربي بصفة عامة على انه جنس شرير صعب الطباع، يدين بدين لا يستحق العبادة، و يري دوتي ان المرأة العربية مهضوم حقها، و انها انسان من الدرجة الثانية مقارنة بالرجال و هي موضوع للجنس فقط و وظيفتها الاساسية هي الانجاب

[37] علاء الدين، بكر، مصدر سابق، ص 190.

أما المستشرق الآخر شاتوبريان، فلم يكن أقل تهجما و عنفا من فولنييه، إذ يبقى الإسلام لديه في كتابه الطريق من باريس إلى القدس، البربرية المنتظمة التى كرسها و شجعها الدين[38].

و في مرحلة الغزو الاستعماري، تبلورت في أوروبا النزعة العنصرية ضد العرب. و لم يقنع الغرب كما يقول المفكر المصري السيد يسين في كتابه: «الشخصية العربية بين صورة الذات و مفهوم الآخر»، بالترويج لصورة مزيفة عن العرب تتسم بالإجمال، بل إنه حرص و عن طريق فلاسفته و علمائه الاجتماعيين، على رسم صورة تفصيلية تركز على قصور العرب و تخلفهم. و في هذه الصورة سنجد عددا من الأحكام، من بينها ما قرره جورج ديهاميل (عضو الأكاديمية الفرنسية) في كتابه: «حضارة فرنسا» من أن «الذهنية الشرقية عاجزة تمام العجز عن التفكير التركيبى و عن تجاوز الذات»[39].

و حتى المفكر و المستشرق الفرنسي أرنست رينان، الذي أبدى إعجابه في بعض أمور الدين و الحضارة العربية و الإسلامية، حاول من خلال مقالاته و كتبه، التقليل من شأن العرب و دورهم في حمل رسالة الحضارة، برد علومهم إلى الفرس و اليونايين، إلى أن يقول: «إن مستقبل البشرية تحتضنه أيدي الشعوب الأوروبية»[40].

ما ميز مرحلتى الاستشراق و الاستعمار، هو أن الكنسية في مرحلة القرون الوسطى و العلم المدرسي(Scolastique) كانا يجهلان الإسلام غالبا، هذا إذا كانا يعرفان المسلم أصلا، و أن الشعور بالتفوق وامتلاك الحقيقة تتلازم مع وعي بتفوق سياسي و حضاري لدى الأوروبيين[41].

و بغض النظر عن حسن أو سوء نية المستشرقين أو الاستشراق، فإن الشيء المؤكد، أنه كان هنالك تعاون و اتصال وثيق بينهم و بين الدولة و النظام السياسي

[38] علاء الدين، بكر، مصدر سابق، ص 191.
[39] يسين، السيد، مصدر سابق، ص 95.
[40] حوراني، البرت، مصدر سابق، ص 41.
[41] جعيط، هشام، مصدر سابق، ص 15.

الذي ينتمون إليه. و لهذا السبب كان لفرنسا عددا من المستشرقين، الذين عملوا مستشارين لوزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال إفريقيا. فعلى سبيل المثال، كان المستشرق دس ساسي، اعتبارا من عام 1805، يشغل منصب المستشرق المقيم في وزارة الخارجية الفرنسية. كما كان ماسينيون إلى عهد قريب مستشارا للإدارة الاستعمارية الفرنسية في الشؤون الإسلامية[42]... و غيرهم.

في الأخير، يجدر بنا الإشارة إلى أنه قد يكون هنالك شيء من الصدق أو الحقيقة فيما ذكره المستشرقون عن العرب و المسلمين، رغم أنهم اختاروا أكثر مراحل الاستسلام و الضعف في تاريخ العرب و المسلمين على أنها (نموذج) «modèle» للدين الإسلامي و العرب، الأمر الذي ساهم و أسهم في استمرار التشويه و تعميقه تاريخيا و عمليا.

5.1.2.4. الحملات الفرنسية:

شهدت هذه المرحلة عددا من الاحداث المهمة التى اثرت بشكل كبير على طبيعة العلاقات العربية و الوطن العربي منها

- ✓ الحملة الفرنسية على مصر (1798-1801): اذ يرى معظم مؤرخي العصر الحديث ان النهضة العربية بدأت مع نزول الحملة الفرنسية على مصر تحت قيادة نابوليون بونابارت، الحملة التى امتدت الى الشام و التى دامت لثلاث سنوات بمصر، و كان لها الاثر الكبير في بداية و ظهور عهد حديد بين فرنسا و العرب، اذ قامت فيها فرنسا ممثلة لاوربا بدور المدرس و الدول العربية بدور التلميذ.
- ✓ حرب فريزر[43] على مصر (1807-1809) بعد خروج الفرنسيين من مصر، كان لإنجليز يحلمون بالسيطرة على مصر التى تمثل طريق التجارة إلي مستعمراتهم في الهند و دول بحر الابيض المتوسط. كانت هذه الحرب ممهدا لأخرى قادتها انجلترا على مصر و دول الشرق الاوسط .

[42] سعيد، إدوارد: « الاستشراق » ، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1981، ص 146.

[43] الكسندر ماكنزي فريزر ـ (1758 ـ 1809)، جنرال بريطاني كان لقبه ماكنزي حتى أضيف إليه لقب فريزر عام 1803 وهو قائد حملة فريزر على مصر بعد جلاء حملة نابوليون الفرنسية. ولد في أبرد ينشاير في اسكتلندا. و تلقى تعليمه في جامعة أبردين، ثم التحق بالجيش البريطاني عام 1778، فخدم في فوج المشاة الثالث والسبعين

✓ احتلال فرنسا للجزائر العام 1830، و بعدها استعمرت فرنسا دول شمال افريقيا كتونس و المغرب، فاتحة بوابة افريقيا لاستعمار المزيد من الدول الافريقية، و رغم تخلي فرنسا عن العديد من المستعمرات منتصف القرن التاسع عشر، إلا انها الحت على الاحتفاظ بالجزائر كقطعة من فرنسا و حاولت فرنستها بشتى الطرق.

✓ تكسير و تحطيم كل دولة عربية تعتزم النهوض، و ذلك من خلال اجهاض اوربا لمشروع محمد على الوحدوي حاكم مصر و فرضها من خلال معاهدة لندن[44] عام 1840 م شروطا قاسية على العرب و تنظيم جيوشهم و اقتصادهم.

✓ الهجمة الاستعمارية الشرسة على الدول العربية، اذ احتلت انجلترا مصر و السودان و العراق و الاردن و فرضت سيطرتها على قبائل الامارات العربية المتحدة، و قامت فرنسا و اضافة الى الجزائر باستعمار كل من تونس و المغرب و سوريا و لبنان. اما ايطاليا فلم تجد سوى ليبيا لفرض سيطرتها عليها. كذلك الحال بالنسبة لاسبانيا التى لم تجد سوى الارياف المغاربية و الصحراء الغربية، اما المانيا، فقد حاولت النفوذ الى الدول العربية عبر المشاريع الاقتصادية و تحالفها مع الخلافة العثمانية في تركيا

اثناء المرحلة هذه كان للأوربيين و الفرنسيين بالأخص صورة ذهنية للعرب سادت في الغرب الاوروبي، و ظهرت في القرن التاسع عشر عدة ابعاد جديدة لهذه الصور و التى تتجلى اهم ملامحها في

✓ الفصل بين العرب و العثمانيين و كذا الإسلام اذ كان للأوربيين نظرة موحدة للعرب و الاتراك و كل من هو مسلم، خاصة بحكم الهيمنة العثمانية على جزء كبير من البلاد العربية، و كان القرن التاسع عشر بمتغيراته السياسية و الاقتصادية الجديدة يفصل بين مختلف الطوائف و الاعراق، فكان العرب في نظر اوربا اشخاص

[44] من ضمن شروط معاهدة لندن التى أصدرتها الدولة العثمانية فى عام 1840م، دفع مصر جزية لتركيا تعادل 320 ألف جنية سنويا، وتحديد عدد الجيش بـ 18 ألف جندى بشرط أن تكون ملابسهم كملابس عسكر السلطان، وعدم بناء سفن حربية حديثة إلا بتصريح من السلطان، وأن تسرى العهود والقوانين المعمول بها فى تركيا فى مصر. و كان الحرمان الشريفان ضمن المعاهدة، اذ من بين شروط معاهدة لندن الانفاق على الحرمين الشريفين :المكى، والنبوى، باعتبار أن تلك المنطقة كانت تحت ولاية مصر قديما و وضعت المعاهدة عقابا فى حال الإخلال بأى شرط من شروط المعاهدة. هذا و خفضت معاهدة لندن عدد الجيش المصرى و منعت العرب من التسلح و بناء السفن العسكرية

نعتزون بشخصيتهم و تراثهم، و هم يكرهون اسيادهم الاترالك بصفة خاصة و الاجانب بصفة عامة

✓ اكتشاف سحر الشرق من خلال الف ليلة و ليلة و الليالي العربية باستثناء الانجيل، فلم يحقق أي كتاب ما حققه كتاب الف ليلة و ليلة من شعبية واسعة انتشار و الرواج في اوربا خلال القرن التاسع عشر. و يعود هذا الرواج الى ان الف ليلة و ليلة قد كشف تذوق جمالي و حس شاعري و سخر شرقي لم يعهده الاوربيون من قبل. لتصير صورة الشرق و العرب عند الغرب ارض مغامرات مشوقة، و عواطف جياشة و قسوة غاشمة، انها ارض يسكنها السحرة و المجانين و فيها كل ما هو خارق للعادة من مخلوقات متعددة الاشكال

و كان الفضل لكتاب الف ليلة و ليلة كونه مصدرا للمعرفة في رسم صورة حقيقية عن العرب و عن الحياة في البلاد العربية و عن عادات و تقاليد العرب و كان له الفضل كذلك في الزيارات التى قام بها الكثير من الاوربيون الى الشرق و الذين ابدو انسجاما بفعل تلك الحكايات التى كان يسردها الكتاب

✓ الاستغراق في تحليل الشخصية العربية من خلال الدراسات الاستشراقية الذي ميز القرن التاسع عشر هو تكالب الاستعمار الاوربي على البلاد العربية، و قبل هذا الاستعمار كان لا بد للمستعمر اخيار الفريسة من خلال تحديد الاهداف و ايجابيات الاستعمار من سلبياته، و هذا من خلال دراسة و تحليل شخصية الشعوب العربية و معرفة اماكن ضعفها و مواطن قوتها. و هذا ما قامت به الدراسات الاستشرافية و التى تطرقنا اليها بالتفصيل فيما سبق.

6.1.2.4. مرحـلة ما قبل استقلال الجزائر:

ان ما ميز المرحلة هو كون الدول العربية جمعاء باستثناء الحجاز كانت تحت السيطرة الاوربية بشكل او بأخر، و تم عقد معاهدة بين الشريف حسين و السير هنري مكماهون ممثل بريطانيا، يدخل بموجبها العرب الحرب الى جانب الحلفاء ضد الامبراطورية العثمانية و الالمان . مقابل ان تتنازل بريطانيا و حليفتها فرنسا عن

منطقة الهلال الخصيب[45] و شبه الجزيرة العربية للعرب ليؤسسوا مملكة عربية تكون بمثابة نواة الوحدة العربية الشاملة.

و ان التزم العرب بتنفيذ ما عاهدوا عليه في المعاهدة، فقد اخلفت بريطانيا وعدها و عقدت مع فرنسا اتفاقية سايس بيكو [46] و وعدتا اليهود بوطن قومي في فلسطين (وعد بلفور)

بعد الحرب العالمية الاولى تم عقد مؤتمر سان ريمو (San Remo) بايطاليا و الذي فيه وزعت الغنائم بين الحلفاء و كان ابرز الغنائم الدول العربية التى تقاسمتها بريطانيا و فرنسا، و سعت الدول العربية في فترة ما بين الحربين العالميتين بالطرق الدبلوماسية احيانا و بالكفاح المسلح تارة اخرى الى نيل استقلالها و الحصول على حريتها، و لعل ثورة الجزائر كانت ابرز الثورات العالمية و التى انتهت باستقلال الجزائر عام 1962

[45] **الهلال الخصيب** مصطلح جغرافي أطلقه عالم الآثار الأمريكي جيمس هنري برستد على حوض نهري دجلة والفرات، والجزء الساحلي من بلاد الشام .هذه المنطقة كانت شاهدة لحضارات عالمية، وأهمها العصر الحجري الحديث والعصر البرونزي حتى ابتداء الممالك والمدن في جنوب الرافدين وشمال جزيرة الفرات العراقية وغرب الشام. يستخدم هذا المصطلح عادة في الدراسات الآثرية، إلا ان له استخدام سياسي أيضاً، حيث استخدمه أنطون سعادة منطلقاً من التداخل الثقافي في هذه المنطقة الجغرافية عبر التاريخ ليبرهن على وجود أمة واحدة تجمع سكان هذه البيئة الجغرافية وأسس لذلك ألاجتماعي، ونادى بوحدة الهلال الخصيب تحت اسم سوريا الكبرى .

[46] اتفاقية سايكس بيكو عام 1916 ، كانت تفاهمًا سريًا بين فرنسا والمملكة المتحدة بمصادقة من الإمبراطورية الروسية على اقتسام الهلال الخصيب بين فرنسا وبريطانيا لتحديد مناطق النفوذ في غرب آسيا بعد تهاوي الامبراطورية العثمانية ، المسيطرة على هذه المنطقة، في الحرب العالمية الأولى. و تم الوصول إلى هذه الاتفاقية بين نوفمبر من عام 1915 ومايو من عام 1916 بمفاوضات سرية بين الدبلوماسي الفرنسي فرانسوا جورج بيكو والبريطاني مارك سايكس، وكانت على صورة تبادل وثائق تفاهم بين وزارات خارجية فرنسا وبريطانيا وروسيا القيصرية آنذاك. تم الكشف عن الاتفاق بوصول الشيوعيين إلى سدة الحكم في روسيا عام 1917، مما أثار الشعوب التى تمسها الاتفاقية وأحرج فرنسا وبريطانيا وكانت ردة الفعل الشعبية-الرسمية العربية المباشرة قد ظهرت في مراسلات حسين مكماهون. و تم تقسيم الهلال الخصيب بموجب الاتفاق، وحصلت فرنسا على الجزء الأكبر من الجناح الغربي من الهلال (سوريا ولبنان) و منطقة الموصل في العراق. أما بريطانيا فامتدت مناطق سيطرتها من طرف بلاد الشام الجنوبي متوسعا بالإتجاه شرقا لتضم بغداد والبصرة وجميع المناطق الواقعة بين الخليج العربي والمنطقة الفرنسية في سوريا. كما تقرر أن تقع فلسطين تحت إدارة دولية يتم الاتفاق عليها بالتشاور بين بريطانيا وفرنسا وروسيا. ولكن الاتفاق نص على منح بريطانيا ميناءي حيفا وعكا على أن يكون لفرنسا حرية استخدام ميناء حيفا، ومنحت فرنسا لبريطانيا بالمقابل استخدام ميناء الاسكندرونة الذي كان سيقع في حوزتها.

على صعيد اخر في هذه الفترة، فقيام الكيان الصهيوني و قيام اسرائيل في ماي 1942 بدعم كل من اوربا و الولايات المتحدة الامريكية كان له (و لا يزال) الاثر الكبير الذي يميز العلاقات بين العرب و الغرب، فقيام اسرائيل على الاراضي الفلسطينية شتت العداء بين العرب و الغرب على جميع الاصعدة و لعل اسرائيل هي محور الصراع العربي الغربي لسنوات مديدة

و ما مهد لاستقلال المستعمرات الاوربية هو فشل العدوان الثلاثي على مصر اذ كان صمود مصر يعد النهاية الحقيقية لموجة الاستعمار التى لطال ما عانى منها العرب. و كان استقلال الجزائر عن فرنسا، و سحب هذة الاخيرة لجنودها من الجزائر بعد ثورة المليون و نصف المليون شهيد يؤسس لبداية علاقات جديدة بين العرب و اوربا.

و عن صورة العرب لدى الاوربيون في هذة المرحلة فلم تتغير كثيرا عما كانت عليه، في انها اصبحت اكثر اثارة و جذبا للانتباه و يرجع ذلك لعدة اسباب نذكر منها

أ. ظهور كتابات لورنس (T . E Lawrence) و المشهور بلورنس العرب و انتشارها في الغرب الاوربي على نطاق واسع، من خلال اكتسابها على شعبية كبيرة من خلال مغاماراته و حكاياته الخيالية في الشرق العربي ـ الشيء الذي اثار القراء الاوربيين

ب. المعالجة السنمائية و العربية لبعض الحكايات و الروايات العربية و التى تجلت في افلام «لورنس العرب» ، «الشيخ» و «ابن الشيخ» و غيرها من الافلام التى نالت نجاحا و اقبالا كبيرين و التى كان لها الدور في تحديد صورة العرب في اذهان الاوربيين

7.1.2.4. المرحلة المعاصرة:

و هي المرحلة الممتدة من استقلال الدول العربية و الإسلامية، منذ الأربعينيات و الخمسينيات من هذا القرن و حتى ما بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001 و الى تاريخ الثورات العربية التى قامت ضد النظم المستبدة و الطاغية (الربيع العربي)، و التى كان لفرنسا فيها الدور الأكبر من الجانب العسكري خاصة و

السياسي عامة. ثم ظهور ما يعرف بتنظيم الدولة الاسلامية في العراق و الشام (داعش) و ما اتى به من نظم و اعدامات فاقت تصورات البشرية جمعاء. ثم اغتيالات صحفيي شارلي ابدو بقلب العاصمة الفرنسية باريس و ما لحق به من نبش للقبور اليهودية و غيره من سلوكيات العداء و الكراهية بين العرب بإسلامهم و الغرب بقيم ما يسمى بحرية التعبير

اهم ما ميز المرحلة الحديثة، هو انحسار المد الاوروبي عن الوطن العربي كله، اذ نالت البلاد العربية الاستقلال و اصبحت تتمتع بحقوقها و سيادة (و ان كانت تبدو كاملة) على أراضيها كذلك ما ميز هذه المرحلة هو بدء صفحة جديدة من العلاقات العربية الاوربية القائمة على فكرة الحوار و الشراكة و التعايش السلمي بين الجانبين و ان تخفي في طياتها الكثير من الانانية و تبجيل المصالح الشخصية و الاطماع في ثروات البلاد العربية

و لعل اهم ما يميز هذه المرحلة هو انتشار مراكز البحث في أوروبا، و الجامعات المتخصصة و المكتبات المهتمة بقضايا العرب و المسلمين و الشرق عموما، كنوع من الامتداد الطبيعي والمنطقي لظاهرة الاستشراق، أو كما سماها أستاذ العلوم السياسية اللبناني غسان سلامة، في تعليقه على ظهور كتب كثيرة و متنوعة بشكل واضح و مثير للانتباه، حول العرب و الإسلام في فرنسا «بمرحلة الاستشراق الجديدة»[47].

و في هذه المرحلة، نجد أن الصورة النمطية «السيئة» و «السلبية» للإسلام و العرب في العصور الوسطى، و ما تلاها من مرحلتي استشراق و استعمار، و ان تغيرت في الشكل لا المضمون، فهي لا تختلف كثيرا عن الصورة النمطية المرسلة عن طريق وسائل الإعلام الغربية الحديثة التي يصوغها السياسيون و الإعلاميون، و من يسمون اليوم بـ «خبراء الإسلام و الدراسات الشرقية و شؤون الشرق الأوسط»، في المجتمعات الغربية[48].

[47] سلامة، غسان: « العرب و المسلمون في كتابين جديدين » ، مجلة الفكر العربي، السنة الثانية، العدد 14، 1980، بيروت، ص 223.

[48] طاش، عبد القادر: « الإعلام و قضايا الواقع الإسلامي » ، مكتبة العبيكان، الرياض، 1995، ص111.

و مما يلفت النظر في هذه المرحلة كذلك، أن نتائج الباحثين الغربيين المعاصرين، تؤكد آراء و أفكار ما قاله و ما توصل إليه المفكرون في القرون الوسطى و في مرحلة الاستشراق. فالجانبان يعتقدان و يصران على فكرة، أن الإسلام و انتشاره يمثلان خطرا حقيقيا، باعتبار أن الإسلام دين غير حضاري، و لا يساعد على التطور و التقدم، بل إنه قد يؤدي إلى تدمير الحضارة الغربية و القضاء عليها.

و يبدو أن هذه الأفكار و الطروحات (القديمة الجديدة، و المتجددة باستمرار) عادت إلى أرض الواقع السياسي من خلال كتابات البعض من أمثال صمويل هنتغتون و كتابه: «صراع الحضارات»[49]، مشيرا إلى أن العدو الجديد، بعد اختفاء الخطر الشيوعي، يتمثل في الإسلام، و كذلك كتاب: «نهاية التاريخ و الإنسان الأخير»[50]، للكاتب الأمريكي من أصل ياباني فرنسيس فوكوياما، الذي يرى في النظام الرأسمالي (الخلاص الأبدي للبشر على الأرض)، و أن الإسلام على الرغم من ضعفه و تفككه، قد يهدد هذا الدين الجديد المنتصر (الرأسمالية). علما بأن العالم الإسلامي لا يشكل كتلة واحدة سياسيا أو اقتصاديا، و لا يمثل مجتمعا واحدا متجانسا، أو حتى فكرا سياسيا واحدا، و إن كانت واحدة في جوهرها الفكري و العقائدي[51].

على اختلاف اشكال و قوالب صورة الاسلام و المسلمين و كذا العرب، فان جوهرها واحد لم يتغير كما اثبتناه في تتبعنا لاهم المراحل التاريخية التى مرت بها صورة العربي التى ارتبطت بالإسلام، و لندقق اكثر في الصور التى ينعت بها العربي في الإعلام الفرنسي، ارتأينا أن نركز على مرحلة القرن العشرين، حيث سنلقي الضوء على مجمل جوانبها الإعلامية و السياسية و الفكرية الفرنسية. خاصة بعد أحداث سبتمبر 2001.

و من التتبع التاريخي للعلاقات العربية الاوربية في هذه المرحلة، و بالنظر الى الدراسات السابقة فإننا نلاحظ الثبات النسبى لصورة الوطن العربي في اوربا عامة، فلم تختلف الصورة باختلاف تلك الاحداث التاريخية، و ان كانت تبدو مختلفة

[49] Huntigton, Samuel, *le choc des civilisations*. Odile Jacob, Paris. 1997
[50] Fukuyamz, Français, *la fin de l'histoire et le dernier homme*, Flammarion, Paris, 1993.
[51] عثمان حاتم بن: « العولمة و الثقافة » ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، 1999، ص4.

نوعا ما فالاختلاف كان دائما في الشكل لا المضمون، في الاطار لا في الصورة نفسها. و كانت صورة الوطن العربي تتسم بالسلبية المطلقة، خاصة بعد ما يعرف بالربيع العربي و ما نشا عنه من صراعات و ميليشيات اسلامية و ما تقوم به الاخيرة في حق الاوربيين من اختطافات و إعدامات. هذا و ان عرفت تلك الصورة بعض الايجابيات تزامنا مع بعض الاحداث التى خدمت اوربا من طرف العرب

و في رسمها لصورة العرب، اعتبر الاعلام الغربي الدين كمحدد رئيسي من محددات صورة العرب في الاعلام الأوربي، فالإسلام في عين الاعلام احد اهم مسببات سلبية الصورة، و لم يكن الاعلام يفرق بين مختلف الطوائف الاسلامية (الشيعة، السنة، انصار الدولة، انصار الخلافة ...) إلا حديثا، و كان كل ما هو مسلم فهو منشق عن الحضارة الغربية و يرجع السبب في هذا الى الاستشراق المنهج الذي طال الوسائل الاعلامية. اذ برزت اليات و مناهج اعلامية تعمدت رسم صورة سلبية نمطية عن العرب و الاسلام في العقل الاوربي، و افتعال الصراعات و النزاعات و الحث على كراهية العرب و الاسلام.

و يجدر بنا الاشارة في هذا المقام الى التذكير بأهمية دور الإعلام الموجه في تصعيد الأوضاع و النزاعات و كذا الوصول إلى السلام و الأمن، اذ بفضل الدراسات التى توصل اليها الباحثون، اصبح الاعلام سلاح ذو قوة، سلاح تعتمد عليه الحكومات و الدول في السلم كما في النزاع، و أسسوا له وزارات و دوائر حكومية و اولو له الاهمية البالغة في شتى البرامج الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية، بل حتى العسكرية منها و الدينية. مغتنمين بذلك التطور التكنولوجي الهائل و المتسارع خاصة في تكنولوجيات الاعلام و الاتصال.

و ان كانت وظيفة الإعلام الاساسية اتجاه الانسانية هي الاخبار و التثقيف و التوعية والترفيه و إقرار العدالة بين الشعوب، و محاربة العنف، و الجريمة و كذا احلال السلام و الود بين الشعوب... فأن للإعلام ادوار اخرى غير ظاهرة للعيان، من خلال تنشيطه لكثير من بؤر التوتر و النزاعات و الحروب، و تحطيم اخلاقيات مجتمعات باكملها، و تدمير قيمهم التى نشاؤوا فيها. فمما لاشك أن دور الإعلام و

أهميته تكمن في تكريس مفهوم السلام و التعايش و التعاون بين الشعوب و الحضارات، إلا أن السؤال المهم و الضروري في ظل ما نراه هو: هل هذه الآراء و الأفكار، و المقترحات، و المبادئ الأخلاقية، هو ما تقوم و تعمل به الدول الغربية (الأنا) صاحبة النفوذ و القوة الاقتصادية و السياسية تجاه (الآخر) الضعيف، المفكك، أسير نزاعاته الداخلية و الخارجية، و المتمثل في الشرق، العرب و المسلمين بشكل خاص، ودول الجنوب بشكل عام؟

للاجابة عن السؤال سنركز على دور الإعلام الفرنسي و تأثيره، من خلال تحليل وجهات نظر إعلامها المختلفة حول العرب و المسلمين الذين يشكلون –حسب الإحصاءات الفرنسية الرسمية ثمانية ملايين نسمة، و يعد الإسلام بذلك ثاني أكبر طائفة دينية في فرنسا بعد المسيحية الكاثوليكية.

3.4. كيف تناولت وسائل الإعلام الفرنسية صورة العرب و الإسلام؟

إن أثبتت معظم الدراسات السابقة أن الإعلام الفرنسي يشوه صورة العرب و الإسلام لدى المجتمعات الغربية، نعتقد بأن وسائل الإعلام الفرنسية، ليست السبب الرئيسي و الوحيد في إعطاء صورة مشوهة و سلبية عن الإسلام و العرب، و إنما سلوك هذه الوسائل الإعلامية و تأثيرها، جاءا كنتيجة حتمية ومنطقية، لوجود موروث حضاري و ثقافي سلبي، متراكم في الذاكرة الجماعية و التاريخ و العقل الغربي عموما و الفرنسي خصوصا.

و نستطيع أن نربط العلاقة الجدلية بين صور القرون الوسطى «Moyenâgeuse» للعرب و الإسلام، و الصور المعطاة حاليا في وسائل الإعلام الفرنسية، و المقارنة بينها، من خلال إلقاء الضوء على بعض هذه الوسائل، التى تتمثل: في الصحافة، الراديو و التلفزيون، و السينما، و أيضا الكتب المدرسية.

من أجل فهم هذه العلاقة الجدلية للصورة القديمة المتجددة، و المتكررة باستمرار، سنقوم بعرض مواقف الرأي العام الفرنسي تجاه بعض القضايا الإسلامية و العربية و تحليلها، و من ثم، ننتقل إلى مناقشة موقف الصحافة المطبوعة و المرئية من هذه القضية، إلى أن نصل إلى صحيفة «Le Monde» ، حيث نختم تحليلنا، بالإشارة

إلى قضية تأثير وسائل الإعلام على مشكلة الهوية و الاندماج للعرب و المسلمين في المجتمع الفرنسي، و هي القضية التى مازالت تتفاعل و تأخذ مساحة واسعة و مهمة من النقاش و الجدل في فرنسا.

1.3.4. الراي العام الفرنسي و القضايا العربية:

1.1.3.4. مفهوم الرأي العام

لم يستخدم مصطلح الرأي العام إلا مع أواخر القرن الثامن عشر مع بروز ظاهرة النمو السكاني السريع والتجمهر حول المدن الصناعية الكبرى ,ولئن اختلف الفلاسفة والمفكرون آنذاك في التعبير عن ألفاظه ,إلا أن مصطلحات شبيهة ظلت حمالة لمضمونه ومعانيه ,حيث عمد مونتسكيو إلى تسميته بالعقل العام وعبر عنه روسو بلفظ الإرادة العامة. غير أن هناك إجماعا برغم تعدد المصطلحات المعبرة عن هذه الظاهرة التى تشغل أكثر من علم واختصاص إنساني على أن النفوذ الذي يتمتع به الرأي العام لابد أن يحظى باهتمام الساسة والفلاسفة والمفكرين و لقد عرف ماكينون الرأي العام بأنه رأي في موضوع ما يضمره أشخاص متميزون بالذكاء وحسن الخلق ينتشر في المجتمع تدريجيا بين الناس على اختلاف مستوياتهم التعليمية، أما جيمس براون فقد لامس بعدا أخر في تعريفه له في كتابه الديمقراطيات الحديثة، حيث رأى فيه اصطلاحا يستخدم للتعبير عن مجموع الآراء التى يدين بها الناس إزاء مسائل تؤثر في مصالحهم العامة غير أنه وان تعددت فنيات المفكرين والعلماء في التعبير عن مكنون هذه الظاهرة الإنسانية، إلا أن المجمع عليه هو أن الرأي العام يشكل حكما عقليا يصدر عن جمهور تربطه مصالح مشتركة وشعور بالانتماء إزاء موقف من المواقف أو تصرف من التصرفات، بما يثير جدلا عقليا يكون حصيلة نقاش حر بين قوى محافظة وأخرى مجددة... فالرأي العام حينئذ هو رأي تعبر عنه الأغلبية تجاه قضايا معينة، بعد أن تخوض فيه النخب وطلائع المجتمع ووسائل الإعلام. و إذا كان الرأي العام يفترض رأيا تعبر عنه الأغلبية وتجنح إليه في ظل مناخات الحرية الحقيقية، إلا أن وجوده لا تلغي أبدا حقيقة أراء تعبر عنها الأقليات ولكن قد تحملها الظروف السياسية والاجتماعية على أن تصبح رأيا للأغلبية.

وتعد حريات الرأي والصحافة والكتابة والنشر و الإعلام بوجه عام وحرية الاجتماع و التنظيم مساعدا أساسيا من أجل بلورة رأي عام ينبثق عن إرادة وتصور عقليين واعيين في كنف التعبير عن الهموم والمشاعر والرؤى الناضجة التى تشق المجتمعات الحرة التى تخول نشاطا تفكيريا وتعبيريا حرا للمواطن في مختلف القضايا الداخلية والخارجية و كلما نمت مستويات التعليم وارتفعت معدلات النمو الحقيقي واقترن ذلك بمناخات عتيدة وصادقة للحرية، إلا وكان الرأي العام الذي يشكله أساسا نخب المجتمع وقادته الحقيقيون ومفكروه ووسائل إعلامه، إلا وكان هذا الرأي العام شفافا وصادقا وأمينا في عكس تطلعات الناس و أماهم و ألامهم و تقويماتهم وتصوراتهم عما يستجد للوطن والمجتمع من قضايا وحاجات وعلى اعتبار أن المناخ الاجتماعي للناس والحاجات الاقتصادية تلعب هي الأخرى دورا مؤثرا في توجيه الرأي العام.

إن الرأي العام الفرنسي اتجاه العرب و قضاياهم و الإسلام... لا يختلف عن بقية الدول الغربية التى لطالما ترى العرب شعبا بدائيا متخلفا. و لذلك لم تتردد فرنسا في الاعتراف بإسرائيل عام 1948، و مساعدتها في بناء ترسانتها العسكرية، و حتى الذرية منذ الخمسينيات من القرن الماضي.

و قد حاولت فرنسا تكريس مفهوم «صراع الحضارات» من خلال الاستعمار أولا، و من خلال الحملات العسكرية المتكررة ثانيا، كعدوانها المشترك على مصر عام 1956، كمحاولة يائسة منها للرد على دعم جمال عبد الناصر للمجاهدين الجزائريين، إضافة إلى بحثها الدائم و المستمر عن دور ومكان في الشرق الأوسط.

و على الرغم من وجود قيادي قومي قوي مثل شارل ديغول (1958-1969) الذي حاول أثناء الحرب الباردة أن يخط طريقا ثالثا مستقلا يختلف عن القوتين العظميين آنذاك، إلا أن الإعلام الفرنسي كان أقوى منه و اتهمه باللاسامية (Antisémitisme) ، لوصفه شعب إسرائيل –بأنه من النخبة، واثق من نفسه و ميال

إلى السيطرة (Sur de soi et dominateur) [52]، و لمحاولته، أيضا، أخذ موقف محايد نسبيا من الصراع العربي الإسرائيلي عام 1967[53].

و يمكن فهم دور الإعلام الفرنسي و تأثيره على الرأي العام الفرنسي، بمناقشة بعض مواقف الرأي العام الفرنسي، و رأيه في بعض القضايا السياسية العربية الدولية، خاصة القضايا المتعلقة بفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

فمثلا في حرب 1967، استطاعت وسائل الإعلام الفرنسية أن تخلق رأيا عاما فرنسيا مؤيدا للمواقف و السياسات الإسرائيلية. و هذا ما لمسناه و لاحظناه أثناء حرب 1967، أو حسب تعبير الصحفي المصري محمد حسنين هيكل «نكسة 67».

و الواقع يثبت لنا مرارا و تكرارا، إن الخط الثابت في تعامل الرأي العام الفرنسي مع العرب و إسرائيل، هو مساندته التاريخية و التقليدية للدولة اليهودية. و هذه الحقيقة تتأكد باستمرار، كلما شعر، بأن إسرائيل تواجه خطر الزوال «بسبب السلوك العدواني لجيرانها العرب»

فخلال حرب 1967، و في استطلاع حول سؤال: في حالة وقوع نزاع بين إسرائيل و البلدان العربية مع من تتعاطف؟ كان الجواب كالتالي: إسرائيل (58%)، البلدان العربية (2%) وحتى بعد أن دمرت إسرائيل الجيوش العربية و احتلت أراضيها، فإن مشاعر الرأي العام الفرنسي لم تتغير كثيرا كما تدل على ذلك نتائج الاستطلاع التالي: المساندون لإسرائيل(56%)، أما البلدان العربية (2%). و حول سؤال من المسئول عن الحرب كان الجواب كالتالي: إسرائيل (6%)، البلدان العربية(54%)[54].

و قد استمر هذا الدعم المادي و المعنوي لإسرائيل، من خلال الرأي العام الفرنسي في حرب أكتوبر 1973، حيث عبر (55%) من الفرنسيين عن عدم

[52] Aron, Raymond, Mémoire :*50 ans de réflexion politique*, Julliard, Paris, 1983, p498

[53] بوقنطار حسان: « السياسة الفرنسية إزاء الوطن العربي منذ عام 1967» ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1987، ص 206.

[54] بوقنطار حسان، مصدر سابق، ص 206.

ارتياحهم، و عدم مشاطرتهم لموقف حكومة بلادهم –المتوازن الحيادي إلى حد ما– إزاء الشرق الأوسط، في مقابل (30%) فقط أعلنوا عن مساندتهم لهذه السياسة[55].

و في عام 1973، و على الرغم من غزو إسرائيل للبنان، و تورطها في مذابح صبرا و شاتيلا ضد الفلسطينيين، فإن استطلاعا للرأي العام، أثبت أن (37%) من المستجوبين عبروا عن استمرار تعاطفهم العميق مع إسرائيل، في حين لم يتجاوب مع مطامح الشعب الفلسطيني سوى (21%)[56].

أما في حرب الخليج الثانية عام 1991، فقد كانت غالبية الفرنسيين ضد الحرب، و قد عبرت صحيفة ليبراسيون (Libération) عن ذلك في عنوان صارخ، «لا دم من أجل النفط الأمريكي» و «لا تضحيات أوروبية من أجل مصالح أمريكية»، و قد أظهرت مراكز دراسات استطلاعات الرأي العام أن (92%) من الفرنسيين يعارضون الحرب[57]. و لكن قبل أسبوع من بداية المعارك، خرج الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتيران (1981-1995) ليقول بصراحة و بالحرف الواحد: «بعد الحرب، سيكون هناك اقتسام جديد للمصالح». ثم ذكر الرأي العام الفرنسي برفض العراق للدور الفرنسي و الأوروبي في حل الأزمة، و أكد أن الكويت عضو في الأمم المتحدة و جامعة الدول العربية قبل أن يعرج على الحرب العالمية الثانية، و يشرح كيف نشب بسبب تقصير أوروبا في وضع حد لـ أدولف هتلر بعد دخوله إلى تشيكوسلوفاكيا. عند هذا الحد أعلن الرئيس الفرنسي أن حربا عالمية ثالثة قد تنشب، إذا ما سكت العالم عن استيلاء العراق على الكويت، و يصبح حسين صدام أكبر مالك للنفط و احتياطاته[58].

انطلاقا من هذه الحجج: «تقاسم المصالح الذي سيلي الحرب، و ضرورة منع دكتاتور من العالم الثالث، و هو فوق ذلك عربي و مسلم، من امتلاك إمكانات قد تساعده على التدخل في تغيير نمط حياة الغرب»، بدأت حملة على العراق (و على العرب بصفة عامة) تغذت من دلالات و معارف ثاوية في موروث

[55] L'Express, 22 Octobre 1973

[56] بوقنطار حسان، مصدر سابق، ص 206.

[57] كيلو، ميشيل، (محررا): « نظام التضليل العالمي » ، ترجمة غازي أبو عقل، دار المستقبل، دمشق، 1994، ص 229.

[58] المصدر نفسه، ص 231.

شعوري تاريخي الطابع، تكون في أوروبا عموما و فرنسا خصوصا قبل الحروب الصليبية و فيها، و تطور مع الخروج الأوروبي من العالم العربي.

إن هذه الدلالات، تعبر عنه جملة أحكام مسبقة و مشاعر معادية حيال «العربي/المسلم»، فهي ترى فيه كيانا مجبولا بنار حقد عنصري ديني أعمى على الآخر، و على من ليس عربيا و مسلما، تاريخه هو تاريخ تحينه فرص الغدر بغيره، لذا تنتفي منه الأعمال المفيدة للبشر و يزخر بالشر[59].

و مع تصاعد وتيرة الحملة السياسية و الإعلامية ضد العراق و العرب، بدا للعيان أن الرأي العام المعارض للحرب بنسبة (92%) في البداية، مستعد لسفك الدم الفرنسي من أجل النفط الأمريكي.

إن التحول و التغير المفاجئ للرأي العام الفرنسي يثبت و يؤكد الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في صناعة الرأي العام الفرنسي، إذ أن وسائل الإعلام بكافة أنواعها، كانت و ما تزال و حسب الظروف و التطورات السياسية تخاطب الضمير النائم في الذاكرة التاريخية (La mémoire historique) للمواطن فرنسي. و هي ذاكرة مليئة بالصور القاتمة، المرعبة، و السلبية. و هكذا، كان لابد و في أثناء حرب الخليج الثانية، من ربط التاريخ بالحاضر، و الشرق بالغرب، و الإسلام بالمسيحية، فقيلت ورددت أفكار قديمة، مغلفة بعناوين إعلامية جديدة حديثة ذات مغزى سياسي، مثل: «جزار بغداد»، «خليفة بغداد الجديد»، و «بختنصر»[60].

و هنا، يبرز سؤال مهم جدا حول علاقة «الرأي العام» و «الديمقراطية»، مثل فرنسا، يقال فيها إن السياسة تتعين بـ «الإرادة العامة للمواطنين » (La volonté générale) ، كما حددها جان جاك روسو

و كيف يمكن لحفنة من الساسة أن تنجح خلال فترة وجيزة جدا –أقل من ثلاثة أشهر- في قلب عقول غالبية شعب متحضر و مشاعره، و في تحويله من مؤيد متحمس للسلام إلى متحمس للحرب؟ و ما معنى ديمقراطية الشعب للشعب و

[59] كيلو، ميشيل، مصدر سابق، ص 232.

[60] El-Kareh,Rudollf, '*les médias français dans la crise du golfe'*, Revue d'Etudes Palestiniennes, vol.38, 10ème année, Hiver 1991, p 72

بالشعب، إذا كان يمكن لقلة صياغة وعي مجتمع حسب الظروف و المصالح السياسية[61].

لقد أثارت المعالجة الإعلامية –المطبوعة منها أو المرئية- لحرب الخليج الثانية، العديد من التساؤلات و الطروحات، حول دور الصحفي و مهمته، و هل هو مجرد «شاهد فقط» (Un témoin) ،كما يقول البعض، أن أنه «فاعل سياسي» (Un acteur) ، أو مشارك في العمل الديبلوماسي[62].

و كتأكيد على الدور الفعال و المهم الذي قام به الإعلام، قبل و أثناء و بعد الحرب، أطلق البعض على حرب الخليج الثانية، «حرب بالصورة» (Guerre en image)، و بعضهم فضل استخدام مصطلح «حرب صور» (Guerre d'images) [63].

و بغض النظر عن النتائج السياسية أو العسكرية التى أسفرت عنها هذه الحرب، و بغض النظر عن «طبيعة المعركة الإعلامية» و شكلها و صورها و ألوانها، فإن الشيء المؤكد و الملموس، هو أن الصورة المعطاة مسبقا و تأثيرها على الرأي العام الفرنسي كان كبيرا و واضحا (ليس لهذه الحرب فقط) و إنما لصورة العرب و دورهم و تأثيرهم على الساحة الدولية بأسرها مستقبلا.

و يبدو أن هذه النتائج و الحقائق التى توصل إليها الرأي العام الفرنسي، حول صورة العرب و دورهم على الساحة الدولية، جاءت تؤكد استطلاع الرأي الذي قام به مركز المعلومات و العلاقات العامة في الجيش الفرنسي في عام 1986 (SIRPA)، و الذي أظهر بأن نصف طلاب المرحلة الثانوية الذين يبلغون بين 16 و18 عاما، يعتبرون أن من أهم الأسباب التى قد تؤدي إلى حرب عالمية مفاجئة هي الأصولية، (L'intégrisme) بنسبة (26%)، و الإرهاب (Le terrorisme) بنسبة اقل و تقدر بـ (22%) [64]. و على ما يبدو، أن هذه المصطلحات و المفاهيم كانت تشير بشكل أو بآخر إما للعرب أو المسلمين.

---

[61] كيلو، ميشيل، مصدر سابق، ص 232.

[62] El-Kareh,Rudollf, op. cit, p72

[63] Dany, Serge, '*Avant et après l'image',* Revue d'études palestiniennes, vol.40, 10ème année, Eté 1991, p 52

[64] Liauzu, Claude, *l'orient miroir de la crise de l'occident*, Revue d'Études Palestiniennes, vol.38, 10ème année, 1988, p 166

و لكي تكتمل الصورة، و تتضح أبعادها، و لكي نكون قريبين من الدقة و الموضوعية، يجب الإشارة و التأكيد هنا على أن الموقف الفرنسي، أو بتعبير أصح موقف «الرأي العام» الفرنسي حول القضايا العربية لم يأت من فراغ، و إنما كان هنالك (و لا يزال) عدد من العوامل الموضوعية التى ساعدت على خلق و تكوين و تشكيل هذا الموقف و هي:

1ـ العلاقة التاريخية الطويلة بين اليهود و الفرنسيين، بداية من الثورة الفرنسية عام 1789، مرورا بعقدة الذنب الناتجة عن قضية الفريد دريفس[65] (Alfred Dreyfus)، وصولا إلى مظاهر اللاسامية و مجازر الغاز النازية في ظل حكم أدولف هتلر (1933-1945).

2ـ المصير المشترك الذي ربط الفرنسيين و الإسرائيليين في خندق واحد عام 1956 في العدوان الثلاثي على مصر.

3ـ سيطرة بنية ثقافية صهيونية، و يسارية (و ليست يمينية كما يؤكد ذلك حسان بوقنطار في كتابة السياسة الخارجية الفرنسية إزاء الوطن العربي منذ عام 1967)[66] على دور النشر، و سائل الإعلام، و هي في مجملها متضامنة مع إسرائيل، و لا تتردد في الدعاية لها، و الدفاع عنها. ولا شك، أن القضية الفلسطينية كانت –و ما تزال- مرتبطة في الفكر و الروح الأوروبية بالمشكلة أو المسألة اليهودية «La question juive» ، و قد عبر عن هذه الحقيقة، المفكر و الفيلسوف الوجودي جان بول سارتر بالقول: «لقد وجدنا أنفسنا ممزقين، بين علاقات صداقة و وفاء متناقضة، لذلك نشهد اليوم، مجابهة بين العالم العربي و إسرائيل، و كأنها مجابهة تمزقنا نحن، و لذا نعيش هذا التعارض بينهما، و كأنه مأساتنا الخاصة»[67].

4ـ و هذا ما يهمنا في دراستنا بشكل مباشر، فعلى نقيض القوالب الإيجابية السابقة الجاهزة التى صنعها الرأي العام الفرنسي لإسرائيل، فإن صورة العرب في فرنسا مشوهة، و مغلقة بالحقد و الكراهية و التعالي، فالذاكرة الفرنسية في استرجاعها للعرب لا تنسلخ عن القيم الاستعمارية الغابرة: التقدم/الانحطاط ـ التحضر/التخلف ـ

[65] ضابط يهودي فرنسي اتهم بالتعاون و التجسس للألمان، و قد سجن عام 1894، إذ أن القضية أعيدت للمناقشة، تحت ضغط الرأي العام، و تمت تبرئته في عام 1906

[66] بوقنطار حسان، مصدر سابق، ص 209.

[67] Liauzu, Claude, op; cit, p 171

الرقي/الهمجية. و الفرنسي العادي لا ينظر إلى الإنسان العربي خارج نموذجين:

النموذج الأول: مهاجر ينتمي إلى عالم متخلف، رحل إلى فرنسا، حاملا معه تراثه و قيمه البالية، و غير قادر على الاندماج في المجتمع الفرنسي المتحضر، و أصبح في خضم الأزمة الاقتصادية، بمثابة المتهم الذي سرق عمل الفرنسيين، و عمق من المشاكل الاجتماعية التى تعيشها البلاد من بطالة و جريمة.

أما النموذج الثاني: فيتمثل في الشيخ القادم من الصحراء، و الذي يملك آبارا نفطية و مثقلا بالدولارات، ينفق بدون حساب من أجل إشباع رغباته، و لا يتردد في رفع أسعار النفط لخنق الاقتصاد الغربي[68].

2.1.3.4. صورة العربي في الصحافة المطبوعة و المرئية:

و بعد أن رأينا كيف أن الرأي العام الفرنسي، الموجه من قبل وسائل الإعـــــلام المعتمدة على الذاكرة التاريخية في معالجتها الصحفية للأحداث، وقف موقفا منحازا لإسرائيل، و عدائيا تجاه القضايا العربية التى ذكرنا بعضا منها، سنتعمق قليلا في هذه الوسائل الإعلامية ـ دون أن يعنى ذلك الدخول في التفاصيل ـ بإلقاء الضوء على بعض الصور النمطية المعطاة للعربي و المسلم على حد سواء، علما بأنه لا يوجد فرق كبير في المعالجة الإعلامية، الفرنسية أو الإنجليزية أو الألمانية، لصورة العربي في وسائل الإعلام المختلفة، و يبدو أن هنالك صورة للعرب لا يمكن تجزئتها أو التخلي عنها عند الأوروبيين...

و قبل أن نستعرض بعض نماذج الصورة الذهنية المرسلة من الذاكرة و الإرث الحضاري و التاريخي و الثقافي الأوروبي الغربي، و المعبر عنها عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، و المستقبلة من الشعب، أو الرأي العام الأوروبي بشكل عام و الفرنسي بشكل خاص، يجدر بنا أن نميز بين مفهومين متداخلين و متشابهين إلى حد كبير:

[68] بوقنطار حسان، مصدر سابق، ص 209.

الأول: يتعلق بمفهوم الصورة الذهنية (l'image)، و نقصد به:« تلك التصورات العقلية الشائعة بين أفراد جماعة معينة، و التى تحدد اتجاه هذه الجماعة نحو شخص، أو شعب، أو فكرة أو شيء معين».

الثاني: يتعلق بمفهوم الصورة النمطية: «le stéréotype» و نقصد بهذا المفهوم: « تلك الصور الذهنية التى تتحول إلى صور«نمطية» عندما تتكرر على نحو ثابت و جامد، و تتسم بالتبسيط المفرط، و الحكم القيمي العاطفي»[69].

و يعكس هذا التعريف، لمفهوم الصورة بنوعيها أهمية « الدعاية السياسية»، و دورها و مجالها و تأثيرها في خلق هذه الصور، و هو ما تقوم به وسائل الإعلام المختلفة، حيث تعرف الدعاية على أنها «السعي المخطط و المنظم لتشكيل تصورات المتلقين، و التلاعب بمعارفهم، و توجيه سلوكهم، و ذلك من أجل تحقيق استجابات لديهم تتفق مع ما يريده الداعية»[70].

من جهته يعرف المفكر محمد أركون، الصورة، أو بتعبير أصح التصور «l'imagination»، بالقول: «إن تصور فرد، أو مجموع اجتماعي، أو أمة: هو مجموعة التصورات المنقولة من الثقافات الشعبية في الماضي، كالملاحم البطولية، و الشعر، و الخطاب الديني. أما اليوم، فيتم نقل هذه التصورات عن طريق وسائل الإعلام بشكل أساسي، و من ثم المدرسي»[71].

«و من هذا التعريف يظهر (حسب تعبير محمد أركون) أن كل شخص، و كل مجتمع له تصوراته المرتبطة باللغة المشتركة، فهناك تصورات فرنسية، إنجليزية، ألمانية، حول الإسلام، و هناك تصورات جزائرية، و مصرية و إيرانية و هندية... حول الغرب»[72].

أما فيما يتعلق بمسألة الصورة العربية في الصحافة المطبوعة و المرئية الفرنسية، فنجد أن الصورة المعطاة، تلخص المضامين السياسية و الدينية للعلاقة بين الغرب و العرب،

[69] طاش، عبد القادر، 1995، مصدر سابق، ص 105.

[70] العربي عثمان: «الدعاية: النظريات و التوجهات الحديثة»، مطابع دار طيبة، الرياض 1993، ص 82.

[71] Arkoun, Mohammed, *Ouvertures Sur l'Islam*, Grancher, Paris, 1989, p 14

[72] Arkoun, Mohammed, op,.cit, p14

و التي جعلت من الموروث التاريخي وسيلة للحشد و الضغينة ضد العرب المسلمين. و للخروج من حرج الازدواجية الناجمة عن أخذه بالديمقراطية في عصرنا الراهن، اندفع الغرب لتبرير سياسته باستخدام وسائل الإعلام، و إعطاء صورة سلبية عن الإسلام و العرب مستغلا كل ما يمكن أن يسيء إليهم و لقضاياهم.

و قد اخترنا بعض نماذج من هذا السلوك (الإعلامي-السياسي) الفرنسي، و التي على ما يبدو كان هدفها إعطاء صورة سلبية للعرب و المسلمين، عن طريق خلق انطباعات و تصورات تبدو «ذاتية» و «تلقائية»، بحيث لا يشعر المواطن العادي و الرأي العام الفرنسي بأن هذا الأمر مقصود و مخطط له.

فنجد مثلا ملصقات دعائية لقاموس لاروس (Larousse) الفرنسي، توضع بأمكنة بارزة بمحطات القطار المنتشرة في باريس و المدن الفرنسية الأخرى، تحمل صورة رجل يرتدي ملابس عربية بهيئة مزرية، و يجلس على الأرض ماسكا برسن جمله بيده اليسرى، و بالقاموس مفتوحا بيده اليمنى، ليعنى أن العرب على جهلهم يقدرون هذا القاموس[73].

و صورة أخرى تظهر احتقار العربي و المسلم للمرأة، مثل إعلان مثلجات «البوظة»، حيث يظهر رجل على هيئة بدوي، يرتدي ثيابا رثة، و يمتطي جملا في صحراء قاحلة و تقوده فتاة، يغطي وجهها حجاب سميك، و لا يبدو منه سوى العينين، و تسير أمامه و هي حافية القدمين، و فجأة يخرج البدوي قطعة البوظة من تحت إبطه و يلتهمها بنهم شديد[74].

و أحيانا أخرى، تستخدم الصحف و المجلات الفرنسية المطبوعة، «هجوما مباشرا» و واضحا لا لبس فيه، باستخدام الكلمات الجارحة، و الشعارات الساخرة من العرب و المسلمين.

[73] أبو هلالة، يوسف محيي الدين: « الإعلام الغربي المعاصر و أثره في الأمة العربية»، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، 1986، ص 16.

[74] أبو هلالة، يوسف ، مصدر سابق، ص 17.

فمثلا مجلة (l'Express) و التي كان يملكها آنذاك اليهودي جيمس غولد سميث، تظهر على غلافها صورة الكعبة، في 24 نوفمبر عام 1979، و قد كتب بالخط العريض «الإسلام يعني الحرب». أما في مجلة باري ماتش (Paris Match)، و في نفس اليوم، نجد على الغلاف «الحرب المقدسة: مراسلونا في النقاط الساخنة من الإسلام»[75].

و بالنسبة لدور التلفزيون في نقل صورة الإسلام و العرب للرأي العام الفرنسي، نجد بأن سبعة أعشار الفرنسيين[76] يعتمدون على معلوماتهم و مرجعياتهم على التلفزيون، و هو لا يختلف في تعامله مع العرب و الإسلام عن أسلوب الصحافة المطبوعة، لأنه أكثر فاعلية و تأثيرا، فهناك الصوت، و الصورة، و اللون، و يأتي في كثير الأحيان حيا و مباشر.

و لكي لا نضيع في الأمثلة المتكررة و المتعارف عليها للجميع، كتسليط الكاميرات على بعض العامة الذين يصرخون : «الموت للغرب»، أو «الموت للإمبريالية و الصهيونية» أو تسليط الكاميرات و الأضواء على امرأة محجبة، أو رجل ملتح، سنعطي مثلين و لكنهما معبران عن الحكم المسبق و الجهل المقصود أحيانا عن العرب و الإسلام:

فأثناء حرب الخليج الثانية عام 1991، خرج مقدم أخبار القناة الثانية الفرنسية A2، ليقول: «رئيس لبنان المسلم إلياس الهراوي»[77]. أما المثال الثاني فبطله برنارد بيقوه أحد أشهر مقدمي البرنامج الثقافي (Bouillon de culture) في القناة الفرنسية الثانية، الذي استضاف في برنامجه التلفزيوني المفكر و المستعرب الفرنسي المعروف جاك بيرك، بمناسبة انتهائه من ترجمة القرآن الكريم إلى الفرنسية، حيث طرح السؤال التالي: «هل يعتبر القرآن كتابا مقدسا؟» و حين أجاب بيرك بالإيجاب، هب مقدم البرنامج صارخا: «ألا ترى أنه كتاب يدعو للحرب و نبذ السلام و أنه مسئول عن مآسي كثيرة حلت بالإنسانية على يد المسلمين العرب؟»[78].

[75] طاش، عبد القادر، (1993)، مصدر سابق، ص 89.

[76] El – Kareh, Rudolf, op.cit, p63

[77] El – Kareh, Rudolf, op.cit, p65

[78] كيلو، ميشيل، مصدر سابق، ص 232.

و قد شرحت الباحثة مجالي موريس، أستاذة تاريخ العرب الحديث في جامعة «السوربون»، دور التلفزيون و مشاركته للصحافة في إعطاء صورة معينة للعرب و المسلمين قائلة، «من السهل إرسال كاميرات التلفزيون للشوارع، و الطلب من بعض الباعة المتجولين التعبير عن رأيهم في آيات شيطانية. أو الاستفسار عن وضع (المرأة) المزري في الإسلام، و هو موضوع، يثير الخيال الغربي في علاقاته مع الشرق»[79].

و يعلق الصحفي الفرنسي لوسيان بيترلان عن دور الإعلام و تأثيره، بقوله: «يلزمنا في الحقيقة ساعات طوال حتى يتسنى لنا تعداد الجرائد اليومية و الدوريات الأوروبية، التى تلجأ إلى تضخيم الأحداث الفعلية أضعافا مضاعفة، ليس فقط لجذب القراء و المستمعين خدمة لأغراضها السياسية، كما يؤكد علماء الاجتماع، بل أيضا لهدف تجاري، إذ من حق التضخيم أن يزيد من مبيعات الجرائد و مبيعات البرامج البصرية (التلفزيون) و السمعية (الإذاعة) »[80]. و هنا يظهر العربي، و كأنه وسيلة ربح و تشويق للرأي العام و لجمهور القراء الفرنسيين، مع وجود أهداف سياسية خفية تظهر على السطح حسب الحاجة و الظروف السياسية و المصلحة الوطنية لفرنسا.

و قد انتبه لهذه العلاقة بين «الحدث» و «عملية التسويق» و العلاقات السياسية، المفكر و الفيلسوف الفرنسي المسلم روجيه جارودي في كتابه «الهداموون»[81] «Les fossoyeurs» حيث يقول: «أصبح الإعلام أولا سوقا هائلة، أكثر اتساعا من سوق الصناعة و سوق المال، ضمن نطاق (رأسمالية وسائل الاتصال) المتممة للثالوث الذي يشكل أساس الترابط الاجتماعي. فجاء بيع قنوات التلفزة في فرنسا إلى القطاع الخاص، تبعا للنموذج الأمريكي، ليجعل الحدث سلعة تفصل على ذوق الزبون»..... «و أصبحت الأخبار و الاستعراضات مسندا للإعلانات التى تتحكم بتمويل البرامج و انتقاء مقدميها تبعا لمؤشر نسبة الاستماع و المشاهدة. و يعتبر سادة الإعلام الكبار، من أمثال مردوخ و ماكسويل في بريطانيا، و هيرسانت في فرنسا،

[79] Morsy, Magali, *Rester musulman en société etrangère*, n° 62, P.U.F, Paris, 1992, p124.

[80] بيترلان لوسيان: « دور الإعلام العربي في أوروبا » ، مجلة شؤون عربية، عدد 17، ماي 1982، ص 122.

[81] Garaudy, Roger, *Les fossoyeurs*, Archipel, Paris, 1992

يعتبرون الإعلام –و الأخبار- سوقا كغيرها، تباع فيها الصور و المشاهد كما تباع الأحداث و الوقائع».

و جدير بالذكر التذكير بأنه لا تزال إلى يومنا هذا الثلاث وكالات أنباء عالمية، و هي: «رويتر»، و «وكالة الصحافة المتحدة الأمريكية»، و «وكالة الصحافة الفرنسية»، تسيطر و تغربل و تفرز للعالم كله ما ينبغي قوله و رفعه إلى مرتبة «الحدث» و ما لا ينبغي أن يحظى بهذا المقام، كذلك يعمل «بنك للصور» بالطريقة نفسها غربلة و فرزا. و اسم هذه المنظمة «وكالة تبادل الأخبار الفيديوية»، تحدد ما يجب أن يشاهد و ما لا يجب. و شبكات التلفزة الفرنسية جميعها أعضاء في هذه المنظمة، مما يجعل انتقاء «الأحداث» على القنوات الست الفرنسية الارضية، و فضائياتها التى تتجاوز الأربعين، عملية واحدة. و العرض و الطلب هو الذي يشكل قاعدة عمل المجموعة كلها.

و حدث أنه في عام 1988 توفي ثلاثة آلاف شخص في السودان، و جرت مجزرة في الزائير راح ضحيتها ثلاثمائة طالب جامعي. و لكن الكاميرات التلفزيونية ظلت موجهة على ثلاثة حيتان احتجزها الجليد في ألاسكا.

3.1.3.4. صورة العرب في الكتب المدرسية:

إذا كانت وسائل الإعلام، من صحافة مطبوعة، و صحافة مرئية، قد أسهمت بشكل واضح و مؤثر في إعطاء صورة سلبية، و قاتمة للرأي العام الفرنسي عن العربي و الإسلام -على الأقل من وجهة نظر عربية- فما هو الدور الذي لعبته المقررات المدرسي؟

لقد قامت جمعية «الإسلام و الغرب» و هي جمعية تحاول، التقريب بين وجهات النظر الغربية و وجهات النظر للأقليات الإسلامية في أوروبا و خاصة في فرنسا. فقدمت دراسة حول الكتب المدرسية في المرحلة الثانوية.

و تقول الدراسة: «... إن معظم الكتب المدرسية في أوروبا الغربية و في فرنسا بالذات، تجمع على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان تاجرا و نبيا و قائدا، و أن شخصيته شاذة نوعا ما، فهو قد قضى طفولته معذبا و تزوج من خديجة

زواجا مصلحيا، و أنه كان يسعى إلى تحقيق مآرب سلطوية و مادية عبر الدعوة إلى الديانة الإسلامية، باعتباره كان محبا للمال، و يحلم بالمركز و السلطة و الحكم»[82].

و لقد قام الباحث مارسيل بوازار بتقديم رسالة ماجستير في جامعة «تولون» عام 1980، عن صورة الإسلام في القرون الوسطى عبر الكتب المدرسية من عام 1945 الى 1980. و قد لاحظ بـــوازار، بأن الحضارة الإسلامية حظيت بنصيب ضئيل من الذكر في الكتب المدرسية، حيث حصلت فقط على (4%) من مضمون الكتب[83].

و يعرض بوازار نماذج لما ورد في الكتب المدرسية الفرنسية عن الإسلام و العرب، كوصف النبي ﷺ ، بأنه: ...شخصية مستبدة برأيها في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، حيث المظهر الديني حصرا بولـــغ في وصفه ... و أنه أخرج من مكة، فظل مشغولا باسترجاعها، و منذ البداية التجأ للعنف، و مكنه فنه في قيادة الجموع من توحيد أنصاره الذين زرع فيهم روح التعصب، و وعدهم بالجنة إذا ماتوا في سبيل «الحرب المقدسة»[84].

من جهتها، قامت الباحثة اللبنانية مارلين نصر بدراسة حول صورة العرب و الإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية. حيث أن الباحثة أعطتنا صورة كاملة و متكاملة، لرؤية الفرنسيين للعرب و الإسلام. فقد وجدت الباحثة، أن صورة العربي في كتب المرحلة الابتدائية كانت «سلبية»، «خاملة»، و «متخلفة»، و «يتميز دورها بالعداء تجاه الآخرين». هذا إلى جانب أن الصورة المعطاة باستمرار للعرب، هي أنهم «بدو الصحراء». و كأن عرب اليوم «الحضر» غائبون أو بتعبير أصح مغيبون[85]. في حين نجد أن صورة الفرنسي كانت على العكس تماما، فهو يتصف بـ «التفوق» و «الذكاء»، و «الرقة»، مما ينشئ الشعور **بالدونية** (للفرنسي الآخر) من أصول عربية أو إسلامية[86].

---

[82] طاش، عبد القادر، (1993)، مصدر سابق، ص78.

[83] المصدر نفسه، ص79.

[84] المصدر نفسه.

[85] نصر، مارلين، مصدر سابق، ص 29.

[86] المصدر نفسه، ص36.

أما في المرحلة الثانوية، فقد وجدت الباحثة اختفاء صورة العربي «البدوي»، «الخائف» و المحروم من الصفات الايجابية، فقد وردت إشارات إلى أنه «يقاتل بشجاعة» في العصور الوسطى بالرغم من هزيمته المحققة، و هنالك الكثير من السمات السلبية التى ألصقها الفرنسيون بالعرب و منها:

ـالغزو و العدوانية و التطفل.

ـالكسل و البطء و التراخي.

ـالفشل و الهزيمة في كل مواجهة، و لاسيما مع الفرنسيين[87].

و هنا نلاحظ، أن الصورة المعطاة للعرب و الإسلام في مقرر التاريخ بالمدارس الفرنسية، ليست إلا انعكاسا للتراكم التاريخي و الثقافي للصورة الشرقية، و العربية منها، في ذهن العديد من المفكرين الفرنسيين و الغربيين. فمنذ نيكولا ميكافيلي و جان بودان، و بشكل خاص، شارل مونتسكيو، و الفكر الأوروبي يجدد تبعا للتأمل في طبيعة الطغيان و الاستبداد من ناحية، و الديمقراطية من ناحية أخرى، و الفكر الأوروبي ينظر للشرق، من خلال المقارنة بين الاستبداد الشرقي و الديمقراطية الغربية. بحيث أصبح هذا الفكر نموذجا «Archétype» في ظل الفترة المعاصرة[88].

أما فيما يتعلق بالتاريخ المعاصر و القضية الفلسطينية، التى هي أحد محاور الصدام و الاختلاف بين العرب و الغرب، فرغم انتصار حرب الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي، و رغم النصر (على الأقل السياسي) لجمال عبد الناصر عام 1956، و رغم «نصف الانتصار» في حرب أكتوبر 1973، الذي استطاع أن يكسر الحاجز النفسي للعرب تجاه الدولة العبرية، إلا أن الكتب المدرسية الفرنسية –التى تعبر بشكل أو بآخر عن التفكير الغربي العام- تتجاهل هذه الانتصارات، وترفضها جملة و تفصيلا، و تدعي لنفسها الحيادية، و الموضوعية و الدقة قائلة:

[87] نصر، مارلين، مصدر سابق، ص 54.

[88] Liauzu, Cluade, op. cit, p168

«لقد خاضت إسرائيل في عام 1956، 1967، 1973 على التوالي ثلاثة حروب ظافرة». و تقول كذلك «تمكنت إسرائيل خلال الحربين الظافرتين الأخيرتين 1967، 1973 من بسط هيمنتها على الشرق الأوسط، (...) ثم قامت بإخلاء سيناء عام 1982»[89].

و ترى الباحثة اللبنانية مارلين نصر، بأن هناك خلطا و تداخلا في ذهن الأوروبيين و الفرنسيين و فكرهم في المفاهيم المتعلقة بالشرق، كعدم التمييز بين تعبيري (الإسلام، و العرب) و تعبيري (الإسلامي و العروبي). فمثلا نجد صورتين متجاورتين، الأولى تصور المظاهرات المؤيدة لعبد الناصر في عدم عام 1962، و الثانية تصور معلقا ثوريا في إيران عام 1979، تأييدا لثورة الخميني الإسلامية، و تحتهما عنوان واحد «الدعوة العربية و الدعوة الإسلامية»[90].

أما فيما يتعلق بالدين الإسلامي، فقد صورته الكتب المدرسية الفرنسية، على أنه دين خضوع، تكون بشكل أساسي من مجموعة من القواعد و الشعائر، و الممارسات الخاصة، للتوسع العسكري و الجغرافي.

و حاولت كتب التاريخ تبرير الحروب الصليبية، بالقول إنها كانت لإنقاذ قبر المسيح و حماية الحجيج من اعتداءات المسلمين، و بمعنى آخر، خلعت على تلك الحروب دوافع دينية و إنسانية، و أخلاقية، و لم تذكر الكتب الأسباب الحقيقية ـ على الأقل من وجهة النظر العربية ـ لهذه الحملات العسكرية، و السياسية، و الاقتصادية[91].

و لإتمام الصورة المعطاة عن العربي في الكتب المدرسية، سنشير إلى الموسوعة الثقافية الفرنسية ـ التي تعتبر أهم المراجع المعرفية و المعلوماتية للطلبة و المثقفين، و غيرهم. فيصف **ديدرو** المحرر في هذه الموسوعة الرسول الكريم صلى الله عليه و سلم بأنه «قاتل دجال»، و «خاطف نساء»، و «أكبر عدو للعقل الحر»[92]. أما موسوعة تاريخ الجنس البشري و تقدمه الثقافي و العلمي التي أصدرتها منظمة اليونسكو، فتقول عن الإسلام بأنه «تركيب ملفق من المذاهب اليهودية و النصرانية، بالإضافة

[89] نصر، مارلين، مصدر سابق، ص 236.
[90] المصدر نفسه، ص 220.
[91] نصر، مارلين، مصدر سابق، ص 85.
[92] أو غنيمة زياد، « السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية » ، دار عمان، 1989، ص116.

إلى التقاليد الوثنية العربية التى أبقى عليها الإسلام كطقوس قبلية تجعلها أكثر رسوخا في العقيدة»[93].

و بعد كل هذه الصور المشوهة و المغلوطة في معظم الأحيان –من وجهة النظر العربية- هل من الممكن الحديث عن إمكانية تكوين معرفة علمية للإسلام في الغرب؟ أو بتعبير أصح «الحديث عن تخيل أو تصور حقيقي غربي للإسلام؟»[94].

هذا هو السؤال الأساسي الأول، الذي طرحه المفكر محمد أركون، في كتابه انفتاح على الإسلام «Ouverture sur l'Islam» حيث يظهر من خلال هذا الكتاب، عدم وجود حيادية، و موضوعية، من قبل الإعلاميين، و المثقفين الغربيين و الفرنسيين في دراستهم للإسلام و للعرب، بل يظهر الكاتب، أن هنالك تيارا يحاول أن يكرس الصورة القديمة الحديثة للإسلام، و إبقاء حالة العداء و الصدام بين أوروبا و العالمين العربي و الإسلامي، بسبب عدم الدقة، و الحكم المسبق.

و قبل أن نختم موضوع الكتب المدرسية و الثقافية، يبدو لنا أن اختيار الكتب المدرسية الفرنسية، لبعض المختارات الأدبية و الفنية، عن العرب و الإسلام، تؤكد ما ذهبنا إليه منذ البداية، و هو أن هنالك «روحا فكرية واحدة» تتشكل و تتلون حسب الوقت، و حسب المصلحة الوطنية و الظروف السياسية. إن هذه «الروح الفكرية الواحدة» يمكن أن يعبر عنها المثقف، الصحفي، أو الكتب المدرسية التى هي في الواقع انعكاس حقيقي لما يفكر به و يقوله المثقف صوت الأمة و لسانها. و لن ندخل في قضية الحكم، أو التقييم للمواد المعطاة في المدارس للطلبة الفرنسيين، في جميع مراحلهم التعليمية، و لكن سنترك الحكم لبعض عناوين القصص و الروايات التى كانت الأساس في مراجع الكتب المدرسية لتتحدث عن نفسها. فمثلا هنالك عناوين مثل:

-«في بلد الخوف» (Au pays de la peur)

-«القتال ضد العرب» (Le combat contre les maures)

[93] المصدر نفسه، ص 117.

[94] Arkoun, Mohammed, op. cit, p 13

ـ«أفضل الصحراء» (Je préfère le désert)

ـ«أجانب غرباء» (Étranges étranger)

ـ«البطالة»[95] (Le chômage)

و هنا سؤال يطرح نفسه: هل طبقت و نفذت المدارس الفرنسية توجيهات وزارة التعليم الفرنسية و تعليماتها التى دعت –و ما زالت- تدعو إلى اختيار المواضيع التى تدعو إلى الانفتاح على الثقافات «و احترام الاختلافات»، و إلى إدانة العنصرية المعادية للأجانب و العرب إدانة شديدة، إضافة إلى تشجيع التعرف على الثقافات الأجنبية عامة و العربية خاصة؟[96]. وهل هذه الدعوة و التوجيهات، ترجمت على أرض الواقع في المدارس و الكتب و المقررات المدرسية في فرنسا؟؟!.

4.1.3.4. العرب و الإسلام من خلال الإعلام المرئي الفرنسي:

سنتناول في هذا العنصر كيفية تقديم أو تمثيل وسائل الإعلام الفرنسية و الغربية للعرب و للإسلام، وسوف نتطرق إلى دراسة أجراها توما ديلتومب عن الإسلام من طرف وسائل الإعلام المرئية الفرنسية حول كيفية تكوين متخيل، كما سنتعرض إلى بعض الآراء لمعرفة كيف تم تناول العرب، الإسلام و المسلمين في وسائل الإعلام الغربية.

ذهبت المستشرقة الألمانية (Annie Marie Smail) أني ماري سميل إلى وصف قدرة وسائل الإعلام في تقديم وتكوين صورة حول موضوع ما قائلة «ميلنا الدائم إلى أن نساوي الإسلام اليوم بما يسمى بالأصولية والإرهاب، هذا يعود إلى فهمنا الخاطئ للدين، إلى جانب أن جهلنا بالإسلام يجعلنا نحكم على المظاهر، التى تقدمها لنا وسائل الإعلام بشكل صورة دامية تسلب منا كل قدرة على الموضوعية، ولكن بالمقابل عندما نسمع عن أعمال العنف في البلاد الأوروبية هل نقول هذه هي المسيحية؟»[97].

[95] نصر، مارلين، مصدر سابق، ص 41.
[96] نصر، مارلين، مصدر سابق، ص 19.
[97] زكي الميلاد، تركي على الربيع ، مرجع سبق ذكره، ص17

من خلال قول المستشرقة الألمانية أني ماري يظهر لنا كيف أن الجهل بالإسلام يدفعنا لأن نكون عرضة لتصديق كل ما تقدمه لنا وسائل الإعلام ونسلم بها، ومن ناحية أخرى يدفعنا إلى الحكم على هذا الأخير من خلال الأحداث التى تحدث في العالم العربي و الإسلامي كما بينه محمد أركون في كتابه في الحديث عن الإستشراق، وهذا ما أظهره أيضا ديلتومب (Thomas Deltombe) والذي ذهب إلى اعتبار أن تكوين متخيل غربي فرنسي عن «L'islam imaginaire»الإسلام لم يكن وليد فترة أو مرحلة معينة، وإنما كان ذلك على فترات ثلاث وكان ذلك من خلال التلفزيون خصوصا ووسائل الإعلام الأخرى عموما، الصحف والمجالات...وغيرها[98].

ويذهب ديلتومب إلى اعتبار أن أول مرحلة للولادة المتطورة للظهور الفعلي للمقومات العربية بما فيها الإسلام، كانت في منتصف السبعينيات إلى نهاية الثمانينيات وذلك من خلال ظاهرتين تمثلتا في الأزمة البترولية 1973 م، والثورة الاستعراضية الايرانية 1978 م بزعامة الزعيم الروحي آية الله خميني ، إذ ساهمت في إعادة تركيب الساحة الثقافية الفرنسية و الساحة الإعلامية أيضا واكتشف الفرنسيون من خلالها تعابير جديدة مثل: (Chite) – (Sunite) – (Charia)...الخ. وكانت و لمدة طويلة الواجهة الطبيعية التى يرى من خلالها الفرنسيون الديانة الإسلامية.

وقبل هذا التاريخ فالإسلام الذي كان معروفا في فرنسا و في وسائل الإعلام الفرنسية بمختلف أشكالها هو الذي كان يتحدث عنه في شهر رمضان أو في موسم الحج في مكة. وكانت الصورة المعمولة عن الإسلام غامضة وتفتقر إلى الوضوح، وبالنسبة للكثيرين الإسلام كان يعد شيء غريب وقليل الاعتبار والأهمية عند أغلبية الفرنسيين وفي هذا الصدد قال الكاتب ديلتومب : «أن الإسلام الذي كان يظهر في بداية السبعينيات لم يكن أحدا يكنه الإسلاماوية أو المحمدية، بل كان إسلام البدو الذين عبروا الصحاري الرملية، واستقروا في الخيم وفي وسط الجمال، كما كان يتمثل في غنى الطبيعة الشرقية أين تتحجب النساء و التجار ذووا شوارب كبيرة» .

[98] Thomas Deltombe op.cit, P 10

أما في سنوات الثمانينات ظهرت قضية أخرى إلى الواجهة و التى استمرت من خلال وسائل الإعلام وألصقت بالإسلام وتمثلت في قضية الجالية العربية المقيمة بفرنسا، و التى بقيت متشبثة بمبادئها و قيمها الإسلامية، و التى اتهمت بالتطرف وذلك إثر إضرابات العمال والنقابات الفرنسية بحيث علق وزير العمل الفرنسي انذاك وهو جون أورو (Jean Auroux) قائلا عن هذه الإضرابات: «هنالك بديهة واحدة لمعطيات دينية متطرفة في النزاعات التى شهدناها» [99] وكثر الجدل حول إدماج الجالية المسلمة في فرنسا خصوصا مع ظهور الجيل الثاني من المغتربين العرب في فرنسا والنهوض ضد الميز العنصري.

وما يميز هذه المرحلة أيضا ذلك الثراء الإعلامي الذي عرفته الساحة الإعلامية الفرنسية حول« المعتنقين الفرنسيين للإسلام» الذين دخلوا لهذا الدين الذي تصفه وسائل الإعلام الفرنسية بالأصولية والراديكالية، وبذلك دخل هؤلاء المعتنقين «مرحلة اللاإدماج» في وثائقي لقناة (Antenne 2) في جوان 1986. إذ كشف الوثائقي أن 100.000 فرنسي دخل الإسلام وبعد أربعة أشهر أعلنت نفس القناة وفي حصة بعنوان «L'ennemie intime» أن الإسلام هو الديانة الثانية في فرنسا بحيث أكثر من 200.000 معتنق جديد له... وأعلن المعلق على ذلك قائلا «إنها الحقيقة المؤلمة وتمس كل الأعمار و المعطيات »[100]

أما قناة (TF1) أعلنت عن 500.000 معتنق للإسلام من أصل فرنسي، وكل هذا إن دل على شيء إنما يدل على التخوف الذي يشعر به بلد لائكي من الإسلام. و وصفت آنذاك هذه الظاهرة أغلب التلفزيونات الفرنسية من خلال صحفيها على أنها ظاهرة في تزايد استثنائي وغير محتمل وخارج عن نطاق المراقبة .

و القضية الأخرى والتى استغلت في الثمانينيات من طرف وسائل الإعلام لتقديم صورة عن العرب و الإسلام أو لتكوينها في أذهان المتتبعين لها هي

[99] Thomas Deltombe, op.cit, page149
[100] Thomas Deltombe, op.cit, page 74

قضية سلمان رشدي[101] ويقول ديلتومب ، أن هذه القضية كانت بمثابة المؤسس لتاريخ الإسلام في فرنسا خصوصا بالحضور المكثف الجالية العربية المسلمة ضد هذه ظاهرة سلمان رشدي والذي كان بمثابة الموضوع المستثمر من طرف العديد من الصحفيين في التلفزيونات ولأسابيع عديدة، وأصبح الإسلام في فرنسا موضوع الساعة. وأكد المثقفون الفرنسيون عن الشرخ الكبير الموجود بين الإسلام والغرب خصوصا بعد إعلان الخميني في فتواه عن هدر دم سلمان رشدي. و كثر الحديث حول انعدام الحريات في الإسلام واصطدمت بالثقافة الغربية التى تتميز بالانفتاح والحرية وذلك في أغلب وسائل الإعلام.

وفي هذه الفترة بالذات تحولت القضية في الإعلام الغربي بصفة عامة وفي مؤسساته الرسمية، واستنفرت الدنيا للدفاع عن حرية رشدي وأمثاله في حين لا نجد الأمر نفسه عند الإساءة للديانات الأخرى، وفي هذا الصدد يقول فهمي الشناوي «بينما نجد هذه السلطات الغربية تمنع أي كاتب يسيء إلى مشاعر اليهود، وتمنع أي كاتب يسيء إلى علاقاتها أو مصالحها مع بعض الأنظمة الحاكمة»[102]

فحسب ديلتومب فان هذه المرحلة كان لها الدور في انتقال موضوع الإسلام في التلفزيون الفرنسي من موضوع روحي ذا أهمية ثانوية وعابرة إلى موضوع مركزي بدأ يستقر في قلب المجتمع الفرنسي.

أما المرحلة الثانية والتى كان لها دور أيضا في تكوين متخيل غربي إعلامي فرنسي عن الإسلام تمثلت في مرحلة التسعينيات، حسب الكاتب توما ديلتومب 1990م وتميزت عالميا بانهيار جدار برلين في نوفمبر 1989 م وظهور ثنائية قطبية جديدة بدأت من خلال التلفزيون، والتى تجعل الإسلام في مواجهة مع الغرب أمام ظهور عدو جديد وهو عراق صدام حسين أولا ثم الإسلاماوية الجزائرية ثانيا وحرب الخليج ثالثا سنة 1991 م.

[101] سلمان رشدي، كاتب بريطاني من أصل هندي كتب كتابا سماه الآيات الشيطانية يسئ فيه إلى نبى الإسلام محمد صلى الله عليه و سلم وإلى القرآن

[102] فهمي الشناوي: « من وراء سلمان رشدي أسرار المؤامرة على الإسلام»، مكتبة الرحاب، الجزائر العاصمة، ص52

أما المرحلة الثالثة ابتدأت بأحداث الحادي عشر من سبتمبر والتى حدثت على الأراضي الأمريكية، فكانت هذه الأحداث «حالة ملائمة للتلفزيون لإيجاد العدو الأمريكي»[103]

على حد قول ديلتومب، إذ دخل التلفزيون في معالجة افتراضية بحثا منه عن سبق مشروط وفي هذه المرحلة بالذات كثرت الإنزلاقات الإعلامية وتضاعفت تجاه الامة العربية و بالاخص الإسلام والمسلمين ، في الوقت الذي أصبح فيه «الأمن» من الاهتمامات الأولية للنخب السياسة الإعلامية الفرنسية. وآخر فترة تمثلت في فترة الألفينيات خصوصا في الفترة الممتدة 2003 الى 2004 أين ظهرت قضية الحجاب في المدارس الفرنسية، وبينا آنفا كيف أن القضية دامت طويلا في نقاشات وسائل الإعلام. ومن خلال عرضنا لكل هذا يتبين لنا حسب دراسة ديلتومب كيف أن وسائل الإعلام الفرنسية اعتمدت على الأحداث المختلفة لتقديم صورة عن العرب و الإسلام و المسلمين.

ويتميز ما ينشر كويت في أغلبية هذه الوسائل الإعلامية عن أحداث العالم ومشاكله، وقضاياه هو مجرد صورة مختصرة ومبسطة وسريعة و مسلية، ولكنه لا يوفر معرفة حقيقية تساعد الناس على اتخاذ مواقف صائبة من هذه الأحداث.

ورغم الحديث عن حريات الصحافة ومصداقيتها في هذه الدول الغربية عند تناولها لمواضيع معينة إلا أنها ليست كذلك لأن ذلك تتدخل فيه اعتبارات كثيرة مثل النظام الاجتماعي والإعلامي، والسياسي والثقافي، وحتى المالي(بمعنى الجهة التى تتحكم في الوسيلة) أي ما تقوم هذه الوسائل ببثه ونقله يتحدد أساسا بالقاعدة الاقتصادية للمؤسسات التى تنتجه وهذا ما ذهب إليه توما ديلتومب في دراسته حيث بين كيف أن القنوات التلفزيونية الفضائية الفرنسية أصبحت بعد خصخصتها تتحرى المنافسة والربح من خلال مواضيعها وبرامجها، ويظهر ذلك من خلال اعتماد أو لجوء أغلبها إلى إظهار عدد المتفرجين لحصة معينة قدمت في الليل، ويقومون بمقارنتها مع عدد من قنوات وحصص أخرى، وذلك بإظهار عدد المتفرجين، الذين تابعوا الحصة أو البرنامج[104].

[103] Thomas Deltombe,op.cit, P 11
[104] Thomas Deltombe,op.cit, P 06

فعملية الاختيار والانتقاء التى تقوم بها وسائل الإعلام ليست حيادية ولا موضوعية بل تتحكم فيها الاعتبارات التى أشرنا إليها لذا فالصورة أو الصور التى تكونها هذه الوسائل تكون مشوهة ومحرفة ومضللة وسلبية خصوصا إذا تعلق الأمر بالأفراد أو المواضيع أو المجتمعات الأخرى في حين نجدها تقدم كل ما هو إيجابي في تناولنها لمجتمعاتها.

يبين لنا كيف اهتم الإعلام الغربي الفرنسي بقضايا الإسلام والمسلمين من الفترة الممتدة خصوصا من التسعينيات إلى غاية سنة 2005 م وهذا دون ذكر حصص فترة الثمانينيات، وأغلب هذا التناول كان يظهر الإسلام و المسلمين بصورة سلبية لدى الجمهور القارئ و المشاهد على حد سواء.

وأظهرت الدراسة كيف أن الصحفيون تفننوا في تعليقاتهم وتحقيقاتهم و روبوتاجاتهم لإظهار ما هو سلبى عن الإسلام و المسلمين، دون وعيهم لبعض المفاهيم، ومن دون أن يظهروا للمشاهد ما هي الانتقادات التى سببها الكره والاحتقار للمسلمين والتى توجه للديانة الإسلامية.

وكما بين أيضا محاولة الصحفيين و بصفة دائمة إثارة نزعة الخوف من الإسلام، فسؤال هل يجب الخوف من الإسلام؟ يتكرر دائما في أسئلتهم ومن خلال الجدول وعنوان الحصص يظهر لنا كيف سعى الصحفيون و في مختلف المناسبات و السنوات إلى إظهار أو الربط بين الإسلام كديانة وبين ما هو صادر من المسلمين، فربطوا بين الإسلام وما هو قبيح وعنيف ودموي حيث اعتبروا العنف و الإرهاب من الإسلام وكذا الاغتصاب والإكراه، و التقاليد البالية والتخلف، وانعدام الحريات... و غيرها من الأمور السلبية و المشينة، و الغامضة التى زرعها الإعلام الفرنسي في أذهان الفرنسيين، وهذا ما يعكس رأي أغلبية الصحفيين في هذه الوسائل الإعلامية

ونذكر على سبيل المثال مؤسس و كاتب الافتتاحية لجريدة (Le point) الفرنسية، (Claud Ember)، وعضو المجلس الأعلى للمغتربين، في حصته الأسبوعية في قناة (LCI) بتاريخ 24 من أكتوبر 2003 صرح قائلا «يجب أن نكون صرحاء، أنا أكره الإسلام، وهذا لا يضايقنى إننا عندنا الحق في محاربة العنصرية، ولست الوحيد في

هذا البلد في الاعتقاد بأن الإسلام و ليس الإسلاماويون كديانة تحمل غباء بدائيا مختلفا» .

ومثل هذه العبارة تمثل قطرة من محيط العبارات التى يحاول من خلالها الإعلام الفرنسي تقديم العرب والإسلام والمسلمين، دون مراعاة لشروط الإعلام النزيه، ودون محاولة لفهم العروبة كهوية و قومية أو الإسلام كديانة والتفرقة بينها وبين أخطاء المسلمين، وإنما كان هدف هذه القنوات استقطاب أكبر عبر عدد ممكن من المتفرجين على حساب كبش الفداء وهو العرب الإسلام والمسلمين، وسعيهم لتحقيق الربح والمنافسة والشهرة وخدمة السياسة الوطنية، وألحقت بذلك آل المشاكل ذات الأبعاد الاجتماعية والثقافية و السياسية والاقتصادية بالإسلام كما بينه المفكر محمد أركون، سواء كان ذلك راجع إلى الجهل بالإسلام أو تعمدا لخدمة أغراض معينة.

و نقف هنا عند الرائد بيير بورديو ندما قال «إننا بالكلمات العادية ... لن نبهر ولن ندهش البرجوازي ولا الشعب»[105] . لذا كان على هذه الوسائل خلق كلمات لها وقع على العقول و النفوس.

كما يجدر بنا الوقوف عند ما توصل إليه ديلتومب في أبحاثه حينما أعلن أن هدفه هو إظهار للمتفرجين الواقع بين العرب و الإسلام و وسائل الإعلام الفرنسية لكي يفهموا كيف تم التأسيس لعملية جعل الإسلام مادة إعلامية خصبة في الإعلام الفرنسي لتكوين معاني وصور حول هذه الديانة ومعتنقيها لأنه هنالك الكثير من الحقائق التى يجب إظهارها عن كيفية تكوين المعاني والصور من طرف هذه القنوات.

وهي نتائج أو مبادئ يمكن تعميمها على الغرب عموما، لكون الإعلام يخدم الايديولوجية الغربية التى اتخذت من الإسلام عدوا بديلا عن العدو الاشتراكي (الإتحاد السوفياتي سابقا.)

[105] Pierre Bordieu, *sur la télévision*, liber raisons d'agir, Paris 1996, page 19

وبصفة مختصرة يمكن لنا أن نجمل كل ما تناولناه فيما سبق بالقول أن كل من الخطاب الديني التنبؤي، والدراسات الإستشراقية و الكتابات أو الخطابات السياسية الإستراتيجية، وأخيرا وسائل الإعلام، وإن اختلفت وسائل التعبير والمنطلقات والأهداف التى تخدمها، إلا أنها تلتقي في نقطة واحدة وتشترك في هدف واحد، وهو تصوير وتمثيل الإسلام تمثيلا عدائيا وتقديمه بطريقة سلبية مشوهة وغامضة.

وبصفة عامة فإن الإسلام و المسلمين حسب هذه الخطابات تمثل كما يلي:

- ✓ العرب و المسلمون أشرار و إرهابيون.
- ✓ الدين الإسلامي هو الذي يعيق تنبؤات أخر الزمان (التوراتية) من التحقق لذا يجب مواجهته
- ✓ الإسلام ملغي للعلم، ومحتقر للمجتمع المدني، وللعقل السياسي
- ✓ المسلمون يجهلون الإدارة.
- ✓ الإسلام يقف عائقا ضد الحداثة الغربية.
- ✓ الإسلام دينا في مبدأ الحداثة الغربية وهي العلمانية، وتعد هذه النقطة مصدر كل التخوفات في العلاقة بين الآخرين و الإسلام ويعد الموضوع الذي تناولته وسائل الإعلام الغربية

وهذا ما بينه أحمد عظيمي في كتابه بصفة متكررة

- ✓ الإسلام سيتصادم حضاريا مع الغرب.
- ✓ الإسلام يمثل العدو الأول للغرب، وسيتصادم مع الإسلام وحدود الإسلام دموية.
- ✓ الإسلام يحمل غباء بدائيا.
- ✓ الإسلام يلغي الحريات.
- ✓ الإسلام مصدر ومنهج آل خطأ يرتكبه المسلمون.

ومن خلال عرضنا لكيفية تمثل أو تصوير الإسلام في الخطابات المختلفة، لنا أن نتساءل كتمهيد للفصل التالي عن كيف روج لصورة الإسلام في جريدة Le)

(Monde خلال العام 2015 و الذي تزامن و احداث شارلي ايبدو و هجمات باريس نوفمبر 2015.

4.4. العربي المسلم و مشكلة الهوية و الاندماج في المجتمع الفرنسي:

في ظل المناخ الإعلامي الفرنسي المعادي للإسلام و العرب، و المعبر عنه بوضوح من خلال وسائل الإعلام المختلفة، كيف يمكن أن يفسر الجدل الكبير، الذي يدور في فرنسا منذ فترة حول سؤال مهم: هل ينبغي أن يندمج (intégrer) المهاجرون تماما في المجتمع الفرنسي، فيبقى هذا المجتمع أحادي الثقافة و الهوية و العادات و التقاليد، أم يمكنه أن يكون مجتمعا متعدد الثقافات، مما يسهم في إثرائه و تقويته؟

يقول ديدييه باديانى صاحب كتاب المهاجرون مع فرنسا أم ضدها[106]: «لقد اعترفت فرنسا دائما بالحق في الاختلاف فأصبحت منذ فترة طويلة و كأنها بوتقة تنصهر فيها الأجناس كافة، و تتعايش جنبا إلى جنب كل الجاليات الدينية من الكاثوليكية إلى البروتستانتية إلى اليهودية».

و إذا كانت هذه المقولة تنطبق على الأجناس و الأديان المختلفة، فمن الواضح أنها لا تسري على الجاليات العربية و الإسلامية، فهذه المناقشة حول «ثقافة واحدة أم ثقافات متعددة؟ موجهة بصفة أساسية إلى ما يفرزه الوجود العربي الإسلامي من صدام حضاري مع المجتمع الفرنسي». إن هذا الصراع الحضاري، يتمثل من خلال قضايا طالبات الحجاب الإسلامي، و الهوية الثقافية، و إلقاء اللوم على المهاجرين على أنهم سبب البطالة و الجريمة.

و بسبب تصاعد وتيرة الاهتمام بقضية الهوية و الهجرة في المجتمع الفرنسي، فإن «الجبهة الوطنية» المتطرفة (le Front National) التى يقودها جون ماري لوبان، تعتبر المبرر الأساسي لوجودها، هو تمثيلها للثقافة و الهوية الفرنسية، التى تدعي أن الأحزاب السياسية الأخرى و أجهزة الإعلام، لا تعبر عنها بصدق، كما أنها تتحرك

[106] الشوباني شريف: « هل فرنسا عنصرية؟: إشكالية الهجرة العربية و الإسلامية في أوروبا» ، مركز الأهرام للنشر و التوزيع، القاهرة، 1992، ص 59.

بدعوى الدفاع عن التقاليد الفرنسية التى هي أقدم من دستور الجمهورية الخامسة[107].

و مما يستدعي النظر، أن الرأي العام الفرنسي (و حتى الواعي و المثقف منه) لا يقبل بشكل طبيعي و تلقائي، الاعتراف بأن المسلم، أو الإسلام، جزء داخلي من المجتمع الفرنسي، حتى لو لم يكن هذا المسلم أجنبيا دائما، و إنما قد يكون أحيانا مواطنا فرنسيا، أو فرنسيا اعتنق الإسلام[108].

و هنالك بعض الباحثين و المهتمين في مسألة الهجرة و الهوية الفرنسية، يشيرون إلى وجود فكرة شائعة في المجتمع الفرنسي مفادها: أن الثقافة العربية القائمة على التعاليم الإسلامية تخلط بين الدين و السياسة، فيما الثقافة الأوروبية تفصل بينهما، و بالتالي، فالسؤال الذي يلاحق كل عربي أو مسلم هو: هل يمكن أن يتعايش المسلمون مع نظام علماني؟

و قد أجاب عدد لا يستهان به من الفرنسيين بأن ذلك غير ممكن، و أيدهم في ذلك زعماء الأصولية في الجالية الإسلامية هنالك، و هذا الأمر هو الذي يثير ردة الفعل العنصرية تجاهها، فالإسلام عند الفرنسيين يعنى الأصولية، طالما أنه لا يفرق بين الدين و السياسة، و بالتالي فالأصولية هي قرينة العنف و التطرف[109].

و قد انتبه لهذه «الجدلية في الهوية» بين الدين و السياسة، و الغرب و الشرق، و الغربي و العربي، المفكر المغربي محمد عابد الجابري، الذي أصدر كتابا بعنوان مسألة الهوية: العروبة و الإسلام..و الغرب، حيث يختار المؤلف كمدخل للكتاب سؤالا موجها إلى القارئ الفرنسي: ما هو العربي؟ إن هذا السؤال كما يقول: «لا يحتمل إجابة واحدة في الظرف الراهن على الأقل، لتعدد زوايا النظر لمن يوجه إليه السؤال، تعددا ينبع أساسه من تعدد المصالح و تنوع الحساسيات، و هل السؤال يطرح من (موقع الأنا) أم من (موقع الآخر)؟. فالأوروبي (يقول الجابري) يفهم العربي كفرد قادم من منطقة فيها نفط و جماعات إسلامية، أو

[107] عبد الناصر هدى: «صعود اليمين المتطرف في فرنسا في الثمانينات» ، السياسة الدولية، عدد 118، أكتوبر، 1994، ص9.

[108] Morsy, Magali, op. cit, p119

[109] الشوباشي شريف، مصدر سابق، ص 194.

كمهاجر يزاحمه في العمل أو المقهى. أما العربي المهاجر إلى أوروبا فإنه يفهم كشخص غير مرغوب فيه، عاملا كان أو لاجئا سياسيا»[110].

و هذا التحليل للجابري، لظاهرة العربي المسلم في أوروبا، تعكسه مجلة «رجال و هجرة» الفرنسية، التى نشرت وثيقة هامة، تشير إلى العنصرية و التهم الموجهة إلى المهاجرين التى منها:

1.أن المهاجرين يعيشون على «التعويضات العائلية» التى تصرف لهم من الدولة.

2.أن المهاجرين يستعمرون أحياء بكاملها.

3.أن المهاجرين يغرقون المدارس الفرنسية بصغارهم.

4.أن المهاجرين يخلون بالأمن[111].

انطلاقا من هذه التهم و الحجج السابقة، كانت الجبهة الوطنية المتطرفة الفرنسية (FN) أول الأحزاب اليمينية الأوروبية، التى ربطت بين تردي الأوضاع في فرنسا، و بين قضية الهجرة، مؤكدة منافسة المهاجرين للسكان الأصليين في الوظائف العامة و الخاصة. في حين أن هنالك إحصائية تظهر بأن فرنسا بين عام (2000-2039) ستحتاج إلى ما بين 165000 و 315000 مهاجرا جديدا سنويا[112].

و هنا يجب الإشارة إلى أنه في فترة حكم الرئيس فرانسوا ميتيران (1981-1995)، ظهرت قضية التطرف و الإرهاب و الهجرة على السطح،بشكل واضح و ملموس، حيث انقسم اليسار الفرنسي حول قضية الهجرة «فاليسار العمالي» يريد إيقاف الهجرة، في حين أن «اليسار المثقف» كان متحفظا على ذلك. و قد استفادت الجبهة الوطنية، من شكاوى المواطنين التى بدأت تزيد يوما بعد يوم، حيث جمعتها و عبرت عنها علنا، و بصوت مرتفع[113].

---

[110] الجابري محمد عابد، مصدر سابق، ص8.

[111] طاش عبد القادر، (1993)، مصدر سابق، ص 128.

[112] عبد الناصر هدى، مصدر سابق، ص 16.

[113] المصدر نفسه، ص 18.

و من المتناقضات التى صاحبت هذا الموقف، أن وسائل الإعلام الفرنسية بأشكالها المتنوعة و المتعددة، حاولت تهميش زعيم الجبهة اليمينية المتطرفة جان ماري لوبن و استبعاد دوره و أفكاره (لأسباب تتعلق بالصراع السياسي على السلطة و ليس لأنها تتعاطف مع المهاجرين و العرب و المسلمين) مما أظهره أمام الجمهور الفرنسي، على أنه ضحية التعتيم الإعلامي و الصحفي، مما ضاعف شهرته و قوة موقفه.

و لاشك أن أوروبا –بالرغم من تفوقها المادي و التكنولوجي- تعيش في حالة من الخوف و الهلع من (الآخر) الشرق، و خاصة العالمين العربي و الإسلامي، و تعبر عن هذا الشعور تجاه الأقليات العربية و المسلمة في بلدانها، و هذا يفسر الحملات الإعلامية المنظمة، المدروسة و الفاعلة، التى تحاول أن تخلق نوعا من الدونية و النقص لدى الشعوب الأخرى، و الأقليات الموجودة في أوروبا بشكل عام و فرنسا بشكل خاص.

إن الشعور بالرفض، و الازدراء من المجتمع الفرنسي، تجاه الأقلية الإسلامية، يفسر رد فعل مدير معهد و مسجد باريس الاسبق، د. دليل بوبكر، عند ظهور كتاب آيات شيطانية باللغة الفرنسية عام 1989، حيث يتطرق على وضع العرب و المسلمين في فرنسا بالقول: «لسنا جالية من الدرجة الثانية»[114].

و يبدو أن هذه الجالية –بغض النظر عن كونها جالية من الدرجة الأولى أو الثانية- غير مرغوب فيها في فرنسا، و هذا الأمر نلمسه من خلال مصطلح «الطبقات الجديدة الخطيرة» لوصف أبناء هذه الجالية[115].

و قد اشتد التخوف الفرنسي و الأوروبي بعد تفكك الكتلة الشرقية و الاتحاد السوفييتى السابق، و انهيار جدار برلين عام 1989. إضافة إلى بروز المشاكل الاقتصادية، المتمثلة بالبطالة (11,5%) ، و التضخم، و ارتفاع معدل الجريمة، و الهجرة الخفية، و لذلك كان على أوروبا البحث عن عدو جديد، و لو كان وهميا

[114] Morsy, Magali, op. cit, p127
[115] Césari, Jocelyne, op. cit, p13

لتوحد قواها، و تنهض هممها، و تعد العدة لمواجهته بالحديث عن قضية الهوية الوطنية، بحيث أن «إشكالية الهوية» الفرنسية أصبحت «إشكالية الهجرة».

و قد أشار إلى هذا الموضوع المفكر المغربي محمد عابد الجابري بطريقة أكثر عمقا وضوحا، متطرقا إلى المستقبل فيقول: «إن المستقبل يتحدد بوجود الآخر و بمقارنة أنفسنا به، فمعطيات الحاضر تتحدد بمحددين اثنين: أ.إسرائيل بطموحاتها الصهيونية، ب.الغرب بمصالحه الإمبريالية»[116]. و لذلك فإن «الآخر» ينظر إلى الإسلام و القومية العربية كخطر عليه بعد زوال الخطر الشيوعي[117].

و يرى الجابري كذلك، أن أوروبا، و منذ العصور الوسطى، حاولت أن تكون مركز العالم و محوره، على طريقة نظرية البابا لتوحيد العالم تحت الراية المسيحية، أو سواء على طريق الفلسفات التي حاولت أن تؤكد على (محورية أوروبا) من خلال كتابات كانط، و هيجل، و مونتسكيو، و ماركس، و فلسفاتهم. فهل يعني ذلك جهلا بالآخر؟

يجيب الجابري عن هذا السؤال بالقول: ليس للجواب على السؤال صفة الإيجاب أو الإثبات. «لأن الغرب -برأيه- لم ينغلق على نفسه، بل راهن استراتيجيا على غزو (الآخر) الشرق، كما راهن معرفيا على تفكيكه و تجزئته و فهم آليات مدنيته و ذلك من خلال الاستشراق. و قد كانت لإدوارد سعيد، كما يؤكد الجابري، قوة النفاذ إلى عمق بنى هذا الآخر و أدواته و إزالة الستار عن أسسه في مؤلفه الرائد الاستشراق»[118].

إن هذا التحليل يبدو منطقيا و مقبولا إلى حد ما، لأننا نرى بعض الكتاب الغربيين، أمثال ماكسيم رودنسون الفرنسي، يشير إلى صاحب كتاب الاستشراق و كتابه قائلا: «أن الاستشراق اليوم في قفص الاتهام، بسبب ذلك الشيطان إدوارد سعيد على الأخص»[119]. من جهته عبر الكاتب البريطاني (من أصل عربي) البرت

[116] الجابري محمد عابد، مصدر سابق، ص 140.
[117] الجابري محمد عابد، مصدر سابق، ص 178.
[118] المصدر نفسه، ص 134.
[119] Magazine, *Le Monde Arabe dans la Recherche Scientifique*. MARS n°4, IMA, 1994, p 98

حوراني، عن دور **إدوارد سعيد** في خلخلة الاستشراق قائلا: «لقد بات من المستحيل تقريبا استخدام تعبير الاستشراق كمفهوم محايد، بحيث بات تعبيرا قدحيا في المقام الأول».

و كانت فكرة إدوارد سعيد (باختصار) أن الاستشراق كان أداة استعمارية، مهدت للغزو الاستعماري، الذي أرسلها للكشف و التعرف عن قرب على الحضارة العربية و الإسلامية و تاريخها و جغرافيتها و دينها من أجل استعمارها.

و يرى إدوارد سعيد أن هذا الأمر لم يتغير حاليا، فالاستشراق موجود الآن لصالح «الامبريالية الأمريكية و الإسرائيلية» و الأدوات المستخدمة ما زالت كما هي لم تتغير. و هنا يطرح سؤالا جديرا بالتفكير و النقاش حول طبيعة العلاقة بين المعرفة و السلطة.

نحن من جهتنا، نؤكد بأنه من الصعب فصل المعرفة عن السلطة (على الأقل الأيديولوجية) التى يتبناها الباحث، أو العالم، أو المستشرق، أو الصحفي، و إلا فكيف نفسر ظهور كتب تتغنى بالنصر الغربي على المعسكر الشرقي، أمثال صمويل هنتنغتون في كتابه صدام الحضارات، و فرنسيس فوكوياما و كتابه نهاية التاريخ و الإنسان الأخير، .. و غيرهم.

و قد عبر الصحفي الفرنسي اريك رولو، عن هذه الحقيقة في مجال الإعلام، مخاطبا المشاركين في ندوة دولية عن الإعلام الغربي و العرب عقدت في لندن سنة 1979 قائلا: « اسمحوا لي –بادئ ذي بدء أن اعترف بالتحيز. ذلك أننا معشر الصحفيين متحيزون بطريقة أو بأخرى. من يمكن أن يكون موضوعيا أكثر من المصور؟ و مع ذلك فإن نوع العدسة التى تستعمل، و الزاوية التى يلتقط منها الصورة التى يريد، تؤثر، في الصورة التى يمكن أن تخرج عن مصور أخر يمتاز بالموضوعية لا التحيز كالمصور الأول. نحن لسنا أولاد الأنابيب و المختبرات، نحن بشر، و لكل منا ثقافته و خلفيته و جذوره. لكل منا فلسفته في الحياة و تجاربه و أيضا حساسياته الخاصة»[120].

[120] رولو اريك: « مفاهيم خاطئة في وسائل الإعلام » ، أبحاث و مناقشات ندوة الصحافة الدولية، لندن، منشورات وزارة الإعلام و الثقافة –الإمارات العربية المتحدة، 1979، ص 217.

إن هذا الاعتراف (إذا اعتبرناه كذلك) يظهر صعوبة و حساسية، وضع و موقف العرب و الإسلام في أوروبا و في فرنسا بالذات، لأن المشكلة في الغرب ليست مقتصرة على العامة، أو البسطاء في التفكير كما يقال أحيانا، بل امتدت لتشمل المثقفين، و الصحفيين،.. و غيرهم.

و تتبلور و تتضح هذه الصورة، من خلال تسليط الضوء على بعض الكتب و المقالات لهؤلاء المفكرين و الصحفيين، الذين يقومون بحجة الفهم و التحليل، بالالتقاء ببعض المهمشين من العرب و المسلمين في فرنسا، و طرح أسئلة كبيرة، و حساسة، و معقدة عليهم، و أخذ إجاباتهم على أنها تمثل الفكر الإسلامي و وجهة نظره.

فمثلا يشير أحد الكتاب باهتمام إلى جملة الطفل (من أصل جزائري) و البالغ من العمر 15 عاما، و الذي يقول فيها، «عندما يبدأ المسلم في طرح كثير من الأسئلة لا يعد مسلما»[121]. إن مثل هذه الإجابات تهدف إلى إعطاء الانطباع لدى القارئ الفرنسي، بأن الدين الإسلامي دين جامد و لا يحث على التفكير و الانفتاح الذهني.

أو سؤال أحدهم لأحد الفرنسيين (**أيوب**)، الذي اعتنق الإسلام حديثا لإجراء حوار مباشر معه بالشكل التالي:

الكاتب: هل أنت من الإخوان المسلمين؟

أيوب: نعم، بالتأكيد.

الكاتب: هل تعتقد ـمثلهمـ بأن اليهود من طبهم الفساد؟

أيوب: نعم هذا كان دائما و باستمرار[122].

إن مثل هذه اللقاءات و الإجابات تملأ الكثير من الكتب و الصحف و المجلات، و حتى وسائل الإعلام المرئية و المسموعة في فرنسا. و لا شك أن هذه الآراء و

[121] Leveau, Rémy, et Kepel, Gilles, *Les musulmans dans la société française*, Presses de la Fondation Nationale des Sciences politiques, Paris, 1988, p65
[122] Claire, Brière et Olivier, Carré, Islam : *Guerre à l'occident?*, Autrement à ciel ouvert, Paris, 1983, p32

الأفكار، تثير حساسية المجتمع الفرنسي العلماني و تحفظه، مما يزيد من عمق الفجوة بين الشعب الفرنسي و جالياته الإسلامية.

من جهة أخرى، هنالك أيضا العناوين الكبيرة و الرنانة –لغايات دعائية و تجاريةـ لكتب مفكرين معروفين مثل كتاب الإسلام المتطرف (L'islamism radical) لمؤلفه برونو إيتيان (Bruno Etienne)، أو كتاب الإسلام حرب على الغرب؟ (Islam guerre à l'occident?) لمؤلفيه برير كلير و أليفييه كاري (Brière Claire), (Olivier Carré) و غيرهما من الكتب المشابهة.

و بذلك، يصبح الرأي العام الغربي –كما يقول الجابريـ «سجين الصورة التى تقدم له عبر الوسائل السمعية البصرية، كما صار رهين استطلاعات الرأي، التى تصنع النتيجة المرغوب فيها من خلال نوع الأسئلة و نوعية المستجوبين، و ظروف الاستجواب، و أيضا من خلال النتيجة المعلنة نفسها»[123].

و هكذا تبدو فكرة الاندماج، و الانصهار للأقليات العربية و الإسلامية في أوروبا عملية صعبة التحقق و الحصول (إن لم تكن مستحيلة) على الأقل في ظل المناخ الإعلامي المعدي و المشوه، الذي يغذي العقل و الفكر الغربي و الفرنسي عن طريق وسائل إعلامه المتعددة العملاقة. و إلا فكيف نفسر نتائج استطلاع الرأي العام في صحيفة «لوموند» عام 1991، لمعرفة رأي الفرنسيين في رئيس الجبهة الوطنية (FN)، حيث اتضح، أن مواطنا من كل ثلاثة فرنسيين يؤيدونه، و أن القضايا التى يدافع عنها تجذب (32%) من الفرنسيين[124].

و قصارى القول، نرى أنه يجب إيقاف الهجوم الحضاري الإعلامي الفرنسي، تجاه العروبة و الاسلام و خاصة الأقليات العربيةو المسلمة المقيمة بفرنسا، و عندها نستطيع أن نطرح السؤال حول إمكانية اندماجهم، و تأقلمهم و الاستمرار في الحياة هنالك، كرسل و كسفراء الحضارة الأخرى، أو الجزء الآخر من (الأنا).

[123] الجابري، محمد عابد، مصدر سابق، ص 191.
[124] عبد الناصر، هدى، مصدر سابق، ص 20.

الفصل الخامس

العلاقات العربية الفرنسية

تمـــهـيـد

في دراسة لنادية محمود مصطفى[1]، ربطت بين فرنسا والدول العربية صِلات تاريخية قديمة قدم كليهما، فاختلفت العلاقات من تجارية الى اقتصادية وكانت في كثير من الحالات الدول العربية مستعمرة على اختلاف انواع الاستعمار و التبعية، تضاربت خلالها المصالح الفرنسية في المنطقة مع مصالح القوى الكبرى الأخرى المنافسة لها، خاصة غريمتها بريطانيا.و كانت العلاقات بين الطرفين متذبذبة الى ان طفى عنصر جديد على سطح العلاقات الدولية جمعاء، كان له ان يتحكم في هذه العلاقات الى يومنا هذا، ألا وهو إنشاء الدولة الصهيونية في فلسطين المحتلة، وذلك في ظل إطار جديد من التنافس الدولي، سيطرت على ميدانه القوتان الأعظم في القرن الماضي، و امريكا كشرطي للعالم في وقتنا الراهن، وذلك أيضا في وقت بدأت تتصاعد فيه الحركة القومية في الوطن العربي.

و ترى الباحثة نادية محمود مصطفى ان تيار العلاقات العربية الفرنسية كان منذ نهاية الحرب العالمية الثانية في تدهور مستمر، وبرجوع ديـغول إلى السلطة سنة 1958 كانت للعلاقات بداية مرحلة جديدة شهدت وضع أسس سياسة فرنسية جديدة اتجاه الدول العربية، تختلف بعمق في مظاهرها ودوافعها مع سياسة الجمهورية الرابعة. سياسة جاءت بنقطة التحول الواضحة مع حرب سنة 1967 التي كانت بمثابة الاختيار الحاسم أمام فرنسا لتحدد اختيارها الصريح عن اتجاهها على مستوى الصعيد الدولي و المنطقة خاصة، فكان لفرنسا تدعيم العلاقات مع الدول العربية. واستمرت نغمة التقارب بين فرنسا و العرب في ارتقائها بعد ديغول مع الرئيس بومبيدو، و جـاك شيـراك حتى وصلت إلى ما نشهده الآن من تصاعد محتوم في العلاقات بين فرنسا و العرب و الذي تتحكم فيه عدة عوامل و لعل ابرزها هو المصالح الذاتية لكل طرف، ليمس التصاعد كافة المجالات تقريبا، السياسية والاقتصادية والعسكرية ولعل أبرز المؤشرات على ذلك التطور بين العلاقات، هو ترسيم علاقات الشراكة و الصداقة، و تنصيب السفراء و القنصليات و

[1] الأستاذة الدكتورة/ نادية محمود مصطفى أستاذ العلاقات الدولية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة. ومدير سابقة لمركز الحضارة للدراسات السياسية

تبادل البعثات و الزيارات الرسمية بين الرؤساء والملوك العرب ووزرائهم و مختلف الرؤساء الذين تداولوا على سدة الحكم في فرنسا.

5. أبعاد العلاقات العربية الفرنسية:

البعدان الاقتصادى والعسكرى من أهم أبعاد تلك العلاقات التى تطورت فى ظل إطار سياسى، كان محوره الأساسى موقف فرنسا من أزمة الشرق الأوسط التى اندلعت بحرب جوان 1967 او ما يعرف بالنكسة العربية، واستمرت وشهدت تطورا حاسما مع حرب أكتوبر سنة 1973 و ذلك ان الموقف الفرنسى الذى أخذ جانب النزاهة والعدل، والذى كان مدفوعا بالرغبة فى الحفاظ على المصالح الفرنسية فى المنطقة وتدعيمها، ثم لتعرف العلاقات قفزة اخرى باستقلال اخر المستعمرات الفرنسية بالمغرب العربي، بعد استقلال الجزائر عام 1962. و بحلول ثورات الربيع العربي و بالتخل العسكري لفرنسا في ليبيا و تونس و سوريا و اليمن، كان لها المفتاح الذي فتحت به أبواب المنطقة لتدخل معها فى علاقات اقتصادية وعسكرية جديدة ومتميزة.

1.5. أولا: أبعاد العلاقة من النكسة العربية الى حرب أكتوبر1973[2]:

1.1.5. البعد السياسي:

حرصت فرنسا منذ اندلاع أزمة سنة 1967 على تأكيد موضوعية وعدم انحياز سياستها فى المنطقة. وبعد اندلاع الحرب، أخذت الدبلوماسية الفرنسية موقفا مميزا أثناء عرض القضية على الأمم المتحدة وحتى صدور القرار رقم 242 الذي ادان إسرائيل و عدوانها ورفض الاعتراف بأية تغيرات إقليمية، تقوم على الغزو العسكري، وطالبها بالانسحاب من كل الأراضي المحتلة، وتصفية كل مظاهر العدوان تمهيدا للتفاوض حول التسوية الشاملة لكل جوانب الصراع، والتى يكمن فيها الحل الحقيقى، وليس فقط تحرير الأراضى المحتلة

[2] د.نادية محمود مصطفى، «السياسة الفرنسية تجاه الصراع العربي الاسرائيلي (1967ـ1977) : الأبعاد والمحددات»، مجلة الفكر الاستراتيجي العربي، عدد 13ـ14 يوليه 1985

هذا و لم تنجح الاجتماعات الرباعية بين الدول الأربع الكبرى الأعضاء في مجلس الأمن والتي دعت إليها فرنسا وكانت تتمسك بها، في إحراز أي تقدم على طريق تطبيق القرار 242. و مع انسحاب ديغول من الحياة السياسية على الساحة الفرنسية، حرصت فرنسا مع وصول بومبيدو إلى الرئاسة على تأكيد صداقتها مع العرب للحفاظ على مصالحها بالدرجة الاولى، وأكد الرئيس بومبيدو في عديد من المناسبات على استمرار خط السياسة الفرنسية في مواجهة أزمة الشرق الأوسط، التي تدين العدوان الإسرائيلي، و تؤكد على دور الأربع الكبار، والداعية لضرورة التوصل إلى تسوية شاملة، تقوم على عقد معاهدة سلام بين العرب وإسرائيل، على أن توافق إسرائيل على الرجوع داخل حدودها، وعدم الاقتصار على الحلول المؤقتة التي تظل قائمة معها فُرص حرب جديدة، لأن استمرار الجمود سيدفعُ العرب للقتال تحريرا لأرضهم المسلوبة.

كانت فرنسا ترى أن الأسلوب البراغماتي الأمريكي في التفاوض لا يستجيب لتعقد طابع المشاكل المرتبطة بالصراع العربي الإسرائيلي، والذي تحرص الولايات المتحدة على عزل مختلف جوانبه بعضها عن بعض، وذلك يفسر تقدير فرنسا لإمكانيات تسوية الصراع على ضوء مشروع روجرز[3]، الذي لم يكن من وجهة النظر الفرنسية يعالج كل جوانب المشكلة

هذا ولقد استمرت الاتصالات بين فرنسا والدول العربية حول الأزمة، حتى قامت حرب أكتوبر التي برزت فيها من جديد المواقف الفرنسية المتميزة، على النحو الذي يبرز استمرارية السياسة الفرنسية في خطتها، و ان عرفت بعض المنعطفات، وعلى النحو الذي يوضح مدى تكيفها مع التطورات الجديدة في المنطقة، على ضوء تحركات الأطراف المهتمة، وبصفة خاصة الولايات المتحدة، وعلى ضوء المصالح الفرنسية بالدرجة الاولى

[3] مبادرة روجرز هي مبادرة قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية في اوت 1970 اقترحت هذه المبادرة وقف الفدائيين الفلسطينيين المتمركزين في غور الأردن، وقف لعملياتهم المسلحة الموجهة ضد إسرائيل. وافقت مصر بقيادة عبد الناصر على هذه المبادرة، ومن ثم الأردن بقيادة الملك حسين. لكن منظمة التحرير الفلسطينية رفضت الالتزام بها.

2.1.5. البعد الاقتصادى:

فى الوقت الذى كانت تتحمل فيه الدبلوماسية الفرنسية عبء إظهار الاتجاه الجديد للسياسة الفرنسية فى المنطقة، كانت العلاقات العربية الفرنسية تزداد توطدا على صعيد العلاقات العسكرية و الاقتصادية، وعلى النحو الذى تحاول فيه فرنسا التقارب مع كل النظم العربية المختلفة الاتجاهات و المتباعدة فيما بينها فى كثير من الأحيان. وعلى نحو يحفظ المصالح الفرنسية بعبارة أخرى، إذا كان أحد أسس سياسة فرنسا نحو إسرائيل، هو الاعتراف بحقها فى البقاء، واعتراف دول المنطقة بها، فإنه يحكم سياستها تجاه العرب وبدرجة كبيرة اعتبارات المصلحة الوطنية ولقد كان إحراز فرنسا لكسب سياسى فى علاقاتها بالدول العربية استنادا إلى موقفها من أزمة سنة 1967 ومن حرب أكتوبر بعد ذلك بمثابة اكتساب لأرضية جديدة، تخدم مصالحها الاقتصادية الحيوية المرتبطة بالمنطقة.

تتركز المصلحة الفرنسية فى المنطقة، فى حاجة فرنسا إلى تحقيق استقرار وتنمية وارداتها البترولية و الزراعية من الدول العربية، والتى تمثل جزءا هاما من إجمالى استهلاكها من مصادر الطاقة، ويترتب على ذلك، بالتالى رغبتها فى استغلال طاقة الأسواق العربية، على امتصاص الصادرات الأجنبية، وبصفة خاصة من معدات آلية وصفقات السلاح، الأمر الذى يساعد على موازنة ميزان المدفوعات الفرنسى الذى أصابه الخلل، بسبب ضخامة الواردات البترولية وكان من مصلحة الدول العربية أيضا التعاون مع فرنسا التى تمدهم بالاسلحة

عام 1966 كان الوطن العربى الشريك التجارى الأول لفرنسا بعد ألمانيا الغربية، وكان ميزان المدفوعات الفرنسى مصابا بالخلل لصالح الدول العربية، فلقد فاقت حجم واردات فرنسا من العرب حجم صادراتها إليها. و بلغت الواردات البترولية (45%) من إجمالى واردات فرنسا من الدول العربية. و استوردت فرنسا سنة 1960 (24%) من احتياجاتها البترولية من الدول العربية، لترتفع إلى (48%) سنة 1970 فـ (60%) سنة 1975. وكان لابد لفرنسا أن تواجه ذلك العجز، بالعمل على زيادة صادراتها إلى الدول العربية ولهذا ارتفعت أهمية علاقات فرنسا الاقتصادية مع العرب، إلى مرتبة أهمية علاقاتها الاقتصادية مع دول أوربا. وكان

لابد لأى اعتبارات سياسية أن تتراجع أمام العمل على توطيد هذه العلاقات وكان النقص في ميزان المدفوعات الفرنسية هو السبب الاساسي الذي جعل فرنسا تبحث بالدرجة الاولى الى تنويع مصادر الحصول على البترول، تأمينا لاستمرار تدفق الإمدادات البترولية، دفع فرنسا إلى مصاف الدول ذات المصالح والنشاطات البترولية الكبرى مثل الولايات المتحدة و بريطانيا، ثم تأكيد استقلال فرنسا بقدر الإمكان في مواجهة احتكار الكارتل العالمي[4] وعمل ديغول على الاستفادة من النفوذ الاقتصادى في المنطقة في تلك الفترة، ونجح برفع شعار الاستقلال والتعاون في أن يعطى العلاقات البترولية صيغا جديدة ونموذجية وكانت اتفاقيات أيفيان[5] في شقها البترولى خطوة أولى لم يسبق لها مثيل في الشرق الأوسط نحو نظام المشاركة.

في هذه المرحلة، و منذ منتصف ستينات القرن الماضي، بدأ تحرك الدول العربية المنتجة للبترول، للمطالبة باستعادة حقوقها في ثروتها البترولية، انطلاقا من رغبتها في السيطرة على عملية الإنتاج وتحديد الأثمان من ناحية، واستخدام البترول كسلاح في الصراع العربي الإسرائيلي من ناحية أخرى. وفي حين كانت الدول العربية تحرز بعض التقدم عل صعيد الجانب الأول. فلقد فشلت في استخدام البترول كسلاح سنة 1967. و برزت جاذبية فرنسا في تلك المرحلة المبكرة من التحرك البترولى العربي على أنه كان بمقدور الدول العربية لو لم تكن تخضع لسيطرة احتكار الكارتل العالمي استخدام البترول للتأثير على بعض الدول الكبرى بطريقة أفضل. ولذا وجدت أن أمامها وهي لا تستطيع أن تؤمم أو تمنع

[4] مصطلح مشتق من كلمة كارتا (Charta) اللاتينية التى تعنى ميثاق. والكارتل هو الحلف الاحتكاري الذي يتم بين عدة منشآت يظل بعضها مستقلاً عن بعض رغم وجود اتفاق يلزمها جميعاً بالعمل على تحديد أو إزالة المنافسة فيما بينها. ويختلف الكارتل عن التروست (Trust) الذي هو عبارة عن مجموعة منشآت تخضع لإدارة موحدة .ومنذ بداية القرن العشرين، برز اسم الشركات النفطية الكبرى– الشقيقات السبع (THE SEVEN SISTERS) – في السوق النفطية عموماً وفي منطقة الشرق الأوسط بصورة خاصة، كأكبر تنظيم احتكاري (CARTAL)على المستوى العالمي، ارتبط بمجموعة من الاتفاقيات الدولية والسرية بالوقت نفسه لتنظيم الاحتكار الدولي على مجمل الصناعة النفطية العالمية

[5] اتفاقيات إيفيان بالفرنسية هي مفاوضات تمت بين الجزائر وفرنسا بين عامي 1960 و 1962 فبعد تأزم الوضع السياسي والاقتصادي في فرنسا تأزماً بحيث لم يبق لديغول من مجال لقلب الهزيمة العسكرية إلى انتصار سياسي سوى الدعوة للشروع في مفاوضات مع الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وقد دعا بشكل رسمي وعلنى عبر الخطاب الذي ألقاه يوم 14 جوان 1960 إلى الجلوس حول طاولة التفاوض http://www.el-mouradia.dz/arabe/algerie/Histoire/accord%20evian.htm

ضخ البترول فرصة للإفلات من تلك السيطرة الاحتكارية، بالتوسع فى منح الامتيازات لشركات بترولية جديدة، كالشركات ألإسبانية و اليابانية.

وكانت شركة البترول الفرنسية أيـــراب أقوى منافس، استنادا إلى مبدأ المشاركة الذى رفعته والذى كان يحقق أرباحا أفضل لدول المنتجة، واستنادا إلى موقعها السياسى من أزمة سنة 1967، والذى مهد لها طريق التحرك فى كل المجالات ومن هنالك كانت النتائج الإيجابية للتحرك الفرنسى مع ليبيا والعراق

فوقّعت فرنسا مع ليبيا فى أفريل سنة 1968 اتفاقا يسمح للمصالح الفرنسية البترولية بمشاركة الحكومة الليبية. كذلك كانت زيارة الرئيس العراقي الاسبق عبد السلام عارف لباريس فى فيفري سنة 1968 نقطة تحول فى ارتباط فرنسا بالعراق بصفة خاصة وبالعرب بصفة عامة وكان العراق فى هذه الفترة أنسب شريك بترولى عربى لفرنسا. اذ استطاعت كسر دائرة احتكار الكارتل العلمى للسعودية والكويت وإيران، وفى الوقت الذى كان فيه العراق فى حاجة لمصدر جديد لشراء السلاح، بعد تشدد الاتحاد السوفيتى سابقا مع الحكومة العراقية الجديدة المعادية للشيوعية آنذاك، وفى ديسمبر 1968 تم توقيع اتفاق منح لفرنسا بمقتضاه امتياز البحث والتنقيب عن البترول فى عديد من مناطق العراق.

هذا و كانت فرنسا مهتمة بتسوية الخلافات مع الجزائر حول المسائل البترولية. و مركزة على تطوير هيكل العلاقات التجارية بعد سنة 1967 وحتى بداية السبعينات. اذ بلغ حجم التبادل التجارى بين فرنسا والدول العربية 20 مرة مقارنة بحجم التبادل بينها وبين إسرائيل، وذلك كما ورد فى مجلة الدفاع الوطنى الفرنسية، فى تقرير لها عن العلاقات العربية الفرنسية حتى سنة 1970، وقد ذكر التقرير أيضا أن فرنسا استوردت سنة 1968 ما يعادل (64%) من احتياجاتها البترولية من العراق وليبيا والجزائر ومصر، وأن الصناعات البتروكيميائية الفرنسية تمثل من 40 الى (45%) من إجمالى الإنتاج الصناعى الفرنسى.

وظل ميزان المدفوعات الفرنسى مصابا بالخلل لصالح الدول العربية، فقد بلغ متوسط العجز التجارى الفرنسى مع الدول العربية 5414 مليون جنية إسترلينى من 1965 الى 1970. و بصفة خاصة نجد أن الدول الثلاث الأساسية الموردة للبترول

الفرنسي، وهي الجزائر وليبيا والعراق تمتص وحدها ما يفوق (53%) من صادرات فرنسا إلى المنطقة، وتستورد منها فرنسا (61%) من إجمالي وارداتها من المنطقة. و بصفة عامة نجد أن سنة 1971 زادت فيها صادرات فرنسا إلى المنطقة بنسبة (25%) عنها في سنة 1970، ولكن في نفس الوقت، زادت وارداتها منها بنحو (50%)، بمعنى استمرار الخلل في الميزانية الفرنسية لصالح الدول العربية.

هذا و استمرت فرنسا في محاولة الحصول على عقود بترولية جديدة من الجزائر وليبيا والعراق فعقب زيارته صدام حسين نائب رئيس مجلس الثورة العراقي آنذاك، لفرنسا في جوان سنة 1972 لإجراء مباحثات تتعلق بالبترول العراقي بعد تأميمه، صدر بيان مشترك يتضمن موافقة العراق على أن يبيع لفرنسا (23.75%) من مجموع إنتاج البترول مستخرج من حقول كركوك خلال السنوات العشر التالية (أي الى غاية 1982)، وذلك بالسعر الذى كان قائما قبل تأميم شركة بترول العراق. و بالمقابل تعهدت فرنسا بزيادة القروض المقدمة للعراق لتشجيع المشروعات الفرنسية على مواصلة عملها في العراق. كذلك وقعت في فيفري سنة 1973 شركة البترول العراقية مع شركة البترول الفرنسية، عقد طويل الأجل، تحصل فرنسا بمقتضاه على كميات من البترول العراقي الخام تعادل الكميات التى كانت تحصل عليها قبل تأميم البترول العراقي في جوان سنة 1972 .

جدير بالذكر هنا، أن العراق لم يؤمم نصيب فرنسا في شركة البترول العراقية مكافأة لها على موقفها المؤيد للقضية العربية، وبهذا جنت فرنسا إحدى الثمار الاقتصادية لموقفها السياسي كذلك ساندت فرنسا مطالب الحكومة الليبية في موقفها من الشركات البترولية العاملة بها، حتى تم تأميمها

اما عن دول الخليج العربي فكانت انطلاقة العلاقات الفرنسية بها بعد حرب أكتوبر 1973. و نشير هنا الى الزيارات الممهدة لهذه العلاقات و التى قام بها الملك السعودي الراحل فيصل لفرنسا في 30 جوان 1971 و 14 ماي 1973، و التى كان لها ان تنعش العلاقات التجارية الأخرى. و كان استغلال الأسواق العربية أهم بالنسبة لفرنسا من روابطها السياسية مع إسرائيل. و بالفعل فقد تم إنشاء الغرفة التجارية المشتركة بين الدول العربية وفرنسا في 8 ديسمبر سنة 1970 بعد أن

أصدر المجلس الاقتصادى العربى قرار بذلك فى 23 جانفي سنة 1968 من أجل تسهيل وتنمية العلاقات الاقتصادية بين فرنسا والدول العربية، كما قد تم فى أفريل سنة 1969 إنشاء البنك العربى الفرنسى للاستثمارات الدولية. وقرر مجلس الوحدة الاقتصادية العربية فى جانفي 1969 العمل على زيادة التبادل التجارى والتعاون الاقتصادى بين فرنسا ودول المجلس.

الملاحظ أنه حتى تلك الفترة، لم يحظى ميدان التعاون الاقتصادى بنفس الاهتمام الذى حظى به مجال التبادل التجارى بصفة عامة، والبترولى بصفة خاصة، فوفرة النفط خلال ثمانينيات القرن العشرين ادت لتشكل فائض منه بسبب انخفاض الطلب عليه بعد أزمة الطاقة 1979 وأزمة 1973، هذا و انهار سعره العالمي بعد أن بلغ ذروته في عام 1979 في الولايات المتحدة اين وصل انذالك الى أكثر من 35 دولارا للبرميل الواحد، لينهار في عام 1986 من 27 دولارا إلى ما دون 10 دولارا.

وفي 1981، ذكرت نيويورك تايمز «وفرة النفط!... هو هنا»، ومجلة تايم : العالم مؤقتا يعوم في وفرة من النفط «The world temporarily floats in a glut of oil» . و بعد عام1980 ، انخفاض الطلب والإفراط في إنتاج أوجد وفرة في السوق العالمي، مما تسبب في انخفاض أسعار النفط طوال ستة سنوات، بلغت ذروته بانخفاض (46%) من الأسعار في عام 1986.

3.1.5. البعد العسكرى:

تمثل اساسا في صفقات بيع السلاح الفرنسى لدول المنطقة، والتى حكمها وحدد اتجاهاتها، قرارا حظر إرسال السلاح الفرنسى إلى المنطقة. فلقد أعلنت فرنسا فى 2 جوان 1967 الحظر الجزئى على إرسال السلاح، والذى انطبق على خمسين طائرة ميراج كانت إسرائيل قد تعاقدت مع فرنسا على شرائها بالرغم من أن فرنسا بررت الحظر بأنه يرجع إلى الخوف من تدهور الأوضاع فى المنطقة، فإن ديغول كان يريد وسيلة للضغط على إسرائيل تعبر بها فرنسا عن دورها المستقبلى فى المنطقة، والذى كان يتهدده اندلاع حرب جديدة تزيد من نفوذ القطبين فيها، فقد سعت إلى عقد صفقات سلاح مع بعض الدول العربية.

أعلنت فرنسا في 7 ديسمبر سنة 1967 في بيان رسمي وحين كانت تتفاوض مع العراق حول صفقة سلاح ضخمه، أنها لا تجد سببا يدعوها إلى حضر بيع السلاح للدول العربية، و انها لن تظل حبيسة العلاقات المنفردة مع إسرائيل. وبالفعل تمت صفقة بيع طائرات ميراج للعراق في 11 أفريل 1968 كذلك كانت فرنسا تجرى مشاورات مماثلة مع السعودية والكويت اللتين فضلنا السلاح الأنجلو ساكسوني اخيرا.

في جانفي 1969 فرضت فرنسا الحظر الكلي على إرسال السلاح لإسرائيل، وبررت قرارها بحادثة الهجوم الإسرائيلي على مطار بيروت. وقد أثار هذا القرار ردود فعل عديدة داخل فرنسا وخارجها، في حين استمرت الحكومة الفرنسية في عقد صفقات السلاح مع أهم الدول العربية التي تورد البترول لها، فقد أصدرت فرنسا بيانا في 9 جانفي 1969 تعترف فيه بتوريد 50 طائرة ميراج لليبيا.

هذا وقد كانت فرنسا، أمام الاعتراضات الإسرائيلية وحتى الداخلية، تبرر بيع الأسلحة مع استمرار قرار الحظر بالتمييز بين دول المواجهة العربية كمصر وسوريا والأردن والتي لم تعقد معها صفقات سلاح، وتلك التي لا تنخرط مباشرة في القتال، وان بيعها للاسلحة يدخل في نطاق أهداف سياستها في غرب البحر المتوسط والتي تهدف إلى جعله بحيرة سلام، والحيلولة دون تحوله إلى ميدان جديد للحرب الباردة.

و يتضح في السياسة الفرنسية أن البترول والسلاح، كانا يرتبطان معا، بدواع و للاعتبارات الاقتصادية بحتة، لذا لم تكن فرنسا انذالك تعبأ بالاحتجاجات الإسرائيلية، وإن حرصت مع ذلك على التخفيف من حدة التوتر مع الكيان الإسرائيلي، وذلك بالاتفاق على رد ما دفع من ثمن طائرات الميراج الخمسين التي وقع عليها الحظر وهو الاتفاق الذى لم يكن له أي رد فعل إيجابي من الناحية السياسية أو العسكرية. وكانت فرنسا وهي تتحرك في هذا المجال وهي تعد واحدة من خمس دول كبرى يحتكر مجموعها (95%) من تجارة السلاح في العالم، تواجه منافسة هذه الدول الأخرى في منطقة البلاد العربية، و التى امتصت

بلدان الشرق الاوسط منه حوالي ثلث تجارة السلاح العالمية في الفترة من 1962 الى 1969.

كانت الدول العربية قد بدأت تبحث عن تنويع مصادر سلاحها، في الوقت الذى استمر فيه التنافس بين الدول المصدرة للسلاح على غزو كل منها لأسواق الدول الأخرى. وكان لفرنسا على ضوء مواقفها السياسية من القضية العربية جاذبية لدى الدول العربية، الأمر الذى برز بصورة واضحة بعد حرب أكتوبر 1973، والذى جاء بأبعاد أضفت طابعا جديدا على هذه العلاقات العسكرية، التى امتدت إلى معظم الدول العربية تقريبا، البترولية منها وغير البترولية، والتى لم تقتصر على بيع السلاح، ولكن المساعدة في تصنيعه

4.1.5. البعد الأوربي في حركة فرنسا اتجاه الدول العربية

في تعاملها و تجارتها مع دول العالم العربي، عرضت فرنسا على رفاقها الأوربيين إشراكهم، ودفعتهم ليتخذوا دورا جماعيا في مواجهة أهم أزمات المنطقة العربية. ولقد وجدت فرنسا أن نفوذها في المنطقة أضحى يتوقف على قدرتها على التأثير على علاقات القطبين بتلك المنطقة. و عرفت ان قوتها تكمن في تحالف الدول الأوربية. اذ سعت فرنسا لإبراز دورها المستقل عن وصاية الحليف الأمريكي، و لم يكن أمامها و هي تحاول أن تضع أسس سياسة أوروبية مشتركة تتحدى السياسة الأمريكية، إلا أن تُحقق الاتفاق بينها وبين شركاءها الأوروبيين، حول كيفية التعامل مع مختلف القضايا، و خاصة، الوطن العربي بثروته البترولية وآفاقه الاقتصادية ذات الدلالة بالنسبة للاقتصاديات الأوربية

و كان المقصود بتحديد سياسة أوربية مشتركة هو تحديد الدور الأوروبي بالمقارنة بدور القوى الأخرى المتواجدة في الشرق الأوسط، حتى يمكن التوصل إلى اتفاق يقبله كل أطراف الصراع في المنطقة. وكانت البداية مع اجتماع وزراء خارجية الدول الست في نوفمبر 1970، ولأول مرة في إطار التعاون السياسي الأوروبي لمناقشة مؤتمر الأمن الأوروبي وسياسة أوروبا تجاه الشرق الأوسط قدمت اللجنة السياسية مشروعا إلى وزراء الخارجية الذين وافقوا عليه في

ماي 1971 وكان ذلك التقرير السري مستندا وعاكسا للآراء الفرنسية حول الأزمة، اذ يقضي بـ :

- ✓ عودة إسرائيل إلى حدود ما قبل حرب 1967. مع تعديلا طفيفة مناطق منزوعة السلاح على جانبي الحدود و التي توضع تحت سيطرة قوات الأمم المتحدة،
- ✓ تدويل إداري للقدس و إعطاء اللاجئين حق الاختيار بين التعويض أو العودة،

و كانت مدة صلاحية سريان هذه الاتفاقات هي 5 سنوات، وكان رد فعل إسرائيل عنيفا واتهمت الدول الأوربية بالانصياع لخطة سياسة فرنسا العربية. وأنه ليس لها حق التدخل في محاولات تسوية النزاع. و جاء موقف موسكو والولايات المتحدة متحفظا، وتجمدت المناقشات حول السياسة الأوربية المشتركة في مواجهة الأزمة، حتى اندلعت حرب أكتوبر 1973، التي فرضت بأبعادها الجديدة تحركا أوربيا جديدا في المنطقة

2.5. ثانيا: أبعاد العلاقة منذ حرب أكتوبر 1973 وحتى الربيع العربي

1.2.5. البعد السياسي

بالنظر إلى تاريخ علاقات صداقتها مع العرب التي توطدت مع ديغول، فقد كان الرئيس بومبيدو في هذه الناحية أكثر واقعية من الجنرال ديغول، الذي حاول بطرق عديدة أن يثبت لفرنسا دورا مميزا على قدم المساواة مع دور القطبين قبل وأثناء وبعد حرب 1967 فلقد كان ماثلا أمام بومبيدو عداء القوتين العظميتين وإسرائيل لكل تدخل فرنسي في الموضوع، ورفض قبول أية مبادرة فرنسية ولقد برزت أثناء محاولات إيقاف القتال، والتوصل إلى تسوية، القيود التي تواجه محاولة فرنسا إبراز دورها المستقل، إذ جاء قرار 22 أكتوبر 1973 نتيجة لاتصالات القطبين

هذا و قد فشلت فرنسا في إشراك قوات الدول الكبرى الأربع في قوات السلام التي تدخلت في المنطقة، وأيضا استبعدت هي و بريطانيا من حضور أول مرحلة في مؤتمر جنيف، كذلك لم تتفاوض الولايات المتحدة مع فرنسا وباقي شركائها الأوربيين في موضوع التعبئة العامة الذي أعلنته لمواجهة الإنذار

السوفياتي.لم يمنع هذا فرنسا من اتخاذ مواقفها المستقلة والمتفقة مع خط سياستها العامة في المنطقة، فكانت الدبلوماسية الفرنسية في الأمم المتحدة وغيرها، تؤكد على المبادئ التي تراها فرنسا أساسا للتسوية الشاملة ولكن بدأت السياسة الفرنسية تنظر بإيجابية إلى الجهود الأمريكية والتي شهدت تحولا منذ حر ب أكتوبر 1973، فقد أشار بومبيدو في مؤتمر صحفي في 3 جانفي 1974 إلى التكتيك السياسي المتبع والقائم على فرض وقف القتال، ثم البدء في التفاوض يمكن أن يقود إلى بعض النتائج

هذا و لم تعارض فرنسا اتفاقية الفصل الأولى على جبهة سيناء والجولان وأشار الرئيس ديستان الذى كان عند توليه الرئاسة قد أدلى للرئيس السادات أن فرنسا في عهده ستواصل اتباع السياسة التي اختطها الرئيسان ديغول و بومبيدو تجاه مصر والبلاد العربية إلى اتفاقية الفصل الثانية على جبهة سيناء، بأنها تحرك شجاع تريد به مصر تجسيد نتائج إنجازها العسكرى في أكتوبر 1973 واستمرت فرنسا مع ديستان في تشجيع الحركة في المنطقة نحو السلام ومع إقرار ديستان في لقائه مع الرئيس الأمريكي فورد في ديسمبر سنة 1974 بما أسماه مجهودات لافتة للنظر قامت بها الدبلوماسية الأمريكية لإقرار السلام في المنطقة، فإنه استمر على تأكيد دور فرنسا وشركائها الأوربيين في مسألة الضمانات الدولية للتسوية المرتقبة ذلك الموقف الفرنسي، على ضوء إمساك الولايات المتحدة بزمام مفاوضات التسوية، لم يمنع فرنسا من اتخاذ موقف إيجابي ومتميز بالمقارنة بشركائها الأوربيين والولايات المتحدة في أهم جوانب النزاع، وهي الخاصة بحقوق الشعب الفلسطيني فقد اعترفت فرنسا بحق الشعب الفلسطيني في أن يكون له وطن فهي لم تعد تنظر إلى القضية الفلسطينية على أنها مجرد قضية لاجئين، وإنما على أنها ظاهرة إنسانية وسياسية، تتمثل في إرادة الوجود والكرامة لشعب يطالب بحق الحصول على وطن هذا وفي 31 أكتوبر 1975 سمحت فرنسا لمنظمة التحرير الفلسطينية، بفتح مكتب لها في باريس للاستعلامات و الاتصالات، ولم تتردد فرنسا أيضا في الموافقة على إشراك الفلسطينيين في مفاوضات التسوية المقبلة ويتضح أن ذلك الموقف الفرنسي نابع من رؤية فرنسا للعلاقة الوثيقة بين إمكانية التوصل إلى تسوية شاملة، وحل المشكلة الفلسطينية التي لن

تتأتى بدون إشراك الفلسطينيين في مفاوضاتها ومن هنا كان موقف فرنسا من الأزمة اللبنانية، يعكس هذه النظرة

فقد حملت بعثة كوف دو مورتيل أفكارا محددة، منها ضرورة مراعاة وضع الفلسطينيين، فالمطروح ليس طردهم من لبنان، ولكن التوصل إلى صيغة تحدد وضعهم في ظل شروط مقبولة للجميع ومن هنا كان أيضا اهتمام فرنسا بالاتصالات بقادة المقاومة، في الوقت الذي تجرى فيه المشاورات لعقد مؤتمر جنيف 1975، والذي مثل إشراك الفلسطينيين فيه إحدى عقبات انعقاده

2.2.5. البعد الاقتصادي:

كان لأزمة الطاقة التي ثارت بعد استخدام البترول كسلاح في الجولة الأخيرة من الصراع العربي الإسرائيلي اثر كبير على العلاقات الاقتصادية والعسكرية بين فرنسا والدول العربية، و يكفي القول أن ارتفاع سعر البترول وقرارات الحظر، حدثت في إطار اقتصادي دولي يتسم بالارتفاع العام لأسعار المواد الخام وتدهور النظام المالي العالمي منذ سنة 1971 بعد أزمة الدولار، الأمر الذي أثر بصورة عامة على معظم الدول المستهلكة، وظهرت الاختلالات في اقتصادياتها

فتأثرت فرنسا بالأزمة بصورة أكبر من باقي الدول الصناعية ووفقا لتحليل وزير الصناعة الفرنسي انذاك ميشال دورنانو في دراسة نشرت له في مجلة الدفاع الوطني الفرنسية في أبريل سنة 1975 كانت الصورة كالآتي:

يغطي البترول (66%) من احتياجات فرنسا من الطاقة، تستورد منه (75%)، في حين أنها لا تستطيع تطوير موارد طاقتها الداخلية بصورة تخفف من اعتمادها على البترول ولقد بلغت قيمة واردات فرنسا من البترول سنة 1974 أكثر من 45 مليار فرنك فرنسي، بزيادة 30 مليار فرنك عن سنة 1973، وذلك راجع بالطبع إلى زيادة أسعار البترول الذي كان قد انخفض متوسط ثمن ما تستورده منه فرنسا في الفترة الممتدة من 1955 الى 1973 بنسبة (30%). و لقد انعكس خلل ميزان الطاقة على الميزان التجاري، إذ بلغ العجز في ميزان المدفوعات الفرنسي 16 مليار فرنك سنة 1974، بعد أن كان هنالك فائض يقدر سبعة

مليارات فرنك سنة 1973 و أشار الوزير الفرنسي الاسبق إلى أن إعادة توازن ميزان المدفوعات يقتضي الاقتصاد في استهلاك الطاقة على اختلاف انواعها و تنويع مصادرها، و كذا إعادة بناء قطاع الصناعة التي ما زال الطلب عليها قويا من جانب دول العالم الثالث و بالأخص الدول العربية. و كذا تطوير الهيكل الاقتصادي الفرنسي ليتلاءم مع الظروف الجديدة.

و اهتمت فرنسا بالقطاع التجاري لمواجهة العجز في ميزانيتها، و اعادت النظر في علاقاتها التجارية والاقتصادية الفرنسية العربية. اذ تحركت على النحو الذي يدعم من قدرتها على الحصول على البترول بأفضل شروط ممكنة، وفي نفس الوقت، تحسين وتنمية هيكل علاقاتها التجارية مع الدول العربية الغنية بالبترول و مختلف مصادر الطاقة، بل وذهبت الى أبعد من مجرد التصدير، والدخول في مجال إنشاء المشروعات الاقتصادية في الدول العربية

فلقد أبدت فرنسا استعدادها كما ذكر بيير مسمير في باريس في 8 مارس 1974 لمساعدة الدول العربية المنتجة للبترول، على استغلال إمكانياتها المالية لتحقيق أهداف التنمية بها. ولكن اتضح أثناء أزمة البترول في خريف 1973 تأييد شركات الكارتل العالمي بمساندة من الولايات المتحدة للارتفاع الكبير في أسعار البترول، الأمر الذي كان يضر باقتصاديات أوربا التي عجزت عن انتهاج سياسة جماعية موحدة في مواجهة تلك المشكلة الحيوية. وفي نفس الوقت الذي ظهرت فيه الدعوة إلى حوار عربي أوروبي، لجأت بعض الدول الأوروبية وعلى رأسها فرنسا إلى الدخول في مفاوضات ثنائية مباشرة مع الدول المنتجة وبصفة خاصة السعودية وإيران

بعبارة أخرى، فإن فرنسا في مواجهة محاولات السيطرة الأمريكية على مصير أوروبا في مسألة الطاقة، وجدت أن الحل الذي يحفظ مصالحها واستقلالها، يكمن في الاتفاقات الثنائية ولقد أعلن بيير مسمير رئيس الوزراء الفرنسي آنذاك في 7 جانفي 1974، أن أحوال العالم الذي دخل مرحلة اقتصادية جديدة نتيجة حرب أكتوبر لن تعود إلى ما كانت عليه من قبل، وأن الوسيلة الوحيدة لإعادة الاستقرار إلى الأسواق، و كذا عقد اتفاقيات مباشرة مع الدول

المنتجة، وكانت أولى نتائج هذا التحرك، هي إعلان فرنسا رسميا في 9 جانفي 1974 توقيع اتفاق مع المملكة العربية السعودية مدته ثلاث سنوات، تحصل فرنسا بمقتضاه على 27 مليون طن من البترول الخام، وأن هذا الاتفاق الصغير خطوة في سبيل عقد صفقة أضخم. و هكذا وصل التحرك الفرنسي الذي كان مقصورا حتى سنة 1973 على العراق وليبيا والجزائر بدرجة أساسية، إلى مجال ذا آفاق جديدة

من جهة أخرى فقد كانت تتمثل أمام فرنسا، صورة للمنطقة ذات بعدين واضحين. أثرا على اختيار محاور حركتها الاقتصادية في المنطقة:الاولى تتعلق بالسياسات البترولية للدول المنتجة، و الثانية بسياسات التنمية الوطنية في الدول العربية.

فيما يخص البعد الأول نجد أن الدول المنتجة، تختلف حول مدى الإسراع في إنتاج البترول، وحول مستويات الأسعار وفي الواقع يمكن تحديد ثلاثة اتجاهات في هذا الصدد:

- ✓ اتجاه العراق المؤيد لزيادة الإنتاج ورفع السعر لتحقيق دخول كبيرة، تغطي نفقات برامج التنمية الطموحة الموضوعة،
- ✓ اتجاه الكويت المؤيد لرفع الأسعار، مع الدعوة لتجميد مستوى الإنتاج أو زيادة صغيرة،
- ✓ اتجاه السعودية والإمارات الرافض للارتفاع المستمر في الأسعار، والمؤيد لزيادة الإنتاج

وقد برز ذلك الخلاف واضحا في آخر اجتماعات منظمة الأوبك في نهاية عام 1976، في الوقت الذي يتزايد فيه استهلاكها من البترول، والذي مع ارتفاع أسعاره، تتزايد متاعب ميزان مدفوعاتها

أما عن البعد الثاني، اي سياسات التنمية الوطنية، فهنالك أنماط مختلفة في تبنتها الدول العربية في تنميتها، و كان للعوامل الطبيعية والجغرافية الدور الكبير في تحديد سياسات التنمية. فكانت دول كالعراق والجزائر دول تقوم في الواقع بعملية

تنمية ظاهرية، ليست في حقيقته إلا عملية إعادة توزيع للمداخيل. و كان الكويت، الإمارات و السعودية بدرجة أقل وهنالك أيضا عوامل سياسية تحكم نمط التنمية

هذا ولقد حرصت فرنسا على تدعيم علاقاتها بكامل الدول العربية، من خلال إقامة التوازن بين كل شركاءها في المشرق والمغرب العربي. فكانت دلالات الاتفاقات والمباحثات الاقتصادية بين فرنسا وعديد من الدول العربية الأخرى، وبصفة خاصة البترولية فمثلا في 13 فيفري 1974، وصل إلى فرنسا عبد السلام جلود رئيس الوزراء الليبي لإجراء محادثات مع الحكومة الفرنسية، تشمل التطورات الأخيرة في الموقف في الشرق الأوسط، وإمكانية قيام فرنسا بتنفيذ مشروعات بتروكيميائية في ليبيا. وقد تقرر تشكيل لجان اقتصادية مشتركة ليبية فرنسية، لدراسة أوجه التعاون بين البلدين، على أثر اجتماع جلود مع ديستان وزير المالية الفرنسي في ذلك الوقت. وفي 16 أكتوبر 1974 وصل إلى الكويت وفد فرنسي من 30 شخص يمثلون أكبر المؤسسات الصناعية والشركات الفرنسية، لإجراء اتصالات من أجل تنمية التعاون بين البلدين، وفي 3 ماي سنة 1975 وصل إلى باريس الشيخ زايد بن سلطان حاكم دولة الإمارات العربية، في زيارة رسمية إلى فرنسا لإجراء محادثات مع الرئيس الفرنسي ديستان حول أزمة الشرق الأوسط، والعلاقات الثنائية بين البلدين وفي 4 جويلية 1975 تم توقيع اتفاق تعاون ثقافي وفني بين فرنسا ودولة الإمارات العربية، يتناول البتروكيميائيات وإسالة الغاز وصناعة الأسمدة والنقل البحري للبترول.

كذلك تناولت مباحثات الأمير الصباح السالم الصباح أمير دولة الكويت في باريس 26 ماي 1975، كيفية التعاون الاقتصادى بين البلدين، وتم اتفاق شامل بينهما في هذا الصدد. و في أول نوفمبر 1975 صرح جون سوفانيارج وزير الخارجية الفرنسية لدى وصوله إلى جدة، بأنه سيفتتح مع وزير الخارجية السعودي، أعمال لجنة التعاون المشتركة بين البلدين

وفي 17 نوفمبر 1975 بدأت في بغداد المباحثات الرسمية بين العراق وفرنسا لتطوير العلاقات الاقتصادية والفنية بين البلدين، وكانت زيارة ديستان للجزائر في إفريل سنة 1975 تعبيرا عن ذلك الاهتمام المتميز بالعلاقات مع هذه الدولة

التي تربطها علاقات متميزة بفرنسا فالجزائر هي الشريك التجاري السادس لفرنسا، اذ (35%) من واردات الجزائر من فرنسا، و(32%) من واردات فرنسا من الجزائر، و كانت الزيارة محاولة لإعادة العلاقات بينهما إلى مسارها الطبيعي، بعد تلك الأزمة التي مرت بها بسبب مفاوضات البترول. وبصفة عامة وكما ذكر جاك شيراك رئيس الوزراء الفرنسي السابق، في حديث نشر له في جريدة الأهرام في 14 جويلية 1976 فإن حجم التجارة الخارجية الفرنسية العربية وصل سنة 1975 إلى 60 مليار فرنك فرنسي، بعد أن كان 18 مليار فرنك سنة 1970، وبلغ معدل الزيادة في المبيعات الفرنسية للدول العربية (50%) في الفترة من 1974 الى 1975.

هذا وتعزم فرنسا أهمية كبيرة على صادراتها من المعدات إلى المنطقة، لتحقيق توازن ميزان مدفوعاتها مع الدول العربية، التي وصلت طلباتها على المعدات الفرنسية إلى 52 مليار فرنك سنة 1974 و بصفة خاصة، و بالموازات مع التطور الذي تشهده العلاقات بين فرنسا و دول شمال افريقيا، نلحظ تزايد التعامل التجاري بين فرنسا ودول المشرق العربي. فزادت مشتريات العراق من فرنسا من 60 مليون فرنك إلى 376 مليون فرنك في الفترة 1970 ـ 1975، وكذلك السعودية زادت مشترياتها من 81 مليون فرنك إلى 259 مليون فرنك عن نفس المدة وصلت مشتريات الكويت إلى 193 مليون فرنك سنة 1975، بعد أن كانت 70 مليون فرنك سنة 1970

هذه الأرقام زادت دلالة هامة، إذ أن المشرق العربي لم يعرف في تاريخه الحديث ذلك النفوذ الاقتصادي الفرنسي، وكان الميدان متروكا للولايات المتحدة وبريطانيا فقط وهكذا كانت حرب 1973 بعواقبها، نقطة تحول في تاريخ العلاقات الفرنسية بدول المشرق والمغرب العربي على السواء

3.2.5. البعد العسكري:

عرفت المنطقة العربية تطورا ملحوظا في علاقاتها الاقتصادية بالدول الغربية وكان يمكن أن يؤثر ذلك التطور بفعالية على مستقبل المنطقة، لو لم تكن أدوات الحرب تمثل جزءا كبيرا من صادرات الدول الغربية لدول المنطقة. فقد امتصت الدول

العربية في الشرق الأوسط والخليج العربي، جزاء هاما من تجارة المعدات الحربية وهذا راجع بطبع إلى الرغبة في تعويض الأسلحة المستهلكة في الحرب، وتجد الدول الصناعية فرصة مربحة في هذا، لتحقيق توازن ميزان مدفوعاتها الذي أصابه الخلل بسبب الواردات البترولية

هذا التسابق على التسلح والمنافسة على بيع الأسلحة، له أثار كبيرة على العلاقات الأوروبية، والأوروبية العربية بل و العلاقات الدولية كافة، مثل ما له من آثار مباشرة على أمن دول المنطقة المستوردة للسلاح ويمثل الشرق الأوسط، منذ زمن بعيد، حقلا هاما للمنافسة الشديدة بين صناعات السلاح العالمية، ولكن ازداد الاتجاه مع تزايد الثروات البترولية، و ضرورة التصدير الملحة التي تواجهها الاقتصاديات الغربية

كان للصراع العربي الاسرائيلي الدور الكبير في التحكم في تجارة السلاح، فإسرائيل تلقى الدعم العسكرى و اللوجستى من الولايات المتحدة، و تلقي الدول العربية و التنظيمات المعادية للكيان الصهيوني في الوقت نفسه تمون اميريكا و روسيا بالاسلحة.

على ضوء الأبعاد الجديدة في البلاد العربية بعد حرب أكتوبر، الغت فرنسا الحظر الذي كانت قد فرضته على إرسال السلاح لدول المواجهة ففي 24 جانفي 1974، أعلن ميشال جالي وزير الدفاع الفرنسي، أن فرنسا لن تضع أي حظر على بيع الأسلحة إلى العالم العربي، لأن مثل هذا الحظر يدفع الدول العربية إلى الاتجاه إلى الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي، للحصول على حاجاتها من الأسلحة وفي 28 جويلية 1974، قررت الحكومة الفرنسية، رفع الحظر على شحنات الأسلحة إلى الشرق الأوسط، وأعلن اندريه روس المتحدث باسم الحكومة الفرنسية، أن بيع الأسلحة سوف يستأنف بعد بحث كل حالة

و بلغت مبيعات السلاح في العالم سنة 1974 نحو 18 مليار دولار، بزيادة تقدر بنحو(55%) بالنسبة لعام سنة 1964 وكان نصيب فرنسا من هذا الإجمالي (9%) و لقد ارتفعت الطلبات على السلاح الفرنسي سنة 1974 إلى 197 مليار فرنك، أي

ضعف ما كانت عليه سنة 1973 (95 مليارات فرنك فرنسي) ، تتوزع على الوجه التالي:

(87%) لدول السوق الأوربية، (21%) لدول منطقة الفرنك، 24 في المائة للولايات المتحدة، و الباقي لباقي دول العالم، والتي منها عديد من الدول العربية ذات الموارد المالية الضخمة النابعة من دخولها البترولية فقد بلغت قيمة عقود التسليح بين فرنسا والدول العربية سنة 1974 ما يفوق الـ 3 مليارات دولار، دفعت منها السعودية وحدها 870 مليون دولار هذا ولقد بلغت زادت الطلبات على السلاح الفرنسي في النصف الأول من سنة 1975 الى نحو (36%) عن الفترة المقابلة سنة 1974 ولقد مثلت صادرات فرنسا من الأسلحة سنة 1974 نحو (3,5%) من إجمالي صادراتها

هذا و امتدت تجارة السلاح الفرنسي إلى جل الدول العربية، ففي نهاية سنة 1973 باعت فرنسا لأبو ظبي 18 طائرة ميراج 3 بالإضافة إلى 14 ميراج 5 وفي 3 فيفري 1974 أعلن وزير الدفاع الكويتي، أن هنالك مفاوضات جارية مع بعثة عسكرية فرنسية موجودة في الكويت، بشأن توقيع صفقة سلاح كذلك في 4 ديسمبر سنة 1974 أعلن الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران السعودي، أنه قد تم توقيع عقد مع الحكومة الفرنسية لشراء أسلحة من فرنسا وفي 28 ماي 1975، أعلن عبد الرحمن العتيقي وزير المالية الكويتي في باريس، أنه تم الاتفاق خلال زيارة أمير الكويت لفرنسا، على شراء أسلحة فرنسية للكويت، وأنه قد تم وضع اتفاق شامل بين الدولتين لتقرير التعاون الاقتصادي بينهما وفي 11 نوفمبر سنة 1975 وصل إلى باريس سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع السعودي، يرافقه وفد عسكري سعودي في زيارة لفرنسا لإجراء مباحثات حول التعاون العسكري بين البلدين وأخيرا تأتي مباحثات الرئيس السوداني جعفر النميري مع الرئيس ديستان في باريس، حول عقد صفقة سلاح فرنسية، تكتسب مغزاها على ضوء التهديدات التي تواجهها السودان من الجنوب.

4.2.5. البعد الأوروبي في حركة فرنسا اتجاه المنطقة العربية بعد سنة 1973

كان لابد لفرنسا بعد تلك القيود التي فرضت على حرية حركة دبلوماسيتها أثناء اندلاع حرب 1973 وبعدها مباشرة كان لابد أن تبحث عن مجال حركة جديدة، تثبت من خلاله نفوذها في المنطقة، الذى أخذ يتزايد على صعيد العلاقات الثنائية الاقتصادية والعسكرية ولذا اتجهت من جديد إلى أحياء الدعوة إلى صياغة سياسة أوربية مشتركة في المنطقة.

فكيف جاءت المبادرة الفرنسية وكيف تطورت؟

وما هو وضعها في إطار السياسات الدولية، وبصفة خاصة على ضوء سياسة الولايات المتحدة في المنطقة؟

تطور المبادرة الفرنسية واستجابة شركائها الأوروبيين:

لم تتمكن الدول الأوربية أثناء حرب أكتوبر من اتخاذ موقف موحد. ولكن تحت ضغط ممثلي فرنسا وبريطانيا، أصدر مجلس الوزراء الأوروبي نداء للمتحاربين، يدعوهم لوقف إطلاق النار، والتفاوض على أساس قرار مجلس الأمن رقم 242 وكانت تكمن وراء هذا التحرك الضعيف، صعوبة التوفيق في هذه المرحلة المبكرة من الأزمة بين سياسات مختلف الدول التسع التي كان يظهر تباينها من البيانات المتناقضة الصادرة عنها، وبصفة خاصة بين وزيرى خارجية فرنسا وهولندا فلقد أعلن ميشال جوبير، أن محاولة استعادة الأرض المحتلة ليست عدوانا، في حين أعلنت هولندا أن التحرك العسكرى المصرى والسوري، يعتبر نهاية التعايش السلمي في المنطقة والقائم منذ سنة 1970. اذ بادر بومبيدو في مؤتمر صحفي في 21 أكتوبر 1973 بالدعوة إلى تحرك أوروبي في مواجهة الأزمة. وفي 6 نوفمبر وفي بروكسل، و عن اجتماع وزراء خارجية الدول التسع، صدر أول تعبير جماعي أوروبي حول المشكلة التي يختلفون عليها و هي الوثيقة التي استند إليها البيان الذى صدر عن مؤتمر القمة الأوروبي، الذى عقد في كوبنهاجن في نوفمبر 1973 والذى استوصى قرار 242 أضاف إليه مبدأ احترام حقوق الشعب الفلسطيني، الذى أشير إليه في قرار الجمعية العامة في

13 ديسمبر سنة 1972 و لقد أبرز ذلك المؤتمر، بعدا جديدا في الموقف الأوروبي، يرتكز عن مفهوم التوازن الذى يريده الأوروبيون بين متطلبات السيادة وبين مطالبة الدول العربية بالاعتراف بوجود وأمن إسرائيل وفي أحد ملاحق البيان.

دعت الدول الاوربية التسع، إلى افتتاح حوار مباشرة بينهم وبين منتجي البترول وقد قامت فرنسا بالدور الأول في الدعوة إلى ذلك الحوار، فلقد صرحت الدوائر المختصة في باريس في 10 ديسمبر 1973، أن ميشال جوبير وزير الخارجية الفرنسي، اقترح على المجلس الوزارى للسوق الأوروبية، فكرة عقد مؤتمر للدول العربية ودول السوق، لدراسة إمكانيات التعاون الاقتصادى بين تلك الدول المتقاربة جغرافيا والتي تمتلك بعضها القدرات التكنولوجية، ويمتلك الآخر الإمكانيات المالية والرغبة في التنمية.

وبغض النظر عن مراحل تطور الحوار العربي الأوروبي الى بداية الثمانينات، وبغض النظر عما يحرزه من تقدم في المجالين التكنولوجي والفني، فمن الواضح انطلاقا من بعده السياسي أن الدول التسع لا تنظر إليه كأداة للنزول بثقلها للتأثير على تسوية الصراع في المنطقة. ولعل أبلغ دلالة على رفض الجماعة الأوروبية التدخل السياسي الفعال في الأزمة، ما حدث في اجتماعات اللجنة العامة للحوار العربي الأوروبي في تونس 1977، فلقد انتقد البيان العربي منطق التوازن الذى تتذرع به الدول الأوروبية، عند تحديد مواقفها من صياغة أو التصويت إلى القرارات الخاصة بالشرق الأوسط، واتهم المجموعة بأنها لم تتحرك لتنفيذ المبادئ التي اعترفت بها وبصفة خاصة مبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأراضي بالقوة، وضرورة الانسحاب من الأراضي المحتلة، في نفس الوقت الذى تتطور فه علاقات المجموعة مع إسرائيل، تطورا إيجابيا، في حين ظلت إسرائيل على موقفها السلبي من المبادئ التي اعترفت بها المجموعة كأساس لتسوية الأزمة، و لم يلق الموقف الأوروبي المعلن في تلك الاجتماعات جديدا على رعية الدول التسع في التحرك أكثر إلى الأمام في مواجهة الأزمة على الصعيد السياسي. فرفضت الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية، إلا إذا كانت في شكل حكومي منفي أو دولة. ومع ذلك، أقرت بحق الشعب الفلسطيني في التعبير عن ذاته في إطار تسوية بالمفاوضات.

أخيرا جاء بيان مجلس وزراء دول السوق، الذى أعد فى جانفي 1977 وتأجل نشره انتظارا لما تسفر نتائج زيارات وزراء خارجية الدول الأوروبية للمنطقة، و نص البيان على ضرورة إنهاء إسرائيل لاحتلال الأراضى المستمر منذ نزاع سنة 1967، و أنه ينبغى على إسرائيل أن تعترف بحقوق الشعب الفلسطينى، وأنه لا يمكن حل النزاع دون أن تترجم حقوق الشعب الفلسطينى المشروعة فى التعبير الفعلى، عن شخصيته الوطنية إلى واقع إقليمى كما أيد البيان قرار الجمعية العامة الصادر فى ديسمبر سنة 1976، والقاضى بوجوب اشتراك الفلسطينيين فى مفاوضات واعية وبناءة.

فكان الموقف الأوروبى أكثر إيجابية وإن كان مازال حبيس تقرير المبادئ فقط، دون الإقدام على تحديد أساليب المشاركة الحركية الأوروبية الفعالة فى مراحل التسوية، والاقتصار فقط على إبداء استعداد الدول التسع، الاشتراك فى ضمانات التسوية بعد إقرارها. وفى الوقت التى تتضح فيه تلك الصورة الجماعية، حرصت فرنسا فى تلك الفترة التى شهدت مناورات الاستعداد لعقد مؤتمر جنيف على تأكيد دورها فلقد قام وزير خارجيتها، بجولة فى العواصم العربية، زار خلالها بيروت ودمشق وعمان ومصر، وذلك لبحث تطورات الأزمة، و دور فرنسا على ضوء نتائج المباحثات التى أجراها السكرتير العام للأمم المتحدة ووزير الخارجية الألمانى ووزير الخارجية الأمريكى الجديد ويتضح من تصريحات الوزير الفرنسى آنذاك، أن الشيء الوحيد الذى استطاعت وتستطيع فرنسا القيام به هو تحديد المبادئ التى نعتقد أنها يمكن أن أساسا للتسوية، تاركة التفاصيل للأطراف المعنية

فى تلك الفترة الهامة من الصراع مع إسرائيل توقع العرب من فرنسا، والمجموعة الأوروبية أيضا، العمل على إزاحة العوائق التى تعترض طريق التسوية والمشاركة بفعالية فى الإعداد لمؤتمر جنيف. و على ضوء زيارة وزير الخارجية الفرنسى لإسرائيل، فلقد صرح المسئولون بأن العلاقات الفرنسية الإسرائيلية، بدأت مرحلة جديدة مع هذه الزيارة، مع فترة الركود والخلاف التى عرفتها منذ أحداث 1967، ذلك لأن آلون كان قد صرح عقب زيارة وزير الخارجية الفرنسة لإسرائيل وبدون تكذيب من فرنسا أن فرنسا لا تصر على فكرة إنشاء دولة فلسطينية، وأن موافقتها على إقامة وطن لا يعنى موافقتها على إقامة دولة فلسطينية

بقيادة الجنرال ديغول و منذ 1958 ركزت فرنسا في سياستها الخارجية على التزامن في التحرك في ثلاثة مجالات: الاتجاه نحو المعسكر الشرقي، تدعيم الحركة الأوروبية في مواجهة التسلط الأمريكي، و كذا التعاون مع دول العالم الثالث وهذا البعد الأخير يتفرع بدوره إلى ثلاثة اتجاهات، تدعيم العلاقات مع الدول الناطقة بالفرنسية، الدعوة لجعل البحر المتوسط بحيرة سلام يجمع بين الدول الواقعة على شاطئه نوع من التعاون الاقتصادي لتستفيد منه فرنسا بالطبع لوضعها المتميز بين دول تلك المنطقة، وتجد فيه أوروبا فرصة الإفلات من قبضة التحكم الأمريكي السوفياتي. و ذلك لأنها ستجد في دول حوض البحر المتوسط شركاء غير هؤلاء الذين في الشرق أو في أمريكا اللاتينية والذين يقعون بالفعل تحت سيطرة القوتين الأعظم، والاتجاه الثالث هو التعاون مع الدول العربية.

هذا و اتجاه فرنسا إلى الدول العربية فضلا عن أنه يتفق مع الحقائق التاريخية والجغرافية، فإنه يدعم من نفوذها في تلك المنطقة، التي كانت دائما بموقعها ومواردها وسكانها، تجذبها لكونها الباب المفتوح نحو القارة السوداء وهذا يقودنا إلى الإشارة للارتباط بين البعد الأفريقي والبعد العربي في السياسة الفرنسية، فمع تزايد التقارب العربي زاد التقارب الأفريقي، وتوطيد العلاقات العربية الفرنسية في نفس الوقت الذي تحتفظ به فرنسا بعلاقات مميزة مع بعض الدول الأفريقية.

3.5. ثالثا: من الحوار العربي ـ الأوروبي إلى الشراكة الأوروبية العربية

خلصت اشغال مؤتمر «العرب و الغرب» المنعقد في الفترة الواقعة بين 3 و5 افريل 1998 في الجامعة الأردنية بالتعاون مع جامعة (Birmingham) البريطانية و معهد (Ortega Gasset) الإسباني، الى ان المجموعة الأوروبية تقدمت أثناء المفاوضات الإسرائيلية العربية بمذكرتين: الأولى في 8 سبتمبر 1993، حول « مستقبل العلاقات و التعاون بين المجموعة الأوروبية و الشرق الأوسط». و الثانية بتاريخ 29 سبتمبر من نفس العام، «حول دعم المجموعة الأوروبية لعملية السلام في الشرق الأوسط »، و هو ما يدل على الرغبة الأوروبية في تحقيق السلام و تطبيع العلاقات بين إسرائيل و جوارها العربي.

و قد انطلقت المذكرة المتعلقة بإنشاء فضاء أوروبي متوسطي المتبادل الحر بصورة تدريجية، و التى تم التصديق عليها من قبل المجلس الأوروبي في الأول من ديسمبر عام 1994 من مسلمة مفادها أن السلام و الاستقرار و الازدهار في المنطقة المتوسطية من الأولويات الأوروبية[6].

اذ سعت دول الاتحاد الأوروبي ليكون لها دور في عملية السلام العربية الإسرائيلية، حين واجهت عملية السلام عقبات حادة منذ قدوم حزب الليكود إلى الحكم في إسرائيل، إذ قامت بتعين ميجييل مارتينوس مبعوثا خاصا لها في عملية السلام، و إن كان هذا الدور ما زال دون المستوى المطلوب من قبل الجانب العربي، كونه تأثر بتحفظات إسرائيل و الولايات المتحدة الأمريكية.

هذا و ارتكزت الشراكة الاورو عربية على اربع محاورين اساسيين هما:

1.3.5. قضايا الإرهاب و التطرف:

بات الارهاب يثير المخاوف على جانبى الشاطئ ألمتوسطي، و لعل هذه القضية تعتبر من الدوافع البارزة التى جعلت أوروبا تطرح موضوع الشراكة المتوسطية، فأوروبا متخوفة من انتشار الحركات الإسلامية، و الحركات المتطرفة، و العنف المتزايد في العديد من دول جنوب المتوسط و غربه، خاصة أعمال العنف التى كانت تميز الوضع الامنى الجزائري خلال العشرية السوداء التى مرت بها البلاد.

و في هذا المجال، يرى الطرف العربي أن على الجانب الأوروبي مسؤولية تتمثل في التخلص من الازدواجية و التناقص في التعامل مع ظاهرة الإرهاب، و ضرورة تحديدها الدقيق «لمفهوم اللاجئ السياسي» بحيث لا يصبح اللجوء مجرد إيواء شخص هارب من العدالة الوطنية.

و و في حين اتفقت اوربا و العالم العربي على أن القضاء على الإرهاب يتطلب تعاونا وثيقا و منظما، فان الطرفان لم يحددا تعريفا محددا لمعنى «للإرهاب»، إذ تصر العديد من الأطراف العربية على أن « مقاومة الاحتلال » ليست من

[6] خضر، بشارة، «الشراكة الأوروبية المتوسطية» ، مصدر سابق، ص 31.

الإرهاب، و إنما هو حق للشعوب التى تناضل من أجل تقرير مصيرها و التخلص من الاحتلال[7].

2.3.5. قضايا التسلح و أسلحة الدمار الشامل

تأتي قضايا التسلح و أسلحة الدمار الشامل لتحتل جانب كبيرا في الموضوعات المطروحة على جدول البحث في مشروع الشراكة الأوروبية المتوسطية، و قد تبلورت هذه القضية بشكل واضح في البيان الختامي لمؤتمر برشلونة، و ذلك عبر ما يلي:

1. إبراز حرص الدول المشاركة على دعم الجهود الرامية للحد من انتشار الأسلحة النووية، و الكيماوية، و البيولوجية، من خلال احترام القواعد التى تنص عليها الاتفاقيات الدولية و الإقليمية، و الامتثال لمعاهدات الحد من التسلح و نزع السلاح.

2. بذل الجهود لجعل منطقة الشرق الأوسط منطقة خالية من كل أنواع اسلحة الدمار الشامل

على الرغم من حالات المواجهة التى وسمت العلاقة بين الطرفين، و على الرغم من سلبية العلاقات و تاريخها الاستعماري، فإن كل ذلك لم يمنع من أن يكون هنالك «حوار عربي-أوروبي» رسمي ابتدأ في عام 1973. لكي ينطلق من جديد، بصيغة و صورة جديدة، هي «الشراكة الأوروبية المتوسطية» التى نؤدي بها رسميا بمؤتمر برشلونة عام 1995.

كما أن عوامل المواجهة و الصراع بين العرب و أوروبا، لم تمنع العرب من محاولة التشبه ومحاكاة التجربة الناجحة ل أوروبا من خلال مشاريع الاتحاد العربية المختلفة و المتعددة.

[7] حماد، إبراهيم، مصدر سابق، ص 224.

سعى العرب إلى تحقيق عملية «الاتصال الدائرية الكاملة» بينهم و بين أوروبا. بحيث يتم الحوار، و تبادل المصالح بأشكالها المختلفة «بشكل دائري»، و ليس بشكل فوقي متعال متكبر من طرف تجاه الطرف الآخر.

و على الرغم من الرغبة الحقيقية و الصادقة، لدى كلا الطرفين، في البحث عن إطار من الحوار و التفاهم القائم على التكافؤ، و المصالح المشتركة، و الاحترام المتبادل، فإن هنالك العديد من عوامل سوء الفهم و الاختلاف التى ما زالت قائمة بين الطرفين، و أهم هذه العوامل:

1. ما زالت مكانة الأوروبي هي نفسها منذ الاسكندر الأكبر و إلى الآن، و هو المقام الذي يمثل حلقة من حلقات الغزو العسكري المنظم، القائم على القوة و العدوان. و ما الرومان، و البيزنطيون، و الفرنجة، و الحروب الصليبية، و الاستعمار الإنجليزي و الفرنسي أخيرا، بالنسبة للعرب، إلا دليل و شاهد على صدق هذه الصورة.

2. كان العرب في معظم مراحل الحوارات المختلفة مع أوروبا هم من ينفذ اوامر و رسائل أوروبا. و في الوقت الحاضر معظم الأجندة المطروحة في علاقة الطرفين، من ما هي إلا (رسائل أوروبية) وما على العرب إلا التنفيذ و خير دليل على ذلك هو الشراكة الجزائرية الاوربية التى خدمت الجانب الاوربي دون ادنى فائدة للجزائر.

من جهة أخرى تؤكد أوروبا، يوما بعد يوم، و موقفا بعد موقف، أنها تقوم على ما وصفه أستاذ العلوم السياسية سامي الخزندار بالحضارة الأنانية. و هذه الفلسفة تستند إلى طغيان الملكية الفردية، و الفكر المادي البحت[8] . و لذلك فهم يرون العرب و كأنهم: برميل بترول، و أسواق استهلاكية كبيرة، و شعوب بدائية، يسعون إلى إبقاء الوضع القائم كما هو عليه.

[8] الخزندار، سامي، «المسلمون و الأوروبيون: نحو أسلوب أفضل للتعايش»، مركز الإمارات للدراسات و البحوث الإستراتيجية، أبو ظبى، 1997، ص 15.

3. على الرغم من الثقل الديموغرافي، و الاقتصادي، و الثقافي للعرب، فقد ظلوا عاجزين عن امتلاك زمام المبادرة في طرح برامج و أجندة سياسية، تفرض نفسها على طاولة المفاوضات مع الطرف الآخر،

4. إن الصراعات العربية، أضعفت كثيرا الموقف التفاوضي العربي تجاه الموقف الأوروبي فأوروبا تتحدث باسم 28 دولة.و منها دولتان في مجلس الأمن، تملكان حق النقض الفيتو (فرنسا و بريطانيا). و هنالك أربع دول، من هذا الاتحاد، أعضاء في مجموعة الدول الصناعية الكبرى G 7 (فرنسا، بريطانيا، إيطاليا، و ألمانية). في حين أن العرب الذين يملكون سر تقدم الغرب و هو النفط ، تمثلهم 23 و عشرون دولة، و كل دولة تمثل مصالحها السياسية و الاقتصادية الضيقة و تدعى سعيها الحثيث لتحقيق الوحدة و التكامل[9]. و العالم لا يحترم إلا القوة بأشكالها المختلفة: سياسية، اقتصادية، ثقافية ..الخ.

5. على الرغم من علاقة الجوار، و الحوار، و المصالح المشتركة بين العرب و أوروبا، فإن أوروبا تصر حتى و لو كان هنالك الكثير من الطلبة في بلدانها- على عدم مساعدة العالم العربي على امتلاك التكنولوجيا و التقنية الحديثة.

6. تفهم أوروبا بشكل عقلاني و واقعي بأن العلاقات الدولية تقوم على مبدا القيادة و الزعامة يكون للاقوى و للقوة بأشكالها المختلفة، و هي تسعى دائما إلى امتلاك عوامل القوة بيدها، و خاصة العسكرية.

4.5. رابعا: ابعاد العلاقات العربية الفرنسية اثناء ثورات الربيع العربي

في مقال له على جريدة الشرق الاوسط، الصادر بتاريخ الفاتح جانفي 2012، يرى الكاتب ميشال أبو نجم انه بمرور الوقت تتأكد صحة المقولة التى مفادها أن السياسة لا تعرف سوى لغة القوة والمصالح، وهذا يصدق على المواقف التى تبنتها باريس خلال السنوات الأخيرة تجاه بعض القضايا الساخنة التى شهدتها ولا تزال المنطقة

[9] Nodinot, Jean-françois, 21 Etat pour une nations arabe? Maisonneuve & Larose, Paris, 1992.

العربية، والتى تشير إلى حدوث تحول في رؤى وتوجهات السياسة الفرنسية تجاه القضايا العربية أقرب توافقا مع الأمريكية المنحازة تماما لإسرائيل ضد العرب،

وذلك على عكس مواقفها السابقة والتى كان ينظر إليها بأنها متوازنة وعادلة تجاه تلك القضايا، الأمر الذي يثير بعض التساؤلات عن أسباب التحول الفرنسي تجاه القضايا العربية، وأبرز ملامحه، والتداعيات المترتبة عليه، والمطلوب عربيًا لمواجهته.

بداية تتعدد الأسباب التى يمكن طرحها لتفسير هذا التحول، والتى يمكن إجمالها في الآتي:

1 ـ رغبة باريس في إعطاء «دفعة جديدة» لعلاقاتها مع واشنطن في فترة ولاية بوش الثانية. حيث أكدت فرنسا أنها تريد «فتح صفحة جديدة» معها بعد أن شهدت العلاقات خلال ولايته الأولى العديد من مظاهر التوتر خاصة مع الأزمة العراقية، ومن الوسائل والآليات التى ترى باريس أنها يمكن أن تقضي على حدة التوتر بين الجانبين إعادة النظر حول كيفية تعاملها مع عملية السلام في الشرق الأوسط، إضافة إلى تأكيدها أنها لا تسعى إلى إفشال المشروع الأمريكي في العراق، ومن اهم المؤشرات الدالة على ذلك موافقة فرنسا على شطب (80%) من الديون العراقية. حضور اجتماع شرم الشيخ الدولي حول العراق في نوفمبر 2004، والذي قدم كل الدعم لإرساء الديمقراطية في العراق ووقف العنف و اخيرا الموافقة على إنشاء أكاديمية لتدريب قوات الأمن العراقية تحت قيادة الناتو، وفتح أبواب الأكاديميات العسكرية الفرنسية أمام الضباط العراقيين.

2 ـ التطورات العديدة التى شهدتها القضايا التى تحظى باهتمام فرنسا على الساحة العربية خلال الآونة الأخيرة، والتى أدت إلى إحداث تحول ملحوظ في التوجهات الفرنسية تجاهها، خاصة بعد الاحداث التى شهدتها جل المنطقة العربية و ما يعرف بثورات الربيع العربي، فكانت فرنسا اول من تدخل في الشان التونسي من خلال ارسال رجال الشرطة الفرنسيين لقمع المتظاهرين و كان لفرنسا التدخل العسكري في ليبيا بقيادة الرئيس ساركوزي هذا و شهدت العلاقات الفرنسية ـ السورية مزيدا من التوتر و التناقض خلال الفترة الأخيرة، كما تشير تطورات

الأحداث إلى تراجع النفوذ الفرنسي في لبنان بعد اغتيال رئيس الوزراء الاسبق رفيق الحريري مما أدى إلى تخوف باريس من أن يؤدي ذلك إلى انتهاء دورها في منطقة الشرق الأوسط التى تعتبر بمثابة «الفناء الخلفي» الاستراتيجي لها و لأوروبا، فضلاً عن خسارتها لبعض المصالح والصفقات الاقتصادية في دول عربية بسبب توتر العلاقات تارة و للمنافسة الشرسة من امريكا و روسيا تارة اخرى.

هذا و لا ينفصل عن التطورات السابقة ما أثير بشأن انتهاك بعض الشركات الفرنسية لبرنامج «النفط مقابل الغذاء» في العراق، وتقرير «دولفر» كبير المحققين في وكالة المخابرات المركزية «سي. آي. إيه»، الذي نشر قائمة بأسماء الشركات والأفراد والأحزاب السياسية التى يقال انها تلقت رشى أو حصلت على رسوما إضافية للحصول على تسهيلات نفطية من قبل النظام العراقي السابق، وكان من بينها شركات فرنسية. فضلا عن التأييد الفرنسي الحذر بشأن الرغبة الأمريكية لتسريع التحول الديمقراطي في العالم العربي، وضرورة أن يتم بـ «خطوات متدرجة» للحيلولة دون نشوب رد فعل عنيف، خاصة في ظل المعارضة العربية المتوقعة تجاه أي مبادرات للإصلاح قد تأتي من الخارج.

3 ـ حالة الضعف التى يمر بها النظام الإقليمي العربي في الوقت الراهن، والتى لا تسمح لدوله ابتبنى سياسة المبادرة واتخاذ المواقف القوية تجاه مختلف القضايا والأزمات العربية المثارة على الساحة الدولية، واقتصار مواقف تلك الدول على سياسة رد الفعل، وهو ما يجعل القوى الدولية الفاعلة صاحبة المبادرة في محاولتها معالجة تلك القضايا تتعاطى معها بما يتفق ومصالحها وتوجهاتها في المنطقة، وهو ما ينطبق على الولايات المتحدة القوة العظمى الوحيدة على الساحة الدولية في الوقت الراهن، وهو ما تحاول فرنسا القيام به (مع اختلاف في الدرجة) على الساحة العربية، في إطار من التوافق والانسجام مع السياسة الأمريكية في المنطقة.

و لعل الدليل الواضح على حالة الضعف العربية تلك عدم نجاح القمم العربية المتتالية في الاتفاق على حد أدنى من المواقف والسياسات لمعالجة القضايا المزمنة وفي مقدمتها الصراع الفلسطينى ـ الإسرائيلي، والوضع في العراق، ولبنان، وسوريا، فضلاً عن أزمة دارفور، و انقسام السودان و الضربات العربية بقيادة السعودية

على اليمن... و هو ما يتيح الفرصة للأطراف الدولية للتدخل ومحاولة تسوية تلك الأزمات وفقاً لمصالحها الخاصة.

مما سبق، فقد شهدت المنطقة العربية، مجموعة من الملامح والمؤشرات الدالة على حدوث تغيير في توجهات ورؤى السياسة الخارجية الفرنسية واتجاهها نحو مزيد من التنسيق مع السياسة الأمريكية تجاه المنطقة، التى تتعارض في معظمها مع المصالح العربية،

فبداية القرن الواحد و العشرين في المنطقة العربية اتسم بوجود تقاطع في المصالح الفرنسية ـ الأمريكية، والتصعيد المتواصل من جانب واشنطن وباريس ضد دمشق وبيروت معًا بزعم الحفاظ على استقلال لبنان وسيادته وهي مزاعم لا أساس لها تهدف إلى خلق الذرائع للتدخل في شؤون المنطقة لإعادة صياغتها ورسمها وفق المصالح الدولية بعد غزو العراق. ومن ثم فقد اختارت باريس التعاون مع واشنطن عندما أدركت أن اللعبة يمكن أن تنتقل إلى ما ترى أنه «فناؤها الخلفي»، وهكذا عملت على دعم الجهود الأمريكية لاستصدار القرار «1559» حتى لا تنفرد الولايات المتحدة بالساحة الشرق أوسطية وحدها.

فمحاولة الإدارة الأمريكية، بمساعدة فرنسا، استخدام لبنان كمدخل لتغيير النظام في سوريا، لأنه يشكل شرطًا ضروريًا لنجاح مشروع « الشرق الأوسط الكبير » الذي أعلنه بوش رسميا، في فيفري 2004، فمساحة سوريا أكبر من مساحة لبنان بحوالي عشرين مرة، وعدد سكانها يتجاوز عدد سكان لبنان بأربعة أضعاف، وتمتد حدودها مع العراق المحتل انذاك إلى 620 كيلو مترًا، حيث تعيش قبائل سنية كبيرة على جانبى الحدود المشتركة بين البلدين. وكان المحافظون الجدد الذين تربطهم صلات قوية جدا مع مجموعات الضغط الصهيونية، لا يزالون يتهمون سوريا بأنها لا تفعل الكثير إزاء منع رجال مقاومة الاحتلال الأمريكي من التسلل عبر أراضيها، واعتقال العراقيين الذين يعيشون في سوريا، حيث تشتبه واشنطن في قيامهم بتمويل المقاومة العراقية. ويرى صقور المحافظين الجدد أنه على دمشق أن تختار بين خيارين، الأول: خيار القذافي الذي يعنى الخضوع الكامل، والثاني: خيار صدام حسين الذي يعنى الانتحار السياسي.

ولا يعنى ذلك أن الموقف الفرنسي بداية القرن الواحد و العشرون تجاه بعض قضايا المنطقة قد تغير بشكل كامل، فمازالت مواقف باريس من القضيتين الفلسطينية والعراقية معقولة، فموقف باريس من عملية السلام لا يزال يعتبر أكثر المواقف اعتدالا وقربا من المواقف العربية، حيث تستند الرؤية الفرنسية لعملية السلام على عدة أسس مهمة: أولها: ضرورة عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط يشمل جميع الأطراف المتنازعة بما فيها سوريا ولبنان، ثانيها: العمل الجماعي لدفع عملية السلام إلى الأمام، وثالثها: تطبيق الجدول الزمنى المنصوص عليه في خريطة الطريق، ورابعها: تأكيد الالتزام بقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بعملية السلام، وأخيرا: إخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل.

وفي هذا الإطار، دعت فرنسا إلى إقامة دولة فلسطينية بأسرع ما يمكن، وإقامة تحالف أمريكي ـ أوروبي للقيام بعمل مشترك بالشرق الأوسط، مبديتا استعدادها للمساهمة في تسوية أزمة الشرق الأوسط لتجنب عدم الاستقرار في المنطقة. و نوهت فرنسا بضرورة ألا يكون وعد الرئيس الأمريكي بوش بقيام دولة فلسطين قبل نهاية ولايته، لأن قيام هذه الدولة كلما كان أسرع كان أفضل لكل الأطراف. ولا يختلف الوضع بالنسبة إلى العراق كثيرًا حيث راود الموقف الفرنسي مكانه و طالب بوضع جدول زمنى لسحب القوات الأجنبية ورفض المشاركة بقوات في العراق و كذا طالب بإشراك كل القوى في العراق في العملية السياسية كما هو دون تغيير جوهري. ومع هذا فإن التحول الذي شهده الموقف الفرنسي تجاه القضايا العربية قد انعكس بصورة سلبية على العلاقات العربية ـ الفرنسية، وهو ما استدعي من الدول العربية بإعادة تقييم الأسس والتوجهات التى تبنتها بشأن علاقاتها الخارجية مع القوى الدولية بصفة عامة، و فرنسا على وجه الخصوص. من خلال اتخاذ موقف عدم السماح بالتدخل الدولي في الشؤون العربية، و أن تعمل الدول العربية على حل مشاكلها وقضاياها بنفسها بعيدًا عن أي تدخلات دولية. خاصة التى تعمل على تفكيك المنطقة وإعادة رسم خريطتها السياسية، وكذلك فإن المطلوب من الدول العربية تبنى استراتيجية تطوير لمنظومة العمل العربي المشترك على صعيد التعامل الخارجي مع القوى الفاعلة في النظام الدولي ومخاطبة القوى الدولية باللغة التى تفهمها وهي لغة القوة والمصالح

في الخطاب الذي ألقاه في قصر الإليزيه بداية سبتمبر 2005، أمام سفراء فرنسا في العالم بمناسبة مؤتمرهم السنوي الذي تزامن و «الربيع العربي»، قال الرئيس الفرنسي الاسبق نيكولا ساركوزي ما يلي: «خلال سنوات، كان المحور الذي دارت حوله دبلوماسيتنا، وأنا أتحمل جانبا من المسؤولية، هو مبدأ الاستقرار. وبسببه، كانت لفرنسا علاقات مع أنظمة لم تكن مثالا في الديمقراطية. غير أن نهضة الشعوب العربية وتوقها للحرية يسمحان لنا الان بالتوكؤ عليهما لوضع حد نهائي لمبدأ الاستقرار الذي كان يجعلنا في حالة تناقض دائمة بين القيم التى كان علينا الدفاع عنها وحقيقة الواقع الذي كنا نعيشه». وأضاف ساركوزي: «اليوم، ثمة فرصة للتوفيق بين الواقع والقيم». وفي كلمة ألقاها في المناسبة نفسها، أعلن وزير الخارجية ألان جوبيه أن «الثورات الحاصلة جنوب المتوسط تدفعنا لتغيير نظرتنا إلى تلك المنطقة وإلى ابتداع طريقة جديدة في ممارسة الدبلوماسية» مشددا على «الاعتبارات» الجديدة ومنها احترام حقوق الإنسان ودعم الإصلاحات الديمقراطية والاقتصادية وحقوق المرأة.

نلخص في العنصر هذا اهم «التحولات» التى طرأت على سياسة فرنسا الخارجية ودبلوماسيتها بداية ثورات الربيع العربي، إذ أنها تختصر المسافة التى قطعتها باريس بين سياسة سابقة سارت عليها لعقود أي منذ أن حصلت دول المغرب العربي على استقلالها اين حثت دائما فلانسا على التحلي بقبول الاخر و التقيد بمبادىء الديمقراطية والدفاع عنها، الى ان وصل الأمر بباريس في الحالة الليبية إلى الخيار العسكري متسلحة بالقرار 1973 الصادر عن مجلس الأمن في شهر مارس 2011 الذي أفسح المجال أمام حماية المدنيين الليبيين باللجوء إلى «كافة الوسائل» ما يعنى في اللغة الدبلوماسية إعطاء الضوء الأخضر لاستخدام السلاح. وتبين لاحقا أن هذه الفقرة صيغت بشكل يتيح كافة التفسيرات، ولذا فقد استخدمت لإسقاط نظام العقيد الليبى الراحل معمر القذافي.

ولكن عندما انطلقت شرارة «ثورة الياسمين»، يوم أحرق الشاب التونسي محمد بوعزيزي نفسه في سيدي بوزيد صبيحة 17 ديسمبر 2010، لم يكن أحد يتوقع، لا شرقا ولا غربا، العاصفة التى هبت على النظم العربية. وما بين التاريخ المذكور واليوم، هبت الرياح تحت مسميات كثيرة على جل البلاد العربية وأطاحت بـ 4 من

قادتها، فالرئيس التونسي زين العابدين بن علي هرب. و تنحى الرئيس المصري حسنى مبارك ثم سجن. و قتل الرئيس الليبى معمر القذافي بعدما نكل بجثته. و تنحى علي عبد الله صالح الرئيس اليمنى. أما الرئيس السوري بشار الأسد فمصيره لا يزال مجهول بعد عدم اقرار شرعيته. وفرنسا كغيرها من الدول، لم تكن تنتظر ما جرى على ضفتى المتوسط الجنوبية والشرقية، خصوصا يوم انطلاقة «الربيع العربي».

فبعد التدخل العسكري لفرنسا في ليبيا و تونس و اليمن و غيرها من البلاد العربية، تحول الرئيس ساركوزي إلى رمز لتحرر الشعوب العربية أو ارتدائه بزة القائد العسكري الذي أخذ على عاتقه حشد كل الطاقات السياسية والدبلوماسية والعسكرية للإطاحة بهذا الديكتاتور العربي أو ذلك الطاغية لم تكن من منطلق اقرار العدالة او تحرير الشعوب المستضعفة. بل الحقيقة هي إن ساركوزي و دبلوماسية بلاده سعيا إلى إغلاق فصل في علاقات بلاده مع العرب وبدء فصل جديد ينسي الأول وما رافقه من علاقات وتورطات وينسجم مع «روح العصر».

و اندلعت في فرنسا فضيحة ذهبت ضحيتها وزيرة الخارجية وقتها ميشال أليو ماري، أحد أعمدة الحكومة الفرنسية انذالك. وذنب أليو ماري مزدوج: فهي من جهة قبلت الاستفادة من تسهيلات «صديق» تونسي قريب من النظام ومن عائلة طرابلسي خلال إقامتها مع عائلتها في منتجع تونسي، نهاية عام 2010 بينما الشعب التونسي كان في الشوارع، ومن جهة ثانية أعلنت أمام البرلمان، في عز الاحتجاجات الشعبية في المدن التونسية وما رافقها من قمع، أن باريس مستعدة لوضع «خبرتها» في تصرف السلطات الأمنية التونسية لاحتواء المتظاهرين.

ورغم كل المحاولات اليائسة، فإن أليو ماري لم تنجح في إنقاذ نفسها ولا منصبها الوزاري الذي اقيلت منه بمناسبة تعديل وزاري لتفتح الباب أمام انتقال ألان جوبيه من وزارة الدفاع إلى الخارجية. وفي الفترة عينها، كان رئيس الحكومة الفرنسية فرنسوا فيون يمضي عطلة الميلاد في مصر، في ضيافة الحكومة المصرية والرئيس مبارك تحديدا. أما هنري غينو، مستشار الرئيس الخاص، فإنه كان يمضي عطلته في ليبيا بدعوة من السفير الفرنسي وقتها فرنسوا غوييت.

وسعى غينو الذي يتمتع بموقع خاص ضمن الفريق الذي يحيط بساركوزي منذ نحو 5 سنوات في قصر الإليزيه إلى «النأي» بنفسه عن الحالتين الأوليين إذ سارع إلى التأكيد أن إقامته في ليبيا ذات طابع خاص وأنه «دفع» ثمن بطاقة السفر من جيبه.

غير أن هذه العناصر ليست سوى الوجه ألاجتماعي لعلاقات وثيقة بين فرنسا والبلدان الثلاثة الأولى. فبين تونس وباريس كانت تقوم علاقات «خاصة» حيث كانت تونس التى زارها الرئيس ساركوزي رسميا «نموذج» النجاح الاقتصادي والاجتماعي رغم بعض النغمات «الشاذة» التى كانت تسمع في باريس بين الفينة والأخرى بسبب وضع حقوق الإنسان أو حرية الصحافة. وما يصح عن تونس يصح بدرجة أكبر على مصر التى جعلها ساركوزي شريكه الأول في الاتحاد من أجل المتوسط الذي أطلق في شهر جويلية عام 2008. فالرئيس السابق مبارك كان يحظ ترحاله دوريا في باريس كما كان (مع ساركوزي) أحد رئيسي الاتحاد من أجل المتوسط وشريك فرنسا في كل المبادرات السياسية والدبلوماسية في المنطقة. وباسم الاستقرار و الاستمرار، لم تكن باريس، يمينا أو يسارا، تجد سببا لانتقاد مبارك بسبب استمراره في السلطة، من غير انقطاع، منذ عام 1981 ولا بسبب استمرار نظام حال الطوارئ أو الفساد المستشري معطوفا على هيمنة الطبقة المحيطة به على مفاصل الاقتصاد. وفي تونس كما في مصر، كانت الشركات الفرنسية تعمل بكل ارتياح استثمارا وشراكة وتجارة.

أما حالة ليبيا، فتشابكت الملفات. فرنسا تصالحت مع العقيد القذافي منذ أيام الرئيس السابق جاك شيراك بعد تسوية (مالية) لملف تفجير طائرة يـــوتـــا الفرنسية فوق صحراء تينيريه في النيجر في شهر سبتمبر الذي أوقع 170 قتيلا بينهم 54 فرنسيا. وأثبت التحقيق ثم المحاكمة الغيابية التى تلته تورط عبد الله السنوسي، مسؤول المخابرات ونسيب العقيد القذافي وعبد الله الأزرق المستشار الأول في السفارة الليبية في الكونغو التى انطلقت منها الرحلة. وسريعا جدا، طبعت العلاقات الثنائية، إذ أن باريس كانت مهتمة بالسوق الليبية الواعدة والتى تحتاج لكل شيء بعد سنوات الحظر. وتوج التطبيع بزيارة رسمية قام بها شيراك إلى طرابلس في 24

نوفمبر 2004. وأبدت فرنسا استعدادها لبيع القذافي السلاح الذي يطلبه والتعاون معه في الملفات الأفريقية وحول الإرهاب والهجرة غير المشروعة.

ما قام به شيراك أكمله ساركوزي، بل أضاف عليه أنه استقبل العقيد الليبي في باريس في إطار زيارة رسمية دامت 5 أيام في شهر ديسمبر 2007. اين نصب العقيد خيمته في حديقة قصر الضيافة المعروف بقصر مارينيي وفرش له السجاد الأحمر في قصر الإليزيه وأقام ساركوزي على شرفه عشاء رسميا. وقبل ذلك، أرسل ساركوزي للعقيد زوجته سيسيليا في مهمة وساطة لإطلاق سراح الممرضات البلغاريات ثم ذهب هو بدوره إلى طرابلس في عام 2008 وتوثقت العلاقات بين الطرفين وازدهرت المشاريع المشتركة وعادت شركة «توتال» الفرنسية إلى قطاع النفط الليبي وعرض على القذافي بيعه طائرات رافال وأسلحة أخرى منها معدات تنصت إلكترونية وبرامج لمراقبة ما يجري على شبكة الإنترنت[10].

لم يكن كل ذلك كافيا لحماية القذافي عندما اندلعت المظاهرات المناهضة له في مدينة بنغازي. ذلك أن الدبلوماسية الفرنسية تعثرت كثيرا في الحالتين التونسية والمصرية، ولذا سعت لأن تكون سباقة في الموضوع الليبي. ففي الأولى، وقفت باريس حتى آخر يوم إلى جانب نظام الرئيس بن علي بحجة أنه لا يجوز لفرنسا أن تتدخل في الشؤون الداخلية لحمية سابقة وأن ما يحصل في تونس شأن التونسيين. وفي افتتاحية لاذعة، كتبت صحيفة «لوموند»، بعد يومين من هروب بن علي ما يلي: «إن تلاحق الأحداث (في تونس) تخطى الدبلوماسية الفرنسية التى بدت حائرة» في كيفية التعاطي معها. وأضافت الصحيفة: «لقد انتظرت باريس حتى الساعة الثانية بعد الظهر من يوم 15 جانفي،أي يوما كاملا بعد رحيل بن علي لتعلن أنها تقف إلى جانب المطالبين بالديمقراطية». وبحسب «لوموند»، فإن كافة الرؤساء الذين سبقوا ساركوزي إما بدوا «متواطئين أو كانوا بالغي الحذر في التعاطي» مع هذا البلد.

[10] جريدة الشرق الاوسط: مقال «فرنسا والربيع العربي: قصة تحولات الدبلوماسية الفرنسية» الاحد 1 جانفي 2012 العدد 12087
http://archive.aawsat.com/details.asp?section=20&article=656908&issueno=12087#.WRNHAlXyij4

ما بين 14 جانفي تاريخ هروب بن علي و 11 فيفري، تاريخ تنازل مبارك، لم يتوافر للدبلوماسية الفرنسية الوقت الكافي لإعادة النظر في المفاهيم المتحكمة بالعلاقات التي تربطها بالضفتين الجنوبية والشرقية للمتوسط. والدليل على ذلك أنها ارتكبت الأخطاء نفسها في الحالة المصرية حيث كانت تنظر إلى مبارك على أنه قطب «اعتدال و استقرار» إن في المحافظة على علاقاته مع إسرائيل ومعاهدة السلام أو في تشدده مع حماس ودعمه لرئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس أو وقوفه في وجه الحركات الأصولية والإسلامية. ولذا، بقي موقف باريس «مائعا» في الأيام التاريخية الـ17 التي نزل خلالها المصريون إلى الشوارع مطالبين بسقوط النظام، فضلا عن كونه شريكا لفرنسا في دبلوماسيتها المتوسطية والشرق أوسطية. وفي الأيام الأخيرة من حكم مبارك، أخذت باريس تتحدث عن «انتقال سلمي للسلطة» من غير أن تدعو صراحة لتنحي مبارك كما فعل الأميركيون مثلا.

كان واضحا أن باريس لم تكن تلتزم نفس السياسة تجاه كل الدول العربية. ففي المغرب، أعلنت دعمها للخطوات الإصلاحية التي أقرها ملك المغرب محمد السادس بعد أن بدأت الاحتجاجات في بلاده وروجت لها على أنها «نموذج يمكن الاحتذاء به»، والتزمت موقفا مشابها من الأردن ومن سياسة الملك عبد الله الثاني. لكن الأمور انقلبت رأسا على عقب في الملف الليبي حيث شهدت الدبلوماسية الفرنسية تحولا جذريا ترافق مع وصول ألان جوبيه إلى وزارة الخارجية في 27 فبراير 2011 خلفا لأليو ماري[11].

لم يكن جوبيه جديدا على الدبلوماسية الفرنسية، إذ شغل منصب وزير الخارجية بين عامي 1995 و1997. وبدأ تأثير جوبيه منذ الأيام الأولى في منصبه الجديد من خلال اعطاء مفهوم جديد للدبلوماسية الفرنسية يقوم على اعتبار أنه يتعين على فرنسا أن تتعامل مع قوى الأمر الواقع السياسية والاجتماعية في البلدان العربية وأن «ترافق» التطلعات الديمقراطية وأن تكون على استعداد للتحاور مع الإسلاميين، سواء أكانوا في تونس أم مصر أم سوريا او أي مكان آخر. وتمت ترجمة التوجهات الجديدة في مؤتمر دعت إليه الخارجية في معهد العالم العربي في

[11] جريدة الشرق الاوسط: مقال «فرنسا والربيع العربي: قصة تحولات الدبلوماسية الفرنسية» الاحد 1 جانفي 2012 العدد 12087
http://archive.aawsat.com/details.asp?section=20&article=656908&issueno=12087#.WRNHAlXyij4

شهر افريل 2012 حيث ألقى جوبيه كلمة مطولة شرح فيها التوجهات الجديدة. وعليه، لم يعد مفهوم «الاستقرار» هو سيد الموقف. والشرط الأبرز الذي وضعه جوبيه هو احترام اللعبة الديمقراطية والتداول السلمي للسلطة وحقوق الإنسان.

وتناغمت مواقف ساركوزي و جوبيه بشأن ليبيا والهدف كان مزدوجا: إعطاء وجه جديد للدبلوماسية الفرنسية والاضطلاع بدور ريادي في دول الجوار المتوسطي ينسي عثراتها السابقة. ووفر النظام الليبى الفرصة لساركوزي و جوبيه لوضع هذه التوجهات موضع التنفيذ منذ بداية التمرد في بنغازي في 15 فيفري والرد الدموي للسلطات الليبية عليها، وتحولت باريس سريعا إلى رأس الحربة في الملف الليبى حيث عجلت في اعتبار أن القذافي فقد شرعيته بسبب قمعه لشعبه وعليه بالتالي التنحي. وكانت باريس أول من اعترف بالمجلس الوطنى المؤقت ممثلا لليبيا وأول من دعا إلى نقل الملف الليبى إلى مجلس الأمن الدولي وأول من دافع عن الحاجة للتدخل «بكل الوسائل» لحماية المدنيين. وبعد صدور القرار الشهير رقم 1973 عن مجلس الأمن، سارع ساركوزي إلى الدعوة لقمة في قصر الإليزيه لبلورة خطة التدخل في ليبيا. وقبل انتهاء أعمالها بعد ظهر الـ19 من مارس، كانت الطائرات المقاتلة الفرنسية تقوم بأول عملية عسكرية في محيط بنغازي. وأصبح ساركوزي أول رئيس غربي يزور ليبيا ويخصص له في بنغازي استقبال حاشد للدور الذي لعبه في إسقاط القذافي في كل مراحل الثورة الليبية.

تبدو نقاط الشبه في علاقات فرنسا مع سوريا وليبيا كثيرة. ساركوزي كان مهندس التقارب بين باريس ودمشق بعد القطيعة التى أعقبت اغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري في 14 فيفري 2005. ساركوزي أعاد وصل الحوار مع الأسد لحمله على الاعتدال في التعاطي مع الأزمة اللبنانية وللعب دور في المفاوضات المتوقفة مع إسرائيل ولإطلاق الاتحاد من أجل المتوسط [12]. ولم يتردد في دعوته رسميا إلى باريس صيف عام 2008 وفي زيارة دمشق لاحقا وفي توفير الأرضية لإعطاء زخم للعلاقات السياسية والاقتصادية والتجارية والثقافية بين البلدين حتى الوصول إلى الحديث عن «علاقات استراتيجية».

[12] الاتحاد من أجل المتوسط.. الأبعاد والآفاق http://www.aljazeera.net/knowledgegate/books/2010/4/18

في 15 مارس بدأت الحركة الاحتجاجية في سوريا انطلاقا من درعا. و لم يكن القمع السوري أقل دموية من القمع الليبي. ولذا، فإن كثيرين توقعوا أن تكرر فرنسا في سوريا ما قامت به في ليبيا. لكن باريس التي كانت أول من اعتبر أن الرئيس الأسد قد فقد شرعيته بسبب استخدامه القمع الأعمى ضد شعبه، وبالتالي يتعين عليه الرحيل سارعت إلى القول إن الوضعين مختلفان وأن «لا تفكير» بعملية عسكرية في سوريا وفي أي حال فإن فرنسا «لن تتحرك إلا بموجب قرار من مجلس الأمن الدولي».

الواقع أن باريس عملت على كل المستويات لتضييق الخناق على النظام السوري. ففي إطار الاتحاد الأوروبي دفعت لاتخاذ إجراءات عقابية سياسية واقتصادية لفرض العزلة الدولية على نظام الأسد ولتجفيف موارده المالية. وفي مجلس الأمن، لم تتوقف عن الدفع باتجاه تبني قرار يدين قمع السلطات ويفرض عليها عقوبات وقدمت لذلك المشروع تلو الآخر. غير أنها اصطدمت حتى الآن بالرفض الروسي والصيني وبعض الدول الناشئة ما دفعها إلى التوجه إلى الجمعية العامة وإلى مجلس حقوق الإنسان في جنيف حيث أدينت سوريا بقوة، فضلا عن ذلك، احتضنت باريس المجلس الوطني السوري وحثته على تنظيم صفوفه وبلورة برنامج سياسي لمرحلة ما بعد الأسد ودعت جامعة الدول العربية لاتخاذ موقف صارم مما يحصل في سوريا. ولم يتوقف جوبيه عن التنقل من عاصمة إلى أخرى لحشد الدعم الدبلوماسي والسياسي للضغط على دمشق فيما دعمت باريس خطة الجامعة العربية رغم أن تشكيكها برغبة النظام السوري بالالتزام بها. واقترحت فرنسا إقامة «مناطق آمنة» و«ممرات إنسانية». لكن حتى الآن لم يتحقق أي منها.

ترى فرنسا أن سقوط النظام السوري قادم لا محالة رغم أنه «سيأخذ بعض الوقت» وفق تعبير الوزير جوبيه نفسه. وترى باريس أن الأمور لن تتوقف عند هذا الحد في العالم العربي بل إن تحولات أخرى قادمة وهي تجهد للتأقلم معها ساعية إلى انتهاج «دبلوماسية استباقية» بالتشديد على جملة مبادئ تدور كلها حول احترام الحقوق الأساسية والحوار مع المجتمع المدني ومؤسساته مع فتح الباب لتقبل قوى سياسية كان التحاور معها مرفوضا في السابق.

بعد انقضاء فترة حكم ساركوزي و التى اتسمت بالتركيز على الحفاظ على مصالح فرنسا في دول جنوب المتوسط، من خلال مشروع الاتحاد من أجل المتوسط. فقد تدعّمت تلك السياسة في عهد الرئيس الحالي فرانسوا هولاند من خلال السعي إلى تمتين العلاقات مع دول الخليج العربي التى بلغت مستويات عالية.

اذ تطورت العلاقات الثنائية، وتزايدت وتيرة هذا التوجه الفرنسي، في الوقت الذي غيّر فيه الأميركيون بوصلتهم على ما يبدو باتجاه المحيط الهادئ وتعزيز العلاقة مع القوى الإقليمية غير العربية. فضلا عن اختلاف الطرف العربي والأميركي في تقدير جوانب المصلحة والتهديدات، حيث أنّ حالة الترقب من تداعيات الاتفاقية المبرمة بين الايرانيين والأميركيين على أشدها. وهو ما يوحي بأنه من المنتظر أن تتقوى العلاقات الفرنسية العربية على حساب التراجع الأميركي، وتتحول إلى ركيزة في بنية النظام الدولي وتستفيد من فرص التغيرات العالمية في ظلّ ما هو متوفر لفرنسا وللعالم العربي من مقدرات في الأمد المنظور.

يمثل العالم العربي الحالي وإقليم البحر الأبيض المتوسط أهمية كبرى بالنسبة لفرنسا، حيث بلغ حجم التبادل التجاري بين فرنسا والعالم العربي حوالي 55 مليار اورو[13] سنة 2013، فيما قفز التبادل التجاري الفرنسي الخليجي من 17 مليار اورو سنة 2012 إلى 20 مليار اورو سنة 2014، بزيادة بلغت 10 بالمئة، وهو ما يجعل العالم العربي شريكا اقتصاديا هاما بالنسبة للفرنسيين.

لكن هذه الأهمية الاقتصادية لا يمكن فهمها بمعزل عن أسبابها الجيوسياسية والتاريخية والثقافية، فيما تعرف مجتمعات العالم العربي تحولات متسارعة وتعدد الرهانات السلبية الخاصة بآثار ما سمي بـ«الربيع العربي»، و الهجرة غير الشرعية، و اللاجئين السوريين وحالات انهيار الدول (سوريا وليبيا واليمن)، والاضطراب

[13] جريدة العرب: الاربعاء 10 ماي 2017، العدد: 10628: علاقات عربية فرنسية واعدة في ظل عالم متعدد الأقطاب http://www.alarab.co.uk/article/Opinion/

الواسع في منطقة الشرق الأوسط، وتصاعد الإرهاب، ممّا يجعل منها قضايا مركزية تؤثر في مجريات التعاون العربي الفرنسي.

ويتوفر الجانب الفرنسي على وسائل تأثير دولية بفضل عضويته في مجلس الأمن وفي المؤسسات الأوروبية الاتحادية، فيما يمكنه الاعتماد على قوة سياسية واقتصادية وثقافية حقيقية تمتد بشكل مباشر إلى عالم فرنكفوني يحتضن حوالي 220 مليون ناطق باللغة الفرنسية في العالم، وامتلاكه لثاني شبكة دبلوماسية بعد الولايات المتحدة، فضلا عن توفّره على قوة عسكرية ضاربة تشمل الردع النووي والقيام بعدة عمليات عسكرية ناجحة.

أمّا أهمية الدبلوماسية الفرنسية بالنسبة للعالم العربي، فهي تعزى لاستقلالية القرار الفرنسي وخبرته، ورؤيته المغايرة للعلاقات الدولية، ثم تطورها في بعض القطاعات الحساسة (النووي، الطيران، معالجة المياه، والسكك الحديدية) التى تشكل رهانا حقيقيا للتنمية المستدامة في العالم العربي.

تتسم السياسة الفرنسية الحالية ببحثها المتواصل عن توازن بين استقلالية القنوات الأوروبية والحفاظ على العلاقة مع الولايات المتحدة الأميركية واستمرار الانخراط في الناتو، حيث تقوم تلك على نهج سياسة لا تتبنى التدخل الاستباقي وتجاهل دور المنظمات الإقليمية، بل تسعى إلى نهج سياسة ليبرالية متحررة تقوم على إشراك الحلفاء وإقامة تحالفات جديدة وصداقات بعيدة عن الإملاء والفرض والهيمنة. كما أنها تفضل نهج سياسة ضمان الاستقرار على التحولات العاصفة التى تؤدي إلى مزيد من تدهور الأوضاع الأمنية والسياسية حيث أصبح لفرنسا دور كبير في إقناع سياسة الاتحاد الأوروبي الخارجية بتبنى عدّة مواقف تعدّ في صميم ما كان يعرف سابقا بـ «السياسة الفرنسية العربية»، وتحويلها باتجاه «سياسة أوروبية عربية»، وذلك عبر مشروع «استجابة جديدة لحوار متغير»، الذي أطلقه الاتحاد في ماي 2011.

وتنطلق السياسة الخارجية الفرنسية اليوم في ظل التطور الحاصل في العلاقات العربية الفرنسية عموما، بدأ التعاون الفرنسي الخليجي يتحول بالتدريج إلى

شراكة استراتيجية اقتصادية وعسكرية منذ توثيق التعاون العسكري مع دولة الإمارات في ماي 2009، ودخول اتفاقية تسليح الجيش اللبناني حيز التنفيذ في أفريل 2015، فضلا عن اعتراف هولاند مبكرا بدعم المعارضة السورية بالأسلحة في 2012، والدعوة إلى رفع الحظر عن تصدير السلاح إلى سوريا رغم معارضة بلدان أوروبية. ويكتسي التعاون الفرنسي مع دول مجلس التعاون الخليجي أهمية كبرى، نظرا لأهمية مخزونها الاستراتيجي (30%) من احتياطي البترول و(22%) من الغاز العالمي)، فضلا عن تواجدها في تقاطع جغرافي قريب من المحيط الهندي وآسيا الوسطى والشرق الأوسط.

وتحظى المواقف السياسية الفرنسية المستقلة عن الولايات المتحدة الأميركية في السياسة الدولية باحترام كبير لدى الخليجيين، علاوة على احتفاظها بتوازن مشهود في القضية الإسرائيلية، وإعلان دعمها لمبادرة العاهل السعودي الراحل الملك عبدالله بن عبدالعزيز سنة 2009، مما فسح المجال لدول مجلس التعاون بتوسيع علاقاتها الدولية التي كانت حكرا على الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا.

وعلى المستوى السياسي، شهدت العلاقة تقاربا كبيرا بعد أن اتخذت فرنسا مواقف قريبة من توجهات السعودية في موضوع لبنان وسوريا والبرنامج النووي الايراني، كما فتحت الاتفاقات بين الطرفين المجال للتعاون الأمني. كما أقامت الإمارات بدورها «حوارا استراتيجيا» مع الفرنسيين منذ سنة 2014، يشمل عقد لقاءين سنويا.

وقد أثمر تطور العلاقة بين الفرنسيين والإماراتيين على مستويات عدّة، وخاصة في المجال التجاري حيث بلغت صادرات الإمارات حوالي 4 مليار دولار، في ما تدل كل المؤشرات على ارتفاعها مجددا بفضل العقود التي أبرمت مؤخرا مع الفرنسيين. وقد تطورت العلاقات الثقافية بين البلدين كذلك من خلال تطوير شبكة مدارس وجامعة السوربون أبوظبي ومتحف اللوفر، فيما تم توطيد التعاون العسكري باقتناء معدات عسكرية فرنسية متطورة. وتقضي اتفاقية الدفاع المشتركة تدخل فرنسا العسكري لصد أي هجوم عسكري تتعرض له الإمارات العربية

المتحدة، وهو ما أصبح ممكنا بفضل بناء قاعدة عسكرية استراتيجية أطلق عليها «قاعدة السلام»، والتى تمثل ضمانة أساسية في التعاون الدفاعي بين الطرفين.

وتعتبر العلاقة التجارية الفرنسية الخليجية متوازنة، حيث تصدر فرنسا حوالي 4 مليار دولار، يلعب فيها تصدير المعدات العسكرية والطيران المدني دورا كبيرا، فيما تشكل واردات البترول القسط الأكبر.

خلاصة القول، بدا واضحا أن الانفتاح العربي على الفرنسيين من أجل تنويع خارطة التحالفات مع قوى دولية متعددة بما فيها الولايات المتحدة يصبّ في مصلحة الدول العربية، وسيساهم في تقليل مخاطر تداعيات الحروب التى فجرتها أميركا بقيادتها الأحادية، لكن توسيع تلك الخارطة لا يجب أن يكون بديلا عن بناء استراتيجية جديدة للعلاقات العربية العربية، وعدم تذويب الهوية القومية والشخصية المستقلة لبلدانهم، حيث لا يجب أن يقع العرب في صيغة جديدة تكرر نفس أخطاء الماضي.

5.5. خامسا: الصراع العربي الإسرائيلي:

موقف فرنسا من القضية الفلسطينية هو الذى قاد إلى تطور العلاقات العربية الفرنسية، وهذا فى الوقت الذى كانت تبحث فيه دول المنطقة عن شركاء آخرين لتخفيف سيطرة القوتين الأعظم (امريكا و الاتحاد السوفياتي) فلم تكون الدول العربية تريد من فرنسا إلا إرادتها السياسية، في حين استطاعت فرنسا بالتحرك السياسى أولا، أن تحقق لنفسها الكثير على صعيد العلاقات الاقتصادية والعسكرية مع تلك الدول ولكن تجدر الإشارة، إلى أن ذلك التحرك السياسى، لم يخدم فرنسا فى مجال بحثها عن لعب دور سياسى فعال فى مواجهة القوتين الأعظم انذاك. ففرنسا بمفردها لا تستطيع أن تلعب دورا أساسيا فى تحديد طريق الوصول وشكل التسوية الشاملة للصراع، ولكنها يمكن فقط أن تؤثر وتشارك فى خطة تطبيق هذه التسوية

مما سبق و من خلال تتبع الاحداث، كان اتجاه فرنسا إلى أوروبا الجماعية، منذ القديم، ففى الواقع فكان أمام العرب وأوروبا و نظرا للمصالح المشتركة التى تربط

بينهما ضرورة الاختيار إما بين الاستمرار الجدى فى التقارب بينهما، وإما استمرار الخضوع للولايات المتحدة.

لم تتأثر حركة فرنسا ومكانتها لدى دول المنطقة العربية آنذاك، فقط بتدهور أو تحسن العلاقات ولكن أيضا بإستراتيجية وحركة القطبين، الروسي و الأمريكي، فى المنطقة. فللمحافظة على نفوذها فكان فهي تراعي دوما الاستراتيجية الأمريكية فى المنطقة، و بدرجة اقل التحركات الروسية. اذ ان حجم ونوعية النتائج التى حققتها فرنسا على صعيد علاقاتها السياسية والعسكرية والاقتصادية مع الدول العربية لا يجب قياسه فقط بالجهد الفرنسى والإرادة الفرنسية. في الاخير ان فرنسا ليست هى فقط الرؤساء ديجول و بومبيدو و ديستان لكن هناك وزن وتأثير القوى السياسية الأخرى وموقفها من السياسة الفرنسية فى العالم العربى.

بقدر ما يصرّ الموقف الفرنسي الرسمي على «حق إسرائيل في البقاء ضمن حدود آمنة بالتنديد بالعمليات الاستشهادية»، فإنه يؤكد على حق الشعب الفلسطينى في دولة مستقلة، ويشدد دائما على عدم المساس بالسلطة الفلسطينية، في نطاق البحث عن نوع من الشرعية كمدخل لإثبات الحضور الفرنسي عن طريق ورقة السلطة الفلسطينية، للضغط على الطرفين الإسرائيلي والأمريكي، ولحماية المصالح الاستراتيجية الفرنسية في المنطقة .

أن فرنسا حريصة على دعم حضورها على كل المستويات، وإيجاد موقع لها في هذه المنطقة شديدة الأهمية وبالغة التعقيد، والتى تُعدّ مهداً للأديان والحضارات، ومخزونا للطاقة، وتريد ربط حضورها التاريخي في لبنان وسوريا، بحضور فاعل في الوقت الحاضر وفي المستقبل، يمتد من البعد الاستراتيجي الذي يكرّس القوة السياسية المعنوية لبلد عضو دائم في مجلس الأمن، إلى البعد الاقتصادي الذي يضمن الاستثمارات الفرنسية، خاصة في لبنان وفي بلدان الخليج، وبيع الأسلحة والتكنولوجيا الفرنسية، ومنافسة المنتجات الأوروبية والآسيوية، مروراً بالبعد الثقافي باعتباره مدخلاً أساسياً في إثبات مثل هذا الحضور عن طريق الوصول إلى العقول وإلى عالم الأفكار والتصورات، وكسب عاطفة الناس، واستثمار الفكرة

الرائجة التى تصوّر فرنسا بأنها بلد حقوق الإنسان التى أفرزتها الثورة الفرنسية، ولأهلها ذوق رفيع وحس مرهف وسلوك حضاري متمدن.

1.5.5. النفوذ اليهودي في فرنسا

تجلى بروز النفوذ اليهودي في فرنسا خلال الانتخابات الرئاسية الفرنسية 2007 من خلال التأييد الكبير الذي لقيه من اليهود الفرنسيين مرشح اليمين الفرنسي نيكولا ساركوزي، الذي تبين أنه من أم يهودية وأن زوجته هي الأخرى يهودية.

و لهذا فقد كان لدعم اليهود لمرشحهم، ان احدث تغيير في الموقف الفرنسي من القضايا العربية وعلى رأسها القضية الفلسطينية بسبب الدور الذي من الممكن أن يلعبه اللوبي اليهودي الفرنسي في السياسة الخارجية الفرنسية، علما بأن عددهم ضئيل جدا بالمقارنة مع عدد العرب والمسلمين الذين يتجاوزون ست ملايين من أصل ستة وسبعون مليونًا، ولكن اليهود هم الأكثر تنظيما ونفوذا بين الطوائف والأقليات في فرنسا، بل في العالم

بلغة الأرقام، تكاد لا تزيد نسبة عدد السكان اليهود الفرنسيين عن (1%) من إجمالي عدد سكان فرنسا، إذ تشير أحدث الإحصائيات السكانية الفرنسية أن عدد يهود فرنسا القاطنين فيها الآن يمثلون نسبة اثنين وسبعين بالمائة فقط، أي أقل من نصف مليون مواطن، يتركز أغلبهم في العاصمة باريس، بينما يشكل المسلمون الفرنسيون من أصولٍ شتى، عربيةً وأفريقية وغيرها، نسبةً قد تصل إلى (8%) من إجمالي عدد السكان، أي أكثر من ست ملايين مسلم، بما يجعل من الإسلام الدين الثاني في الجمهورية الفرنسية.

على عكس نسبة تمثيلهم العددي الضئيل، فان وجودهم و أثرهم و فاعليتهم كبيرة جدا، إذ يلعب اليهود دورًا كبيرًا في تشكيل ملامح السياسة الفرنسية، ويتحكمون في القرارات السيادية للدولة على المستويين الداخلي والخارجي، بل و في كثير من الاحيان يمارسون على الحكومة أدوارًا ابتزازية و استفزازية، الأمر الذي يجعل منهم لاعبًا أساسيًا لا يمكن إهمال دوره، أو انكار تأثيره، وعاملًا مؤثرًا في

تحديد سياسة فرنسا بل و امريكا، من خلال تحقيق رغباتهم و طموحاتهم، وخاصةً فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، والصراع العربي الإسرائيلي، و لثقل وزنهم في اللعبة السياسية و الاقتصادية الفرنسية، فقد قال الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند لليهود الفرنسيين، بمناسبة مرور 70 عاما على ذكرى المحرقة النازية «فرنسا هي وطنكم.» وكان قد توجه هولاند لليهود بهذه الكلمات بعد القلق الكبير الذي اصبح يساورهم من العيش في فرنسا بعد 3 أسابيع على أحداث شارلي ابدو بداية العام 2015

2.5.5. تاريخ النفوذ اليهودي في فرنسا

يعود بداية ظهور النفوذ اليهودي في فرنسا إلى الثورة الفرنسية، إذ أصدرت الجمعية الوطنية الفرنسية عام 1791، قانوناً لتحرير اليهود الفرنسيين ومنحهم حقوقاً مساوية لغيرهم كمواطنين، وألغيت القوانين المقيدة لحرياتهم ونشاطاتهم. وكان نابليون بونابارت أول من طرح فكرة «وطن قومي لليهود»، سنة 1799 ليكون بذلك أول من فكر عملياً في إنشاء دولة يهودية تابعة للإمبراطورية الفرنسية في فلسطين، طمعاً في مساعدتهم له في حملته لغزو الشرق. كما انه طلب من اليهود الفرنسيين أن يعقدوا أول مجمع لحكمائهم في «سان هدريان» لكي يقرروا إنشاء دولة يهودية تصبح تابعة للنفوذ الفرنسي، حتى يسيطر على الطريق الإستراتيجي لتجارة الشرق مع الغرب، وطمعاً في تحطيم النفوذ البريطاني في الشرق.

إلا أن هذه الفكرة لم تنجح، بسبب فشل نابليون في حملته على سوريا وفلسطين. وظهر النفوذ اليهودي في قضية الضابط اليهودي دريفوس الذي اتهم بنقل أسرار عسكرية إلى السفارة الألمانية في باريس. وصدر الحكم على هذا الضابط في 22 ديسمبر من عام 1894، بتجريده من رتبته العسكرية، وطرده من الخدمة، وسجنه مدى الحياة في جزيرة الشيطان. وأثار أمر هذا الضابط الرأي العام الفرنسي الذي اعتبره خائناً في حق الوطن، وشغل الصحافة والمسؤولين، وسقطت وزارات عدة بسببه، كما انتحر العديد من المسؤولين آنذاك.

ولعب اليهود الفرنسيون دوراً كبيراً في تصعيد الأزمات التى أثارتها القضية في الحياة السياسية في فرنسا. كما استغلها زعيم الحركة الصهيونية تيودور هرتزل[14] الذي كان مقيماً في باريس في ذلك الوقت، لإثارة المشاعر في فرنسا وأوروبا لدى اليهود لأنهم عللوا أسباب القضية بمعاداة السامية عند بعض المسؤولين.

وأثار الروائي الفرنسي المعروف إميل زولا قضية دريفوس في كتاباته حين هاجم المعادين للسامية في فرنسا. وخضعت الحكومة الفرنسية للضجة التى أثارها اليهود وأصدقاؤهم، وجيء بالضابط من منفاه، وأعيدت محاكمته، وصدر قرار ببراءته من التهم الموجهة إليه، ومنح وسام الشرف، كما أعيد للخدمة في الجيش من جديد. واعتبرت قضية دريفوس مثالاً على النفوذ اليهودي في فرنسا الذي بدأ يقوى ويشتد، والذي استطاع تحويل قضية ضابط اتهم بالخيانة إلى ضابط حكم عليه بالبراءة ومنح وسام الشرف.

واستغل اليهود الفرنسيون القضية بعد ذلك بسنوات، من أجل أن توافق الحكومة الفرنسية على خططها في إقامة «الوطن القومي اليهودي» في فلسطين. استطاعوا إقناعها بإصدار وعد كامبو، الذي اعتبر اعترافاً رسمياً من قبل فرنسا

---

[14] تيودور هرتزل (1860 1904) صحفي يهودي نمساوي مجري، مؤسس الصهيونية السياسية المعاصرة. ولد في بودابست وتوفي في إدلاخ بالنمسا .تلقى تعليما يطابق روح التنوير الألماني اليهودي السائد في تلك الفترة، حصل في فيينا. على الدكتوراه سنة 1884 ثم اشتغل بعدها فترة قصيرة في محاكم فيينا و سالتسبورغ ثم توجه إلى الأدب والتأليف. بداية من سنة 1885 نشر مجموعة من القصص الفلسفية. كما كتب عددا من المسرحيات التى لم تلق نجاحا كبيرا. و اشتغل هرتزل أيضا بالصحافة حيث عمل في باريس و هنا بدأت تتشكل أفكار هرتزل الصهيونية بعد أن عايش قضية دريفوس وتابع أحداثها في مراسلاته الصحفية في فترة ازدادت فيها معاداة السامية. هرتزل، اليهودي المندمج، أصبح يفكر في المشكل اليهودي وفي ضرورة ايجاد حل غير الاندماج والانصهار في مجتمعات أوروبا الشرقية والغربية. فالتيار المعادي للسامية ورغبة اليهود في اثبات وجودهم كشعب – كما يرى هرتزل – يدعوان إلى البحث عن بديل؟؟؟ و كانت الإجابة في الكتيب الذي انتهى من تأليفه يوم 17 جوان 1895 والذي نشر سنة 1896 تحت عنوان، **الدولة اليهودية**. وإن لم يجد الكتيب صدا واسعا في البداية إلا أنه وضع فعلا حجر الأساس لظهور الصهيونية السياسية وتأسيس الحركة الصهيونية بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية بين 29 و 31 أوت 1897 وانتخاب هرتزل رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية . بعد ذلك بدأ هرتزل عدة محادثات مع شخصيات عديدة من دول مختلفة، مثل القيصر الألماني فيلهلم الثاني الذي التقى به سنة 1898 مرتين في ألمانيا وفي القدس و السلطان العثماني عبد الحميد الثاني سنة 1901، بحثا عن مؤيدين للمشروع الصهيوني. و ان كانت جهوده فشلت فقد تركت المجال مفتوحا لمواصلة العمل على تأسيس الدولة

بالحركة الصهيونية يشبه وعد بلفور. وصدر الوعد بعد لقاءات عدة تمت بين سوكولوف و هو أحد زعماء الحركة الصهيونية وممثلها في باريس و رئيس الوزراء الفرنسي ريبو والسكرتير العام لوزارة الخارجية جول كامبو.

وطالب سوكولوف أن تصدر الحكومة الفرنسية بياناً كتابياً تعبر فيه عن عطفها على أهداف الحركة الصهيونية فيما يختص بقيام دولة يهودية في فلسطين. واستجابت الحكومة الفرنسية ونشرت في الرابع من جوان 1917، إعلانا صريحا عبرت فيه عن عطفها على المخطط الصهيوني بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين التى نفي منها «شعب إسرائيل». وخضعت منذ ذلك الوقت معظم الحكومات الفرنسية للابتزاز اليهودي، خوفا من اتهامها باللاسامية.

مما سبق، و عند استعراض تطور وجود اليهود في فرنسا، نجد أن عددهم لم يتجاوز عند قيام الثورة الفرنسية في عام 1789 أربعين ألف يهودي، من أصل 26 مليون فرنسي. وفي عام 1810، أي بعد الثورة الفرنسية التى منحتهم حقوقاً متساوية مع بقية الفرنسيين ارتفع عددهم إلى 46583 يهوديا.

وحسب إحصائية صدرت من الجالية اليهودية، فإن 115 ألف يهودي قد جاؤوا إلى فرنسا، بين عام 1880 و1939، إذ وصل 30 ألف يهودي بين العام 1881 و العام 1914، و85 ألفا خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية، فأصبح عددهم في عام 1939 270 ألف يهودي. إلا أن هذا الرقم انخفض بعد الحرب العالمية الثانية إلى 150 ألفا، ثم عاد وارتفع بين 1954 و 1961 بسبب وصول مائة ألف يهودي من مصر وتونس والمغرب.

وبعد توقيع اتفاقية ايفيان بين فرنسا والجزائر في مارس عام 1962، وصل الى فرنسا 20 ألف يهودي من الجزائر. ليصبح عدد اليهود فيها حاليا، في المقام الرابع بعد الولايات المتحدة وإسرائيل وروسيا، وأعلى نسبة في أوروبا الغربية. إذ يوجد الآن نحو سبعمائة ألف يهودي في فرنسا من أصل 15 مليون يهودي في العالم. يقيم نصفهم في العاصمة الفرنسية باريس، إذ عدد الذين يعيشون أكثر مما يعيشون في القدس.

3.5.5. تنظيم اليهود الفرنسيين

تمتاز الطائفة اليهودية في فرنسا عن الجالية العربية والإسلامية بأنها الأكثر تنظيماً وتجاوباً مع التنظيمات المتعددة التى ترتبط بعضها مع البعض الآخر. والتنظيمات اليهودية موجودة على جميع الأصعدة، الثقافية والسياسية والاقتصادية والدينية والقانونية والطلابية، و حيثما يوجد تجمع يهودي فهناك تنظيم أو اتحاد يربط بعضهم ببعض.

وتوجد مائة جمعية واتحاد وتنظيم يهودي وصهيوني في باريس وحدها إلى جانب وجود مكاتب لمختلف الأحزاب السياسية الموجودة في إسرائيل. ومن أشهر هذه المنظمات «الحركة الصهيونية في فرنسا»، و«مجلس المثقفين اليهود من أجل إسرائيل في فرنسا». ودخلت العديد من المنظمات اليهودية في تنظيم موحد منذ عام 1977 تحت اسم المجلس التمثيلي للمؤسسات اليهودية في فرنسا « Le Conseil CRIF France Représentatif des Institutions Juives de»[15] الذي يرأسه روجر كوكيرمان.

تكمن قوة النفوذ اليهودي في فرنسا في تداخله في مجالات عديدة و توازي قوته تقريبا النفوذ اليهودي في الولايات المتحدة. و يعد أكبر نفوذ يهودي في أوروبا. كونه الاقدم و الاكثر ارتباطا بالحياة اليهودية في المجتمع الفرنسي، وقد ازداد بعد قيام إسرائيل ومشاركتها في العدوان الثلاثي مع فرنسا وبريطانيا على مصر. ومع ذلك فإن اليهود الفرنسيين بالرغم من مساواتهم في الحقوق مع سائر المواطنين الفرنسيين لم يندمجوا اندماجاً كاملاً في المجتمع الفرنسي. واستمروا في التقوقع حتى لا تذوب الشخصية اليهودية داخل المجتمع الفرنسي. وشدد بن غوريون[16] على هذه القضية وقال «إن الاندماج في المجتمعات التى يعيش فيها اليهود هو أكبر خطر يهدد اليهودية اليوم».

[15] تجمع ذو طابع سياسي يمثل الكيان الصهيوني في فرنسا، أكثر من تمثيله لمشاغل اليهود الفرنسيين، ويتمتع بنفوذ واسع يتعدى نفوذ أي حزب سياسي فرنسي، ساعده في ذلك امتلاك الصهاينة عددا هاما من الصحف والمجلات وقنوات الإعلام الإذاعي والتلفزي، ودور النشر

[16] دافيد بن غوريون (1886ـ1973)، أوّل رئيس وزراء لدولة إسرائيل

وبالنسبة للقضية الفلسطينية فإن النفوذ اليهودي الموجود في الصحافة و وسائل الإعلام الأخرى، أمر واضح في فرنسا. واعترف الجنرال ديغول بعد حرب 1967 بهذا النفوذ المسيطر على وسائل الإعلام الفرنسية، مما جعل اليهود يتهمونه بمعاداة السامية.

يبدو جليا ان نفوذ اللوبي الصهيوني لدى السياسية الفرنسية و المرتبطة بالمصالح ألاقتصادية والبنوك و التى يسيطر على تسييرها اليهود. الشيء الذي يمنحهم القوة في انتقاد مواقف حكومة فرنسا من الصراع العربي الإسرائيلي، اذ أن المنظمات اليهودية تنتقد وتحتج باستمرار على السياسة الخارجية لفرنسا منذ عام 1967 إلى يومنا هذا. هذا و يجدر بنا الاشارة الى وجود تيار لا يستهان به من اليهود الفرنسيين الملتزمين بمواقف أحزابهم السياسية المنتقدة لإسرائيل.

4.5.5. الوضع السياسي لليهود

يتواجد يهود فرنسا في غالبية التيارات السياسية الفرنسية، من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، بل إن بعضهم تزعم حركات وأحزاب سياسية عدة. وكان لبعض اليهود دور كبير في الحياة السياسية في فرنسا، من خلال رسمهم و توجيههم لسياسة فرنسا اتجاه قضايا حساسة، و ترأس بعضهم الحكومة الفرنسية مرات عدة أمثال ليون بلوم[17] و منديس فرانس[18]، من الحزب الاشتراكي، و ميشال دوبريه[19] من

[17] ليون بلوم، أول يهودي يتولى رئاسة الحكومة في فرنسا. سياسي فرنسي (1872ـ 1950) تولى رئاسة الوزارة في الجمهورية الفرنسية الثالثة مرتين: من 4 جوان 1936إلى 22 جوان 1937 و من 13 مارس إلى 10 أفريل 1938 .

[18] منديس فرانس رجل دولة فرنسي، شخصية ذات وزن السياسة الفرنسية، من اكبر المؤيدين للصهيونية وإسرائيل. وُلد في باريس لعائلة يهودية، وتلقى تعليماً فرنسياً علمانياً. فدرس القانون في جامعة السوربون . عُيِّن عام 1946 في منصب المدير الفرنسي للبنك الدولي للإنشاء والتعمير. وفي عام 1954، نجح منديس فرانس في الوصول إلى رئاسة الوزراء وعمل من خلال هذا المنصب على إنهاء الوجود الفرنسي في الهند الصينية بعد هزيمة قوات الاستعمار الفرنسي أمام قوى التحرر الوطنى في المنطقة. ثم قدَّم استقالته عام 1955 إثر فشل سياسته الخاصة بمنح الاستقلال للمغرب وتونس. وعاد منديس فرانس مرة أخرى وزيراً بلا وزارة في حكومة الجبهة الجمهورية عام 1956، إلا أنه استقال بعد عدة أشهر بسبب خلافه مع رئيس الوزراء حول السياسة الفرنسية بشأن الجزائر إذ كان يرى ضرورة الاستمرار في ضم الجزائر إلى فرنسا.

[19] ميشال دوبريه، ولد العام 1912 بباريس من اب يهودي، رئيس وزراء فرنسا في الفترة بين عامي 1959 و 1961. تقلد عدة مناصب كان اهمها ترأسه لعدة وزارات فرنسية كوزارة العدل، المالية و

الديغوليين، كما كان وجودهم ملحوظ و مميز في قيادات النقابات العمالية والطلابية و الحركات الجمعاوية. اذ تزعمت عناصر يهودية يسارية ثورة الطلاب الفرنسية في ماي 1968.

و ان كانت نسبتهم تمثيلهم قليلة من مجموع الناخبين الفرنسيين إذا ما قورنوا بالولايات المتحدة، حيث تبلغ نسبتهم في فرنسا نحو (1.38%)، بينما يمثلون في الولايات المتحدة (3%) . و هذه النسبة ترتفع في باريس لتصل في بعض الدوائر الانتخابية إلى (15.17%). فان النفوذ اليهودي في فرنسا يوازي الذي ينشط في الولايات المتحدة، و تكمن قوته في اشراك كل اليهود في تنظيماتهم من خلال تبرعهم بالاموال و المساعدة بالجاه. اذ حدث أن هاجمت المنظمات الصهيونية الفرنسية، بعض التجار اليهود في باريس لأنهم رفضوا التبرع لإسرائيل و تنظيماتها الصهيونية، كما سبق لهم و ان هاجموا اليهود المعتدلين او اليهود المعادين للصهيونية كـ: مكسيم رودنسون[20].

5.5.5. علاقة يهود فرنسا بإسرائيل

لم تكن هجرة يهود فرنسا إلى إسرائيل منظمة قبل قيامها، ولكن خلال الحرب العالمية الثانية بدأت بعض العائلات اليهودية تهاجر إلى فلسطين هربا من الاحتلال الألماني لفرنسا كما كان الحال الى عدة دول اوربية و امريكية اخرى. و حتى قيام إسرائيل لم يهاجر من يهود فرنسا سوى 3943 إلى فلسطين، وأكثر سنوات

الإقتصاد، الخارجية و الدفاع، حصلت في عهده المذبحة المشهورة والتى أودت بحياة مئات العمال الجزائريين الذين كانوا يتظاهرون في باريس في17 أكتوبر 1961 للمطالبة بإنهاء الاستعمار الفرنسي للجزائر

[20] مكسيم رودنسون (1915ـ2004) كان مؤرخاً عالم اجتماع ومستشرقاً ماركسياً فرنسياً، من اب روسي بولندي. توفي في أوشفيتس Auschwitz مع زوجته بعد ترحيلهم بموجب قوانين عنصرية، درس رودنسون اللغات الشرقية و درسها بفرنسا. إلتحق بالحزب الشيوعي الفرنسي في 1937 (لأمور أخلاقية) ثم إنسحب بعد هزيمة الإستالينيين حيث أستبعد من الحزب، في 1958. قد صنف العديد من الكتب، تشمل ذائع الصيت" محمد "وهو سيرة للرسول محمد صلى الله عليه و سلم. و أصبح رودنسون معروفا في فرنسا عندما أظهر معارضة حادة، تتناول إسرائيل و التيار الصهيوني، وقد عارض على وجه الخصوص سياسة الإستيطان للدولة اليهودية على حساب الاراضي الفلسطينية. و في نفس الوقت , إتهمه البعض بالإرتباط بالفاشية الإسلامية) " le fascisme islamique في 1979, التى إعتاد أن يصفها بالثورة الايرانية

الهجرة كانت عام 1949، حيث وصل إليها 1653 يهوديا فرنسيا، وفي السنوات العشر الأولى من قيام إسرائيل لم يهاجر إليها من فرنسا سوى 7768 يهوديا.

ان نسبة اليهود الفرنسيين المهاجرين إلى إسرائيل ضعيفة، وغالبيتهم من اليهود الذين التحقوا بأقارب لهم هاجروا إليها من مناطق مختلفة من أوروبا. بل إن اليهود الذين هاجروا من مصر والجزائر وبقية دول المغرب العربي فضلوا الهجرة إلى فرنسا على الهجرة إلى إسرائيل، وعدم حماس يهود فرنسا للهجرة إلى إسرائيل لا يقلل من تأييدهم لها مع بقائهم في فرنسا، اذ يخدم اليهود الفرنسيين اسرائيل اكثر مما يخدمون فرنسا البلد الذي يعيشون فيه. و لا شك أن وجود سبعمائة ألف يهودي في فرنسا كان له الاثر الكبير على مختلف سياسات الحكومات الفرنسية المتعاقبة.

فالإدارات المحلية الفرنسية تراعي، العادات والمناسبات اليهودية بصورةٍ لافتةٍ، اذ ثبتت أيام المناسبات والأعياد اليهودية في رزنامتها الرسمية، فتتزين باريس والمدن الفرنسية الأخرى، وتوقد الشموع في ساحاتها وأمام رموزها التاريخية، ليحتفل اليهود بمناسباتهم الدينية، والصلاة في معابدهم التى سخرت الشرطة والأجهزة الأمنية لحمايتها وحراسة الأماكن والمؤسسات اليهودية.

في حين لا ينسى الرئيس الفرنسي توجيه رسالةٍ لهم، يهنئهم فيها بالعيد، أو يشاركهم المناسبة بنفسه، ويتمنى لهم السعادة و الهناء، والسلامة والأمن والرخاء، ويدعو جموع الفرنسيين لتهنئتهم، ومشاركتهم احتفالاتهم، وعدم التنغيص عليهم في يوم فرحهم، أو الإساءة إلى رموزهم ومقدساتهم.

بل إن بعض الرؤساء الفرنسيين يبالغون في الاحتفاء و التهنئة والمباركة وكأنهم بفرحهم وتهنئتهم يتوددون لدولةً عظمى و إلى حكومتها. ويتقدمون إليها بآيات الولاء، والشكر والعرفان، عبر جاليتها التى تسكن بلادها، وتتحكم في بعض قراراتها، وكأنهم سلطة فوق السلطة، فيكرمونها خوفًا من غضبها، أو استمالةً لها وحرصاً على رضاها الذي لا تبلغه.

و كثيرًا ما يراعي الفرنسيون اليهود ويحرصون على مشاعرهم، فيحيون معهم ذكرى المحرقة، ويضعون من أجلهم القلنسوة اليهودية على رؤوسهم، و ينبذون كل من ينكر المحرقة أو يشكك فيها، أو حتى من يقلل عدد الذين قتلوا خلالها، ويتهمون من لا يشاركهم فرحهم أو حزنهم بأنه معادي للسامية، في الوقت الذي يرفضون فيه إجراء مقارنة بين عذابات اليهود ومحرقتهم، وبين ظلمهم واضطهادهم وطردهم لشعبٍ بأكمله، وكأن اليهود أمةٌ ينبغي ألا تظلم ولا تضام، وألا تعذب ولا تهان، بينما يجوز ذلك على أيديهم لغيرهم.

ورغم أن اليهود الفرنسيين في خمسينيات القرن الماضي كانوا أقل عددًا مما هم عليه اليوم في فرنسا، إلا أنهم استطاعوا من خلال نفوذهم ومناصبهم الرسمية، ومواقعهم الحكومية، أن يصنعوا حلفًا كبيرًا بين باريس و تل أبيب، وأن يجعلوا من فرنسا داعمةً رئيسية للكيان الصهيوني، ومؤيدة لسياستها، ومدافعةً عنها، وهي التي أشرفت على تزويدها بمختلف أنواع الأسلحة المدمرة، إذ زودتها بطائرات الميراج التي كانت عماد سلاح الجو الإسرائيلي، والذي كان له الدور الأكبر في العدوان على مصر، عندما باغتت أسراب طائراتهم الحربية المطارات والطائرات العربية الرابضة.

و كانت فرنسا وراء امتلاك الكيان الصهيوني للنووي، ومكنته من بناء مفاعل ديمونا[21]، الذي يعتبر أساس ترسانتها النووية المتطورة و المدعمة من أمريكا. و ظل النووي الاسرائيلي محل تهديد لدول الجوار العربي و أمن المنطقة كلها، وقد كان هذا الإنجاز نتيجةً للجهود الكبيرة التي بذلها الموظفون الكبار في وزارة الدفاع الفرنسية، الذين كانوا على اتصالٍ دائمٍ مع شمعون بيريس الذي كان إبَّانها المدير العام لوزارة الدفاع الإسرائيلية، والذي يعتبر العقل المدبر، والأب الحقيقي للمشروع النووي الإسرائيلي، الذي كان مشروعًا فرنسيًا بجدارةٍ.

[21] مفاعل ديمونا هو عبارة عن مفاعل نووي إسرائيلي، بدء بالعمل ببنائه عام 1958 بتمويل و مساعدة فرنسية، بدء بالعمل بين 1962 و 1964. كان الهدف المعلن من إنشائه، توفير الطاقة لمنشئات تعمل على استصلاح منطقة النقب، الجزء الصحراوي من فلسطين التاريخية. في العام 1986 نشر تقني سابق في مفاعل ديمونا بعض من أسرار البرنامج النووي الإسرائيلي للإعلام، اذ كان الهدف من بنائه هو صنع رؤوس نووية ووضعها في صواريخ بالستية أو طائرات حربية أو حتى في غواصات نووية موجودة في ميناء حيفا.

وما زالت فرنسا ترعى الكيان الصهيوني بما أمكنها، من خلال تزويده بالسلاح، و الدفاع عنه في كل المحافل السياسية، وتحول دون خضوعه إلى المحاكم الدولية، ولا تقبل بالإشراف أو الرقابة الدولية على مشاريعه النووية، ولا على مخازن أسلحته الإستراتيجية، وترى أن الكيان الصهيوني يجب أن يبقى قويًا ومحصنًا، ومتفوقًا ورادعًا، فلا يهدد أمنه أحد.

من خلال سياستها الخارجية، يتضح لنا جليا ان فرنسا تؤيد و بشدة الكيان الصهيوني، و تريد له ان يكون دولةً طبيعية في المنطقة، و كانت تحث العرب و تشترط عليهم دائما بالارتباط مع اسرائيل باتفاقيات تعاونٍ، و تبادل التجارة معها. هذا و تحرص الإدارات الفرنسية على أن يشارك في مناسباتها إلى جانب القادة والملوك والرؤساء العرب، مسؤولون إسرائيليون كبار، لتفعيل التشارك بينهم. ولعل مشاركة رئيس الحكومة الإسرائيلية في مسيرة باريس التضامنية مع حادثة شارلي إيبدو إلى جانب قادةٍ عرب، محاولة مقصودة من الحكومة الفرنسية لدعم الكيان الصهيوني، وتبرئته من تهمة الإرهاب، والتى يقترفها باستمرار على شعب فلسطين بالأراضي المحتلة، دون ردٍ دولي، أو اعتراضٍ أممي.

اما عن الاعلام الفرنسي، فمنذ تأسيس الكيان الصهيوني، تتخذ الوسائل الفرنسية الكبرى للإعلام مواقف مساندة و تطبيع للكيان الصهيوني، و للتستر و بحكم مراعاتها للحياد، كانت وسائل الاعلام من حين لآخر تتعرض لبعض النقد الخفيف، الذي لا يمس بالجوهر وإنما يكتفي بنقد بعض الممارسات أو تطبيقات التطهير العرقي أو الإفراط في استعمال القوة الخ... لكن منذ أكثر من عقد أغلق الاعلام الفرنسي المجال أمام كل نقد جوهري يشكك في الكيان الصهيوني، مهما كان بسيطا. أما منظمات المجتمع المدني الفرنسي و رغم حسن نية الأفراد المنتمين إليها. فإن هدفها المعلن هو إشاعة السلام وجمع كافة الأطراف للتعارف والتحاور والعمل جنبا إلى جنب... وتساهم المنظمات غير الحكومية والحركات المناهضة للعولمة، وجمعيات الصداقة في التطبيع السياسي و الإقتصادي بشكل غير مباشر وتحث على مشاركة جمعيات فلسطينية وصهيونية جنبا إلى جنب في المنتديات العالمية والتجمعات المناهضة للبرالية، ومختلف المهرجانات، بدعوى إقامة حلف المعتدلين ضد المتطرفين من الجانبين.

يهود فرنسا... على قلة عددهم، يخططون و ينفذون، و يملون و يأمرون، يفرضون سياستهم، ويلقون أوامرهم، ويضعون شروطهم، ويحددون مسارات سدة الحكم الفرنسي

6.5. سادسا: الإسلاموفوبيا

الفوبيا الاجتماعية أو السياسية صورة من الهلع الثقافي قد يحدث إثر شيوع موجات من الحذر العام تجاه دولة أو حركة سياسية أودعوة دينية أو حضارة موازية أو معاصرة لحضارة من الحضارات، وذلك مثلما حدث إزاء الهلع من النازية قبل وخلال الحرب العالمية الثانية وتخوف العالم الرأسمالي الغربي من الاشتراكية أو الشيوعية خلال فترة صعود الاتحاد السوفييتى السابق وتمكن النظام الشيوعي في الصين وشرق أوروبا وكوبا، ومنها أيضا إحلال التخوف والفزع من الإسلام (الإسلام فوبيا) مكان التخوف من الشيوعية برعاية الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الغربية والمعيّة الإسرائيلية لها.

الرهاب أو الفوبيا مرض نفسي، ويعنى الخوف الشديد والمتواصل من مواقف أو نشاطات أو أجسام معينة أو أشخاص. وهذا الخوف الشديد والمتواصل يجعل المصاب عادة يعيش في ضيق وضجر، فمثلا فوبيا القلق أو الخوف اللا منطقي، يكون فيها المريض مدركا تماما أن الخوف الذي يصيبه غير منطقي.

إن مصطلح الأسلاموفوبيا لم تفرزه أحداث سبتمبر 2001 حيث وجد عديد من المسلمين أنفسهم فى الغرب موضعا للشبهات والتحرش والتمييز العنصري، وأشيع بين الغربيين أن الإسلام عقبة في حد ذاته معارض للغرب.

لقد كان المصطلح سابقا على هذه الأحداث، بل تبين أن من صنعه هو مؤسسة «راني ماد» (Runnymede) الفكرية المستقلة في بريطانيا 1997 وذلك لتوصيف وضعين مختلفين من التمييز العنصري وذلك إزاء الكيان الهيكلي العام للكتلة (الأمة الإسلامية)، وأيضا بالنسبة للتعصب ضد المعتقدات الثقافية والدينية لدى المسلمين.

هنالك قراءات مختلفة لأسباب صعود ظاهرة الإسلاموفوبيا في الغرب و لعل الأحداث الدولية التى أثرت بقوة على العلاقات بين العالم الإسلامي والمجتمعات الغربية خلال السنوات الأخيرة، وعلى رأس هذه الأحداث اعمال العنف التى يقوم بها عناصر الدولة الاسلامية فيالعراق و الشام (داعش) و ما اقبلو عليه في التراب الفرنسي من هجمات شارلي ايبدو و هجمات باريس 2015 و كذا تفجيرات مطار بروكسل البلجيكي 2016 ، و ما قبلها في الولايات المتحدة الامريكية ، هجمات الحادي عشر من سبتمبر 2001 الإرهابية. و كانت الشعارات الإسلامية التى رفع مرتكبوها هي القاسم المشترك في كل العمال الارهابية التى ضربت كذلك مجتمعات غربية مختلفة مثل إسبانيا وبريطانيا.

ظاهرة الاسلاموفوبيا تتجلى في مواقف سياسية عنصرية لها جذورها القائمة على المحددات الانثروبولوجية للشعوب التى انتشر فيها الاسلام. وهو ما سهل طرح الاسلام كعدو حضاري للغرب قبل سنوات طويلة. وهو أيضاً الذي يبرر الهيستيريا الغربية من امتداد الاسلام وانتشاره في مجتمعاتها. و ان كانت الاسلاموفوبيا تتجلى في كره و معاداة المسلمين فيجدر بنا التساؤل عن سبب كل هذه الكراهية.

النشأة التاريخية للمفهوم[22]

تشير الدراسات الأكاديمية الغربية الى أن النشأة الأولى لاستخدام مفهوم «الاسلاموفوبيا» في الأدبيات والكتابات الغربية تعود الى عشرينيات القرن الماضي، حيث استخدمه مستشرق بلجيكي هو هنري لامينس و الذي عاش في لبنان لسنوات. في سياق كتاب له عن الرسول محمد صلى الله عليه و سلم، كما ان المصطلح ورد ذكره أيضا في كتاب للرسام الاستشراقي الفرنسي **ايتيان دينى** بعنوان: «الشرق كما ينظر اليه من الغرب».

[22] عبدالمالك سالمان «ظاهرة –الإسلاموفوبيا–. ومستقبل العلاقات بين الإسلام والغرب» http://www.akhbar-alkhaleej.com/11503/article/344849.html

ويتكون مصطلح الاسلاموفوبيا من نحت لغوي لمفردتين «الاسلام»، و« فوبيا» ذي الجذور الاغريقية بدلالة الخوف غير المبرر والمصطلح على ترجمتها بـ «الرهاب» على وزن « فعال» الخاص بالإمراضية.

غير ان الأبعاد السياسية لمفهوم «الاسلاموفوبيا» بدأت تتبلور منذ أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن الماضي اثر بروز ظاهرة ما يسمى «الصحوة الاسلامية» أو «صعود الاسلام السياسي» في العالم العربي والاسلامي، وخاصة بعد الثورة الايرانية بزعامة الإمام الخميني عام 1979، وتزايد الاهتمام الغربي بدراسة ظاهرة تنامي الصعود السياسي للتيارات الاسلامية و الاصولية وتأثيرات ذلك على الغرب.

وارتبط مفهوم الاسلاموفوبيا في الكتابات الغربية بمجموعة من المسلمات المسبقة والسلبية عن الاسلام والمسلمين. وبخاصة بالصورة النمطية التى بدأتها المخابرات البريطانية عبر لورنس العرب وملاحظاته. وأكملتها المخابرات الاميركية في سياق عملها على رسم قوالب نمطية للأمم والشعوب بهدف وضع قوالب سلوكية للتعامل معهم. وتجدر الاشارة هنا الى ان معظم علماء النفس و الانثروبولوجيا الذين رسموا هذه القوالب كانوا من العلماء اليهود المهاجرين من المانيا هرباً من النازية.

هذا وتضيف القناعات الشعبية في الغرب تشويهات اضافية لصورة الاسلام والمسلمين. وهي قناعات خاطئة مبنية على فوقية المستعمر وتعالي التفوق العلمي والتكنولوجي. مضافاً اليها الإنطباعات الإستشراقية المرتبطة بدورها باهداف واستعمارية بما يفقدها موضوعيتها. و اختلف المعايير و المحددات التى تقوم عليها الاسلاموفوبيا، و نشير هنا الى ابرز المعايير التى جاءت بها دراسة أصدرتها مؤسسة «راينميدتراست» البريطانية في عام 1997 و هي:

1. اعتبار الاسلام جسما أحاديا جامدا يندر ان يتأثر بالتغيير.
2. النظر الى الاسلام باعتباره يتسم بالتميز عن الآخر، وانه ليس له أي قيم مشتركة مع الثقافات الاخرى، وهو لا يتأثر بها أو يؤثر فيها.

3. اعتبار الاسلام عنيفا وعدوانيا ومصدر خطر، مفطورا على الارهاب والصدام مع الحضارات.
4. النظر الى الاسلام باعتباره يحتل مرتبة دونية بالنسبة الى الغرب، وذا نزعة بربرية وغير عقلانية، وبدائيا.
5. الرفض التام لأي نقد يمكن أن يقدمه طرف إسلامي حيال الغرب.
6. اعتبار مشاعر العداء تجاه المسلمين هي أمر عادي وطبيعي.
7. استعمال العداء تجاه الاسلام لتبرير أي ممارسات تمييزية تجاه المسلمين وابعادهم عن المجتمع وعزلهم أو تهميشهم.
8. اعتبار الاسلام أيديولوجية سياسية لتحقيق مصالح عسكرية وسياسية.

والواقع ان هذه المعايير مستعارة من ملفات الاستخبارات البريطانية، يوم كانت تسمى « انتليجانس سرفيس » حيث عمل هذا الجهاز على تفكيك هذه المعايير واحدا بعد الآخر.

الفصل السادس

الصحافة الفرنسية و

قضايا العرب

تمهيد

ظهرت أهمية الاتصال بالنسبة للإنسان منذ نشأته على هذه الأرض، وقد ابتكر لذلك طرقا و وسائل عديدة، ولكن قدرته على الإعلام ظلت محدودة جدا ولم تبدأ بالتطور إلا مع ظهور أولى الوسائل الإعلامية وهي الصحافة والتي ساهمت بشكل فعال في تنمية وتطوير المجتمعات البشرية الحديثة خاصة بعد تحولها للصدور اليومي.

فمنذ وجد الإنسان، وعرف اللغة و الكلام، نشأت عنده حاجة لأن يقول للآخرين ما يعمل، وما يفكر فيه، ويعرف منهم، كذلك، ما يعملونه، وما يفكرون فيه، لأن طبيعة الإنسان الاجتماعية، تجعله يهتم بما يدور حوله، ولا يستطيع الحياة وحده، فكان لابد من إيجاد وسيلة للتعبير عن آرائه، وآماله وآلامه وحاجاته، إلى غير ذلك.

يرى محمد حسين البردويل[1] أن الصحافة، بمعنى نقل الأخبار، قديمة قدم الدنيا وليست النقوش الحجرية في مصر والصين وعند العرب الجاهليين، وغيرهم من الأمم العريقة، إلاّ ضرباً من ضروب الصحافة في العصور القديمة. ولعل أوراق البردي المصرية[2]، من أربعة آلاف عام، كانت نوعاً من النشر أو الإعلام أو الصحافة القديمة.

وكانت الأخبار، في هذه العصور الأولى، خليطاً من الخيال والواقع، تمشياً مع رغبات السامعين في الاستماع الى القصص، بغية التسلية، الإشادة بالبطولة والقوة، وكان هذا النوع من القصص كثير التداول بين الناس يعمر طويلاً، وينتقل من جيل إلى جيل، على صورة القصص الشعبي، الفولكلور. ولو صح ما قاله المؤرخ اليهودي يوسف فلافيوس (Flavius Josèphe) أنه كان، للبابليين، مؤرخون مكلفون بتسجيل الحوادث، التي اعتمد عليها نيروز، في القرن الثالث قبل الميلاد، في كتابه «تاريخ الكلدانيين»، لتبين أن الصحافة، كظاهرة اجتماعية قديمة جداً، عُرفت في العصور الاولى. ويقال أن الصحافة بدأت في صورة الأوامر،

[1] محمد حسين البردويل، « الصحافة نشأتها وتطورها » ، ط1، غزة: مطبعة منصور،1996

[2] عُثر عليها في مصر في مكان قريب من هرم –سقارة- وفي الفيوم، فعن طريقها عُرف أسماء ملوك شيدوا آثارا خالدة، خاصة في عهد تبعية مصر للأمويين والعباسيين، وأمكن معرفة نظام الدواوين وأحوال مصر الإدارية والاقتصادية والحالة الاجتماعية وأثمان الأصناف الصناعية والأراضي والعقارات

التى كانت الحكومات توفد بها رسلها مكتوبة، على ورق البردي، إلى كل إقليم. و كان لهؤلاء الرسل محطات معينة يتجهون إليها، بما يحملون من الرسائل، لهم جياد في كل محطة. ومتى وصلت الرسالة إلى حاكم الإقليم، أذاع ما فيها على سكان إقليمه، وقد يلجأ، في بعض الأحيان، إلى إطلاق المنادين التى ينادون بما فيها.

استخدمت الحكومات كذلك النقش على الحجر، وكان لابد لها حينئذ من أحجار عدة، تُنقش على كل واحد منها، نسخة من التبليغ، الذي تريده، ثم تبعث بها إلى حيث تُوضع، في المعابد، التى يكثر تردد الناس عليها. ومن هذه الأحجار، حجر رشيد المشهور، الذي كان وسيلة للوقوف على سر الكتابة المصرية، وقد وُجدت من هذا الحجر (إلى منتصف القرن العشرين) نسختان، إحداهما أخذها الإنجليز، أثناء حملة بونابرت، ووضعوها في المتحف البريطاني، والثانية عُثر عليها، بعد ذلك، وهي توجد الآن في المتحف المصري. وكان حجر رشيد مكتوباً بثلاثة خطوط: اليوناني والديموطيقي والهيروغليفي، وهو يعود إلى عهد بطليموس الخامس، في نحو 196 قبل الميلاد. وكان الغرض من كتابته هو إذاعة قرار أصدره المجمع الدينى، في مدينة (Memphis) المصرية، فكان الخط اليوناني لليونانيين، والخط الديموطيقي لعامة الشعب، والخط الهيروغليفي للكهنة، وبذلك يمكن القول أن حجر رشيد كان جريدة واسعة الانتشار. ولا يقتصر الأمر على مصر، ففي معرض الصحافة، في (Cologne) كولونيا بألمانيا عام 1928، توجد قطعة من الحجر عُثر عليها في جزيرة كريت اليونانية، ويرجع تاريخها إلى القرن الخامس ق.م، نقش عليها باليونانية القديمة دعوة إلى وليمة. كما عثر على قطعة أخرى من الخشب، في استراليا، يرجع تاريخها إلى أكثر من ألفي عام، وعليها دعوة إلى وليمة كذلك، وهذا يشبه ما تنشره الصحف، الآن، من أخبار الزواج، والولائم والدعوة إليها.

تعد الرسائل الإخبارية المنسوخة المظهر البدائي، أو الأولي للصحافة، منذ الحضارات الشرقية القديمة، وهناك أوراق مصرية من البردي الفرعوني يرجع تاريخها إلى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد، تتضح فيها الحاسة الصحفية لإثارة الميول، عند القراء، وجذب انتباههم. فعلى واجهة معبد هيبس يوجد نقش فيه بنود

قانون يحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ضماناً لسير العدالة، وإيضاحاً لقواعد جباية الأموال، وإنذاراً بالعقاب عن الجرائم المتفشية، وأهمها الرشوة، والبلاغ الكاذب .

ويؤكد يوسف فلافيوس أنه كان، للبابليين، مؤرخون مكلفون بتسجيل الحوادث، شأنهم في ذلك، شأن الصحفيين في العالم الحديث. ولقد كان لـ بابل، في العصور القديمة، شهرة طيبة، في مصر الفرعونية. وبلغت أوج مجدها، في عهد الملك حمورابي، عام 2100 ق.م. الذي تنسب إليه أول صحيفة ظهرت، في العالم، وهي «مجموعة حمورابي للقوانين» التى عدّها علماء تاريخ القانون أول صحيفة لتداول القوانين، مثل صحيفة «الوقائع المصرية»، وغيرها من الصحف الرسمية، التى تنشر القوانين، واللوائح، والقرارات. وعرفت معظم الحضارات القديمة، كحضارة الصين والاغريق والرومان، الخبر المخطوط، فقد أصدر يوليوس قيصر عقب توليه سلطة روما، عام 59 ق.م، صحيفة مخطوطة اسمها «اكتاديورنا» (Actadurina) أي «الأحداث اليومية». يُكتب فيها أخبار مداولات مجلس الشيوخ، وأخبار الحملات الحربية، وبعض الأخبار الاجتماعية، مثل الزواج والمواليد والفضائح، وأخبار الجرائم والتكهنات. وكان للصحيفة مراسلون، في جميع أنحاء الإمبراطورية، وكانوا غالباً من موظفي الدولة.

1.6. بدايات الصحافة في أوروبا:

في أوروبا، و في العصور الوسطى، كان البابا يسجل أحداث العام على سبورة بيضاء ويعرضها في بيته، حيث يحضر المواطنون للإطلاع على ما تحمله. وعندما ازداد النفوذ البابوي، أصبح القول الشفهي، والسبورة، غير كافيين، فنشأت النشرة العامة، وهي لون من الأوراق العامة، و من ثم حلت النشرة الدورية، محل الحوليات الكبرى. استمر استخدام الرسائل الإخبارية المنسوخة، طوال العصور الوسطى، لخدمة التجارة، بين المدن الأوروبية المختلفة، وأصبحت مدينة **فيينا** مركزاً لهذه الخطابات، وأصبح هناك كتاب، مهنتهم كتابة الأخبار، أو الرسائل

الإخبارية، في جميع المدن الكبرى، وفي إنجلترا خاصة، ظهر ما يسمى بـ «الوريقات الإخبارية» (News Sheets) أثناء حرب الثلاثين (1618 - 1648)[3].

شكلت الرسائل الإخبارية المنسوخة، أو المخطوطة باليد، المظاهر الأولى للصحافة الأوروبية، خلال القرن الرابع عشر، في إيطاليا ثم في إنجلترا وألمانيا. وكان يكتبها تجار الأخبار تلبية لرغبة بعض الشخصيات الغنية، ذات النفوذ الكبير، والمتعطشة إلى معرفة أهم أحداث العالم. و كان لهؤلاء التجار، مكاتب إخبارية محكمة التنظيم، ظلت تعمل لحسابهم، خلال القرن الخامس عشر، وجزء من القرن السادس عشر، وكان يوجد، في مدينة البندقية بايطاليا، مكاتب كثيرة من هذا النوع. وكذلك في سائر العواصم الأوروبية. وكان تاجر الأخبار يستأجر العبيد، الذين يعرفون الكتابة، أو يشتريهم، ويملي عليهم ما جمعه، من أخبار، ليدوِّنوها، ويُعدوها للبيع والتوزيع على المشتركين، وخاصة رسائل الأخبار العامة، التى كانت تختلف عن رسائل المعلومات الخاصة الموجهة لكبار رجال السياسة والاقتصاد. و كان الاخوة فوجرز أشهر تجار الأخبار جميعاً، إتخذوا من مدينة اوجزبرج (Augsbourg) الألمانية مقراً لهم، إلى جانب مكاتب إخبارية فرعية، في لندن، وباريس وغيرها، من العواصم الأوروبية، ومدنها الكبرى. وكان الاخوة فوجرز متخصصين في أعمال المصارف، فنشروا، إلى جانب الأخبار السياسية والحزبية، أخباراً تجارية ومالية، ذات قيمة كبيرة للتجار ورجال المال.

بعد مرحلة الكتابة على ورق البردي، وغيره، ظهرت الكتابة على الصفحات الخشبية، إلى أن أمكن الطبع منها، باستخدام القوالب الخشبية، أو«الطباعة القالبية». وكان للفينيقيين بعد اختراع الورق، السبق مرة أخرى في اختراع الطباعة القالبية، وذلك بنقش الكتابة على لوح من الخشب، ثم تفريغ ما حول الكتابة، فتبقى الحروف بارزة، يوضع عليها الحبر، لكي يطبع منها العدد المطلوب، من النسخ. وكانت هذه هي الطريقة الشائعة في الصين كذلك، في القرنين الخامس والسادس ميلادي، ثم تطورت بعد أن اخترع بي شينج، العالم الصينى، أول حرف من الفخار، في عهد شينج لي، في أواخر النصف الأول من القرن

[3] JEANNENEY Jean-Noël, *Une histoire des médias, des origines à nos jours*, Seuil, 1996, p 17.

الحادي عشر. و في الوقت نفسه، كانت الطبقات الأرستقراطية، في أوروبا، تنفر من هذا النوع، من الطباعة، فتمسكت بالكتب النادرة المنسوخة[4].

توصل الغرب، في القرن الخامس عشر الميلادي، إلى ما اهتدى إليه بي شينج، من صنع حروف متفرقة. وتطورت الفكرة الجديدة إلى أن ظهر أول مخترع للحروف المعدنية المنفصلة، في ألمانيا في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، هو يوحنا جوتنبرج، المولود في مدينة ماينز (Mains) الألمانية، عام 1400 ميلادي. لاحظ جوتنبرج أن القراءة والتعلم مقصورين على الأغنياء، من دون الفقراء، بسبب نظام النُسَّاخ، الذين ينسخون الكتابات، لقاء أجر كبير لا يقدر عليه إلاّ الميسرون، ومن ثم فكر جوتنبرج في تكرار النسخ، على نطاق واسع، من خلال اختراع حروف الطباعة المتفرقة والمسبوكة من المعدن، مما أحدث إنقلاباً فكرياً لم يشهده العالم من قبل، إذ بفضل هذا الاختراع أمكن حفظ تراث الأجيال السابقة، وتمكين الأجيال اللاحقة من الانطلاق، في المعرفة والعلم وتطويع الطباعة، لخدمة الإنسان، في جميع أنشطته اليومية. و هنالك رواية أخرى تقول إن المخترع الحقيقي رجل هولندي، يدعى لوران كوستر، نجح في صنع حروف، من قشور الأشجار، وطبع بها بعض الأشعار، ثم ابتكر حروفاً منفصلة، من الرصاص والقصدير عام 1423. وكان **فاوست** يعمل عنده، فسرق أدوات الطبع، وهرب بها، إلى أمستردام، ثم إلى ماينز بألمانيا وهنالك تعرف على جوتنبرج، واشتركا معاً في نشر هذا الفن. ومن ثم، يكون جوتنبرج هو مخترع الطباعة الحقيقي، في رأي أغلب الكُتّاب، وإن كانوا يسلمون كذلك، بأنه سبقه عدة محاولات، منها محاولة لوران كوستر الهولندي .

وقد ثبت أن أول كتاب، طبع بحروف منفصلة، هو الإنجيل، الذي طبع باللغة اللاتينية فيما بين 1452 و 1455 ميلادية، بمدينة ماينز (Mainz)، ويحمل اسم جوتنبرج. و يذكر المؤرخون أنه، بعد نجاح تلك التجربة، انهالت عليه طلبات الطبع، لينتشر استخدام الحروف المنفصلة في مدن ألمانيا حتى بلغ ما طبع بها خلال أقل من خمسين عاماً، نحو أربعين ألف مطبوع، يبلغ عدد نُسخها ما يقرب من عشرين مليوناً. بعد نجاح فكرة الطباعة الحديثة في ألمانيا، انتقلت إلى باقي دول أوروبا في

[4] محمد حسين البردويل، 1996.

الفترة من عام 1456 إلى 1487 ميلادية، وكانت إيطاليا أولى الدول بعد ألمانيا في هذا المجال، ثم تلتها باقي الدول ثم انتقلت الطباعة إلى تركيا عام 1503، لتعرفتها روسيا عام 1553، أمَّا الولايات المتحدة فقد عرفتها عام 1836. أمكن بعد ذلك، طباعة عدد كبير من النسخ، من الخبر الواحد، مما يَسَّر وصول الخبر إلى أكبر، عدد، من القراء، إضافة إلى ما توفره الطباعة، من وقت وجهد[5].

على الرغم من اختراع الطباعة ظلت الرسائل الإخبارية المنسوخة باليد باقية حتى مطلع القرن الثامن عشر، أي بعد اختراع الطباعة بثلاثة قرون. و كانت هذه الرسائل تسد فراغاً كبيراً لا يمكن أن تسده الصحافة المطبوعة في ذلك الحين، لأن القيود الحكومية والرقابة الصحفية وقوانين النشر المختلفة، كانت تنصب على المطبوعات فقط، مما جعل لهذه الرسائل الإخبارية المنسوخة أهمية كبرى وخاصة عندما تكون الحكومة شديدة في رقابتها أو عندما تصادر المطبوعات أو تعطلها. كما تقدمت منشورات المناسبات الخبرية المخطوطة، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، وإلى جانب الصحفيين أدى المُخبرون، دوراً كبيراً في تأمين الأخبار وشكّلوا حتى عام 1789 شبكات إخبارية تكمل شبكات الصحافة الخبرية المطبوعة، و غدت الجرائد المخطوطة والصور والتقويمات حتى منتصف القرن التاسع عشر، أدباً شعبياً تتناقله الطبقات الشعبية وكان له تأثير يفوق الخبر المطبوع. و لكن، في نهاية القرن التاسع عشر، أدّى انتشار المطابع ورخص ثمن الصحف الشعبية، وارتفاع توزيع المطبوع منها، إلى اختفاء الخبر المخطوط نهائيا.

ساعد تزايد اهتمام الناس بأخبار المستعمرات، على انتشار النشرات الخبرية المطبوعة، عقب الكشوف الجغرافية، ثم وقوع الحروب التركية و الايطالية، التى اشتركت فيها غالبية دول أوروبا، وظهور حركة مارتن لوثر الدينية، وإزدهار عصر النهضة، ثم ما كان من سيطرة الطبقة البورجوازية، على الحياة الأوروبية، وتزايد الحريات.

بدأ ظهور الخبر المطبوع، عندما أصدرت بعض دور النشر نشرات مطبوعة، بأرقام مسلسلة، ولكن بشكل غير دوري، ثم ظهرت بعد ذلك، نشرات إخبارية مطبوعة في شكل أحداث سنوية منتظمة الصدور متضمنة بعض المعلومات الفلكية. واستمر ذلك

[5] نفس المصدر، ص 132.

حتى عام 1470، ثم ظهرت نشرات تصدر كل ستة أشهر في مدينة فرانكفورت (Francfort) الألمانية عام 1588، أصبحت شهرية ثم صدرت أسبوعية بصورة منتظمة. كانت هذه النشرات الأسبوعية تصدر، بمقتضى إمتياز تمنحه الدولة أو المدينة، مقابل فرض الرقابة عليها. و كانت تنشر من دون تعليق على الأخبار الخارجية و خاصة السياسية والعسكرية منها، وكان محظوراً عليها نشر الأخبار الداخلية.

تعد فرنسا أول دولة أصدرت صحيفة رسمية، فعندما تولى ريشليو مقاليد السلطة، أدرك فائدة الصحافة وأثرها على الرأي العام، و وجد في تيوفراست رينودو الرجل الذي يمكن الركون إليه في مثل هذا المجال، وفي عام 1631 أصدر رينو دو الجازيت، التى عُرفت باسم جازيت دو فرانس (La Gazette de France)، وكانت لا تنشر المقالات، بل أخباراً من كل لون، الداخلية منها والخارجية، بأسلوب مقتضب، أسوة بالأخبار الموجزة، التى تنشرها بعض الصحف اليومية، في الوقت الحاضر، وحذت معظم دول أوروبا حذو فرنسا فأنشأت صحفاً رسمية[6].

وفيما عدا هولندا وإنجلترا لم تظهر صحافة حرة في أوروبا، إلاّ بعد انقضاء قرنين من الزمن، ففي إنجلترا ظهرت الصحف لأول مرة بين 1641 و 1643، ولكنها كانت قصيرة المدى. ولما جاء البرلمان وضع لها نظاماً، إلاّ أن كرومويل، وأسرة ستيوارت، أعادا مرة أخرى، الامتياز والرقابة، فأصبحت الأقاليم المتحدة (هولندا) هي الملجأ الوحيد للصحافة الحرة و لمدة خمسين عاماً. وفيما عدا الجازيتات الهولندية، فقد ظلت جميع الصحف خاضعة للرقابة، ولإرادة الملوك والأمراء. أمّا صحافة إنجليترا، فتمتعت بالحرية، وزالت عنها الرقابة عام 1695، فأصبح للصحافة طابع خاص، وأخذ تأثيرها يتزايد مع الأيام.

ظهرت أول صحيفة إنجليزية يومية سنة 1702، وأطلق عليها صاحبها اسم الدايلي كورانت. أمَّا في فرنسا فقد ظهرت الصحيفة اليومية الأولى، عام 1777، باسم جورنال دو باريس (Journal de Paris). أمّا في الولايات المتحدة الأمريكية فقد ظهرت أول صحيفة عام 1690 في بوسطن وهي صحيفة ذي بابليك أوكُورنس (The Public Ocurrence). وفي عام 1704 ظهرت صحيفة ذي

[6] ALBERT Pierre, 2002, *La Presse*, PUF, collection Que sais-je ? p 16.

بوسطن نيوزليتر (The boston News Letter). وفي عام 1728 ظهرت صحيفة بنسلفانيا جازيت (Benselvania gazette)، التي أصدرها بنيامين فرانكلين (كان ثالث رئيس لجمهورية الولايات المتحدة بعد أن تحررت)، في فيلادلفيا. وساعد إنشاء الخدمات البريدية على رواج الرسائل الإخبارية المنسوخة، ثم الصحف المطبوعة فيما بعد. وكان الغرض من إنشاء الخدمة البريدية هو جمع الخطابات والصور في مكان معين، ونقلها بسرعة وانتظام إلى المرسل إليه، لقاء أجر معلوم.

هذا و كان انتظام الخدمات البريدية سبباً مبكراً، في تطور الصحافة الإخبارية، و سِعة انتشارها. وكانت مواعيد صدور الصحف تتفق مع مواعيد توزيع البريد. و يلاحظ أن سبب انتشار الصحف الصادرة، ثلاث مرات أسبوعياً، هو أن الخدمات البريدية كانت توزع، ثلاث مرات أسبوعياً، ولم يكن من الميسور إصدار الصحافة اليومية لولا تقدم الخدمات البريدية. ومن الطريف أن معظم الصحف كانت تحمل اسم البريد، مثل البريد الطائر (Flying Post)، و (Messenger Weekly) البريد الأسبوعي، والـ (Evening Post) البريد المسائي، و (Night Post) البريد الليلي، وغيرها.

على الرغم من أن نشأة الخدمات البريدية كان نعمة على الصحافة الإخبارية، إلاّ أنه يعيب ذلك أن المسؤولين في البريد كانوا يحتكرون الأخبار الخارجية ويتصرفون فيها كما يشاءون. وكان أصحاب الصحف يدفعون لمُديري البريد إشتراكات سنوية نظير الحصول على ترجمة ملخصة للصحف الواردة من الخارج، كما كان بعض مسؤولي البريد يرتشون مقابل تفضيل بعض الصحف على غيرها، وإعطائها الأولوية، في تسليم الأخبار، مما جعل جون والتر، رئيس تحرير جريدة التايمز (Times) اللندنية، على سبيل المثال، يعيِّن مراسلين لصحيفته في الخارج، لكي يحبط مؤامرات رجال البريد، غير أنهم كانوا يستولون على الرسائل الواردة من مراسلي التايمز، ويطلعون على ما فيها، وكثيراً ما كانوا يعمدون إلى تأخير وصولها للجريدة. وعندما كشفت صحيفة **التايمز** ألاعيب رجال البريد ونشرتها عام 1807، رُفع الأمر إلى القضاء، وحُكم على الصحيفة بغرامة قدرها مائتا جنيه تعويضاً واعتذاراً للبريد.. ولما عاودت التايمز هجومها مرة أخرى بعد ثلاثة

أسابيع، وعُرض الأمر على النائب العام، أمر بحفظ التحقيق وعدم تقديم الصحيفة للمحاكمة[7].

2.6. صحافة القرن الثامن عشر:

كانت إنجلترا سبَّاقة، في هذا القرن، في نهضة الصحافة، إذ ظهرت فيها أول صحيفة يومية منتظمة، عام 1702، هي جريدة دايلي كورانت (Daily corants). كما كانت الصحافة الأمريكية سباقة إلى الاستعانة بما يدفعه التجار، من مال، ثمناً للإعلانات.

وفي عام 1746 أسس فيلدنج جريدة كوفنت جاردن جورنال (Cofnet Gardent Jornal)، و خصَّص فيها باباً جديداً لنشر وقائع جلسات المحاكم التأديبية. و مازالت صحف لندن، إلى اليوم، تنشر تفاصيل القضايا اليومية، في المحاكم، بصورة تزيد على ما تنشره الجرائد الفرنسية أو غيرها. ثمّ ظهرت، بعد ذلك، بخمسة عشر عاماً، أولى المقالات، التي تناولت شؤون المسرح. وكانت تضم إعلانات بسيطة، عن المسرحيات، مع تحليل لها. أمّا وقائع جلسات مجلس النواب فبدأ نشرها بشكل منفصل، عامي 1728 و 1729، في صحيفة بابليك أدفيرتيزر (Public advertiser)، ولم يظهر النقد بمعناه الصحيح، إلاّ في عام 1780.

وفي عام 1785، أسس جون والتر الثاني جريدة التايمز (Times) الشهيرة، التي لا تزال تصدر في لندن، إلى اليوم. ولكن دأبت الحكومة على مناوأتها، مما اضطر صاحبها إلى استخدام سفنه الخاصة، في نقل البريد، وتوزيع الصحيفة، ونقل مراسليه، وبذلك يكون أول من استخدم البخار في خدمة النشر.

3.6. صحافة القرن التاسع عشر:

بحلول القرن التاسع عشر، تطورت الخدمات الصحفية، وظهر العديد، من المستحدثات التكنولوجية، في مجال الإنتاج، والمعالجة وإرسال المعلومات.

[7] MARTIN Marc, 1997, *Médias et journalistes de la République*, Editions Odile Jacob. P 112.

وصل تطور الخدمات الصحفية، في النصف الأول، من القرن التاسع عشر، إلى درجة التفوق على الخدمات الحكومية، فوكالة رويترز (Royters) البريطانية، مثلاً، كانت تحصل على المعلومات والأخبار قبل أن تحصل عليها الحكومة. وجريدة جورنال اوف كومارس (Journal of Commerce) الأمريكية كانت تسبق الحكومة الأمريكية، في معرفة الأنباء، وتنقلها، بين بوسطن ونيويورك عبر مساحة تبلغ 227 ميلاً. ولكنها كانت تحتاج إلى عشرين ساعة، من المواصلات، في ذلك الوقت.

ومن ناحية أخرى، تفتقت أذهان الصحفيون عن حِيل عديدة، للتغلب على عقبات المسافات البعيدة. ففي عام 1837، نظَّم الصحفي الأمريكي د.اش.كرايج أسراباً من الحمام، يزيد عددها على الخمسمائة، لنقل الرسائل، بين مدن فيلادلفيا، و واشنطن ونيويورك وبوسطن ومن الطريف أنه أعد مهبطاً لها، فوق سطح مبنى صحيفة نيويورك صن. ويذكرنا ذلك بالصحف الحديثة، في أوروبا وأمريكا، التى يقام، على أسطح مبانيها، مهابط للطائرات العمودية، التى يستخدمها مندوبو المستقبل في أعمالهم الصحفية. وقد كانت وكالات الأنباء، في أول إنشائها، تستخدم الحمام الزاجل، لنقل أخبارها.

ثم جاء اختراع التلغراف، عام 1837، على يد، مورس، فكان بمثابة ثورة، في عالم الاتصال، غيرت وجه الفن الصحفي، وجعلت تطور وكالات الأنباء حقيقة مؤكدة. و ما لبث كبار الصحفيين أن أدركوا خطورة التلغراف، وأثره على نقل الأخبار. فيقول جيمس جوردون بنيت، في مقال له، عام 1844، بصحيفة نيويورك هيرالد: «إن نقل الأخبار بالتلغراف سوف يوقظ الجماهير كلها، ويجعلها أكثر اهتماماً بالمسائل العامة، وسوف يصبح، للمفكرين، والفلاسفة، والمثقفين جماهير أكثر عدداً، وأشد إثارة، وأعمق فكراً، من أي وقت مضى».

ولم يكد يبدأ استخدام التلغراف، في إنجلترا عام 1845، حتى بدأت الأسلاك تمتد بين سائر المدن. وفي عام 1851 إرتبطت فرنسا بإنجلترا تلغرافياً، عن طريق خط من الأسلاك الممتدة، تحت سطح البحر، بين كاب جرينية و دوفر. و ما أن أتى عام 1852، حتى بلغ طول الخطوط التليفونية، في الولايات المتحدة الأمريكية 16735 ميلاً. زادت إلى 50 ألف ميل، عام 1860. لتصل إلى 110727 ميل، عام 1880.

ارتبطت أوروبا بأمريكا في عام 1858، عن طريق خط من الأسلاك الممتدة، تحت مياه المحيط الأطلسي، غير أنه انقطع عن العمل بعد الرسالة الرقم 269. و كانت أول برقية أذيعت، على هذا الخط رسالة تهنئة، موجهة من الملكة فيكتوريا، إلى الرئيس الأمريكي بوكنان، الذي لم يصدق الأمر، وظن أن المسألة خدعة، ولكنه رد على الملكة عندما أكد له المسؤولون إن الاختراع حقيقة واقعة. وأعيد مد هذا الخط العابر للمحيط الأطلسي، في 28 جويلية 1866، واستخدمته الصحافة، على نطاق واسع. وفي العقد السابع، من القرن الماضي، جرى الاتصال، براً وبحراً، بين بريطانيا والهند واليابان كما امتدت الخطوط، بين أمريكا وجزر الهند الغربية، من جهة، وبينها وبين أمريكا الجنوبية، من جهة أخرى، ولما كانت تكاليف إنشاء هذه الخطوط باهظة للغاية فقد استلزم الأمر تضافر الجهود لإنشاء الاتحادات والوكالات، التى تستطيع أن تغطي تلك المصروفات.

وفي عام 1875، إخترع الكسندر جراهام بيل التليفون، فكان بمثابة دفعة قوية، وقفزة رائعة للفن الصحفي، بوجه عام، ولنقل الأخبار، عن طريق الوكالات، بوجه خاص. ومنذ عام 1927، أصبح التليفون عاملاً مهماً و رئيسياً، لنقل الأخبار، عبر المسافات الطويلة، عن طريق دوائر تربط القارات سلكياً ولاسلكياً. وأصبحت المدن البعيدة تتصل، بعضها البعض، في دقائق معدودات، بعد أن كان يستغرق شهوراً وسنوات. وخاصة بعد أن امتدت خطوط المواصلات عبر المحيط الهادي.

يعد اختراع الراديو أخطر ثورة، في تاريخ الاتصال، بين القارات، انعكس ذلك، بشكل واضح، على الوكالات. و يرجع اختراع الراديو إلى ماركوني، الذي تمكن، في عام 1896 من إستخدام هذه الوسيلة اللاسلكية للاتصال لأول مرة في التاريخ، وتلاه آخرون في تطوير إستخدامه مثل فيسبندن الذي أرسل، عام 1906 رسائل لاسلكية مختصرة إلى السفن في البحار مصحوبة ببعض القطع الموسيقية مع التهنئة بحلول عيد الميلاد.

واستخدم الهاتف اللاسلكي في أول الأمر بطريقة بدائية جداً، إلاّ أنه أخذ، في التطور حتى أصبح حقيقة واقعة عملياً مع بداية عام 1900، عندما صُنع جهاز إرسال تليفوني لاسلكي، وبُنيت أول محطة إذاعة قرب نيويورك ليلة راس السنة للعام

1906، إستمع إليها عدد كبير خلال أجهزة إستقبال. ولقد كان لهذه المحاولة أهميتها على الرغم من أن الموسيقى كانت غير واضحة عند إستقبالها، لدرجة يستحيل معها تمييز الآلات الموسيقية المستخدمة عن بعضها أو الآلات الموسيقية عن صوت المغنى في الأغنية المذاعة.

كان اختراع صمام الراديو هو الخطوة التالية المهمة في تطوير أجهزة الإرسال اللاسلكية وتلي ذلك قيام دي فورست باستخدام **برج إيفل** بباريس في مارس 1908، للإرسال الإذاعي.

وقد جذبت محاولاته التالية أنظار الجماهير حتى عام 1917، عندما اشتركت الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب العالمية الأولى. وشارك دي فورست وآخرون في تطوير الإذاعة الصوتية وتحسينها، منهم أمير موناكو، الذي كان يبث إذاعته، من يخته عام 1913، إلاّ أن هذه الإذاعات كانت ضعيفة الالتقاط في بداية الأمر. وكان نشوب الحرب العالمية الأولى سبباً في تعطيل تقدم الإذاعة إلى حد كبير، فقد سيطرت الحكومات على جميع المحطات اللاسلكية كما منعت محطات الهواء واقتصر البث على الأخبار العسكرية[8].

4.6. الصحافة الفرنسية:

في الوقت الذي تمتعت فيه الصحافة الإنجليزية خلال القرن الثامن عشر بحرية أقرّها البرلمان ووافق عليها رؤساء الأحزاب. كانت الهوة سحيقة بين الصحافة الإنجليزية التى تخلصت من الرقابة عام 1695 وبين صحافة باقي القارة الأوروبية، فبينما وصلت الأولى بعد نضال مرير إلى تدعيم استقلالها ودعم حريتها، بقيت الثانية بإستثناء النشرات الإخبارية المطبوعة (الغازينات) خاضعة لأهواء الرقابة و لنزوات الحكام. فكانت الصحافة الفرنسية تعاني من الحجر السياسي الذي فرضته عليها الحكومة الملكية كما تعاني من الحجر التجاري الذي فرضه عليها الاحتكار، احتكار صحيفة جازيت دي فرانس للأخبار السياسية، وإحتكار ميركور دو فرانس (Mercur de France) للأنباء الأوروبية والاجتماعية، واحتكار

[8] المصدر نفسه، ص24

جورنال دو سافان (Journal de Savane) للأخبار العلمية. وبدأ الشعب الفرنسي عامة والباريسي خاصة يتخلص من الوصاية التى فرضت عليه أيام حكم لويس الرابع عشر، و على الرغم من بقاء النظم والقوانين سارية، إلاّ أن التقاليد والعادات أخذت في التطور وتطلع الفرنسيون إلى معلومات أكثر نضوجاً ونقداً أكثر جرأة، لذلك لم تعد الصحف الفرنسية تكفي لإرضائهم[9].

و بدأ الأمر بإدخال بعض التعديلات على الاحتكار، فسمحت السلطات بتصريحات ضمنية أو صريحة بتأسيس صحف جديدة، بعد أن تدفع هذه الصحف مبلغاً من المال إلى الدورية صاحبة الامتياز، نظير تنازلها عن بعض احتكاراتها. و حظيت صحف أخرى بحق الطبع خارج فرنسا ثم الدخول إليها، نظير دفع مبلغ من المال إلى خزانة وزارة الخارجية. و تحايل الناشرون الأكثر ذكاء على القانون و الإحتكار، بأن انتهزوا فرصة تساهل الحكومة معهم، وعمدوا إلى تحرير صحفهم في باريس على أن ينسبوا نشرها إلى مكان ما في الخارج. و إذا كان الإحتكار قد تحطم بهذه الطريقة فإن الرقابة ظلت على ما هي عليه من الصرامة والقسوة، على أنه كلما توالت الأيام والسنين في القرن الثامن عشر كان الكُتاب يزدادون جرأة، وكانت الحكومة تزداد تهاوناً وضعفاً. و إذا كانت الصحافة الفرنسية لم تستطع أن تلعب الدور الأول في التغيير، بعد أن تهيأت لها الظروف لذلك، بسبب أنفة الفلاسفة والمفكرين من العمل فيها، إلاّ أنها لعبت دوراً كبيراً في القضاء على عيوب العهد القديم في فرنسا خلال القرن الثامن عشر[10].

و يرى المؤرخون أن الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة، التى لم تضطهد الصحافة في ذلك العصر، وهي و إن كانت أكثر الدول حداثة إلاّ أنه توجد فيها أقدم الصحف. وكان أول من أدخل المطبعة إلى أمريكا هو توماس جرين. وشهدت بوسطن عام 1704، صحيفة بوسطون نيوزلايتر الأسبوعية، التى أسسها جون كامبل في ورقة واحدة من الحجم المتوسط، وكان ذلك بداية لطور جديد في صحافة المستعمرات، فبعد أن كانت الصحافة هواية، بدأت تدخل

[9] BOURE Robert, *Les origines des sciences de l'information et de la communication. Regards croisés*, Lille, Septentrion. P 54.
[10] ALBERT Pierre, 2002, *La Presse*, PUF, collection Que sais-je ?

في طور الاحتراف، وبعد أن كانت معظم الصحف المنتظمة الصدور شهرية، شهدت **بوسطن** أول صحيفة أسبوعية منتظمة تُنشر في أمريكا كلها[11].

1.4.6. ظهور الصحافة اليومية:

في أواخر القرن السابع عشر ظهرت اليومية الأولى وكان ذلك بمدينة ليبزيغ الألمانية عام 1660، ولكن الانطلاقة الفعلية للصحف اليومية لم تبدأ في الغرب إلا مع أواخر ذلك القرن واستمرت في التطور إلى غاية السنوات الأولى من القرن التاسع عشر حيث كثرت اليوميات وعرفت رواجا وازدهارا كبيرين، وانتشر النشاط الصحفي تبعا لذلك وبرزت مهنة جديدة هي مهنة الصحفي، وبدأت تظهر القوانين الجديدة التى أخذت تحدد هذا النشاط وتمنح للصحفيين بعض الضمانات المسهلة لمهامهم، وهو ما فتح بابا واسعا لصراع كبير بين الصحافة والسلطة القائمة استمر طيلة القرن التاسع عشر في مختلف بلدان أوروبا، وفي النصف الثاني من ذلك القرن عرفت الصحافة الغربية اليومية ازدهارا كبيرا جعل البعض يسمي هذه الفترة بالعصر الذهبى للصحافة، وهنالك عدة عوامل أساسية ساعدت على هذا الازدهار أهمها ما يأتي:

1. ظهور وكالات الأنباء التى تقوم بجمع الأخبار والمعلومات وتوزيعها بصفة سريعة على مختلف الصحف التى تبرم معها عقودا تجارية، وهو ما سهل مهمتها كثيرا.

2. استعمال الإشهار التجاري بواسطة الصحافة بحيث أصبحت الصحف تكسب موارد إضافية لمبيعاتها مما جعلها تقوم بتخفيض سعر النسخة الواحدة بما يجعلها في متناول جميع القراء.

3. اكتشاف وسائل طبع حديثة وخصوصا الروتاتيف التى بدأ العمل بها عام 1870 وحققت قفزة كبيرة في مجال زيادة عدد النسخ المسحوبة يوميا.[12]

[11] Le Guide de la Presse, 2002, ouvrage collectif, Editions Alphom, Paris.

[12] زهير إحدادن : « الصحافة المكتوبة في الجزائر» ، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1991، ص17ـ18.

4. دخول القيم الرأسمالية إلى عالم الصحافة، حيث أصبحت الصحيفة تخضع لمنطق الربح وهو ما أثر كثيرا على الأساليب التحريرية التى بدأت تبتعد عن الكتابات الأدبية[13].

ـ الصحيفة اليومية كوسيلة إعلام مهمة:

باعتبار المجتمع الفرنسي اكثر الشعوب قراءة في العالم، فقد كانت و لا زالت الصحافة الفرنسية اليومية أهم الوسائل الإعلامية التى أعطت دفعا للحضارة الفرنسية الحديثة، وهي لا تزال تحتفظ ببريقها إلى يومنا هذا، وذلك لارتباطها بثقافة المجتمع الفرنسي و هواية مجتمعه الاولى و هي عادة القراءة، رغم التقدم الكبير الذي حققته الوسائل السمعية البصرية.

فالصحف و على تنوعها، تبقى المورد الأكبر للكميات الضخمة من المعلومات اليومية لدى المجتمع الفرنسي، و شخص من ثلاثة اشخاص (الثلث) من المجتمع الفرنسي يطلع يوميا غلى جريدة على الاقل ، خاصة المجانية التى توزع صباحا و مساءا في محطات الميترو و مواقف الحافلات و المحطات النقل، فثلث المجتمع الفرنسي يلقي نظرة على أخبار السياسة والاقتصاد والرياضة والثقافة ومختلف التحقيقات والمقالات والمواضيع والإعلانات

فالصحف الفرنسية من اثرى وسائل الاعلام و اثقلها في فرنسا، إذ و لو قارناها بمختلف وسائل الاعلام الاخرى فهي تقدم لنا كمية كبيرة من المعلومات، و في وسعها معالجة المواضيع المعقدة و المتشابكة، من خلال الخوض في مختلف جوانب الحياة اليومية من خلال شلة من الخبراء الاكفاء و الصحافيين المحترفين و رجال ذا وزن سياسي و اقتصادي ثقيل ... فهي وسيلة إعلام مهمة ومتميزة من خلال العلاقة الخاصة و الحميمية التى تقيمها مع قرائها، خاصة بعد اقتحامها عالم الهواتف الذكية من خلال التطبيقات التى تتيحها للمجتمع، عدا انها توفر لهم الحرية في اختيار المضامين التى يرغبون في الإطلاع عليها في الوقت والمكان المناسبين.

[13] Lochard Guy et Boyer Henri: *La communication médiatique*, édition du Seuil, Paris, 1998, p48

2.4.6. نماذج عن الصحافة الفرنسية:

1.2.4.6. صحيفة « لوموند»:

صحيفة «لو موند» «Le Monde» و تعنى «العالم» هي من أشهر الصحف الفرنسية وتعد من الصحف التى يعتمد عليها في توثيق الأحداث في فرنسا، وهي صحيفة مسائية، والصحيفة الوحيدة التى توزع خارج نطاق الدول الفرانكفونية. اذ يمتد استهلاكها الى كبريات العواصم العالمية، فهي تسوق في نيويورك، بكين، استراليا، دول الخليج و دول شمال افريقيا و كل الدول الاوربية، و على موقع الانترت الخاص بها يمكن لغير الفرنسيين قراءة الجريدة من خلال تطبيق الترجمة الخاص بالمضامين الاعلامية و التى يبقى الحصول عليها بمقابل مالي. و قد أسس الصحيفة هيوبتر بيوف ميري (Hubert Beuve-Mery) بطلب من الجنرال تشارل ديجول بعد طرد الألمان من فرنسا عقب الحرب العالمية الثانية، وقد صدر عددها الأول في 19 ديسمبر 1944م[14].

تعد «لوموند» من صحف وسط اليسار، أو ما يمكن أن يطلق عليه صحف معتدلة في مواقفها في الحياة السياسية الفرنسية. وبينما كانت مؤيدة لسياسات الرئيس الفرنسي ميتران، فقد كانت كثيرة الانتقاد لسياسات جالك شيراك ومعه الرئيس السابق ساركوزي و فراسوا هولاند و الرئيس المنتخب ايمانيال ماكرون. ومن أهم ما تتميز به الصحيفة هو تركيزها الأكبر على الآراء والتحليلات السياسية التى تتميز بها، فصحفيو الجريدة يعتبرون من اهم اصحاب القرار في فرنسا، و ذلك لتاثيرهم في الراي العام الفرنسي و كدا التاثير على السياسة الفرنسية الداخلية و الخارجية في شتى القطاعات. و تعتبر الجريدة مصدرا توثيقيا للأحداث الفرنسية على وجه الخصوص. وقد صدر عام 2003 كتابا جدليا بعنوان «الوجه المخفي للوموند» (The Hidden Face of Le Monde) انتقد فيها قيادات الصحيفة بانهم غير فرنسيين في حرصهم على المصالح الفرنسية العليا، ويضعون أنفسهم في دوائر ضيقة تفقدهم الاستقلال السياسي، و تزج بهم في تبعية حزبية، وقد اعترضت الصحيفة على ما كتب عنها في هذا الكتاب ـ الذي

[14] http://en.wikipedia.rg/wiki/le_monde

ألفه كل من بير بيان و فيلب كوهن وتم الاتفاق على عدم طباعة أي طبعات أخرى لهذا الكتاب في تسويه بين الطرفين

تتميز «لو موند» بهيكلية إدارية تضع العاملين فيها ليس فقط كموظفين، بل مساهمين فيها، ويشاركون في انتخابات الإدارات والقيادات العليا في المؤسسة. وقد أصاب «لوموند» ما أصاب باقي الصحف في العالم، من تناقص في توزيع الصحيفة، حيث انخفضت من حوالي 406 آلاف نسخة في عام 2001م إلى حوالي 364 ألف نسخة عامي 2004 و 2005م. و تجدر الاشارة إلى ضرورة التفريق بين «لوموند» الصحيفة اليومية وبين «لو موند دبلوماتيك» (Le Monde Diplomatique) التي هي عبارة عن إصدرا شهري تمتلك صحيفة ليموند منه 51٪ من أسهم هذا الإصدار[15].

2.2.4.6. صحيفة « لو فيغارو»:

صدرت «لو فيغارو» (Le Figaro) الأسبوعية من بداية تأسيسها عام 1826، ولم تكن منتظمة حتى عام 1954م عندما امتلكها ديفيليميسان الذي حولها إلى صحيفة مهمة وذات توزيع كبير من بين الصحف الفرنسية. وقد دخلت «لو فيغارو» معترك الحياة السياسية عندما إغتالت زوجة أحد رؤساء الوزرار كايلوكس رئيس تحرير الصحيفة كالمت عام 1914م عندما نشر رسالة تتهم زوجها بالفساد. واستمر تقدم الصحيفة بين الصحف المنافسة، إلى أن وصلت إلى الصحيفة الأولى في فرنسا مع بداية الحرب العالمية الثانية، وأصبحت الصحيفة صوت الطبقة الوسطى في المجتمع الفرنسي، وخاصة الشرائح العليا من هذه الطبقة، وأصبحت صوتا محافظا في الحياة السياسية[16].

ويمتلك رجل الأعمال المعروف سارج داسو (Dassault) نسبة كبرة ومؤثرة من أسهم ملكية هذه الصحيفة، وهو سياسي محافظ ومالك لكثير من شركات تصنيع و بيع الأسلحة بما فيها الثقيلة في فرنسا. وهذا أثار الكثير من اللغط حول الإستقلال

[15] زغبى وليد: «صورة المهاجرين العرب في الصحافة الفرنسية المكتوبة»، مذكرة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة قسنطينة، 2008

[16] http://en.wikipedia.org/wiki/le-figaro

التحريري للصحيفة، لإنتمائته (ولإنتماءات إبنه) لأحد الأحزاب السياسية في فرنسا (UMP)، مما جعله في فترة سابقة يقول بأن الصحيفة يجب أن تطرح الأفكار الصحيفة، وأن الفكر اليساري لا يرتقي لدرجة من الصحية التى تؤهله أن يجد مكانا في مثل هذه الصحيفة.

3.2.4.6. صحيفة « ليبراسيون» :

أصدر الفيلسوف والمفكر الوجودي جين بول سارتر وآخرون من مفكري اليسار صحيفة «ليبراسيون» (Liberation) عام 1973م والتى تعنى الحرية أو التحرير ومركزها العاصمة الفرنسية باريس. ونفس الإسم كان إسم صحيفة مقاومة فرنسية للاحتلال الألماني أثناء الحرب العالمية الثانية في شمال فرنسا، وفي جنوبها، حيث صدرت عام 1941، و لكن الشكل المستمر من هذه الصحيفة هو الذي أصدره سارتر عام 1973، وكان رئيسا لتحريرها إلى غاية 24 ماي 1974.

وجاء هذا الإصدار نتيجة تداعيات مظاهرات الاحتجاج التى اجتاحت فرنسا وكثير من عواصم ومدن العالم الغربي في نهاية الستينيات. و يتمركز الخط السياسي للصحيفة في يسار الوسط. ومنذ بدايتها مع الخط اليساري في الثقافة والحياة السياسية الفرنسية، الا أنها تعرضت لمطبات كثيرة خلال الثمانينيات والتسعينيات، إلى درجة أنها خرجت تقريبا من محور اليسار السياسي بحكم تبنيها لبعض القضايا التى أغضبت قرائها من أصحاب هذا التوجه. وقد وصل توزيعها عام 2007م إلى حوالي 140000 نسخة، بتراجع منتظم خلال السنوات الماضية، حيث كان توزيعها عام 1999 حوالي 170000 نسخة يوميا[17].

ومن الملفت للنظر أن الفلسفة اليسارية قد أثرت على بناء هياكلها الإدارية، حي لم يكن يوجد أي نظام هرمي في السلطة الإدارية يعكس تفاوت في السلم المالي لموظفي الصحيفة، وقد تحدد راتب واحد يتقاضاه رئيس التحرير ونفس الراتب بدون زيادة أو نقصان يتقاضاه عامل النظافة و ذلك العامل الذي يحضر القهوة. ولكن لم يدم ذلك كثيرا، حيث دخل مستثمرون جدد في الشراكة لرأس مال الصحيفة، كما دخل الإعلان – الذي كان محرما عليها – ضمن إيرادات

[17] http://en.wikipedia.org/wiki/lib%c3%a9rations

الصحيفة في الثمانينات، مما اضطر الصحيفة أن تعود إلى النظام المالي الاعتيادي الذي يفرق بين وظائف الصحيفة حسب الهيكل الإداري لها.

وقد توقفت الصحيفة لفترة قصيرة حوالي ثلاثة أشهر خلال عام 1981، ولكنها عادت تحت إدارة يرج جولاي (July) أحد مؤسسيها، الذي رسم لها خطوطا سياسية واضحة، حيث بنت سياستها التحريرية على مقاومة العنصرية، ودعم حقوق العمال وحقوق المرأة.

لا ترتبط جريدة «ليبارسيون» بأي حزب سياسي في فرنسا، ولكن تعكس على صفحات الرأي فيها مختلف وجهات النظر السياسية، ولهذا يراه البعض كصحيفة بديلة للصحف الفرنسية القائمة. وتعرضت الصحيفة خلال عامي 2006-2007 إلى هزات عنيفة، اضطر فيها جولاي أن يستقيل تحت ضغط روثشيلد (Rothschild) أحد رجال الأعمال الذي امتلك (37%) من رأسمالها، وقدم آخرون استقالاتهم احتجاجا على تدخلاته في التحرير. وانتقل الجدل بينه وبين جولاي وغيره إلى صفحات صحف أخرى، كانت أبرزها « لوموند» ، التى استأثرت بكثير من الغسيل والفضائح عن هذه الصحيفة.

3.4.6. اشكال و نماذج عن الصحف الفرنسية:

كومباكت (Compact) هو مصطلح بريطاني، يعنى تحول صحيفة جادة (Quality) من طباعة برودشيت إلى مقاس أصغر حجما، لكنه أكبر من مقاس التابلويد. و الكومباكت يسمى أيضا في الأدبيات الصحافية بيرلاينر (Beriner) هو المقاس الوسطي بين التابلويد و بين البرودشيت يسمى احيانا (midi) و تعنى الشكل الوسطي في حجم الصحيفة. ويصل طول هذا المقياس إلى 47 سم، و عرضه 31.5 سم، أي اطول من صحف التابلويد، ولكنها ليست أعرض منها الا بأقل من سنتيمتر تقريبا. و على الرغم أن الكثير من الباحثين و المحللين الإعلاميين يرون أن أي تحول من نظام البرودشيت إلى نظام مقاسي أصغر هو تحول نحو التابلويد، الا أن مسئولي تلك الصحف يرون أن التحول يجب ان يعطى تسميات جديدة، مثل كومباكت (Compact) أو بيرلاينر (Beriner) و ذلك حتى لا ينظر القراء أن هذا التحول على أنه انتصار لصحف التابلويد، وحتى يعطي

الإحساس بأن التوجهات التحريرية لهذه الصحف لم يتغير، فلا تزال الجدية هي الأساس الذي تنتهجه هذه الصحف لسياستها التحريرية. ويبدو أن هذا النظام الورقي سيأخذ مكانته من بين الأنظمة الورقية في الصناعة الصحافية، حيث سينضم إلى النموذجين السابقين، البرودشيت و التابلويد. و تأتي في مقدمة الصحف التى تنعت مقاسها الجديد بالكومباكت صحيفة «لوموند» وصحيفة «لي إكو» (Les Echos) الفرنسيتين.

جدول رقم 01: توزيع أهم الصحف اليومية الفرنسية الواسعة الانتشار بين 1999 و 2015

Titre	1999	2000	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013	2014	2015
Le Parisien	473 112	488 145	506 810	509 114	505 419	507 492	505 490	517 365	534 032	524 510	492 269	470 583	482 460	429 973	420 588	355 275	330 314
Le Figaro	388 652	380 529	386 529	359 108	352 706	341 193	342 445	338 699	324 479	336 888	331 022	333 237	332 120	335 845	329 175	325 459	321 592
Le Monde	390 945	382 772	405 983	407 235	382 249	367 923	367 153	355 107	355 695	345 143	322 139	319 022	322 272	318 293	323 432	292 529	292 054
L'Équipe	388 139	387 388	377 691	331 239	333 533	305 722	355 333	355 349	335 929	323 493	315 504	314 569	296 239	255 133	251 630	226 894	229 722
Les Échos	122 933	128 342	127 445	120 393	116 980	119 370	120 313	137 449	135 709	137 775	127 361	125 446	121 269	126 091	127 007	128 169	129 455
Libération	183 427	169 011	171 551	146 286	155 115	146 109	144 490	135 411	132 989	132 458	117 547	118 285	121 707	124 371	125 869	97 603	91 642
Le Croix	86 476	86 774	87 849	92 273	94 929	96 517	102 404	103 873	106 206	104 297	102 738	106 151	105 369	115 699	105 089	112 372	120 632
La Tribune	85 825	90 218	87 577	82 142	80 469	80 546	82 868	91 345	86 118	91 084	74 168	78 164	75 170	-	-	-	-
L'Humanité	-	50 107	47 155	46 128	45 175	48 369	52 829	54 788	52 530	52 439	52 466	51 010	53 878	46 900	43 744	46 632	39 384
France-soir	-	-	-	-	-	62 207	53 633	27 519	21 175	23 304	27 698	27 108	27 260	-	-	-	-

5.6. الاهتمام بالشؤون الدولية في الصحافة:

بتزايد الاحداث الغريبة التى اكتسحت جل المجتمعات و بتزايد اعمال العنف و الارهاب و الصراعات و الحروب، تزايد اهتمام المجتمعات الحديثة بالشان الدولي لتعقد مظاهر الحياة الإنسانية وتشابك المصالح والعلاقات وزيادة الترابط بين مختلف نقاط وأقاليم العالم، و لهذا كان دابت جميع وسائل الاعلام و منذ القدم الى اطلاع الراي العام بالاحداث التى تميز المجتمعات المجاورة و الباقي المجتمعات الغربية ، و سايرت تطورات الاحداث يوميا من خلال تخصيص أقساما وأركانا تعالج فيها عديد القضايا والشؤون والمستجدات على الساحة الدولية.

يعتبر القسم الدولي في صحافة اليوم أبرز الأقسام للاهتمام الكبير الذي يوليه القراء إلى الإطلاع على مختلف المعلومات والقضايا المطروحة على الساحة الدولية، و التى أصبح الكثير منها ذو أهمية كبيرة في حياتهم اليومية. فا العالم بأسره متتبع لنشاطات داعش في بلاد الشام و ليبيا، و كل العالم تابع الثورة التونسية و المصرية، كما تتبع المجتمع الدولي الحرب في ليبيا ... و لهذا كان على الصحف وخاصة اليومية منها أن توفر كل الدعم والإمكانيات اللازمة لتحسين أداء أقسامها الدولية والتى أصبحت في كثير من الأحيان معيارا لأهمية الصحيفة و وزنها على الساحة الإعلامية الدولية.

الطفرة التكنولوجية التى شملت جل حياتنا بصفة عامة و تكنولوجيات الاعلام و الاتصال على وجه الخصوص ادت الى تطوير صناعة الاعلام لدرجة ان الصحيفة الواحدة قد تتلقى يوميا الاف البرقيات من وكالات الأنباء العالمية المشتركة فيها، و كذا عشرات التقارير من مراسليها و كم هائل من الاخبار التى تبث على الفضائيات، و مواقع الأنترنت و شبكات التواصل الاجتماعي.

محررو القسم الدولي في جريدة «لوموند» الفرنسية على غرار كبريات اليومية الاوربية هو محررون محترفين، لهم خبرة كبيرة في ميدان كتاباتهم، كما انهم اشخاص ذوو نفوذ و سلطة يجيدون في معظمهم لغات حية عدة، و يملكون ثقافة واسعة و قدرة تحليلية كبيرة، من خلال اساليب الاقناع التى يعتمدون عليها، و منطق البرهان و الحجة، لهم كبير الاثر على جمهور القراء.

كما تستعين الجريدة محل الدراسة بمختصين دوليين في شؤون السياسة الاقتصاد، الرياضة، و غيرها من محاور الجريدة، و في تطرقها لمواضيع العرب و الشؤون الدولية بصفة عامة أو بشؤون دولة أو منطقة الحدث بصفة أدق فلها شبكة هائلة من المراسلين المختصين الشيء الذي يجعلها تساعد القارئ في اخذ صورة كاملة عن الأحداث وخلفياتها لكن برؤية كاتب المقال و توجه الجريدة، لكن بإجماع جل الاعلاميين و المختصين فالرسالة الإعلامية لجريدة لوموند تتصف بمصداقية كبيرة و وسطية و اعتدال و موضوعية الى حد كبير بفضل احترافية اعلاميي الجريدة. اذ يعتبر الشق الدولي في الجريدة أحد أهم الأقسام التى تعطي «لوموند» بعدا و حجما ومكانة اكبر في الساحة الإعلامية الدولية.

ففي كثير من الأحيان كانت «لوموند» من خلال تقاريرها الصحفية السباقة على نشر و تفسير الكثير من الامور و التغيرات الحاصلة في العلاقات بين دول وأقاليم العالم المختلفة و لعل اخرها اشكالية اوراق بنما العام 2016 و التى استقال على اثرها الكثير من كبار الشخصيات من مناصبهم، و كذلك الحالة الصحية للرئيس الجزائري بوتفليقة ... اذ تتناول الجريدة أحداث ومواضيع و تغطيها باهتمام كبير و تحليل منطقي و وافي يشبع رغبات القارئ وفضوله،

6.6. الصحافة الفرنسية و رقابة الدولة:

إن حرية التعبير التى طولب بها في عام 1789 في فرنسا، لم يتم تحقيقها سوى لمدة أربع سنوات ونصف على مدار قرنين من الزمن. فرقابة الدولة وصلت إلى أقصاها في سنوات 1944 إلى 1954، أين تم تأميم كل الصحف. و النظام القائم الآن، وإن كان يحافظ على الحريات رسميا، فهو خاضع للرقابة في كل المراحل من طرف مصالح الوزير الأول، ومن ذلك امتلاك نصف أسهم وكالة فرانس برس (France PRESSE)، التقليص المشروط للأعباء الاجتماعية وقيمة الضريبة المضافة، الدعم المباشر لليوميات الكبيرة، ممارسة الرقابة على القنوات التلفزيونية والإذاعية من طرف مجلس رقابة السمعي البصري (Conseil Supérieur de

(l'Audiovisuel، الخ.. وهذا ما يؤدي إلى نشر مواضيع متواضعة جدا، وتُعتبر الأقل قراءة في الدول الديمقراطية[18].

لقد طوّر الغربيون مفاهيم مختلفة عن حرية التعبير و دور الصحافة، حسب الصورة التي كانوا يعطونها للمصلحة التنفيذية ومدى شرعيتها. ويمكن لنا أن نميّز بين أربع اتجاهات كبرى حسب الإعلامية [19] (DAGNAUD Monique) :

• فبالنسبة للدول الإسكندنافية، تعتبر شرعية الجهاز التنفيذي، تابعة للحسابات التي يقدّمها للشعب، وهذا ما يعني أن حرية الصحافة محددة بكونها حرية الوصول إلى المعلومات أكثر من كونها مظهرا لحرية التعبير. و هكذا، تبنّت السويد في 02 ديسمبر 1776 قانونا يسمح للمواطن بالإطّلاع على الوثائق الرسمية. و اليوم، على مختلف الإدارات واجب الإعلام بكل وثائقهم، بعد 24 ساعة فقط، إلا إذا كان هنالك تحفظات استثنائية لها ما يُبَرَّرُها. وقراءة الصحف اليومية يُعتبر بالتالي فعلا حضاريا لأنه يساهم في المراقبة التي يمارسها المواطنون على السلطة التي تفقد شرعيتها بدونها.

• أما في المملكة المتحدة، فإن التعبير يعتبر حرا مثل سائر القدرات البشرية. ومنذ عام 1662، التزم الملك شارل الثاني بعد استعادة العرش من الديكتاتور كرامويل بالحفاظ على الحرية والقضاء على الرقابة التي كانت سائدة قبله. وكانت الصحافة مسجّلة ضمن القانون الجماعي ولم تكن تخضع لنصوص معينة.

• و في الولايات المتحدة الأمريكية، جعل الآباء المؤسسون الحرية في مواجهة طغيان التاج البريطاني، تماما مثل تعميم الديمقراطية. ولهذا كانت حرية الصحافة وسيلة لتفتيت الرأي العام. وطُلب من وسائل الإعلام تأسيس سلطة رابعة. و كان أول تعديل كُتب في مدونة الحقوق في 25 سبتمبر 1789 يقضي بأن «الكونغرس لن يصادق على أي قانون يَحُدُّ من حرية الصحافة».

[18] SMITH Antony, 2001, *l'indépendance du journaliste*, in : l'année sociologique, n°2, vol 51. p 192.

[19] DAGNAUD Monique, 1991, *Gouverner sous le feu des médias*, In : le débat, numéro 66, sept-oct 1991, p 85

• و في جنوب أوروبا، كانت حرية التعبير ضرورية للوصول إلى قرارات عقلانية. فهي تعارض سلطة الباباوات الذين حرّموا النقاش حول العقيدة النصرانية. وفي تلك الأثناء، كان الثوار الفرنسيون لا يعتبرون الحرية كضرورة إلا إذا كانت مُؤطّرة بقانون من أجل تجنّب أن يستعملها البعض قصد حرمان الآخرين منها. و بالنسبة لهم، فالصحافي مواطن مثل باقي المواطنين، وتعبيره ليس شرعيا إلا إذا ساهم في النقاش الديمقراطي، وفي بناء المصلحة العامة.

تفتخر فرنسا اليوم كونها «وطن حقوق الإنسان» بسبب ما أعلنته في عام 1789، على أنه نموذج سياسي أصلي يُستعمل إلى اليوم كمثال. و لكنّ ثمّة هوة سحيقة بين الشعار وبين الدعوة للتطبيق الفعلي لهذه الآمال، فهي تُظهر جموحها كلما تعلق الأمر بتطبيق المبادئ التى رفعتها. و حتى قبل اختراع المطبعة، أخضع النظام الملكي الصحافة للرقابة (أي بترخيص مسبق) إلى درجة الحكم بالإعدام. وصدرت الصحيفة الأولى التى أنشأها ثيوفراست رينودو (Théophraste Renaudot) بميزة ملكية. وعلى الرغم من مظهرها المستقل، فإنها كانت على الأرجح تُحرر مباشرة من طرف الوزير ريشوليو (Richelieu) مع الحس النقدي الذي أراد فرضه عليها[20].

لم تظهر الصحافة الفرنسية الحرة إلا في عام 1789، أين أثمرت الأوراق والنشرات الهجائية التى توقفت السلطة عن قمعها. وكانت النشرية الحرة الأولى قد صدرت على يد المناضل الفرنسي جاك بيير بريسو (Jacques Pierre Brissot) وفي نفس الأثناء، لم تكن الجمعية التأسيسية تعمل في مصادقتها على حرية التعبير سوى الرضوخ لأمر واقع، ولكنها أعطته مفهوما فلسفيا. ولم يتمحور النقاش حول التعبير السياسي بالمفهوم الحالي، وهو ما كان يحظى بالإجماع، ولكنه كان يتمحور حول الصحافة الداعرة، حيث كانت تمثّل الموضة التى تمزج بين الإثارة الجنسية والأفكار الاقطاعية. وكان نواب دينيون يخشون من أن تؤثّر على الشباب وتضلّه عن معالم الايمان وتغوص بالمجتمع من ثم في بحر الإباحية والفوضى. ولكن الأغلبية اصطفت إلى جانب ميرابو (Mirabot) (الذي كان بنفسه كاتبا إباحيا) وقرروا أنه لا يوجد أحد مؤهّل لممارسة الرقابة على الآخرين. لكن هذه

[20] المصدر نفسه، ص 88

الحرية لم تدم طويلا. فعلى الرغم من كونها مؤكدة من طرف دستور 1791، فإنه تم إلغاؤها بمجرد استقرار الإستبداد و الحكم المطلق في بلدية باريس بمرسوم 20 أوت 1792. وتمت مصادرة المطابع فجأة، ومُنعت النشريات التى وُصف أصحابها بأنهم يقومون بتسميم الرأي العام[21].

لم تعاود حرية التعبير الظهور إلا مرة واحدة في تاريخ فرنسا، و لمدة عام ونصف فقط، بمناسبة ثورة 1848، ولكنها تم تعليقها من طرف الأمير الرئيس لويس نابليون بونابرت (Louis Napoléon Bonaparte) عندما وضعته الحكومة في قفص الاتهام بسبب خرق الدستور بعدما أُرسلت القوات الفرنسية لمساندة البابا ضد الإمبراطورية الرومانية[22].

خلال القرنين التاسع عشر و القرن العشرين، أجهدت الحكومات المتعاقبة نفسها في اختراع الحجج التى تؤدي إلى مراقبة الصحافة. فقانون 29 جويلية 1881، الذي سجّل انهزام حزب التنظيم الأخلاقي للماريشال مالك ماهون (Mac Mahon) والبداية الحقيقية للجمهورية الثالثة كانت بمثابة صك تراض بين الحريات الشخصية ومصلحة الدولة التى تحولت لصالح السلطة الاقتصادية، وساهمت في تفشي الفساد العام للصحافيين. ولكن أكثر الأشياء غرابة هو ما توصلت إليه الحكومة المؤقتة، فعندما دخل شارل ديغول (Charles de Gaulle) إلى باريس في 26 أوت 1944، أصدر مرسوما محررا في الجزائر العاصمة يقضي بتأميم كل الصحافة المكتوبة والمسموعة والمرئية. وكانت فرنسا هي الدولة الوحيدة غير الشيوعية التى لجأت إلى مثل هذه الأعمال. حيث أن الفكرة التى كانت سائدة في تلك الفترة هي أنه من أجل أن نكون موضوعيين، فإن الصحافة يجب أن تكون مصلحة عامة. و هكذا صارت الدولة هي الكفيلة بالـ «الحقيقة» ولو كانت على حساب الروح النقدية. وأصبحت كل الصحف والإذاعات والمطابع مُجمّعة وموضوعة تحت الحراسة، وأعطيت هذه الأملاك إما إلى صحفيين وناشرين يُعتقد أنهم شاركوا في المقاومة ضد المحتل النازي، أو إلى شركات تتكفل بتسييرها دون امتلاكها.

---

[21] MARIET François, 1999, *Le difficile interculturalisme des médias*, pp. 193-207, *in* : Abdallah-Pretceille M., Porcher L, dirs, 1999, *Diagonales de la communication interculturelle*, Éd Anthropos, Paris.

[22] Beaud P, Flichy P, Pasquier D, Quéré L, dirs, 1997, *Sociologie de la communication*, Paris, Cnet.

اختار فرنسوا ميتيران (François Mitterrand)، الوزير الأول للإعلام في الجمهورية الخامسة، أغلب المستفيدين المحظوظين من التنازل عن المطابع والصحف المصادرة أثناء فترة التحرير. وليس من تلاعب الأقدار أن يحصد أحد أصدقائه، وهو روبير هرسان (Robert Hersan)، أحد المتعاملين مع العدو، الصحف التى كان يستغلها في فترة الاحتلال. و لم يتم خصخصة الصحافة المكتوبة إلا في عهد بيير منديس فرانس (Pierre Mendès France) سنة 1954، ولكن الحكومة إحتفظت لنفسها بهيمنة غير مباشرة على السحب بما أن تعاونية تجمع ممثلي وزارة الإعلام تحتكر لنفسها التجارة في ورق الصحف وتُحدّد بذلك التوزيع العادل للمخزون إلى غاية عام 1986. وكان يجب الانتظار إلى غاية عام 1982 كي يُخصخص فرنسوا ميتيران، الذي أصبح رئيسا للجمهورية، الإذاعة جُزئيا، ثم عام 1986 ليُخصخص جاك شيراك التلفزيون جُزئيا. و اليوم كذلك، هناك «مصلحة عامة للسمعي البصري»، وهذا ما يعنى وجود قنوات حكومية يُجهدون أنفسهم في عرضها، مخالفين للحقيقة بذلك، كضمان، ليس للموضوعية فقط، ولكن للتفوق والمثالية. ومع ذلك لم يخطر ببال أحد أن يؤكّد أن تطوير الجرائد يمُرُّ عبر إنشاء صحف يومية حكومية[23].

7.6. الصحافة الفرنسية المعاصرة تحت أيدي الدولة:

إن النظام الفرنسي الحالي يتمثّل بظاهر قطعي للحرية المزدوجة وتحكّم سُلطوي في كل المستويات. فأولا، يصطدم الحصول على الخبر بأهواء الإدارات وأسرار الدولة، إذ قنّنت السويد مثلا الحصول على الوثائق العامة منذ أكثر من قرنين، غير أن فرنسا توقعت عملية إجرائية محتشمة للوصول إلى الوثائق الإدارية، وأخرى لرفع أسرار الدفاع. و لكنها في الواقع إشترطت في الأولى انقضاء مهلة تقارب سنة ونصف في حالة رفع دعوى قضائية. كما تصطدم الثانية بامتناع شبه منظّم. إن حماية المُخبرين الذين يوصلون إلى الصحافة وثائق سرية، عامة أو خاصة، لا يمكن إعتباره شيئا كافيا، و ذلك أنها محدودة بحق الصحفي في حماية مصادره، مع العلم أن هذا المبدأ لا يمكن تطبيقه في قضايا الإرهاب مثلا.

[23] Réseau de presse non-alignée - Le mythe de la liberté de la presse en France : http://www.voltairenet.org/article14060.html

فالقانون لا يحمي الموظّفين الذين ينشرون وثائق مخبأة إعتباطا، خدمة للصالح العام، و لا يحمي الصحافيين من التلاعبات، و يعاقب المُحبِر الذي يهدف إلى الإضرار بالغير، مثلما يجري به العمل في النرويج.

إن المادة الأولى لليوميات الفرنسية تُعطى من قبل وكالة صحافية وحيدة، وهي وكالة فرانس برس (France Presse). وتجد الصحف نفسها تمزج نفس الأخبار وتعلق عليها لإستهداف أطراف مختلفة. لقد كانت وكالة فرنس برس مؤسسة حكومية إلى غاية عام 1957، وهي تملك اليوم وضعا جديدا يُفترض أن يؤمّن إستقلالها التحريري، ولكن يأتي نصف مواردها من زبائنها والنصف الآخر من الدولة، وإن كان كل واحد يُجهد نفسه في إنكار ذلك، فإن وكالة فرانس برس واقعة تحت سيطرة الدولة كما توضّحه المعارك الأسطورية التى تحيط بالتعيين السياسي لرئيسها[24].

قصد التحكم في مكاتب التحرير، عمدت السلطات الفرنسية إلى تخفيض عددها، ولهذا شهدنا تجميعا غير مسبوق للصحافة اليومية. حيث تم تسجيل الصحافيين في بطاقية وطنية، يتضمنها ممثلين للوزير الأول. كما أنه على الصحف أن تسجّل من طرف لجنة متساوية التمثيل في الصحافة، أين يوجد ممثلون آخرون عن الوزير الأول كذلك، وهذا من أجل الاستفادة من النسبة المخفّضة لضريبة القيمة المضافة إلى (2.1%) بدلا من (19.6%). و هم يستفيدون كذلك من أسعار جدّ تفضيلية في البريد[25]. و بهذا الدعم غير المباشر، يُضاف دعم مباشر من طرف مصالح الوزير الأول لليوميات الوطنية. ومنع أو سحب أي اعتماد لهذه الصحف يساوي كل أنواع الرقابة، وهذا ما يؤدي إلى الحكم على الصحيفة المعنية بالإفلاس الفوري .وإذا قاومت الصحيفة، فإنها تُحجب في السوق التى لا تخضع للمنافسة الحرة.

تتغذى الصحافة أيضا من العائدات الإشهارية. و تتدخّل الدولة مجدّدا من أجل تحديد القطاعات التجارية التى يمكن لها الإشهار حول الدعائم المكتوبة والدعائم

[24] BRETON Philippe, PROULX Serge, 2002, *L'explosion de la communication. Á l'aube du XXIè siècle*, Paris, La Découverte. P 21.

[25] GREVISSE Benoit, 1993, *Autorégulation ou déontologie, les conditions d'un débat sur les pratiques journalistiques*, recherches en communication

السمعية البصرية، وذلك بطريقة تحافظ على توازن إصطناعي كما يتم توزيع الصحافة المكتوبة عن طريق مؤسسات توزيع تعاونية. و لهذا يجب على الصحف الانضمام إلى واحدة من هذه المؤسسات لكي يتم توزيعها في الأكشاك، ولا يمكن بيع الصحف بطريقة أخرى لأنه يمنع بيع الصحف في جوار الأكشاك. و لقد تخلصت من نظام الرقابة هذا اليوميات مجانية التى اصبحت توزع في مواقف الحافلات و المناطق العمومية بالمجان. وفي هذا النظام، يتم تثبيت اللامساواة بين العناوين، فمؤسسة التوزيع الرئيسية يملك ناشر صحف نصفها، خاصة وأنه يتم تزويد الأكشاك مرتين في اليوم، دورية في الصباح وأخرى بعد منتصف النهار، وهي دورية خاصة بصحيفة «لوموند» ، وهذا لضمان تقدّمه على منافسيه.

اما في مجال الصحافة المرئية والمسموعة، أدّت قلة الموجات الهرتـزية المشرّع إلى تأسيس مجلس أعلى للسمعي البصري مكلف بتوزيع هذه الموجات حسب «أفضلهم ثقافيا» . ولكن هذا المجلس تجاوز صلاحياته ومؤهلاته، مع العلم أن أعضاءه يتم تعيينهم عن طريق المحسوبية لا الإنتخاب، حيث نصب المجلس نفسه رقيبا على القنوات الأرضية، ثم على القنوات الفضائية أو المبثوثة عن طريق «الكـابـل». وتم إنشاء رابطات تعتبر الدولة فيها طرفا قويا، وذلك من أجل مراقبة البث عن طريق الأقمار الاصطناعية أو«الكابل» وفي تلك الأثناء، كان نظام المراقبة المؤسس على قواعد غير صلبة عاجزا عن مواجهة انتشار التقنيات الحديثة. ولقد تمت المصادقة على قانون حول الاقتصاد الرقمي الذي يُخرج حرية التعبير في الأنترنت عن الإطار العام. اذ يحق للإعلامي او الصحفي التكلّم مباشرة عبر شبكة التواصل الاجتماعي او شبكة اليوتيب او غيرهما على شبكة الأنترنت كما يحق له اعادة نشر موضوع له سبق له وأن نشره في صحيفة شرعية مرة ثانية على شبكة الأنترنت[26].

إن حرية الصحافة لا يمكن لها أن تُعْجَب بنفسها إلا بعيون الجهاز القضائي الذي يؤمّن لها الانسجام في العمل. وفي القرن التاسع عشر، قرّر جورج كليمونصو (Georges Clemenceau) أن لا تحاكم الصحف في المحكمة بتهم جنحية، وعن طريق قضاة معيّنين من طرف الدولة، وحرص على أن تحاكم الصحافة

[26] SMITH Antony, 2001, *l'indépendance du journaliste*, In : l'année sociologique, n°2, vol 51, p 116

عن طريق هيئة محلفين شعبية. و كان هذا الإجراء الضروري قد أُلْغِي من طرف الحكومة الفرنسية نهاية الثمانينات و لم يُعد العمل به إلى اليوم. و هنا كذلك، إذا كانت الغرف المختصة مسيرة من طرف قضاة لا يملكون صلابة كبيرة، فإنه ما علينا سوى أن نلاحظ فقط المعارك التى تحيط بتعيينهم لكي نقيس الطابع السياسي لأعمالهم. ومن هذا النظام المغلق بسرية، يمكن إنتاج صحافة محترمة، ومع ذلك فهي لا طعم لها، وهذا ما يجعل الجمهور لا يعبأ بها. و مع أقل من 20 نسخة من اليوميات مقابل كل 100 راشد، تأتي فرنسا في ذيل الدول المتقدمة التى تملك مستوى تعليميا يُضاهي مستواها، وهي بذلك تقع مباشرة خلف روسيا، وبعيدة عن المملكة المتحدة (40 نسخة)، وجد بعيدة عن النرويج (75 نسخة)[27].

8.6. مصداقية الصحافة:

المصداقية تعنى ببساطة المؤشرات التى تحدد صدق المضمون الصحفي من كذبه، ويعتبرها البعض البديل العملي للمسؤولية الصحفية. ويتوسع البعض[28]، في مفهوم مصداقية الصحافة، فيحدد له الأبعاد الثلاثة التالية:

أولاً: مصداقية القائم بالاتصال (المحرر أو المذيع أو المخرج التلفزيوني مثلاً)، وتشمل:

- عدم التسرع في نشر الحقيقة.
- العمل لصالح الحقيقة، وليس لصالح الحكومة أو الجريدة.
- نشر الحقائق بطريقة مباشرة، وليس بالإشارة أو التلميح.
- مراعاة العرف والتقاليد في نشر الحقائق.
- عدم المساس بالحياة الشخصية للآخرين، أو نشر الفضائح.
- البعد عن الأخبار الكاذبة، والقصص الملفقة، حتى لو كانت موافقة لأغراض رئيس التحرير، وسياسات الدولة.

ثانياً: مصداقية المضمون وتشمل:

[27] Ecole de journalisme de Lille www.esj-lille.fr (rubrique "Docpresse")
[28] Mc Nair Braian, 2000, *journalism and democracy an evaluation of the political public sphere*, London and New York: Routledge

- وضوح الرسالة حتى في أوقات الخطر.
- اليسر والسهولة، في تناول الحقائق.
- نشر الحقائق، بكل أبعادها السلبية.
- الدقة في تناول الخبر.

ثالثاً: مصداقية الوسيلة وتشمل العناصر التالية:

- اعتماد الصحيفة على كتاب موثوق فيهم.
- تعبير الصحيفة عن هموم واحتياجات الشعب.

و في دراسة ميدانية عام 1996 يحدد المارسون، في الصحافة المصرية، المفاهيم المتعددة التى تكون معنى مصداقية الصحافة، و من أهمها:

أولا: إن مصداقية الصحافة تعنى أمرين:

- الأول: مصداقيتها بالنسبة إلى القارىء، والثاني مصداقيتها بالنسبة إلى صانع القرار عموماً، حيث تعنى الجوانب التالية:

-مدى دقة المعلومات وصحتها، التى تنشرها الجريدة، ومدى موضوعية صاحب الرأي فيها، لأن الخبر معياره الدقة، والرأي معياره موضوعية الكاتب أو صاحب القلم.

ـ مدى شمولية التغطية الصحفية في عرض وتقديم مختلف جوانب الحقيقة، بمعنى أنه من الممكن أن تقتصر بعض الصحف في تغطيتها للأخبار على ما يجري في بلدان أخرى وتسكت عما يجري في بلادها.

- الثاني: مصداقيتها بالنسبة إلى صانع القرار أو مصدر الأخبار، حيث تعنى القدرة على معرفة ما يجري بالنسبة إلى الشعب أو الجمهور أو المستهلك. أي، إلى أي مدى يستفيد صانع القرار من انعكاسات ما يجري في الصحف في إصدار قراره؟ وهل يأخذ ما رآه ويضعه موضع الاعتبار أم يعده مجرد شوشرة ونقد مغلوط؟ ففي كثير من الدول يستخدم صانع القرار ما تنشره الصحف في قياس

اتجاهات الجماهير أو الرأي العام في قضايا أو مصالح أو أشخاص أو مشروعات بهدف اتخاذ القرار السليم أو الموقف الصحيح.

ثانيا: إن مصداقية الصحافة تعنى:

- التوازن في عرض الرأي والرأي الآخر، أثناء التغطية الصحفية الشاملة.
- الدقة في مراجعة المادة الصحفية، قبل نشرها، بحيث تصبح الدقة من السمات الواضحة للصحيفة.
- وضوح الأفكار والاتجاهات في الموضوعات والقضايا والأشخاص والأحداث.
- إسناد الكلام لمصدره، مع الثقة في هذا المصدر.
- محاولة التجرد، من العمل، لصالح جهة بعينها، وعدم تبنى وجهة نظر تلك الجهة وعدم تجاهل وجهات النظر الأخرى.
- عدم إخفاء أو حجب أي معلومة عن القارئ.
- الأمانة والعدل، في نقل الأخبار للناس.
- تعدد المصادر.
- مراعاة الصحفي لضميره.
- تقديم الحقيقة وتأكيدها من خلال إظهار الباطل.
- ثقة القارئ في صدق ما تقوله الصحافة، ولا يتأتى ذلك إلاّ بالحرية، لأنه من الصعب أن يثق القارئ في صحافة غير حرة، حتى لو كانت صحافة بلاده.

يضيِّق بعض الباحثين، ومنهم، عزة عبدالعزيز عبدالله[29]، مفهوم المصداقية بحيث يقصره على مصداقية المادة الصحفية فقط، على النحو التالي:« مصداقية الصحافة هي نوع من المعالجة المهنية والثقافية والأخلاقية للمادة الصحفية، بحيث يتوافر فيها كل أبعاد الموضوع، والاتجاهات المطروحة حوله، بطريقة متوازنة تستند على شواهد وأدلة، ودقة، في عرض الموضوعات، وفصلها عن الآراء الشخصية، التى ينبغي أن تعلن بوضوح وصراحة، وتتجرد من الأهواء والمصالح الخاصة، بحيث تتسق مع الآراء الأخرى، التى تطرحها الصحيفة، أو يطرحها الكاتب، في وقت آخر، أو موضع آخر، وذلك في إطار من التعمق والشمولية، يراعي علاقة الخاص بالعام،

[29] عزه عبد العزيز:« مصداقية الإعلام العربي»، العربى للنشر والتوزيع. 2006

وربط الجزء بالكل، شرط أن تعكس هذه المادة الصحفية أولويات الاهتمام عند الجمهور».

و نعتمد في دراستنا هذه على أربعة مقاييس لقياس مصداقية جريدة «لوموند» الفرنسية و هي:

- المقياس اللغوي : بمعنى أن وضوح اللغة، في التعبير، يعد عاملاً حاسماً في صدق الرسالة الإعلامية، بينما يؤكد غموض اللغة في الرسالة الإعلامية في معظم الأحيان، عدم المصداقية.
- المقياس الأيديولوجي: بحيث لا تحجب النظرة الأحادية بقية الأبعاد، فتصبح الواقعة، أو القضية، أو الظاهرة غير واضحة، بسبب غيبة بقية الأبعاد، التى تجلي الواقعة، أو القضية، أو الظاهرة، وتزيدها وضوحاً ومصداقية.
- مقياس عدم المعرفة، أو جزئية المعرفة: يرتبط هذا المقياس بجهل القائم بالاتصال، أو عدم معرفته للموضوع، الذي يكتب عنه، حتى ولو كان خبراً صغيراً.
- مقياس التزوير: وهو يمثل جانب الجريمة المباشرة، في المنطلقات الأساسية، لدراسة المصداقية في إعلام أي مجتمع من المجتمعات، وفي أي نوع من الإعلام.

9.6. الصحافة الفرنسية وأزمة المصداقية:

نشأت أزمة المصداقية الاتصالية، أو فجوة المصداقية الإعلامية، كرد فعل لزيادة عدد الرسائل الإعلامية، خاصة مع ظهور الصحافة المجانية في كبريات المدن الفرنسية، و التى تبثها وسائل الإعلام العديدة، وزيادة كمية المواد الإعلامية، والتى تسعى إلى جذب انتباه جمهور أكثر. وتلخصت أزمة المصداقية الاتصالية في فرنسا، منذ نهاية الخمسينيات، في التساؤلات عديدة كان أهمها: ماذا نصدق؟ من نصدق؟ وأي من الرؤى ووجهات النظر العديدة أصح؟ وهل هذا الانتشار الهائل للمعلومات يساعد على أن نعيش حياة أفضل، ونتفاعل، بشكل أكثر إيجابية، اتجاه الآخرين؟ ونهتم بشكل أفضل بالعالم حولنا، ويجعلنا ننمو، وننضج، بشكل أقل إحباطاً؟[30]

[30] Mc NAIR Braian, 2000, *journalism and democracy an evaluation of the political public sphere*, London and New York, Routledge, p 209

مما يزيد من خطورة ما سبق، فإن وسائل الإعلام و الاتصال عامة و الصحافة خاصة، قد تجعل المجتمع يعيش في جو من الحلم أو الأمل، أو التوقع للأحسن، وقد لا يتحقق معظم توقعاتها، فتصاب بثورة من الإحباط واليأس المدمر، أو تجعله يعيش في عالم من الوهم، والشعارات المزيفة، التى تجعله في حالة من التخدير النفسي والتنويم، لا يفيق منها إلاّ على حدث ضخم، اقتصادي أو سياسي، يجعله يقر بالحقيقة المُرَّة و هي: إن ما قُدم له كان غير صادق، وغير حقيقي، وغير موثوق فيه. وقد جعل هذا الانفجار الإتصالي، بعض الأشخاص الأكثر حساسية ينسحبون، ويرفضون التعامل مع الصحافة، فقد وجدوا ان الجهل ربما يكون نعمة، أفضل من تزييف الوعي الاجتماعي والسياسي. وما فعله هؤلاء يعد أمراً في غاية الصعوبة على الآخرين، فمادياً لا يستطيع المجتمع المستهلك للإعلام الهرب من هذا الانفجار الإتصالي، بل كان ينبغي عليه أن يتعلم كيف يتعايش معه، بفطنة وذكاء، وإلا فسوف يعاني، والأجيال اللاحقة، من السقوط المباشر فكرياً وحضارياً.

وترجع أهمية مصداقية الصحافة، إلى أن جماهير القراء، عندما لا تثق فيها، وتحترمها وتقدرها، باعتبارها مؤسسة من مؤسسات المجتمع، ولا تقنع بالمعلومات التى تقدمها معتقدة أنها تحذف أو تشوه أو تعدل فيها، فسوف تلجأ إلى مصادر أخرى غير رسمية للمعلومات، اذ يلجؤون الى شبكات التواصل الاجتماعي، او الى مواقع الانترنت و غيرها، بل و يسألون الأصدقاء والجيران، وبعض المصادر غير الموضوعية، والأسوأ من ذلك، أنهم قد يصنعون المعلومات من مخيلتهم الخاصة، و هو أمر يحدث كثيراً في أوقات الحروب و الأزمات، وعندما تُفرض الرقابة على الصحافة و على نشر الأخبار. بفعل سيطرة السلطة على وسائل الاتصال عموما وتوجّه مصادر الأنباء، تكثر الشائعات والهمسات والقيل و القال، وتنشط الصحافة السرية[31].

أمَّا عبارة فجوة المصداقية، وهي العبارة التى ظهرت خلال إدارة الرئيس الأمريكي ليندون جونسون وما تزال باقية، فإنها تعنى الشك العام في صدق الحكومة الفيدرالية فيما تقوله للشعب، و إمتد هذا الاعتقاد إلى مجالات عديدة أخرى في

[31] المصدر نفسه، ص 211.

بلدان العالم. ولكن كيف يمكن مواجهة ذلك ؟ يقول خبراء الإعلام والاتصال، وخبراء أجهزة العلاقات العامة، والقائمون على الحملات الإعلامية، ان الحل من السهل جداً وصفه ولكن من الصعب جداً تحقيقه. فالجمهور المستهلك للإعلام ينبغي أن يكون مقتنعاً بأن الحكومة تقدم له الحقيقة باعتبارها المتحكم الوحيد فيه، ولا شيء غيرها، وينبغي أن يكون مقتنعاً كذلك، و أنه في بعض الحالات، لا تستطيع الحكومة أن تذيع الحقيقة كلها، بسبب تأثيرها على الشؤون الخارجية[32].

مما سبق، صِلة وسائل الإعلام بالاتصال وطيدة، فهي الأداة، والوسيلة التى يمكنها أن تصنع المصداقية والثقة بين الشعب والحكومة، وقد تتسبب كذلك في خلق فجوة مصداقية، وأزمة ثقة بين الشعب والحكومة، ولا شيء يثير ثائرة الحكومة الفرنسية مثلما يثيرها فجوة المصداقية هذه، أو أزمة الثقة وسحب الشك التى تغلف ما يصدر عن المسؤولين فيها. و لا شيء يضايق أصحاب السلطة والنفوذ، مثلما يضايقهم إحساسهم بأنهم مُعَرّضُون يومياً، لاختبار حسن النية وحسن التصرف من خلال ما تكتبه الصحف، وما تذيعه باقي وسائل الإعلام. و قد شهدت العقود الأخيرة، زيادة في الاهتمام بقضية المصداقية في فرنسا، نتيجة لظاهرة انهيار الثقة في وسائل الاتصال، والتى أشير إليها بعبارة أزمة المصداقية، التى امتدت وتطورت، لتصبح انهياراً للثقة في كل مؤسسات المجتمع الفرنسي.

كرد فعل لأزمة المصداقية، شهد عقدا الستينيات والسبعينيات ما سمي بالاتصالات البديلة والإعلام المضاد، وهما مصطلحان يشيران إلى مجموعة متنوعة من الأوضاع، مظهرها المشترك، معارضة وسائل الاتصال الرسمية والمؤسسية، ويندرج تحتها مجموعات محلية تصمم على كسر احتكار نظم الاتصالات المركزية، وأحزاب سياسية أو جماعات تهتم بأشكال متنوعة من أنشطة الاتصالات المعارضة، كما يندرج تحتها كذلك المنشقون والمعارضون للمؤسسات القائمة، والأقليات التى تتوسع في قدراتها المتعلقة بوسائل الاتصال والمجموعات المعنية بالتجارب البيئية الجديدة. و لم تكن القوة الدافعة هي عدم وجود الاتصالات، بل الرغبة في إعادة تقييمها وتوسيع نطاقها، على ضوء شعور جديد بأهميتها في المجتمع. تجسّدت هذه الظاهرة بصفة

[32] Mc NAIR Braian, 1998, *the sociology of journalism*, Arnold, London, p 77

خاصة، في البلدان الصناعية، إلاّ أنها موجودة كذلك في بعض البلدان النامية، ولاسيما في بلدان المغرب كالجزائر و تونس و المغرب خاصة.

و في خط موازٍ للاتصالات البديلة والإعلام المضاد، ازدادت شعبية الإعلام الفردي، الذي يستفيد من تطورات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، مثل التلفزيون السلكي ثنائي الاتجاه، والاستقبال المباشر من الأقمار الصناعية من خلال الهوائيات، وإذاعات الهواة و الهواتف الذكية التى حلت محل الاقمار الصناعية و التلفاز ... و أجهزة تسجيل الفيديو، وكاميرات الفيديو، والنصوص المتلفزة. وتعتمد هذه الوسائل المستخدمة على فردية الاستقبال أو الاستهلاك الاتصالي، وتعمل على المزيد من تجزئة عملية الاتصال الجماهيرية، ولكنها في الوقت نفسه، تفتح طرقاً جديدة للحصول على المعلومات وللترفيه، و تتيح لمن يتلقونها فرصاً حقيقة أو وهمية، للمشاركة في عملية الإتصال، ولكنها في الوقت نفسه تساهم في كسر وحدة القرية الإلكترونية التى تحول إليها العالم فيما سبق، وتجعل الأفراد يعودون مرة أخرى، للعيش في جُزُرٍ منفصلة، ويستهلكون مواداً إعلامية مختلفة عن جيرانهم وأصدقاءهم. وعندما زاد الاهتمام بقضية مصداقية وسائل الاتصال الجماهيرية و على رأسها الصحافة المكتوبة خلال الستينيات، بدأ الحرص على تقديم رؤية للمصداقية متعددة الأبعاد وأكثر اكتمالاً وشمولاً. فقد حددت البحوث المعاصرة عدة أبعاد فاعلة، ومكونات للمصداقية أهمها: الإحساس بالأمان، الخبرة، الحيوية، المعرفية، الدقة، الإنصاف و الاكتمال[33].

كما ميزت هذه البحوث بين وسائل الاتصال المكتوبة والأشخاص كمصادر اتصالية، كما اهتمت بالدرجة التى يختلف الناس حولها، فيما يتعلق بالمعايير المختلفة لأداء الصحافة والتصورات العديدة حول المصداقية التى لابد أن تختلف باختلاف وسائل الاتصال، وتنوع وظائفها. و قد خلصت هذه البحوث إلى أن المصداقية هي مفهوم متعدد الأبعاد وقد تتنوع من دراسة لأخرى. حيث حدد كل من مالك كومبس و واشنطون (Mc Combs & Washington) ثلاث مجالات أساسية للبحث في مصداقية وسائل الإعلام وهي:

[33] TUCHMAN Gaye. *Making News: A Study in the Construction of Reality*, the free presse, London, p 129

- الثقة في وسائل الاتصال.
- الأمانة والمعايير الأخلاقية.
- التصورات عن اتجاهات الجمهور نحو الوسائل الاتصالية، فيما يتعلق بكل من: القابلية للتصديق، الدقة و الإنصاف والتحيز.

ثم جاءت مراجعة ويتني (Whitney) (رئيس مكتب جريدة (NY TIMES) بباريس) لكي تضيف إلى هذه المجالات الثلاثة مجالاً رابعاً هو: سِمات أداء الوسيلة (الصحيفة) التى تتصل بالتحيز، أو القابلية للتصديق مثل: اختراق الخصوصية، وحجب وجهة النظر الأخرى وعلاقة الوسيلة الاتصالية بالحكومة، والموازنة على سبيل المثال بين الحريات التى أعطاها التعديل الأول للدستور الأمريكي، وبين أهداف وحقوق جماهيرية أخرى، وارتبط بالنقطة السابقة عدة قضايا فرعية في مقدمتها: حجم قطاع الجمهور الأكثر انتقاداً لوسائل الاتصال، و العلاقة بين تقييم وسائل الاتصال، أو الحكم عليها، وبين كيفية استخدام الجمهور لها.

افترض كل من الباحثين جرينبرج، و رولوف (Rolf) و (Grinberg)، أن الجمهور يشاهد التلفزيون، على أساس أن مهمته الترفيه، بينما يقرأ الجرائد، على أساس أن مهمتها هي الأخبار، بينما تفترض نظرية ستيفنسون[34] (Stevenson)، أن التسلية هي سبب أولي لقراءة الجريدة، في حين افترض آخرون، أن قراء الجريدة هم أقل طواعية لقراءة الأخبار الجادة الطويلة. و البعض يرى إن مفهوم المصداقية أكثر اتساعاً، في القضايا التى يعالجها، من مفهوم القابلية للتصديق، بحيث يشمل:

- الثقة في وسائل الاتصال.
- التصورات حول التحيزات السياسية وغيرها.
- التصورات حول كيفية تغطية وسائل الاتصال للمجموعات المتنوعة في المجتمع.
- المواقف تجاه قضايا التقييم الإخباري.
- تقييم الوظيفة التى تؤديها الجرائد ووسائل الاتصال الأخرى.
- المواقف تجاه حرية الصحافة.

[34] Réseau de presse non-alignée - Le mythe de la liberté de la presse en France : http://www.voltairenet.org/article14060.html

الفصل السابع
صورة العرب في جريدة
«لوموند» الفرنسية

تمهيد

من خلال هذا الفصل سنعرض و نحلل نتائج تفريغ البانات للجداول الـ 47 الخاصة بموضوعات العرب، و الاسلام و هذا على اختلافها، اذ من قراءاتنا للجريدة محل الدراسة، لاحظنا اسهابها في التطرق لمواضيع الارهاب و التى تنسب دائما للعرب او الديانة الإسلامية، كما تطرقت الجريدة لمستجدات العالم العربي خاصة اعمال العنف التى شهدتها سوريا و اليمن و ليبيا. و قبلها ما يعرف بالربيع العربي. كما تطرقت الى نشاطات تنظيم الدولة الاسلامية ببلاد الشام «داعش» و التى تتجلى في اعمال القتل و الدمار الذي طال الدول العربية و الاوربية على حد سواء

من قراءتنا المعمقة و تتبعنا للجريدة تناولنا الموضوعات التى تعالج العرب و الاسلام من خلال:

- ✓ مراكز اهتمام المواضيع التى تندرج فيها المعالجات الاعلامية للجريدة بالعرب: اذ من خلال القراءة الدورية لجريدة «لوموند» ، و من خلال حساب تكرار و مساحة المواضيع سيتم تحديد المواضيع التى تم التطرق إليها في صلب تناول الأحداث، تحليل هذا المؤشر سيكشف عن ابرز اهتمامات الجريدة من موضوع المادة المنشورة و تركيزها عليه. و يفيدنا أيضا في معرفة أداء الجريدة في كيفية بناء صورة عن الواقع.

- ✓ القيم: من خلال تحليلنا لمؤشر القيم نخلص لمعرفة القيم المتداولة في موضوعات العرب و الديانة الإسلامية، و منه نحاول الإطلاع على الصورة التى رسمتها الصحيفة للشعوب العربية والديانة الاسلامية.

- ✓ السمات لمعرفة السمات: باتخاذها لأسلوب تحدده السمات الصحفية للجريدة، تكون جريدة «Le Monde» اظهرت سمات معينة في مواضيعها المعالجة لمواضيع العرب، و نبحث في هذا المؤشر السمات التى ساعدت في بناء توجهات الصحيفة و موقفها من الشعوب و الحكومات العربية.

✓ القوالب الصحفية: اذ نبحث في المؤشر القوالب التى جاءت فيها موضوعات العرب من: (خبر، تقرير، تعليق، حديث، ريبورتاج، صورة فوتوغرافية و كاريكاتير)

✓ المصادر: التى استقت منها مواضيع العرب من: وكالات أنباء و مراسلون (صحافيون) و فاعلون،سلطات عربية و فرنسية، جماعات ارهابية ... و التى تستقي منها جريدة «لوموند» منها مادتها الإعلامية.

✓ الاتجاه: أصبح الاعلام مسرحاً لصراعات النخب السياسية و السلطة الحاكمة وكذا النخب المالكة للصحافة، بين مؤيد و معارض، و بين متعاطف و معاد... من خلال القراءة في ما بين السطور، نحاول الكشف عن اتجاهات مديري و مالكي «لوموند» وطبيعة تحالفاتهم مع الاطراف التى لها علاقة بالوضع العربي على اختلاف مجالاته.

✓ الفاعلين: نسعى من خلال هذا المؤشر الى تحديد اهم الفاعلين التى تتعمد الجريدة ابرازهم للراي العام.

✓ العناوين: مع تطور صناعة الصحافة أصبحت الحاجة ملحة إلى وجود العناوين التى تساعد القارئ على اختيار الموضوعات التى تهمه، وتلبية حاجاته و كذا إشباع رغبته، و لان العنوان يلعب الدور الهام في الاقبال على المحتوى الإعلامي، فإننا نحاول البحث في العنوانين التى تعتمد عليها الجريدة.

✓ الصور الفوتوغرافية: في الاخير سنتطرق الى الصورة الفوتوغرافية كأحد اهم القوالب الصحفية التى تعتمد عليها الصحافة الحديثة، اذ سنحللها سيميوليوجيا

1.7. المحتوى الاعلامي و منهج تحليل المضمون:

ارتبطت استخدامات تحليل المضمون (المحتوى) بالدراسات الإعلامية والاتصالية بوصفها أداة و اسلوباً لتعرف المعلومات والتفسيرات من خلال الأنشطة الاتصالية

المختلفة، و كان هذا الارتباط والنشأة قد تولد تبعاً للحاجة الماسة التى فرضتها منهجية علوم الإعلام و تعقيداته منذ اوائل القرن العشرين وتحديداً بعد طغيان الصفة الجماهيرية عبر الوسائل، لتشكيل الخطاب الجمعي الجماهيري.

وكانت المحاولات الأولى لاستخدامات تحليل المضمون ما قام به الباحثان ليبمان و تشارلز ميرز من خلال قيامهما بتحليل مضمون عينة من المادة الإخبارية المنشورة في جريدة نيويورك تايمز، وقد تصاعد هذا النمط من الدراسات بعدما ظهرت إمكانية الضبط والسيطرة على عوامل التحليل واستحكاماته وجدواه في الوصول إلى نتائج يمكن الاعتماد عليها، وكانت مدرسة الصحافة في جامعة كولومبيا، قد اهتمت بتحليل المضمون اهتماماً واسعاً وكبيراً في ثلاثينيات القرن الماضي للعديد من الصحف الأمريكية، بالإضافة إلى بعض الدراسات التحليلية المتخصصة كدراسة جوليانت و ادواردز حول الأخبار الخارجية في الصحف الصباحية الأمريكية.

و يشير اصطلاح التحليل (Analyse) بأنه عملية تستهدف إدراك الأشياء والظواهر عن طريق فصل عناصر تلك الأشياء والظواهر بعضها عن بعض، ومعرفة الخصائص التى تمتاز بها هذه العناصر، فضلاً عن معرفة طبيعة العلاقات التى ترتبط بينها ويشير اصطلاح المضمون او المحتوى (Le contenu) في علوم الاعلام و الاتصال الى كل ما يقوله الفرد من عبارات او ما يكتبه او ما يرمزه، و المعلومات التى تقدم والاستنتاجات التى يخرج بها المتلقي و كذا الأحكام التى يقترحها المتصل كهدف من عمليته الاتصالية مع الآخرين.

واعتمدنا على هذا المنهج لتعذر اتصالنا بالمبحوثين بصورة مباشرة للتعرف على اتجاهاتهم وأفكارهم واستجابتهم من خلال الملاحظة والمقابلة و الاستبانة و غيرها من ادوات جمع البيانات، اذ و في ابحاث رسالة الماجستير، خلصنا الى ان البيانات التى جمعناها من الاستبانة و المقابلة لا تعكس الاراء الحقيقة لرجال الإعلام، لذا لجانا لدراسة نصوص المضامين الاعلامية الواردة في جريدة «لوموند» باتباع طريقة منظمة وصارمة من خلال أسلوب تحليل المضمون.

يقودنا هذا المنهج الى التعرف على الاتجاهات والآراء سواء كانت رسائل موجهه عبر أجهزة الإعلام او مجرد رسائل ونصوص اعتيادية، إضافة إلى استخدامها كطريقة للتعرف على ما تؤديه جريدة «لوموند» من وظائف تحقيقاً لأهدافها، و ما يمكن ان تفعله في الجمهور من تأثيرات. و يمكننا تحديد بعض المجالات و الاهداف التى جعلتنا نلجأ الى منهج تحليل المحتوى:

1. الكشف عن اتجاهات الأفراد والجماعات إزاء موضوعات العرب و الاسلام.
2. بالارتكاز على الدراسات السابقة يمكننا المقارنة بين وسائل الإعلام الجماهيري من حيث موضوعاتها واتجاهاتها وأهدافها.
3. قياس مدى تطبيق صحيفة «لوموند» للمعايير والأسس الإعلامية المحايدة و النزيهة.
4. تشخيص خصائص الأسلوب الأدبي او الصحفي من خلال تحليل الرسائل المختلفة لصحفيي جريدة «لوموند».
5. الحصول على افتراضات حول تأثير وسائل الاتصال على الجمهور القارئ لجريدة «لوموند».

إضافة الى ذلك، فقد اعتمدنا عليه كونه يساعدنا في التعرف على المعارف والقيم و مدى تحقيق الأهداف والآثار التى تحملها وسائل الاعلام ...

ويتسق أسلوب تحليل المضمون (المحتوى) اتساقاً وثيقاً ومحورياً بالرسالة و نقصد بالرسالة النتائج أو الأفكار أو المفاهيم التى يراد توصيلها إلى الجمهور من خلال التتابع الرمزي والدلالي، وهذه الرموز التى ستكون تحت مجهر دراستنا تكمن في الكتابات، الوانها، اشكالها و احجامها، مساحاتها، عناوينها، مكانتها، الصور الفوتوغرافية،... و إيجاد العلاقات الرمزية (الظاهرة) كالشدة، و التكرار، والكيفية، و درجات التأكيد، و تسيد القيم والاتجاهات والتأييد والرفض، و السلب و الايجاب... هذه الميادين هي ما يدخل ضمن وظائف تحليل المضمون، للوصول إلى اكتشافات وعلاقات بالإمكان تجزئتها أو تصنيفها، ومن ثم إيجاد ارتباطها والكشف عنها على أساس (كمي ونوعي، ذلك ان تحليل الرسالة.. لكلماتها.. أشكالها.. ألوانها..أو اية سياقات أو رموز تعبر عن المضمون الصريح لها، قد تدلنا على

مؤشرات متنوعة تساعدنا في القراءة في ما وراء الكلمة و النص و بالتالي التفسير ثم التنبؤ بمقاصد منشئ الرسالة واتجاهاته وتأثيراته على المتلقي من خلالها، ذلك ان التحليل الكمي المنظم يتيح لنا قياس مقاصد ومرجعيات «لـوموند» و قدراتها، و بؤر التركيز القيمي أو التفضيل الذي انساق معه النص أو المادة الاتصالية قيد التحليل والدراسة، كما وتكشف عن دوافع الجريدة محل الدراسة وقيمها التى تؤمن بها، والأهداف التى تسعى إلى تحقيقها، و هذه تتصل وتتفاعل باتجاهاته السياسية والدينية والاجتماعية وتكويناته المرجعية (بيئة ،عقائد ، أفكار ، تأثيرات أخرى مختلفة...).

وتحليل المضمون كغيره من المفاهيم الاجتماعية، لم يحسم بتعريف محدد بدقة إلى حد الاتفاق التام في ظل مشكلات حدود تطبيقاته. بالرغم من التطور والتوسع الذي شهده في استخدام الأساليب والتقنيات على المستوى الدولي، فباختصار فان تحليل المضمون عبارة مجموعة الخطوات المنهجية التى تسعى إلى اكتشاف المعاني الكامنة في المحتوى ،والعلاقات الارتباطية لهذه المعاني من خلال البحث الكمي، الموضوعي، والمنظم للسمات الظاهرة في هذا المحتوى.

2.7. عينة الدراسة:

العينة هي أداة من أدوات البحث العلمي، و هي فئة تمثل مجتمع أو جمهور البحث، أي جميع مفردات الظاهرة التى يدرسها الباحث، أو جميع الأفراد أو الأشخاص أو الأشياء الذين يكونون موضوع مشكلة البحث. فهي فئة تمثل مجتمع البحث، و يقصد من المجتمع في بحث العينات كامل أفراد أو مشاهدات أو أحداث أو أشياء موضوع البحث، ويقصد بالعنصر: أحد مفردات أو مشاهدات أو أحداث المجتمع موضوع البحث. فالعينة هي مجموعة جزئية من المجتمع موضوع البحث، والمفردة هي إحدى المفردات أو المشاهدات التى تم اختيارها ضمن العينة.

ولقد تطورت نظريات العينات في بداية القرن العشرين، ففي عام 1908 صدرت أعمال «استيودنت» التى لعبت دورًا كبيرًا في تطوير نظرية العينات، خاصة ما أصبح يسمى بالعينات الصغيرة، وخلال الحرب العالمية الثانية، وبهدف

ضبط اقتصاد الدول المتحاربة، و الإحاطة باتجاهات تطورها، تطورت نظرية العينات تطورًا سريعًا نظريًّا وعمليًّا، واستمر ذلك حتى الآن، حيث أصبحت هذه النظرية تستخدم على نطاق واسع، لدراسة مختلف الجوانب.

هذا ولجأنا إلى طريقة العينات لعدة أسباب أهمها، أنها أقل كلفة و عناء من طريقة الحصر الشامل، و ان كنا قد قمنا بإجراء حصر كامل لعناصر مجتمع الدراسة الأصلي في بحثنا، فاعتمدنا على العينة اباعتبارها جزء من الكل، تمثله تمثيلًا صحيحًا وتحت شروط مضبوطة. و لان المسح الشامل يتطلب سنوات من العمل التطبيقي، و إمكانيات جبارة للقيام بالدراسة.

و في بحثنا هذا و بغض النظر عن مزايا العينة، حاولنا قدر المستطاع تفادي عيوبها، و ذلك في اختيار عددين من كل شهر، عوض العدد الواحد، و لان موضوع العرب في الصحافة الفرنسية متباين، فقد ضاعفنا حجم العينة، لتشمل أفراد جميع الفئات، اضافة الى لجوئنا الى تصفح كل مواضيع المعاجات الاعلامية التى تناقش مواضيع العرب من خلال التطبيق الذي يتيحه موقع جريدة «لوموند» على شبكة الانترنت. و هذا لحرصنا على الحصول على نتائج دقيقة، بهدف تعميم النتائج على الموضوع الأصلي. اضافة الى تناسب اسلوب البحث المستخدم للاختيار.

بعد بناء استمارة تحليل المحتوى لجانا إلى التعامل مع عينة الدراسة محل التطبيق لجمع البيانات اللازمة، فكان «المجتمع المستهدف» أمامنا هو الصحافة الفرنسية اليومية، قمنا بإختيار عينة المصدر التى تمثل «المجتمع المتاح» و هي جريدة «لوموند» و المكتوبة باللغة الفرنسية، و شملت دراستنا إصدارات سنة كاملة من الأعداد أي مجموع 295 عدد. و نشير ان الجريدة تصدر 6 اعداد في الاسبوع و يكون عدد يوم السبت صالح لعطلة نهاية الاسبوع أي السبت و الأحد. هذا و كانت هنالك 9 ايام احتجبت فيها الجريدة و التى صادفت اعياد وطنية و دينية. نشير ان الايام المصادفة للأحد اخذنا فيها الاعداد الصادرة بالسبت الذي يسبق الاحد. (28 جوان و 19 جويلية) و بطريقة المجتمع الأسبوع الصناعي و العينة الدورية، تحصّلنا على العينة اللازمة التى نستخلص منها مادة التحليل الخاصة بالمواضيع

جدول رقم 02: توزيع أعداد العينة المختارة وفقا للأسبوع الصناعي الفرنسي

الأشهر	الأسابيع	الأيام						
		الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	السبت	الاحد
جانفي	الاول	05	20					
فيفري	الثاني		10	25				
مارس	الثالث			18	05			
افريل	الرابع				23	10		
ماي	الأول					08	23	
جوان	الثاني						13	28
جويلية	الثالث	06						19
اوت	الرابع	24	11					
سبتمبر	الأول		01	16				
أكتوبر	الثاني			14	29			
نوفمبر	الثالث				19	06		
ديسمبر	الرابع					25	12	

3.7. تحليل مؤشر مراكز الاهتمام في المعالجات الاعلامية للجريدة الخاصة بالعرب

1.3.7. صورة الدول العربية في جريدة «لوموند»

تباينت المعالجات الاعلامية للبلدان العربية من دولة الى أخرى، و كان الاختلاف واضحا من حيث التكرارات و المساحات التى كرستها الجريدة لكل دولة خلال العام 2015، لكن التمسنا ثراء اعلامي كبير يعكس الاحداث التى كانت تتميز بها هذه الدول، و لعل القاسم المشترك في المعالجات الاعلامية هو الموضوع الامنى و الارهاب بصفة خاصة

و سمح لنا تطبيق في موقع جريدة «لوموند» بالتطلع الى كل المواضيع و المضامين الاعلامية التى خصتها لكل دولة عن حدى، و في حين ان الجريدة ركزت على دول كالجزائر ، سوريا، العراق و السعودية ... فانها اهملت الحديث عن دول اخرى كالصحراء الغربية و جيبوتي و الكويت و غيرها من الدويلات الخليجية

و فيما يلي نستعرض اهم مؤشرات مراكز الاهتمام التى خصت بها جريدة «لوموند» كل دولة:

الجـــزائـــر:

كان للجزائر القسط الاكبر في عدد المعالجات الاعلامية للعرب، اذ تطرقت «لوموند» للجزائر كبلد في اكثر من 927 مضمون تضمنت 99 تقرير صحفي و هو عدد كبير مقارنة بباقي الدول العربية. و كانت الجريدة حذرة في تعاطيها مع الاوضاع الجزائرية لحساسية الروابط الفرنسية الجزائرية. هذا و لخصت الوضع الجزائري خلال العام 2015 في فشل النظام في الإصلاحات التى وعدت بها الحكومة منذ عام 2011، و استنكرت الجريدة من القيود التى فرضتها السلطة على حرية التعبير و التجمهر و التجمع و المسيرات السلمية، اذ تعاطفت مع ناشطين نقابيين وحقوقيين اعتقلتهم السلطة، و غطت الجريدة كذلك اعمال العنف الطائفي في منطقة غرداية بين مختلف الطوائف، العرب، الأمازيغ، و التى خلفت 25 قتيلا وأكثر من 70 جريحا، معظمهم سقطوا بسبب عمليات إطلاق نار. و كذا تم احراق الكثير من المنازل و المحلات الشيء الذي جعل الشرطة و الجيش يتدخلان لإخماد ما تسميه السلطات الجزائرية نار الفتنة.

هذا و عرفت الجزائر خلال نهاية 2014 و 2015 اضرابات على كل الاصعدة الشيء الذي دفع بـ «لوموند» رسم صورة قاتمة عن الجزائر، و اختصرت سوء الوضع السائد انذاك الى اربع عوامل اساسية هي، الرئيس المريض الذي لا يظهر إلا على شاشات التلفزيون و الذي اعيد انتخابه لولاية رابعة. و كانت «لوموند» تطرقت لموضوع صحة الرئيس في اكثر من 104 مضمون خاصة تلك و التى تزامنت مع الزيارات الرسمية للسلطات الفرنسية للجزائر، كما تطرقت كثيرا للسقوط الحر لأسعار النفط ما ادى بالبلد للاقتراض، و تضمنت المعالجات الاعلامية اثناء العام 2015 فساد رجال سدة الحكم و كذا الطبقة السياسية المناوئة و المعارضة للنظام على حد سواء، و كذا السلطات التشريعية و التنفيذية و كل كبار المسؤولين و تعجبت من رضوخ الشعب و استسلامه للأمر الواقع تحت وطأة التهديد بما الت اليه دول الربيع العربي.

كانت الجريدة جد سلبية مع الوضع السياسي في الجزائر، اذ لم تتوانى في نقدها للطبقة السياسية ككل، على راسها الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة الذي

كانت تصفه بالعاجز و غير القادر صحيا و ذهنيا بإدارة اموره الشخصية فما بالك في تسيير شؤون بلاد باكملها، و يجدر بنا التوقف عند الضجة الاعلامية التى اثارتها «لوموند» مع شخص الرئيس عند فضحها لتسريبات وثائق بنما. و اعتبرت الجريدة ان كبار المسؤولين الجزائريين و سياسيها هم اناس انتهازيين بالدرجة الاولى و متورطين كلهم في قضايا فساد و كذا تردي الوضع السياسي. و اعتبرت «لوموند» المعارضة السياسية في الجزائر بالتافهة و وصفتها بالممثل المحترف. هذا و كانت المقاطع التى تبثها القنوات التلفزيونية في كل مرة يستقبل فيها الرئيس بوتفليقة ضيوفه، محل صخرية ليس فقط للجريدة محل الدراسة ، بل لكل الاعلام الفرنسي و العالمي. و انتقدت «لوموند» بشدة استمرار لحكومة في قمع الاحتجاجات السلمية من خلال حظر جميع التجمعات العمومية خاصة في العاصمة الجزائر.

في29 مارس 2015، اعتمد البرلمان الأوروبي قرارا بشأن سجن نشطاء حقوق الإنسان في الجزائر، داعيا الحكومة إلى ضمان سلامة وأمن نشطاء المجتمع المدني، والمدافعين عن حقوق الإنسان، وحريتهم في ممارسة أنشطتهم المشروعة والسلمية و حق المطالبة و التجمهر غير المشروط

كان الوضع الاقتصادي حاضرا في كل المضامين تقريبا، خاصة الانخفاض الكبير لأسعار البترول من 125 دولارا إلى 50 دولارا، في حين أن البترول يشكل (60%) من الموازنة العامة، و (98%) من نسبة الصادرات الجزائرية. و ترجع «لوموند» ان هذا الانخفاض سيؤدي بالبلاد الى الاقتراض لا محالة، و في معالجتها للمواضيع الاقتصادية في الجزائر اعتبرت «لوموند» ان الوضع الاقتصادي سينفجر و يؤدي بالبلاد الى المجهول في ضل فشل كل السياسات الاقتصادية، و في ظل تزايد الفارق بين الواردات والصادرات

ابدت «لوموند» اعجابها بالتشريعات التى اعطت للمرأة مكتسبات و حقوق لم تحلم بها أي امرأة عربية، و كانت «لوموند» تدافع عن مشروع قانون الاسرة و قانون مكافحة التحرش بالمرأة. كما انها تحدثت بسلبية كبيرة عن المجتمع الجزائري الذي فضل الرضوخ و الاستقرار المميت على المطالبة بالعدالة و المخاطرة بالعودة الى العشرية السوداء. و هذا فقد نال موضوع تظاهر رجال الأمن أمام مقر الرئاسة

لاستنكار ظروف عملهم، حيزا كبيرا من المعالجة الاعلامية للمواضيع الاجتماعية خلال 2015 اضافة الى المظاهرات التى عمت العديد من الولايات بسبب المطالبة بالتخلي عن التنقيب عن غاز النفط الصخري

على الصعيد الامنى ترى «لـومـونـد» ان الجزائر حليف قوي و صديق لفرنسا فى مكافحة الإرهاب و وصفت العلاقة الفرنكوجزائرية خلال الـ 2015 بأنها الأفضل على مدار التاريخ، خاصة بعد الأجواء الباردة جدًا التى سادت في عهد نيكولا ساركوزي، هذا و اشادت الجريدة بالدور الذي تلعبه الاستخبارات الجزائرية في التصدي للهجمات الإرهابية. كما انها كانت جد ايجابية في تعاطيها مع التدخلات العسكرية الفرنسية في دول الساحل و ليبيا اين قامت الجزائر بفتح أجوائها للطيران ألفرنسي، و اسهامها في تزود القوات الفرنسية بالنفط. هذا و و تطرقت بتعاطف كبير مع عملية قتل 9 جنود جزائريين في هجوم في 17 جويلية 2015 عندما تعرضت دوريتهم لكمين تنظيم القاعدة في المغرب الإسلامي بولاية عين الدفلى شمال الجزائر.

المـغـرب:

على عكس الدول العربية التى شهدت ربيعا عربيا فقد عرف المغرب استقرارا اجتماعيا و اقتصاديا العام 2015، و لم يشهد احداث جديرة بالتهويل. في حين تطرقت في اكثر من مرة للحالات الكثيرة لانتهاك حقوق الانسان و السجن غير المبرر للناشطين السياسين و الحقوقيين و رجال الإعلام، و باركت «لـومـونـد» خطوة المغرب الايجابية في تطبيق قانون جديد بموجبه يمنع المحاكمات العسكرية في حق المدنيين. هذا و لم تخفي جريدة «لـومـونـد» ميولاتها الايجابية في قضاياها التى خطت فيها المغرب، اذ رسمت صورة ايجابية عن الحليف الاستراتيجي الاقوى للدولة الفرنسية في القارة الافريقية و الذي لا يمكن الاستغناء عنه. و الذي تجسده الارقام في قيمة الاستثمارات الفرنسية على التراب المغربي التى هي في منحى متزايد في نظر الجريدة. هذا وذكرت الصحيفة أن علاقات الصداقة بين المغرب و فرنسا تجلت في التعاون في مكافحة الارهاب وتنمية المبادلات الاقتصادية بين الجانبين. كما أشادت الصحيفة دائما بالنموذج المغربي في اسلامه

المعتدل و الذي من شانه محاربة الارهاب في المنطقة، و عرفت المعالجات الاعلامية بعض فترات التوتر خاصة تلك التى تبتز بها الملك المغربي من حين لأخر ادت الى الاستياء وسوء الفهم وحتى الذم في بعض الأحيان من الجانبين إلا ان الحكمة والمصالح تتغلّبت في نهاية المطاف على العاطفة

على الصعيد السياسي، منع القصر الملكي توزيع و بيع احد اعداد صحيفة «لوموند» الفرنسية هو ما ميز تغطية جريدة «لوموند» للمغرب الاقصى بسبب تضمنه استطلاعا للرأي حول حصيلة عشر سنوات من حكم ملك المغرب محمد السادس. و ما موقف المغاربة من نظام الحكم الملكي. كان مبرر وزارة الداخلية المغربية انذالك كون المضامين الاعلامية مخالفة للمقتضيات القانونية الجاري بها العمل. كما ان الجريدة لم تخفي قلقها من حكومة بن كيران و التى تحسب على التيار الاسلامي و كانت «لوموند» تشير او ترسم صورة غير واضحة عن حصيلة الحكومة. هذا و كانت الجريدة قد اثارت ضجة اعلامية كبيرة حين اتهمت الملك بالتهرب الضريبى و امتلاك حساب بنكي في سويسرا اين رد الملك مؤكدا أن حسابه في مصرف (HSBC) في سويسرا فتح ضمن القوانين المعمول بها في المملكة المغربية

هذا و اشادت الجريدة بتسامح القصر الملكي مع العديد من المسيرات والمظاهرات المطالبة بالإصلاح السياسي أو المحتجة على الاجراءات الحكومية و الاوضاع ألاجتماعية، في حين انها استعملت القوة المفرطة لتفريق بعض التجمعات السلمية الأخرى في الصحراء الغربية، هذا و استنكرت «لوموند» طرد المغرب العديد من الأجانب المنتمين لبعثات تقصي الحقائق في الصحراء الغربية، و الذين كانوا في معظمهم من اوربا و امريكا مؤيدين علنا حق الصحراويين في تقرير المصير.

على الصعيد الثقافي كانت الصحيفة ترسم باللون الوردي الثقافة المغربية و حسن الضيافة و كانت تحث في طياتها على تحفيز القراء لقضاء عطلهم بالمغرب كونه الوجهة السياحية الاولى في إفريقيا، و عالجت صحيفة «لوموند» الفرنسية بايجابية كبيرة موسم المغرب بباريس، الذي تمحور حول عرض مختلف النواحي الاجتماعية و الثقافية للمغرب، و رسمت «لوموند» المجتمع المغربي على انه مبهر

من خلال غناه وتنوعه الفنى. هذا و سلطت الصحيفة الضوء على أعمال عدد من الفنانين المغاربة، التى شاركو بها في التظاهرة.

تـونـــس:

خصت «لوموند» تونس بـ 168 معالجة إعلامية، كما تطرقت الجريدة لتونس في اكثر من 700 مرة خلال العام 2015 و الذي شهدت فيه تونس عدّة أحداث. كان اهمها ضربات ارهابية قوية، خلفت عشرات القتلى والجرحى، فهاجم مسلحان في 18 مارس متحف باردو المحاذي للبرلمان بالعاصمة تونس، و كانت الحصيلة 21 سائحا أجنبيا و شرطي تونسي. و في 26 جوان، فتح مسلح النار على المصطافين على شاطئ احد المنتجعات السياحية في سوسة، فقتل 38 سائحا أجنبيا. وفي 24 نوفمبر، تسبب هجوم انتحاري على حافلة في مقتل 12 عنصرا من الأمن الرئاسي، وإصابة 20 آخرين بجروح، بينهم مدنيين. دفعت هذه الهجمات بإعلان حالة الطوارئ، ما سمح للسلطات بحظر الاضرابات والمسيرات التى اعتبرت أن من شأنها تهديد النظام العام، و منع التجمعات التى قد تنتج عنها فوضى.

لم تغفل صحيفة «لوموند» في تغطيتها للأحداث التونسية عن التذكير في كل مرة بأن تونس تمثل حقا نموذجا ناجحا للانتقال الديمقراطي مقارنة ببلدان الربيع العربي مثل ليبيا المجاورة و مصر، سوريا، العراق و باقي الدول العربية، هذا و كانت التغطية الاعلامية للأحداث الارهابية و الوضع الامنى في تونس طاغية مقارنة بباقي مواضيع الاهتمام حيث تعاطفت بشدة الصحيفة مع المجتمع التونسي التى كانت تصوره على اساس انه ضحية و انه لا يستحق الوضع السيئ الذي يعيش فيه. و كانت «لوموند» ترى انّ تنظيم الدولة يسعى إلى توسيع نفوذه في تونس، على حساب نفوذ تنظيم القاعدة، خاصّة بعدما تمركزت الحركة المعروفة باسم كتيبة عقبة بن نافع، التابعة لتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، بالقرب من الحدود الجزائرية

و دائما كانت الجريدة تتهم الجزائر و ليبيا في تردي الوضع الامنى بتونس، اذا كانت تصور ان «داعش» في تونس يتغذى مباشرة من الانفلات الأمنى

والفوضى التى تحدث في ليبيا، و تسلل بقايا الخلايا الارهابية من الجزائر الى تونس.

النقطة السوداء في تغطيتها للوضع الامنى و السياسي في تونس، هو العدد الكبير من الارهابيين الذين صدرتهم تونس الى معاقل الارهاب في سوريا و ليبيا و العراق و غيرها من بؤر التوتر و تأسفت «لوموند» بشدة لهذه المفارقة في تونس التى انطلقت فيها شرارة الثورات العربية، والتى عرفت أول انتقال ديمقراطي في العالم العربي، إلا أنها أيضا أول بلد عربي في تصدير المقاتلين لهذه التنظيمات.

و كانت الجريدة ايجابية و داعمة للهيئات الاممية و الحكومات الأجنبية الداعمة لتونس في مرحلتها الانتقالية بعد ثورة 2011. خاصة لما وقع الرئيس الأمريكي بارالك أوباما والرئيس الباجي قايد السبسي اتفاقا في واشنطن يمنح تونس مرتبة الشريك المتقدم غير العضو في حلف الناتو، ما يُمكّنها من الحصول على تدريبات أمنية وتمويل عسكري لبعض المعدات الدفاعية.

مصر:

خصت جريدة «لوموند» الشأن المصري في 108 مضمون صحفي للعام 2015، هذا وتطرقت الجريدة لمصر بتكرار فاق الـ 800 مرة في مواضيع اختلفت بين السياسية الثقافية و الاقتصادية، و كانت الجريدة قد رسمت مشهد اعلامي معتدل. تطرقت فيه بشكل كبير الى عدة احداث طغت على الساحة المصرية كان ابرزها شخصية الرئيس عبد الفتاح السيسي واصفة اياها بالجد متناقضة، اذ تولى السيسي الحُكم في جوان 2014 بعدما قاد الانقلاب العسكري على ما تعتبره «لوموند» بالانقلاب على الشرعية و عزله لمحمد مرسي، و الذي وصفته الجريدة بالرئيس المصري الوحيد المنتخب في انتخابات حرة، و في مجمل تحليلاتها للوضع رسمت «لوموند» مصر على انها بعيدة كل البعد عن الاستقرار السياسي و ألاقتصادي كونها تعاني من أزمات على كل الاصعدة. و انتقدت بشدة حملة الاعتقالات العشوائية التى تشنها السلطات في حق الآلاف، و لعل الحدث البارز في المعالجات الاعلامية هو جماعة الاخوان المسلمين و تجريمهم من طرف السلطات المصرية، و كان موقف الجريدة غير واضح من جامعة الاخوان المسلمين في مصر.

كما كان للموضوع الامنى الشق الاكبر في المضامين الاعلامية. إذ عالجت الجريدة القتال المتنامي بين القوات الحكومية و قوات تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» شمال سيناء، و لأنها منعت دخول مراقبين مستقلين إلى منطقة النزاع، تركت السلطات المصرية المجال للإعلام في التأويل.

و اهتمت «لوموند» اكثر بالشق الامنى في مصر، متطرقة للجماعات المتمردة في شتى أنحاء مصر، منها جماعة ولاية سيناء المنتمية لـ «داعش»، التى صعّدت من هجماتها خلال العام 2015 ليصل إلى 100 هجمة يوميا نادرا ما استهدفت المدنيين، بينما تستهدم الحكومة المدنيين في حملاتها للقضاء على عناصر «داعش»، اذ قضت قوات الأمن المصرية 12 مدنيا، بينهم 8 سائحين مكسيكيين، بعد أن ظنتهم بالخطأ، قافلة من مقاتلي «داعش». و هذا ما اسال الكثير من الحبر من طرف «لوموند». و التى لم تتوانى في انتقاد انتهاكات قوات الأمن ضد الطبقة السياسية و العلامية بل و حتى الدينية و ارجعت المسؤولية لجهاز الاستخبارات و قوات الأمن الوطنى في اختفاء عشرات النشطاء السياسيين و المدونين و كذا الاعلاميين.

على الصعيد الدولي تطرقت «لوموند» الى عملية تسليم المعدات العسكرية الكبرى التى جمدت إرسالها بعد عزل مرسي. و المتمثلة في 12 طائرة «F 16» و 20 صاروخ «هاربون» ، و 125 قطعة للدبابة «M1A1». و كانت الولايات المتحدة سلمت قبل ذلك 10 مروحيات «أباتشي» في ديسمبر 2014 لمساعدة مصر في جهود مكافحة الإرهاب. هذا و ايدت «لوموند» الصفقة التى حققها فرانسوا هولاند مع مصر و التى بموجبها باعت فرنسا 24 طائرة مقاتلة طراز «رافال» اضافة الى البارجتين الحربيتين الفرنسيتين من طراز «ميسترال»، وهي من أكثر القطع البحرية تقدما في الشرق الأوسط

هذا و عالجت «لوموند» قضايا اخرى تتعلق بانضمام مصر إلى العمليات العسكرية بقيادة السعودية في النزاع اليمنى، وأرسلها لـ 4 بوارج حربية إلى خليج عدن. و سقوط الطائرة الروسية على صحراء سيناء و ما اثارته من ضجة اعلامية. و وفاة 19 مناصر في الملاعب المصرية بسبب موجة العنف اضافة الى التطرق الى

اسرار الحضارة الفرعونية و الاكتشافات التى حققها علماء الاثار في الاهرامات المصرية و كذا ازمة تقسيم مياه النيل الازرق

ليبيا:

القارئ للمضامين الاعلامية التى غطت الاحداث بليبيا يلاحظ مباشرة سلبية «لوموند» من المشهد في ليبيا، اذا غلبت الاحداث الدموية على جل التغطيات الاعلامية التى جاءت خلال العام 2015. تناولت «لوموند» الشأن الليبى في 784 مضمون اعلامي كانت في معظمها مرتبطة بانفلات الوضع الامنى و السياسي، اذ تطرقت الجريدة لليبيا في اكثر من 700 مضمون كان معظمها في الاخبار الدولية و التى ارتبطت تقريبا كلها بكلمة «داعش». و ما تقوم به مختلف الفضائل العسكرية و الارهابية على الاراضي الليبية، كما انها خصت بالتفصيل للشأن الليبى في 234 مضمون، و هو الاكبر مقارنة بباقي الدول

كما خصت الجريدة بمضامين وصفت الوضع في ليبيا بالسيئ، اذ ازدادت الأزمة السياسية والأمنية في ليبيا خلال 2015. اذ تنافست حكومتين على الشرعية، والسيطرة على مؤسسات الدولة خاصة الجيش و النفط، و في ظل تواصل الاشتباكات المسلحة، عاشت البلاد أزمة إنسانية، في ضل غياب كبير و تدهور للخدمات الأساسية كالكهرباء والوقود و الماء الصالح للشرب اضافة الى وجود حوالي 450 ألف نازح داخلي. و اعداد كبيرة من الافارقة الذين يتخذون من ليبيا كمعبر لأوربا.

هذا و واصلت الجماعات المسلحة التى أعلنت ولاءها لتنظيم الدولة الإسلامية المتطرف «داعش» ارتكاب انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان، بما فيها قتل وإعدامات. و كانت معظم المظامين الاعلامية لجريدة «لوموند» تتناول تغطية الوضع الامنى في ليبيا و كذا الوضع السياسي الذي كانت تصفه بالعفن كونه ادى بعشرات الآلاف من المهاجرين واللاجئين وطالبى اللجوء من المرور عبر ليبيا نحو أوروبا اذ هؤلاء لسوء المعاملة و العنف، بينما توفي 3700 على الأقل وهم يحاولون عبور البحر الأبيض المتوسط في قوارب الموت.

و فجرت جريدة «لوموند» قنبلة من العيار الثقيل في الصراع الدائر بين مختلف الاطراف في ليبيا حين اكدت في احد تقاريرها وجود قوات فرنسية خاصة وعناصر مخابرات فرنسيين على الاراضي الليبية. ما دفع وزير الدفاع جان ايف لودريان لطب فتح تحقيق بداعي الاضرار بسر من اسرار الدفاع. و اضافت الصحيفة بعدها أن الفرنسيين ليسوا وحدهم من اقتحموا التراب الليبي، بل أن الولايات المتحدة أرسلت قوات خاصة إلى بنغازي، وأن عناصر أخرى أميركية وبريطانية موجودة في مصراتة. و كانت «لوموند» استغربت من الدعم الفرنسي للفريق حفتر كونه يعارض المجلس الرئاسي الذي يدعمه الغرب، و في تحليلها للأوضاع رأت صحيفة «لوموند» أن الحضور الأجنبي في ليبيا يسهم في القضاء على «داعش»، و خمنت الجريدة انه سيتسبب في الوقت نفسه في حالة استقطاب بين فرقاء الأزمة الليبية، وتحديدًا تعميق الهوة بين مصراتة والفريق حفتر ووجود مخاطر باندلاع مواجهات عسكرية بين الطرفين

كما تناولت «لوموند» الشأن الليبي في عدة تقارير تحلل الثورة الليبية و مقتل الرئيس الراحل معمر القذافي و علاقة مقتله بالرئيس الفرنسي الاسبق نيكولا ساركوزي الذي اتخذ قرار التدخل في ليبيا لأسباب مادية بحتة في نظر «لوموند»، كما ناقشت الجريدة و حذرت، من خطورة تعرض الآثار الليبية القابلة للنقل إلى النهب أو السرقة عبر تهريبها عبر الأراضي المصرية أساساً أو مغادرتها بحراً باتجاه تركيا ولبنان وإيطاليا.

الأردن:

القارئ للمضامين الاعلامية التي خصتها «لوموند» للأردن سيلاحظ المكانة الايجابية التي يحضى بها الاردن على صفحات الجريدة، اذ كان التعاون الاردني الفرنسي خاصة في المجال العسكري و الزيارات الرسمية المتبادلة اهم المحاور التي تطرقت لها الجريدة في تغطيتها للشان الأردني، و التي جاءت في 32 موضوع صحفي خلال العام 2015، نوهت فيها «لوموند» بالدور الاردني في الحد من نشاطات الجماعات الارهابية لجماعة الدولة الاسلامية. كما نوهت باستضافة لأردن لأكثر من 600 ألف لاجئ سوري، كما اشادت بالاجراءات الصارمة لمراقبة

دخول و خروج اللاجئين. و كذا استقبال و اقامة منشات عسكرية على اراضي المملكة الهاشمية الاردنية.

على عكس بعض الدول العربية، كانت «لوموند» تطرقت بشكل سطحي لقمع حرية التعبير و الاعتقالات التى طالت النشطاء السياسيين و المعارضين الاردنيين. و اكتفت بالإشادة في الدور المحوري الذي يلعبه الاردن على عدة جبهات، اذ اشادت بانضمام الأردن، شهر مارس، إلى التحالف الذي تقوده السعودية، اين شنت القوات الاردنية المسلحة غارات جوية وقامت بأعمال عسكرية أخرى ضد الحوثيين في اليمن. كما اعتبرت الجريدة ان الأردن احد اهم المشاركين في الهجمات التى تقودها الولايات المتحدة ضد «داعش» وغيرها من الجماعات المتطرفة في العراق وسوريا.

هذا و جاء في التغطيات 3 تقارير حول منح الإتحاد الأوروبي (اوت 2015)، السلطات الأردنية قيمة 55 مليون اورو كمساعدة لتعويض الميزانية التى انفقها الاردن في أزمة اللاجئين السوريين خاصة قطاع التعليم. و كان في شهر فيفري 2015 توقيع مذكرة تفاهم بين الولايات المتحدة الامريكية و المملكة الأردنية، بموجبها قدمت الولايات المتحدة الامريكية مليار دولار كمساعدات سنوية لمدة ثلاث سنوات. كما وقع الصندوق السعودي للتنمية اتفاقيتين لمنح الأردن ما مجموعه 80 مليون دولار، خلال ماي، لتمويل مشاريع البنية التحتية للمدن الصناعية الاردنية الجديدة.

البحرين:

كانت المعالجة الاعلامية لجريدة «لوموند» و المتعلقة بدولة البحرين قليلة جدا خلال العام 2015، اذ خصت الدولة بـ 09 مواضيع كانت تعالج الصراع بين الشيعة و السنة و سباق الفورميلا وان بحلبة البحرين ، كما عرجت «لوموند» انضمام البحرين إلى التحالف الذي قادته السعودية ضد الحوثيين في اليمن منذ مارس.

هذا و خصت «لوموند» تقريرا حول تعرض المحتجزين إلى التعذيب وسوء المعاملة، و كذا الحظر المفروض على حرية التجمع، واستخدام الشرطة للقوة المفرطة

لتفريق المتظاهرين. ومحاكمة نشطاء بارزين في محاكمات مصطنعة، ان غطت الجريدة في 10 جويلية 2015، تبنى البرلمان الأوروبي قرار عاجلا حول وضع حقوق الإنسان في البحرين، وحول قضية نبيل رجب تحديدا. و الذي اطلق سراحه بعد 4 أيام من اصدار القرار.

و كانت تشير «لوموند» دائما الى استمرار الاحتجاجات المناوئة للحكومة. في المواضيع المتعلقة بالوضع في الخليج العربي و جاء تكرار كلمة البحرين اكثر من 100 تكرار خلال العام 2015.

السـودان:

بتكرار قارب الثلاثمائة، و ما يفوق الـ 30 معالجة اعلامية، خلال العام 2015، استنكرت بشدة جريدة «لوموند» ما ارتكبته قوات الدعم السريع والقوات الحكومية السودانية من انتهاكات خطيرة ضد الابرياء المدنيين العزل، بما في ذلك عمليات القتل والاغتصاب والتعذيب و التجويع والتهجير الجماعي، اضافة الى تدمير الممتلكات و سرقتا و نهبها و صنفت «لوموند» هذه التجاوزات بالجرائم ضد الإنسانية. مستدلة باغتصاب جنود قوات الدعم السريع لعشرات من النساء والفتيات في بلدة قولو بداية العام 2015.

و لعل المحور الاساسي الذي عالجت فيه الجريدة المواضيع المتعلقة بالسودان هو الحرب في دارفور و التى كان لها موقف ايجابي و كانت داعمة للحرب ضد الحوثيين، اذ بدأت عملية «صيف الحسم»، في فيفري 2014 و هي حملة عسكرية ضد جماعات التمرد المسلحة في دارفور. وقادت العملية قوات الدعم السريع، وهي قوات حكومية سودانية تتشكل في معظمها من ميليشيات موالية للحكومة تحت سيطرة جهاز الأمن والمخابرات الوطنى

و سرعان ما تحولت الحملة الى هجمات بربرية ضد المدنيين، مورست فيها ابشع عمليات القتل والاغتصاب على نطاق واسع خلال النزاعات في ولايات دارفور وجنوب كردفان والنيل الأزرق. و كانت السلطات السودانية قد فرضت قيوداً على المجتمع المدني و وسائل الإعلام المستقلة، وقمعت الاحتجاجات والمظاهرات.

بل و منعت القوات النظامية بعثة الاتحاد الأفريقي والأمم المتحدة الدخول الى دارفور لتقصي الحقائق و لتزويد الضحايا بالرعاية الطبية، النفسية و الاجتماعية اللازمة.

و وصفت «لوموند» الانتخابات الرئاسية التى جرت شهر افريل 2015 بالمهزلة و انها انتهاك صارخ في حق الديمقراطية، اذ اعيد انتخاب الرئيس عمر البشير مجدداً في انتخابات لم تتوفر فيها ادنى معايير النزاهة. و انتقدت بشدة كون السودان لم يصغ دستوراً منذ 2011، أي منذ انهاء الفترة الانتقالية المنصوص عليها في اتفاق السلام الشامل.

كما غطت «لوموند» الوضع الكارثي في جنوب كردفان والنيل الأزرق بتكرار اقل مع الاحداث في دارفور و استنكرت هجمات القوات الحكومية على المدنيين من خلال القصف الجوي وهجمات قوات المشاة في جنوب كردفان و التى تسببت في سقوط عدد كبير من الأطفال، إذ احترق بعضهم أحياء أو تحولوا إلى أشلاء بسبب القنابل أو القذائف التى سقطت على منازلهم. كما تطرقت الجريدة الى قمع وسائل الإعلام التى فرضت عليها قيود حديدية و لم تنسى التطرق الى العنف ضد المرأة السودانية.

الكويت:

كانت التغطية الاعلامية لدولة الكويت جد ضئيلة، اذ لم تتعدى السبع معالجات و كانت تتمحور حول الصراع السنى الشيعي و اعمال العنف التى نتجت عن هذا الصراع، و كذا صفقة السلاح الذي باعته فرنسا للكويت و الذي قدر ثمنه بـ 2.5 مليار اورو، كما تطرقت «لوموند» الى تجربة الكويت الفريدة و الرائدة في العالم العربي و التى من خلالها طالبت السلطات من جميع المواطنين والمقيمين بتوفير عينات من حمضهم النووي بهدف السيطرة و التعرف على الافراد للحد من الإرهاب الداخلي. و ذلك عقب الهجوم الانتحاري الذي شنه انتحاري على مسجد الإمام الصادق الشيعي و الذي قُتل فيه 27 شخص

اليـمــن:

بتكرار قارب الـ 600 خلال التغطية الاعلامية للعام 2015، حاولت «لوموند» تغطية الشأن اليمنى و الذي طغى عليه رداءة الوضع الامنى و الانساني و هجمات التحالف الذي تقوده السعودية ضد الحوثيين، و كانا اهم موضوعين تطرقت اليهما لوموند. و لاحظنا غزارة المواضيع التى عالجتها الجريدة و التى جاءت في ما يقلرب الـ 200 مضمون صحفي خصت به الجريدة اليمن..

كان العام 2015 اسود في اليمن، و عرف اليمن حالة من عدم الاستقرار و حالة حرب و نزاع، اذ أطاحت قوات الحوثيين في شهر جانفي بالرئيس اليمنى عبد ربه منصور هادي وحكومته، و كان بعد الاطاحة به قد انتقل إلى السعودية حيث أعاد تأسيس حكومته.

و قبل التطرق الى المعالجة الاعلامية التى خصت بها جريدة «لوموند» الفرنسية للوضع في اليمن، لا باس ان نستعرض الواقع الذي عاشه اليمن العام 2015، ففي مارس، و بعدما تقدم الحوثيون وحلفاؤهم الى جنوب اليمن و هددوا بالاستيلاء على مدينة عدن الساحلية، بدأ تحالف عسكري قادته المملكة العربية السعودية و الذي ضم عدد من الدول العربية، و قام التحالف بحملة قصف جوي ضد الحوثيين، و كانت الولايات المتحدة الامريكية شريكا في الضربات الجوية. و لعل اهم ما ميز العام 2015 هو هجوم طائرات التحالف الحوثيين في العاصمة صنعاء وغيرها من المواقع. و ما ميز المشهد اليمنى هو انتشار المعارك في جميع أنحاء البلاد خاصة بعدما أرسلت السعودية، الإمارات، البحرين والسودان قوات برية لمحاربة الحوثيين و حلفائهم.

و في مجمل المعالجات الإعلامية، افادت «لوموند» ان نتائج الضربات وخيمة كونها كانت في مجملها عشوائية، منتهكة بذلك قوانين الحرب وقتلت وجرحت آلاف المدنيين. كما تم استخدام ذخائر محظورة دوليا. و ارتكبت القوات الحوثية أيضا انتهاكات خطيرة لقوانين الحرب عبر إطلاقها قذائف عشوائية على مدن تعز، لحج، الضالع، وعدن، ما أسفر عن مقتل عشرات المدنيين. كما أطلق الحوثيون أيضا قذائف مدفعية على مدينة نجران ومناطق محافظة جزان في جنوب السعودية

قرب حدود المدن الجنوبية للمملكة العربية السعودية، ما قتل عشرات المدنيين. كما زرعوا ألغاما مضادة للأفراد محظورة في شرق وجنوب اليمن قبل انسحابهم.

كانت «لوموند» جد سلبية اتجاه تنظيم القاعدة في الجزيرة العربية وجماعات مسلحة موالية لجماعة «داعش» مسؤوليتهما عن عدد من التفجيرات الانتحارية وهجمات أسفرت عن مقتل عشرات المدنيين. خاصة لما اقر تنظيم القاعدة مسؤوليته عن هجوم 7 جانفي ضد مجلة شارلي ابدو في باريس، و الذي أسفر عن مقتل 11 شخص.

سـوريـا:

غالبا ما ارتبط مصطلح سوريا بمصطلح «داعش»، اذ تكرر اسم سوريا لأكثر من 2700 مرة خلال العام 2015 ارتبطت كلها باستمرار العنف داخل سوريا وسط غياب الجهود الهادفة إلى إنهاء الحرب أو الحد من الانتهاكات. و تعدد الاطراف التى تتخذ من العنف و الارهاب كوسيلة لبسط النفوذ و كان المشهد السوري في عين جريدة «لوموند» اسود طغت عله انتهاكات خطيرة، جرائم ضد الانسانية، مهاجمة المدنيين وتجنيد الأطفال والخطف والتعذيب.

هذا و خصت «لوموند» الوضع السوري بـ 450 معالجة اعلامية، لعب فيها جماعة الدولة الإسلامية المتطرفة «داعـــش»، و جبهة النصرة التابعة لتنظيم القاعدة في سوريا، و نظام بشار الاسد دور الفاعلين. و حملتهم «لوموند» مسؤولية الدمار الذي حدث انذالك اضافة الى الاطراف الفاعلة الاخرى بطريقة غير مباشرة كروسيا و الولايات المتحدة الامريكية و فرنسا.

و لعل الوضع السائد في سوريا هو النزاع المسلح المتداخل الاطراف و الذي ميزه هجمات الجيش النظامي تحت التغطية الروسية على المدنيين العزل، و من جهة اخرى السيطرة المطلقة على مدن عدة من طرف تنظيم «داعش»، و كان الاستخدام العشوائي للأسلحة حتى تلك المحرمة دوليا هو الفيصل بين الطرفين

ما ميز العام 2015 هو البراميل المتفجرة، اذ و استنادا لتقارير منظمة هيومن رايتس واتش، قالت «لوموند» انه أكثر من 450 موقع متضرر بشكل هائل جراء قصفه بالبراميل المتفجرة. مقدرة ضحايا البراميل بما يزيد عن 6000 مدني، ثلثهم اطفالا، هذا و رغم انضمامه إلى اتفاقية الأسلحة الكيميائية عام 2014، استخدم الجيش النظامي موادا كيميائية محرمة في عدة هجمات بالبراميل المتفجرة في محافظة إدلب اضافة الى الحصار في حق المدنين في مدينة حمص و المعضمية وداريا في الغوطة الغربية و الغوطة الشرقية و مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين جنوب دمشق. بهدف تجويع المدنيين لإخضاعهم وفرض المفاوضات عليهم التى من شأنها السماح لها باستعادة الأراضي.

و توقفت الجريدة مرارا و تكرارا عند انتهاكات «جبهة النصرة» و«داعش» اللتان كانتا قد ارتكبتا انتهاكات مستمرة لحقوق الإنسان، بما فيها الخطف والاستهداف المتعمد للمدنيين و استعمالهم كدروع بشرية في مواجهة العدو

و لعل النقطة السوداء في سوريا بنظر جريدة «لوموند» هي الاعدامات التى تقوم بها «داعش» في الأماكن العامة في محافظتيّ الرقة ودير الزور. اعدامات تعددت التهم فيها و كانت بسبب بتهم مثل الزنا، المثول الجنسي، الكفر و الخيانة ... خاصة لما يتعلق الامر بالنساء و الاطفال و الفتيات، كما كان الحال في قضية النساء الازيديات اللواتي لم يفلحن في الهروب من «داعش» و اللاتي تعرضن لعمليات اغتصاب منظم واعتداء جنسي واستعباد جنسي وزواج قسري من قبل العناصر الارهابية. بل حتى وصل الامر بهن الى تقديمهن كهدايا او بيعهن.

و كان النزوح و اللجوء من بين اهم مراكز الاهتمام لجريدة «لوموند» في معالجتها للأوضاع في سوريا، اذ غطت في اكثر من 90 تقريرا ازمة النزوح الذي تعرض له الشعب السوري الفار من الحرب و القتل العمدي، و تعرضت الجريدة للنزوح بنوعيه الداخلي و الخارجي و ما سببه النزوح في تصدير الفكر الراديكالي الى الدول الاوربية خاصة المانيا و فرنسا. ارجعت ان من بين اهم اسباب انتقال المعركة الى الاراضي الاوربية هو تبنى و ايواء نازحين سوريين

تُوثق الجريدة انه سُجل عام 2015 أكثر من اربع ملايين لاجئ سوري في لبنان والأردن وتركيا والعراق ومصر. و فاق عددهم نصف المليون شخص على اراضي دول الاتحاد الاوربي.

كما تطرقت الجريدة الى محاولات الهجرة الى اوربا عبر قوارب الموت، اذ حاول مئات الالاف من السوريين الوصول إلى أوروبا عبر البحر. لكن بعد هجمات 13 نوفمبر في باريس، و هجمات شارلي ايبدو قبلها، غيرت اوربا من تعاملاتها مع استقبال اللاجئين القادمين من سوريا خاصة، محاولين صدهم ابتداءا من تركيا و بلغاريا واليونان.

في حين انها استنكرت بشدة الوضع الداخلي و جرائم الانسانية و انتهاكات حقوق الانسان فلم تحدد جريدة «لوموند» موقفها اتجاه بشار الاسد و نظامه اذ جاء تكرار اسم بشار الاسد 1892 مرة و هو رقم كبير جدا مقارنة بباقي الشخصيات التى تداولتها جريدة «لوموند» خلال العام 2015، و يرجع ذلك في نظرنا لضبابية المشهد السياسي و تداخل الاطراف في الشأن السياسي السوري، و كذا صمود الرئيس السوري في وجه الاعداء لمدة فاقت الثمان سنوات

ايدت جريدة «لوموند» محاولات فرنسا لإصدار قرار حظر للبراميل المتفجرة، و التى باءت بالفشل بعد معارضة روسية. كما ايدت الضربات الجوية الفرنسية المتزايدة في المناطق التى تسيطر عليها «داعش» على الاراضي السورية.

فلسطين:

يعد الصراع العربي الاسرائيلي محور محدد للعلاقات العربية الغربية، اذ تتغير طبيعة العلاقات بين العرب و الغرب بتغير الظروف و مسار الحوار بين السلطات الفلسطينية و الاسرائيلية و الرامية لتحقيق السلام و فصل الدولتين. و لم يعرف مسار السلام تغيرات جديدة خلال العام 2015، و الشيء الملفت للانتباه هو تغاضي جريدة «لوموند» في التطرق الى الصراع العربي الاسرائيلي مقارنة بباقي المواضيع الاخرى كالإرهاب و تنظيم الدولة و الربيع العربي و غيرها من المواضيع التى شهدها العالم العربي.

اقرت في تغطيتها الصحفية جريدة «لوموند» استمرار السلطات الاسرائيلية في تطبيق قيود مشددة وتمييزية على حقوق الإنسان الخاصة بالفلسطينيين، و في تطبيق حصار يمس بالقيم الانسانية، و في بناء المستوطنات بصفة لا قانونية و تيسير استغلال الإسرائيليين إلى الضفة الغربية المحتلة.كما استنكرت الاحتجاز التعسفي المتظاهرين السلميين الفلسطينيين على اراضيهم.

وردت كلمة فلسطين بتكرار 250 مرة خلال العام 2015 في جل المضامين. هذا و خصت جريدة «لوموند» القضية الفلسطينة في اقل من 21 مضمون و هو شيء قليل و غير معبر عنه مقارنة بالمضامين المتعلقة بباقي الدول العربية. و من خلال تتبعنا للتغطية الاعلامية بين فلسطين و اسرائيل فقد تعرضت «لوموند» لإسرائيل بتكرار 1116 و هو تكرار يقارب الخمس اضعاف تكرار الشأن الفلسطيني.

ما يلفت الانتباه للتغطية الاعلامية هو الحياد في التعرض للصراع الفسطيني الاسرائيلي، فلم تخفي «لوموند» الجانب المظلم للدولة الاسرائيلية من خلال تطرقها للزيادة الحادة في أعداد القتلى والمصابين على يد القوات الاسرائيلية خاصة منهم المدنيين اذ ورد في التقارير الصحفية العدد الكبير الذي قضي على يد الجيش الاسرائيلي و الذي لا يقل عن 120 و ما يقارب الـ 12000 مصاب على الأقل من المدنيين الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة. كما عبرت «لوموند» عن تذمرها ضد السلطات الاسرائيلية و التى كانت في كل مرة تنتهك الاراضي الفلسطينة و تنتهك الابرياء في الضفة الغربية و القدس الشرقية و كذا تدميرهم لمنازل و ممتلكات ألفلسطينيين بموجب تدابير تمييزية ، وإجبار مئات السكان الفلسطينيين على إجلاء أراضيهم.

و حضي قطاع غـــزة بتغطية تفوق الضفة الشمالية، اذ تطرقت «لوموند» الى الحصار الإسرائيلي العقابي لقطاع غزة و الذي طال كل الصادرات تقريبا بما فيها الادوية و المواد الغذائية الأساسية، الحصار الذي كانت عواقبه وخيمة على المدنيين، و استغربت «لوموند» تدعيم مصر للحصار و منع امدادات السلع العادية من المعابر التى تسيطر عليها، و كذا و تدمير الانفاق.

كما تطرقت «لوموند» للتوغلات العسكرية التى شنها الجيش الاسرائيلي في قطاع غزة و قتلهم للمدنيين العزل الابرياء سواء بغارات جوية ام بسبب اطلاق النار عليهم و خاصة السيناريو المتكرر للصيادين. هذا و في تقرير مطول كانت «لوموند» تطرقت لحرب 2014 بين إسرائيل وغزة، مستندة لتقرير صادر عن لجنة الامم المتحدة و الذي توصل الى تصنيف انتهاكات القوات الاسرائيلية لقوانين الحرب الى جرائم ضد الانسانية كونها هجمات ضد سكنات مدنية دون هدف عسكري ظاهر، و ذلك باستخدام أسلحة مدفعية وأسلحة أخرى شديدة التفجير كانت تستعمل بشكل عشوائي في مناطق مأهولة بالسكان،

كما لمسنا استياء الجريدة من الجماعات الفلسطينية المسلحة و حركة حماس على حد سواء، خاصة اثناء العمليات المسلحة التى شنتها على الاراضي الاسرائيلية و الصواريخ التى كانت تطلقها من غزة رغم انها لم تؤد إلى خسائر بشرية لكن كانت تبث الخوف بشكل عام لدى الاسرائليين. و هاجمت «لوموند» حماس و حملتها المسؤولية كونها المسؤولة الوحيدة عن الأمن و الحدود.

قـــطـــر:

لعل الموضوع الاكثر اهتماما و الذي تطرقت اليه جريدة «لوموند» في الشأن القطري خلال 2015 التحقيقات التى قادتها الفيفا و محكمة الرياضة الدولية في الشبهات التى اتهمت بها اتحاد الكرة القطري للظفر بتنظيم كاس العالم لكرة القدم للعام 2022، و كانت المادة الاعلامية المخصصة لقطر قليلة جدا مقارنة بباقي الدول العربية، و يرجع ذلك اصلا لقلة الاحداث القطرية و كذا الدور الذي يكاد ينعدم الذي تلعبه قطر على الساحة الدولية غير تنظيمها لكاس العالم لسنة 2022 و شرائها لنادي باريس سان جارمان لكرة القدم و كذا اسطوله ا الجوي الكبير و المصنف الاول عالميا و كذا صفقة بيه 24 طائرة فرنسية من صنف رافال الى قطر بمقتضى العقد الذي وقعه فرانسوا هولاند شهر ماي 2015.

خصت جريدة «لوموند» قطر في حوالي 35 مضمون صحفي، اتهمت فيها قطر بالرشاوي و تقديم الهدايا و شراء الاصوات مقابل استضافتها لكاس العالم لكرة القدم، كما عالجت «لوموند» العمالة الوافدة بقطر و قوانين الكفالة التى تحكمها و

إساءة معاملة العمال (يربط نظام الكفالة الإقامة القانونية للعامل بصاحب العمل أو الكفيل) و الذين يمثلون 90 بالمائة من سكان قطر و الذين تعتمد عليهم البلاد بشكل متزايد في اهم مشاريع التنمية و تشييد الملاعب والبنية التحتية، استعدادا لاستضافة نهائيات كأس العالم لكرة القدم عام 2022. و اشارت في اكثر من مرة «لوموند» على ان قطر حققت قطر رابع أعلى معدل نمو سكاني في العالم عام 2015.

لبنان:

خصت جريدة «لوموند» لبنان بما يقارب الثلاثين تغطية صحفية، تنوعت بين مواضيع الارهاب و الفن و التربية و السياسة، و كان اهتمام الجريدة بشغور منصب رئيس الجمهورية بارز في كل تغطية إعلامية، اذ وصفت الاوضاع السياسية بالمشلولة كون ان البلاد دون رئيس، بسبب تأجيل الانتخابات البرلمانية ما ادى الى فشل الحكومة في توفير الخدمات الأساسية، بما فيها إزالة النفايات، إلى موجة من الاحتجاجات بدأت في اوت اين استخدمت قوات الأمن القوة المفرطة في بعض الحالات لقمعها. هذا و ميز العام 2015 لبنان بالاضراب الذي شنه عمال جمع النفايات، ما ادى بدخول لبنان في مستنقع نفايات، الشيء الذي ادى الى نشوب نزاعات داخلية

تطرقت «لوموند» كذلك الى نزوح اللاجئين السوريين الى لبنان و الشروط التى اقرتها السلطات البنانية لدخولهم الاراضي اللبنانية و كذا الى الشروط التعجيزية التى يلاقيها الاجئين لأجل تجديد إقامتهم، الشيء الذي يجعلهم دون اقامة رسمية في لبنان. و تطرقت الجريدة الى اللاجئين في لبنان في اكثر من 5 تحقيقات صحفية، اذ استنكرت احتجازهم و اعتقالهم بسبب تواجدهم غير القانوني في لبنان. و قدرت «لوموند» ان حولي 60 بالمئة من اللاجئين السوريين في لبنان تحت خط الفقر ويعتمدون على المعونات في معيشتهم، كما تطرقت الى اللاجئين الفلسطينين الذين علقت وكالة تشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى للأمم المتحدة (الأونروا)، المساعدات النقدية للإسكان الممنوحة لهم بسبب نقص الأموال.

و تعتبر جريدة «لوموند» لبنان بأنه بل الحريات و بلد التوافق بين الديانات، و هو البلد العربي الوحيد الذي تُحتَرَم فيه حرية التعبير عموما، لكن تبقى تلك الحرية مقيدة، اذ يُعدّ تشويه سمعة أو انتقاد الرئيس اللبناني أو الجيش جريمة يمكن أن تصل عقوبتها إلى السجن. كما تصنف «لوموند» المرأة اللبنانية المرأة الاكثر تحررا بين النساء العربيات الشيء الذي ادى الى بها للمشاركة الفعالة في جميع جوانب المجتمع اللبناني.

في الشأن السياسي، ابرزت جريدة «لوموند» دور سوريا، إيران والسعودية في التأثير على السياسة اللبنانية، و كذا نفوذها القوي من خلال حلفائها ووكلائها المحليين، على الرغم من تقديم العديد من البلدان للبنان، كالولايات المتحدة والمملكة المتحدة وأعضاء الاتحاد الأوروبي و كندا، ودول الخليج المختلفة، دعما واسع النطاق، وإن لم يكن كافيا، لمساعدته على مواجهة أزمة اللاجئين السوريين وتعزيز الأمن وسط وصول العنف من سوريا.

الإمـارات العـربية المتحـدة:

تكاد المضامين الاعلامية التى تتخصص بمعالجة القضايا المتعلقة بدولة الامارات العربية المتحدة تنعدم على صفحات جريدة «لوموند» للعام 2015، و كانت الجريدة تصور الامارات على انها ذلك البلد الذي يبدو ثريا و مستقرا و الذي لا يخلو من السلبيات مثله مثل كل البلاد العربية خاصة في منظومة الحكم و تطبيق قوانين الديمقراطية، اذ اشارت جريدة «لوموند» الى الاحتجاز التعسفي، و الاخفاء القسري في بعض الحالات للأفراد الذين انتقدوا السلطات.

هذا و في سياق حديثها عن العمالة في الخليج العربي، انتقدت الجريدة نظام العمالة الاماراتي الذي يعنى تقريبا 90 بالمائة من سكان الإمارات، و اشادت «لوموند» بإصلاحات نظام االتشغيل، إلا ان اجور العمال المهاجرون تبقى زهيدة مقارنة بنضرائهم المواطنين و الذين يشغلون نفس الوظائف،

اذ ان نظام الكفالة المعمول به في جل دول مجلس التعاون الخليجي، يربط العمال المهاجرين بأرباب العمل عمليا، و يقيّد هذا النظام قدرة العمال على تغيير أصحاب

العمل. و يعطي أرباب العمل كل السلطة على العمال، التى تخول لهم ترحيل العمال متى شاء. كما اشادت «لوموند» حقوق النساء الاماراتيات لو الدور الذي يلعبنه على اعلى مستويات الدولة و اشادت بمساوات الجنسين و اعطاء الشباب فرص تقلد مناصب قيادية في الدولة.

المملكة العربية السعودية:

خصت جريدة «لوموند» المملكة العربية السعودية بـ ما يقارب السبعين معالجة اعلامية و بتكرار كلي الـ 900 تكرار خلال 2015 و الذي استهلته المملكة بتوديعها الملك عبدالله في 23 جانفي بعد أن حكم لمدة 9 سنوات ونصف، و تم تعيين أخوه من الأب سلمان بن عبد العزيز ملكا جديدا. الذي عيّن الملك سلمان ابن أخيه محمد بن نايف وزيرا للداخلية وليا للعهد، ونجله محمد بن سلمان وزيرا للدفاع و ولي ولي العهد.

و كانت الغارات الجوية والحصار على اليمن هي الحدث الابرز خلال العام 2015 بعد وفاة الملك عبد الله، اذ في 26 مارس شنت المملكة حملة غارات جوية ضد القوات الحوثية في اليمن، فارضة عليه حصار جوي و بحري. أصابت غارات التحالف أهدافا حوثية في العاصمة صنعاء ومدن أخرى، مؤدية لمقتل وإصابة عديد المدنيين. اذ قتل بين مارس جويلية قُتل نحو 2112 مدنيا في اليمن نتيجة للنزاع المسلح.

و في حين ان اهداف التحالف كانت عسكرية بحتة ، تمكنت مصادر جريدة «لوموند» الكشف ان الاهداف كانت مدنية، كالتجمعات السكنية و مناطق اقامة قادة الحوثيين شمالي البلاد في صعدة اضافة الى تحقيقات قادت الى استخدم التحالف ذخائر محظورة دوليا، و هذا ما اثار ضجة اعلامية كبيرة، كما تطرقت «لوموند» الى اثار الحصار الذي فرضته قواة التحالف بقيادة المملكة و ما تخلف عنه من اختلال النظام الغذائي لدى المدنيين الابرياء و افتقارهم بالموازات الى المياه الصالحة للشرب و كذا الرعاية الصحية و صنفت الجريدة الحصار بجريمة حرب كونه وسيلة حربية تتمثل في تجويع المدنيين.

و كانت «لوموند» في كل مرة تبرز حجم معاناة المعارضة في المملكة العربية السعودية و وصفت النظام السعودي بالدكتاتوري كونه يقمع كل انواع المعارضة اذ استمرت السلطات السعودية في الاعتقالات التعسفية والمحاكمات والإدانات للمعارضين السلميين و المدافعين عن حقوق الإنسان والنشطاء و المنتقدين للسلطات و المطالبين بإصلاحات سياسية وحقوقية. كما تطرقت ابدت الجريدة استياءها من عدم تقبل المملكة لقيادة المرأة للسيارة، و هذا ما اعتبرته تمييز ضد النساء.

هذا و كانت الجريدة سلبية لفكرة عدم تقبل المملكة ممارسة و اتباع الديانات الأخرى بخلاف الإسلام، و انتقدت التمييز على اساس المعتقد الديني و اقصاء الشيعة و الإسماعيلية، و يشمل التمييز كامل القطاعات التي تشرف عليها المملكة كالتعليم الحكومي و العدالة و القضاء وفرص العمل. و الذي يتسجد كذلك في الحطّ من شأن الشيعة في التصريحات والوثائق العامة.

هذا و تطرقت «لوموند» الى كامل الضربات التي اتهدفت الشيعة السعوديين و التي نفذها عناصر تنظيم الدولة الإسلامية المسلح المتطرف استهدفت الشيعة، و شملت تفجير مساجد للشيعة في القطيف و الدمام. و ابدت الجريدة استياءها من تطبيق الشريعة الاسلامية خاصة تطبيق حكم الاعدام اذ أعدمت السلطات 152 شخصا خلال العام 2015، خاصة طريقة الاعدام التي تكون عن طريق بتر الرأس و يكون الإعدام علنيا. و كذا معاقبة المشتبهين بارتكاب أعمال مثلية وغيرها من الأعمال غير الأخلاقية. و وصفت الجريدة النظام القضائي في المملكة باهش و الذي لا يقوم على قوانين بل يقوم على احكام فضفاضة ومبهمة حددها النظام العام و بعض القيم الدينية أو الآداب العامة. و لاعتمادها على تعاليم الدين الاسلامي كقانون وطني استغربت «لوموند» من عدم الاقتضاء الى صياغة قانون عقوبات. و باركت الجريدة للنساء السعوديات بعد سماح الملك لهن و للمرة الأولى بالتسجيل و الترشح في الانتخابات البلدية التي اجريت شهر ديسمبر 2015.

الـــعـــراق:

بتكرار يقارب الـ 1800 و ما يقارب الـ 200 معالجة إعلامية، تطرقت «لوموند» الى دولة العراق، اذ عرف العراق العام 2015 مأساة امنية و اجتماعية و اقتصادية باتم معنى العبارة، اذ عرف البلد صراع مسلح تداخلت فيه الاطراف و تشابكت فيه المصالح، و باتت الاهداف غير واضحة. فكان الطرف الابرز في النزاع المسلح، هو تنظيم الدولة الإسلامية «داعش» و كان الطرف الثاني القوات الكردية و ثالثا القوات الحكومة العراقية، رابعا قوات التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة الامريكية و اخيرا خليط من الميليشيات المسلحة التى تنشط باستقلالية عن التيارات المذكورة.

هذا و قدرت الجريدة حجم المأساة بـ 20 ألف مدني قُتل على الأقل جراء الإعدامات، السيارات المفخخة، والقصف المدفعي و الجوي. و بات ما يفوق الثلاث ملايين عراقي بدون مأوى، و حرمت الحرب ما يقارب الاربع ملايين طفل من المدارس، ناهيك عن حرمان كل العراقيين من الرعاية الطبية و المياه الشروب و التغذية

ادانت «لوموند» بشدة انتهاكات «داعش» على الاراضي العراقية، اذ تفننت في القتل و التعذيب و التنكيل و تضمنت قائمة الضحايا سياسيين، وعناصر من الشرطة والجيش، ضباط الأمن السابقين، وزعماء القبائل، وغيرهم ممن رفضوا مبايعة «داعش»، أو الذين اشتبه التنظيم في أنهم يتعاونون مع الحكومة العراقية.

كما لم يسلم عناصر «داعش» في حد ذاتهم من الإعدامات من طرف زملائهم المقاتلين في صفوفهم لضعف أدائهم القتالي، او بسبب الخيانة او لتصفية الحسابات كما ترجح جريدة «لوموند». هذا و تطرقت الجريدة بغرابة و دهشة كبيرة، الى الوسائل القاسية للغاية و المؤلمة التى يعتمد عليها «داعش» مثل الحـرق، والغــرق، والصعـق بالكـهرباء، والرجم حتى الموت. اضافة الى تجنيد الأطفال لتنفيذ عمليات انتحارية وتنفيذ أحكام الإعدام.

بعد استعراض اهم الجوانب للتغطيات الاعلامية التى خصت بها جريدة «لوموند» الدول العربية نستعرض فيما يلي العمل التحليلي للبحث، و الذي جاء في سبع موضوعات تم التطرق إليها في صلب تناول الأحداث، بحيث انه من الطبيعي أن يؤدي التعامل مع هذا المؤشر إلى الكشف عن اهتمامات الجريدة بجوانب معينة من موضوع المادة المنشورة و تركيزها عليه. و يفيد أيضا في معرفة أداء الجريدة في كيفية بناء صورة عن الواقع، كنموذج معرفي يبنى تموقع المتلقي إزاء هذه الأحداث، أو إزاء الأطراف الفعالة فيها. و أيضا كنموذج لبناء صورة خيالية، تجرد الواقع بواسطة جملة من المفاهيم المستخدمة في العرض و التقديم.

2.3.7. تحليل بيانات مؤشر مراكز الاهتمام:

معلوم أن الإعلام عموما يؤدي هذا الدور جراء عمليات ترتيب اهتمامات الجمهور، بواسطة حصر الموضوعات التى يراها جديرة بالنشر و الإذاعة، و تغييب موضوعات أخرى أو تأخيرها وفقا للمعالجة الإعلامية المتبعة.

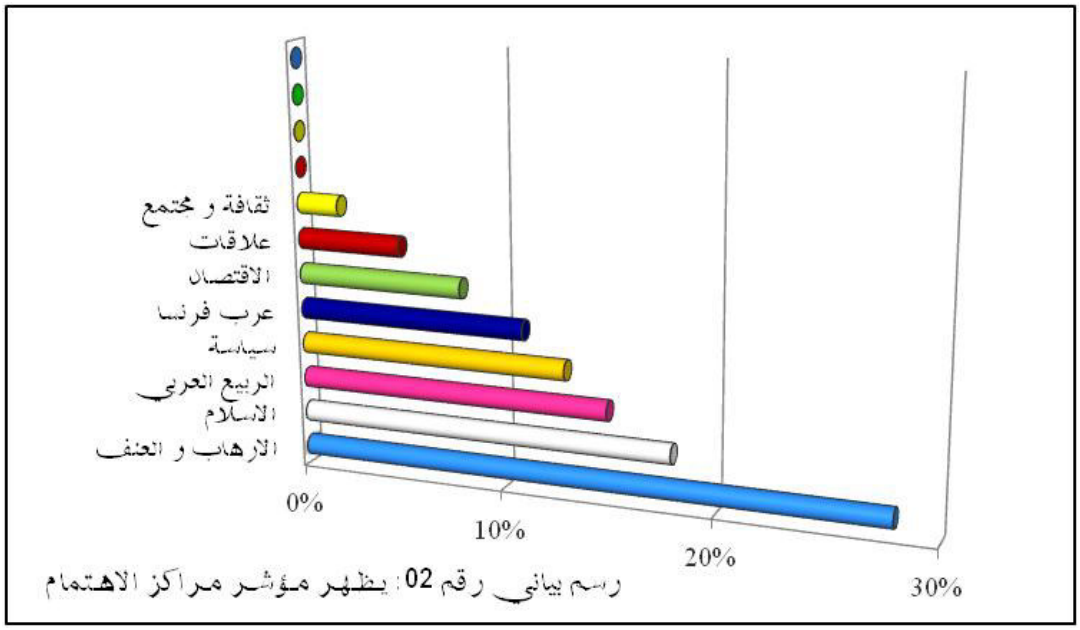

رسم بياني رقم 02: يظهر مؤشر مراكز الاهتمام

فمن خلال البيان رقم (02) المبرز للمحاور التى دارت عليها الأحداث المتناولة في الجريدة، يظهر لنا جليا تباينا في تناول الموضوعات وفقا لكثافة التكرار و الإهتمام، حيث نلاحظ طغيان أربعة موضوعات (الإرهاب الاسلام الربيع العربي، الاقتصاد)، و بشكل أقل الشأن الثقافي و الشق الاجتماعي، حيث أن

الموضوعات الأولى كانت تدور في معظم أعداد العينة، بينما الأخرى جاءت متباينة في نشرها على أعداد قليلة.

فقد جاءت مواضيع الارهاب تمثل ما نسبته (28.59%) ثم الاسلام بنسبة (18.12%) ثم الربيع العربي بنسبة (15.60%) ثم السياسة بنسبة (12.97%) ثم الاقتصاد بنسبة (08.09%) ثم تليها العلاقات العربية الفرنسية بنسبة (4.92%) و أخيرا الشأن الثقافي و الوضع الاجتماعي بنسبة اقل.

يرجع التركيز على الاهتمام بالإرهاب كونه حقا الظاهرة الابرز التى تنخر الامة العربية، بل و كل دول العالم. و بالنظر الى الاحداث التى شهدها العالم العام 2015، فلم تهدف في حسب راينا جريدة «لوموند» الى تشويه الواقع العربي بهذا الجانب الأسود، بل لأن الارهاب حقا اصبح ظاهرة ارتبطت بالعرب و الإسلام، فكل الدول العربية وقعت ضحية احداث ارهابية دامية خلال العام 2015، و كثيرا ما تحولت ثورات الربيع العربي الى اعمال نهب و سلب و قتال و إرهاب، بل ان هذه المنظمات الارهابية زادت قوة و تزودت بأحدث الاسلحة و صارت طرفا لا يتجزأ من قوى العالم المسيطرة عسكريا.

المتتبع للأخبار الدولية خاصة، سواء كانت مرئية، مكتوبة او مسموعة سيلاحظ في بداية النشرات الاخبارية في جلها بالأحداث الارهابية التى يعرفها العالم هنا و هناك، او بالوضع المأساوي التى الت اليه مجتمعات و شعوب بسبب ما تقوم به الخلايا الارهابية، كذلك كان الشأن في جريدة «لوموند» الفرنسية في تعاطيها مع ظاهرة الارهاب. و لعل «داعش» و صموده امام حلف الناتو و امام الحملات التى تقودها امريكا في العراق و سوريا، لخير دليل على ان الارهاب ظاهرة طغت على العالم العربي و امتدت نشاطاتها الى الدول الاوربية و التى راح ضحيتها المئات من الفرنسيين خلال احداث شارلي ايبدو و هجمات باريس نوفمبر 2015 الى الدهس الذي وقه بمدينة نيس في ذكرى الاحتفالات بالعيد الوطنى الفرنسي

الاسلام... انه الموضوع اكثر تناولا في موضوع العرب بعد الارهاب. اذ جاءت المضامين الاعلامية التى تناولت العرب تعالج الاسلام او تطرقت الى الاسلام كديانة. و جاء اهتمام الجريدة بالإسلام بنسبة (18.12%) و يجدر بنا الاشارة الى

ان الإسلام هو الدين الثاني في فرنسا، وتتراوح نسبة المسلمين في فرنسا وفقا لتقديرات جريدة «لوموند» عام 2017 ما يفوق الـ (09%)، هذا و تشير أغلب التقديرات و الاحصائيات أن عدد المسلمين في فرنسا يتروح بين 7 إلى 9 ملايين مسلم مقيمون بصفة دائمة على التراب الفرنسي. في حين قدرت وزارة الداخلية الفرنسية أعدادهم بـ 6 ملايين. و تبقى هذه الأرقام تقريبية، كون قانون الإعلام والحريات يمنع تعداد المواطنين حسب انتمائهم الديني او العرقي. فطبيعة هذه الأرقام لا تتجاوز كونها استقراءات علماء الاجتماع واستطلاعات مختصّة في الرأي.

هذا و ان غالبية مسلمي فرنسا تنحدر من دول المغرب العربي. و تعرف فرنسا و اوربا على وجه العموم حملة أسلمة لم تشهدها من قبل، اذ ان اعداد الفرنسيين الذي اسلموا و اعتنقوا الديانة الاسلامية في تزايد مستمر، الى درجة انهم يشكلون جزء كبير ممن قاموا بالعمليات الارهابية على الاراضي الفرنسية كالاخوة كواشي منفذي عمليات شارلي ايبدو و غيرهم ممن سافروا الى سوريا بهدف الجهاد في سبيل الله.

كان الإسلام، او اسلام فرنسا، محل نقاشات ساخنة في الطبقة السياسية الفرنسية، و في وسائل الاعلام خاصة المرئية منها، و احدث المد الاسلامي في اوساط الشباب و المراهقين الفرنسيين جدلا كبيرا، اذا سرعان ما يتطور اعتناق الاسلام الى التشدد في تطبيق تعاليم الاسلام و بالتالي اتباع الاسلام الراديكالي الذي تحاربه فرنسا بكل ما اوتيت من قوة.

لم تتطرق جريدة «لوموند» الى الاسلام في قضايا العرب فحسب، بل كانت تتطرق الى الاسلام في الشأن الفرنسي، و تعتبر فرنسا دولة لا دينية منذ عام 1905، فهي لا تعارض حرية الأديان و المعتقدات، و ينص دستورها في مادته الثانية أنها« جمهورية علمانية، و هي تحترم كل الأديان». يعامل الإسلام في فرنسا كما تعامل جميع الأديان. لكن يعرف المجتمع الفرنسي في بعض الاحيان و اثناء احداث معينة حملات عدائية اتجاه الاسلام و المسلمين، فيختلف التعامل مع المسلمين حسب تقلب الأحداث محلياً أو عالمياً، و نعيب هنا على الاعلام الفرنسي و المجتمع الفرنسي خلطه للمفاهيم بين الإرهاب، الإسلام، العرب، و لعل اهم اسباب الخلط هو

الاعمال الشنيعة التى يقوم بها الارهابيون باسم الإسلام. فالإعلام الدولي مثله مثل الاعلام الفرنسي و العربي يصور لنا مثلا عناصر «داعش» و هي تتفنن في القتل و التعذيب باسم الله و الإسلام، و تصور لنا كذلك كيف تتعالى التكبيرات (الله اكبر) قبل عملياتهم الارهابية و الانتحارية...

ادى الخلط بين الاسلام و الارهاب الى الاساءة الى تعاليم الدين الاسلامي السمحاء و قيم العرب المسلمون. و كانت قد اختزلت الباحثة ناجية أقجوج في دراستها « تصحيح صورة الإسلام في الغرب: واجب العلماء ومسؤولية الإعلام» (انظر الدراسات السابقة رقم 51) ان الإسلام اختزل في منظومة فكرية ثلاثية الأركان وهي الإرهاب والتخلف و الشبق فالمسلمون يصورون على انهم عدوانيون وإرهابيون ومتخلفون وشهوانيون..! وهذه الصورة إنما تشكلت نتيجة إرث متراكم و ترسخت في المخيال الغربي بواسطة كتب التراث والكتب المدرسية المشحونة بالأحقاد التاريخية، وأكدتها وسائل الإعلام بتمريرها للمعلومات الخاطئة و التى اخلطت الاسلام بالإرهاب

حلت اخبار الربيع العربي ثالثا من بين المواضيع التى عالجتها «لوموند» في تغطيتها للعرب، اذ اهتمت بنسبة ناهزت الـ (15%) بتغطية و معالجة الربيع العربي و ما شهده من احداث. احداث كانت في مجملها ماساوية. فمن منا كان يضن ان إشعال البوعزيزي النار في جسده سيعصف بسدة الحكم لرؤساء حكموا بلداهم لأكثر من ثلاث عقود من الزمن، و شهد العام 2015 الكثير من احداث الربيع العربي التى اشتعلت العام 2011 ابتداءا بالثورة التونسية، ففي العام 2015 و بعد أربعة أشهر من القتال، نجح الاكراد بدحر «داعش» من ريف محافظة حلب. و سيطر هذا الاخير على مدينة سرت، المدينة الساحلية بين طرابلس وبنغازي. و نفذت مصر غارات على مواقع للدولة الإسلامية في شرق ليبيا في شهر فبراير. و فر الرئيس اليمنى هادي إلى عدن.

في شهر مارس تغلبت المعارضة السورية القوات الحكومية، و باشرت المملكة العربية السعودية عملية عاصفة الحزم ضد جماعة الحوثيين وأنصار علي عبد الله صالح في اليمن بتحالف مكون من 10 دول عربية. و اصدرت المحكمة المصرية الحكم

بالاعدام شنقا في حق الرئيس المخلوع محمد مرسي و سيطر تنظيم الدولة الاسلامية في بلاد الشام على مدينة تدمر الاثرية في سوريا و ضرب عرض الحائط كل المساعي الدولية لاجل ان لا يدمر الاثار و دمرها و في تونس و اثناء شهر رمضان تبنى «داعش» هجومًا إرهابيًا على سواح اجانب في منتجع سياحي على شاطئ سوسة لتعلن بعد ذلك بوقت قصير الحكومة التونسية إغلاق المساجد المتشددة في البلاد.

ازدادت حدة الصراع ما بين مسلحي «داعش» والمقاتلين الأكراد ما بين الرقة السورية والحدود التركية، هذا و نفذ «داعش» عدة هجمات شمال سيناء. و في سبتمبر نفذت روسيا تنفذ أولى ضرباتها الجوية في سوريا، و صدرت أحكام قضائية بالإعدام من محاكم طرابلس بحق نجل القذافي، سيف الإسلام و تبنى تنظيم «داعش» عملية إسقاط طائرة سياحية روسية في شبه جزيرة سيناء المصرية، هذا و عرف اواخر العام 2015 هجمات بريطانية جوية ضد تنظيم «داعش» بعد هجمات الأخير المميتة في باريس في نوفمبر.

كما سبق الذكر فقد سيطرت مواضيع الارهاب و السلام و الربيع العربي على مراكز اهتمام الجريدة لثراء الاحداث و تتابعها، اذ اعقبت الربيع العربي و ثوراته التى سرعان ما تحولت الى نزاعات طائفية و حروب اهلية و تصفية حسابات شخصية، و تسارع الاحداث على الصعيد الفرنسي العربي او الدولي، و جاء الشأن الاقتصادي و السياسي و المواضيع الثقافية و الفنية بنسبة اقل بكثير

هذه البيانات لا تظهر سوى تباين تناول الموضوعات بالنسبة لبعضها، لكننا إذا عمقنا قراءتنا، فنجد الموضوعات مرتبطة ببعضها، فموضوعي الارهاب و العنف، اللا أمن، القتل و التعذيب، التنكيل، االاسلام، الاسلام الراديكالي، الاستبداد... إلخ، التى تمثلت أساسا في مواضيع العرب، فالإرهاب و الأمن مصطلحان كانا طاغيين و بصفة مطلقة على غيرهما من الموضوعات، الشيء الذي إستنتجناه من خلال القراءة التفصيلية لموضوعات العينة و التى مثلناها في بيانات الجداول التى تناولت بوصف فئات الموضوع.

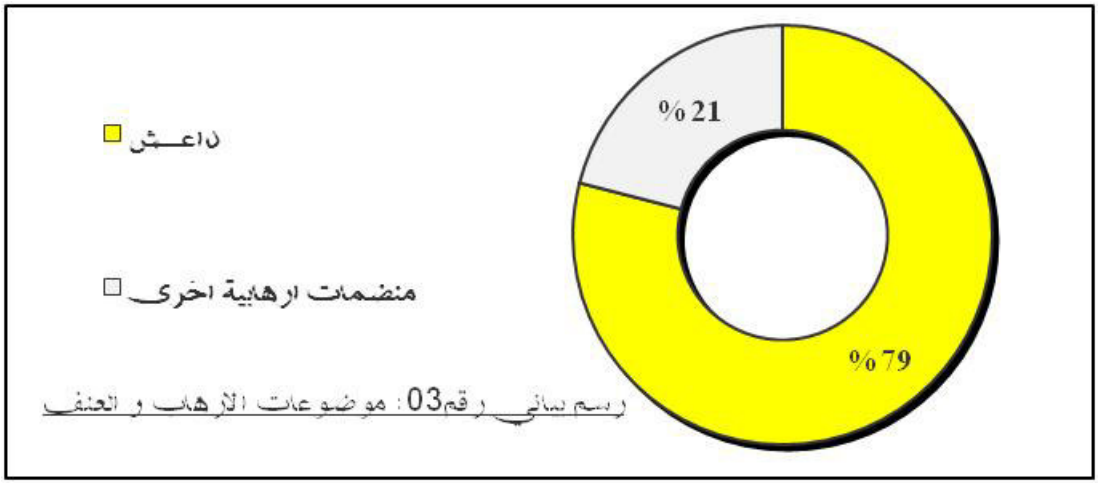

رسم بياني رقم03: موضوعات الإرهاب و العنف

في البيان رقم (03) الذي تناول موضوعات الارهاب و العنف، نلاحظ و توزيع مواضع «داعش» بنسبة (79%)، و قد أحرزت باقي المنظمة الارهابية على حصة تتمثل بنسبة (21%)، ما نلاحظه في نتائج هذا الجدول التباين الكبير بين االتطرق لتنظيم الدولة الاسلامية و باقي المنظمات الاخرى إذ طغت الأولى كون طبعها كان عنيفا متسببا في الحرق، التنكيل بالجثث، و تدمير الممتلكات العامة، و في هذا السياق يجدر بنا أن نشير أن معظم اعمال «داعش» غير انسانية في طبعها، و يجدر بنا الاشارة الى تكرار كلمة داعش و الذي ناهز الـ 4000 تكرار في مجمل نصوص جريدة «لوموند»

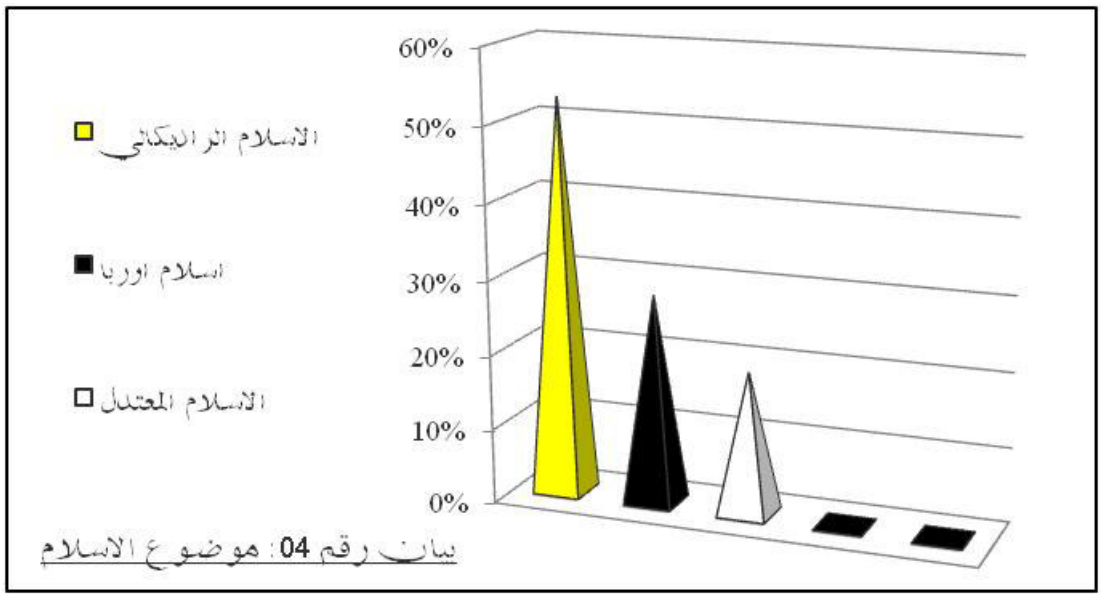

بيان رقم 04: موضوع الاسلام

يبين البيان رقم (04) و الذي يعنى بوصف موضوعات الإسلام إستحواذ الاسلام الراديكالي على حساب باقي موضوعات الاسلام إذ تمثل بنسبة (53.03%)،

حيث و من خلال تصفحنا ليس فقط لصفحات جريدة لوموند، و إنما لمُعضم صفحات الجرائد الوطنية و المحلية الفرنسية، نلاحظ تركيز الاعلام الفرنسي على ارتباط عرب فرنسا بإسلامهم الراديكالي، و كان عرب فرنسا هم المسؤول الأول و الأخير عن هذا التشدد في الدين و تطبيقه و ما ينتج عنه من آفات اجتماعية. في حين أن هذه الظاهرة، تمس كل الفئات الاجتماعية الفرنسية حتى الفرنسيين في حد ذاتهم، و جاليات أوروبا الشرقية، و الأتراك و غيرهم ... في حين أن الاسلام المعتدل جاء في المرتبة الثانية بنسبة (18.15 %). يليه بعد ذلك، اسلام اوربا بنسبة (10.60%)، هذا و جاء تكرار كلمة اسلام 1487 مرة خلال العام 2015

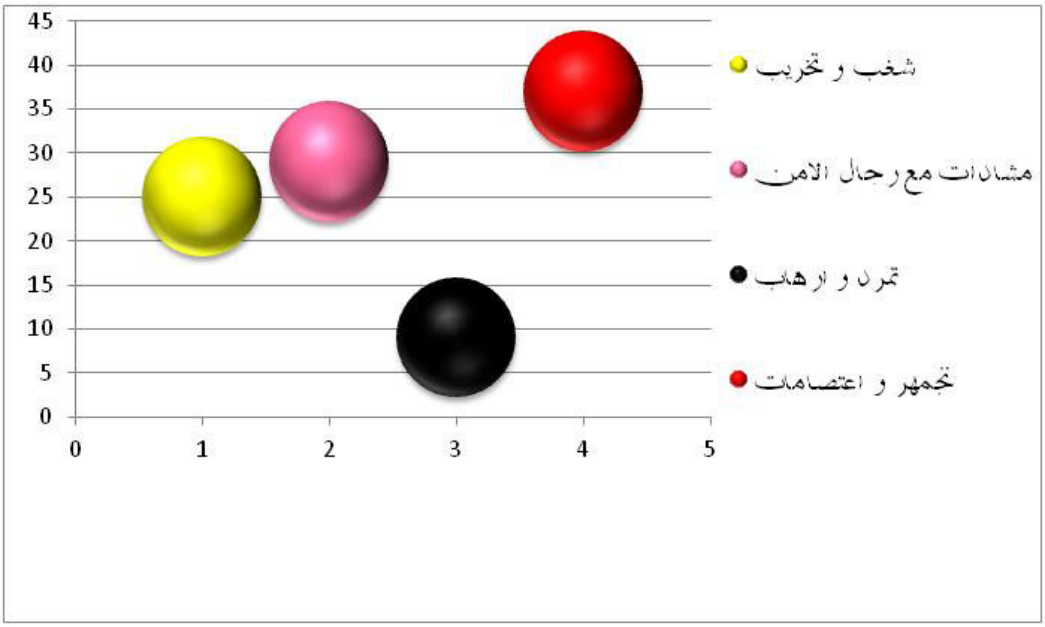

بيان رقم 5 : تكرار مواضيع الربيع العربي

بين البيان رقم (05) تكرار و مساحة موضوعات دول الربيع العربي إذ كانت معظم الدول العربية شهدت الربيع لكن بدرجات متفاوتة، و وصفت الجريدة اسباب الثورات معانات الشعوب العربية، إذ تعيش هذه الأخيرة ظروفا إجتماعية جد مزرية تبلورت في البطالة، الفقر، سوء التسيير، اللاعدالة، اللاامن، انعدام حريات التعبير و الراي، و الاقصاء من طرف الحكومات العربية، الشيء الذي ولد معظم الآفات الإجتماعية من إنحراف مخذرات، تطرف، سرقة... إلخ. و من الناحية الاقتصادية فتعيش الشعوب العربية في بلدان المغرب العربي مستوى دون الفقر. على عكس دول الخليج العربي

تحليل بيانات مواضيع الربيع العربي و المبين لتكرار و مساحة موضوع التجمهر و الاعتصام في الساحات العمومية و امام المقرات الحكومية عادة و الذي اخذ نسبة مئوية من حيث تكراره تقدر بـ (37.10%) ثم يليه المشادات مع رجال الامن بمساحة إجمالية تقدر نسبتها المئوية بـ (29.30 %). اذ عادة ما كانت تنتهي الاعتصامات بمشادات مع رجال الامن و القوات الحكومية التى كانت تسعى دائما لفض الاعتصامات بالطرق السلمية اولا و سرعان ما تتحول هذه المحاولات الى مشادات كلامية فأعمال شغب. و جاء موضوع الشغب و التخريب في الصف الثالث من إجمالي المواضيع الاربع المعالجة و المتعلقة بأحداث الربيع العربي الثائرة في وجه الانظمة.

تغطية «لوموند» لأحداث الربيع العربي كانت أنية و الاحداث عدا بعض التقارير المعمقة، فكانت الجريدة تسرد الوقائع حين حدوثها، و اصبحت المعالجات الاعلامية لأحداث الربيع من المواضيع الاعتيادية او الروتينية ، فعدا بعض الاحداث البارزة كانت كل مضامين الربيع العربي غير جديرة بالقراءة لتكرارها و تطابقها تقريبا.

و بنسبة اقل جاءت مراكز اهتمام جريدة «لوموند» بالمواضيع السياسية و الاقتصادية و الثقافية ... اذ جاءت في المرتبة الرابعة السياسة بنسبة 12 بالمائة و كانت تصب في معضمها الى تلك المؤتمرات السياسية و الحوارات و اللقاءات التى كانت تسعى الى فض النزاعات و الخروج من المواجهات المسلحة، هذا اضافة الى الانتخابات و باقي العمليات االسياسية. كما اهتمت الجريدة و بنسبة قليلة بالشؤون الثقافية و الاجتماعية لبلدان العربية، و بفنونهم من خلال التطرق الى اسرار الاهرامات المصرية و الواقع الاثرية بالاردن و غيرها من التظاهرات الفنية التى يحييها العرب في الامارات و تونس ..

4.7. تحليل مــؤشر القيم:

تُعرف القيم بأنها عبارة عن المعتقدات التى يحملها الفرد نحو الأشياء والمعاني وأوجه النشاط المختلفة، والتى تعمل على توجيه رغباته واتجاهاته نحوها، وتحدد له السلوك المقبول والمرفوض والصواب والخطأ، وتتصف بالثبات النسبى. و القيم الاخبارية هي مجموعة المعايير المادية والذهنية التى على أساسها يتم تحويل الحدث إلى خبر صحفي، فهي الصفات التركيبية المرتبطة بالتفاعل بين الحدث والجمهور وهي التى تكشف عن جوهر الحدث وعن استخدامه الاجتماعي أي تحويله إلى موضوع للإطلاع والمعرفة والفهم.

في علوم الاعلام و الاتصال، للقيم الإخبارية مجموعة من العناصر التى تقوم عليها كي تجعل من الحدث يرتقي إلى مستوى الخبر الذي يجلب انتباه الجمهور، وهذه العناصر تختلف بين الباحثين في مجال الإعلام كما أن القيم الإخبارية هي من أغوص معاني البنيات في المجتمع المعاصر وذلك لما تحمله من معان إيديولوجية و ذهنية، أي أن التمايز في الأنظمة الاجتماعية والسياسية و القيمية والإعلامية له أثر في إيجاد اختلاف للقيم الإخبارية التى يقدمها كل نظام و كل وسيلة اعلامية. فدلالة القيم الإخبارية تدل على وجود بنية معقدة للخبر على أساس أبعاد القيمة المتعددة، نظرية أو نفعية، فكرية أو إيديولوجية أو دينية. و لاجل ان نفهم بدقة القيم الإخبارية للجريدة محل الدراسة، ارتاينا فهم المحتوى و السياق الذي وقعت فيه حادثة الخبر، و كذا مغزى الصحفي من نقله الوقائع للجمهور. فلكل وسيلة إعلامية قيمها الإخبارية الخاصة بها التى تنبع من طبيعتها.

العناصر المحددة للقيم التى اعتمدناها في جريدة «لوموند»

- **الشهرة**: ان كانت الأسماء تصنع الأخبار فان الأسماء اللامعة تصنع الأخبار الهامة. و كل إنسان يحب التطلع لامستجدات الأبطال و الساسة البارزين في المجتمع الذي يعيش فيه. وكذلك يحب الرياضيين والفنانين. في فرنسا نجد ملايين من الفرنسيين يقرؤون قصص أصحاب الشهرة من الفنانين ومغامرات أصحاب الملايين. وقد تكون الشهرة مؤقتة سواء كانت لأشخاص أو أماكن أو أشياء أو حوادث تثير اهتمام القراء، مثل المعركة الانتخابية لرئاسيات 2017 بفرنسا،

أو الحرب في سوريا و العراق، و قبلها احداث الربيع العربي... وقد يستمر أثرها على الناس. مثلا معرفة مصير ابو بكر البغدادي بعد فتح الموصل و الرقة. لكننا في المقابل لا ينبغي أن نسلم بالمبدأ القائل أن الأسماء تصنع الأخبار، لأنه ليست كل أفعال الشخصية الشهيرة تعد أخبار ولكن يجب وجود عناصر أخرى من عناصر القيمة الخبرية.

- **التداول**: المتصفح للإعلام الفرنسي عامة وعلى اختلاف توجهاته، يلاحظ ان مختلف وسائل الاعلام تعمل على تداول الخبر نفسه. و خير دليل على ذلك هو اننا نتعرض لكم من الاخبار عبر قناة tf1 الفرنسية ، حين تغييرك للقناة و بحثا عن اخبار اخرى تجد نفسك تستهلك نفس الاخبار على قناة France 02 و بإبحارك عبر المواقع الاخبارية تجد التغطية للحدث ذاته، و من خلال قراءتك للصحافة المكتوبة فستلاحظ حتما تداول نفس الخبر الذي كنت تطالع حيثياته عبر الشبكة... و هكذا بالنسبة لمحطات الراديو. فالتداول في الاعلام الفرنسي يمثل خاصية الاستمرار في تداول الخبر حتى يأخذ جدارته وأهميته الصحفية و يجعلك تأخذ موقفا تجاه قضية ما كانت تبدو صغيرة. و ذلك بقيم رجال الإعلام الأكثر نفوذا، ولكن مع الاستمرارية في تداول هذا الموضوع يصبحا حدثا هاما بالنسبة للجمهور. الى ان يتعدى الامر الى الضغط و التاثير على اصحاب القرار كما حدث في فرنسا نهاية شهر ديسمبر 2016 اين اعطى الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند الامر بالإعفاء الكلي عن السيدة Sauvage و التى كانت قد قتلت زوجها عمدا و في كامل قواها العقلية و هذا بفضل تداول اجهزة الاعلام للقضية طوال عدة اشهر

- **التأثير**: هو عنصر اساسي في القيم التى نجدها في جل وسائل الإعلام، مرئية كانت، مسموعة او مكتوبة. و يقصد به إثارة اهتمام أكبر عدد من الناس قصد تحقيق اكبر رواج لتلك المادة الاعلامية. فمن الأخبار ما يمس جماعة قليلة من الناس في المجتمع فلا يؤبه له كثيراً في الصحف. و من الأخبار ما يمس أكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع كالأمن و السلام و الصحة، أو يمس مرفقاً من أهم المرافق الحيوية في هذا المجتمع، أو يمس مشكلة من أكبر المشكلات السياسية

أو الخلقية أو الاقتصادية التى تهم المجتمع الفرنسي كالمد الاسلامي في فرنسا، ثورات الربيع العربي، أو اعمال داعش على سبيل المثال، و لذلك تخصص الصحافة المكتوبة الفرنسية عموما و جريدة لوموند خصوصا لهذا الخبر الذي تكون قيمه مؤثرة مكاناً ظاهراً في صدرها. وعنصر الضخامة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدلالة الإعلامية، ومدى اهتمام الناس بها. و في قواعد علم حساب الأخبار فان خبر حادثة أصابت ألف شخص أهم من خبر حادثة أخرى أصابت 100.

- **الصراع:** «الأخبار الجيدة تمشي والأخبار السيئة تجري» هو مضمون مثل هولندي شائع و لعل جل الصحافة الفرنسية المكتوبة تركز و تبرز دوما الأخبار التى تتمتع بالسلبية وخصوصا إذا وجد الصراع بين جهتين أو أكثر، اذ أصبحت الدولة الاسلامية في العراق و الشام، تتصدر اهتمامات وسائل الإعلام بمختلف أشكالها وأنواعها... هذا و فرضت مواضيع الامن نفسها وأصبحت اللغة الأكثر تداولاً في العالم تماما كظاهرة الإرهاب، وأصبحت ظاهرة المد العربي و الاسلامي بفرنسا من القيم الخبرية التى تعتمدها الجرائد والمجلات ومختلف وسائل الإعلام الفرنسية و العالمية، كما أصبحت الجرائد تتفنن في تقديم صور مختلفة عن المهاجرين و اللاجئين التى أصبحت تنشر يوما بعد يوم في دول عديدة من العالم.. وبالنسبة لمعظم وسائل الإعلام الغربية وخاصة تلك التى تركز على الإثارة وعلى بيع الغرابة والعنف والجريمة فإن العرب و الارهاب و السلام الراديكالي .. و غيرها من المواضيع المشابهة تعتبر مادة دسمة مربحة تساعد المؤسسة على زيادة المبيعات وجنى أرباح طائلة، فالإرهاب و الاسلام و بفعل الصحافة الفرنسية المكتوبة أصبحت لغة هذا القرن بفرنسا.

- **الغرابة:** يكفي أن يكون الحدث غريباً لكي يكون خبراً متداولا، فالإعلام الفرنسي بصفة عامة يعتمد في تسويقه للأخبار على كل ما هو غريب و طريف، مثل الترويج لكيفية اعدام العناصر الارهابية للأسرى في سوريا و العراق، قد يعيش في أذهان جمهور القراء أكثر مما يعيش خبر الزيادات في اسعار البنزين او الاضرابات التى يشنها مختلف عمال القطاعات من حين لاخر، وتذهب صحيفة

«لوموند» إلى أن عناصر التسويق و الإثارة والطرافة و الروعة من أهم سمات الخبر الجيد.

- **التماثل:** هذا يعنى درجة التقاء الأحداث مع توقعات الجمهور وتنبؤاته. إذ أن الأخبار لا تنشر إلا بما يخدم قيم الصحافي الذي يكتبها، و كذا قيم الجريدة التى يكتب فيها. و المقصود بالتماثل لدى جريدة «لوموند» ، هو عدم الخروج عن التماثل الذهنى و العقائدي و الدينى للمجتمع الفرنسي. و تكمن أهمية الخبر هنا بمجرد خروجه عن هذا التماثل العقائدي الفرنسي.

القيم الإخبارية و القيم الايديولوجية:

القيم الإخبارية عبارة عن قيم تتوافق و ايديولوجية الوسيلة الاعلامية. ولكي يصبح الحدث في مستوى الخبر ليذاع أو ينشر عبر الصحافة و وسائل الإعلام عامة، يجب أن يتضمن قيمه الايديولوجية والفكرية أي أن تأثير الايديولوجية يبرز في عملية اتخاذ القرار بشأن الأحداث التى يجب تغطيتها، وهذه العملية تكون في أيدي رؤساء التحرير والناشرين والمحررين وحتى المخبرين أثناء جمع الأخبار، وتكون لديهم غالبا أفكار محددة في الطريقة الواجب إتباعها أثناء التحرير، وحتى وإن كان صحفي جريدة لوموند يتمتع بالحرية والاستقلالية إلا أنه يخضع لايديولوجية، قد تتعارض و قيمه و ايديولوجيته.

معروف عن الإعلام الفرنسي كونه اداة بقبضة أصحاب المال و النفوذ المهيمنة، و لان القيم الإخبارية تختلف من صحيفة إلى أخرى باختلاف الايديولوجيات الصحيفة. فان لكل مؤسسة إعلامية قيمها الإخبارية التى تعكس قيمها و ميولاتها الايديولوجية والاجتماعية والفكرية والثقافية والاقتصادية. فالقيم إذا عبارة عن بنية قيمية وإيديولوجية وذهنية وليست عبارة عن رصد أحداث وقعت أو عناصر إخبارية لا تعكس مضمون القيمة التى يحملها الخبر، نفهم أن الأحداث يجب أن تتضمن قيمة إيديولوجية كي تصبح في مستوى الأخبار الممكن إذاعتها أو نشرها، هذه الايديولوجية هي فكر المؤسسة الإعلامية أو السلطة السياسية أو المالكين الخواص والممولين.

القيم الإخبارية و قيم المجتمع الفرنسي:

انه من المستحيل محاولة الفصل بين القيم الصحافية، القيم الإخبارية والقيم المجتمع، فالقيم الصحافية تتكون بنفس العملية التى تتكون بمقتضاها قيم المجتمع، وما يستنتج من هذا القول أن هنالك علاقة ديناميكية جدلية بين القيم الصحافية الإخبارية و القيم الاجتماعية. و لا يمكننا أن نتصور أن الصحافة الفرنسية المكتوبة يمكن أن تعادي النظام الاجتماعي الذي تنتمي إليه، و ان اختلفت قيم الصحف الفرنسية في الشكل أو في الأسلوب ... إلا انها تلتقي في الهدف نفسه.

خلصنا في ابحاث الرسالة المكملة لنيل شهادة الماجستير الى ان قيم الصحافة الفرنسية تحاول ضبط قيم المجتمع في المواضيع المتعلقة بالعرب و الإسلام، و ذلك من خلال الصورة التى ترسمها الصحافة للمجتمع المستهلك لها. و باعتبار أن الأحداث المتعلقة بالعرب و الاسلام و التى كثيرا ما كانت تختلط بالأحداث الارهابية لم تكن احداث عرضية بالنسبة للصحافة الفرنسية المكتوبة، فهي تمارس تأثيرها على قيم الأخبار المتعلقة بها. الشيء الذي ادى إلى بروز ترتيب للمصالح وفقا للاولاويات، المصلحة عامة للمجتمع مصلحة النظام أو المصالح الذاتية لصاحب الرسالة الإعلامية أو الممول.

فالتمايز بين اليمين و اليسار و الوسط في الأنظمة السياسية يفرض وجود تمايز على مستوى السياسات الإعلامية وعلى مستوى طبيعة القيم الإخبارية و الصحافية التى تقدم في كل نظام. و منه فالفهم الدقيق للقيم الصحافية في أي مؤسسة إعلامية يخضع إلى فهم طبيعة النظام السياسي و كذا الاجتماعي وطبيعة الحادثة أو الواقعة التى ستوصلها إلى الجمهور.

اثناء قراءتنا للمواضيع التى وردت في العينة، و لكثرة المقالات و المضامين الاعلامية و ثرائها، فقد استخرجنا عدد كبير جدا من القيم التى كانت واضحة في المعالجات الإعلامية، و لكثرتها فقد ارتأينا الاخذ بعين الاعتبار القيم الاكثر تعبيرا عنها. يبرز الرسم البياني رقم (03) المبين لتكرار القيم في موضوعات العرب، اذ جاءت متباينة في نسبها المئوية كما أنها متداخلة فيما بينها لتقاربها، و تباينت القيم بين قيم الأمن، العدالة، العنصرية، الخوف، الكره، المواطنة، الرفض، العنف.

جدول رقم 03 يبين تكرار القيم في مواضيع عرب فرنسا

الاعداد القيم	الأمن	العدالة	العنصرية	الخوف	الكره	المواطنة	الرفض	العنف	∑
1	2	1	12	6	21		8	9	**60**
2	5		15	8	12	9	9	5	**35**
3	1			3	12		3	4	**23**
4	10		2	12	4	5	3		**36**
5	1		9	1	10		5	10	**36**
6	5	5	2	2	8	5	12	9	**48**
7	6			19	9		3	10	**47**
8			5	10	15		2	9	**41**
9	12	4	8	8	7	4	19	15	**77**
10	12		5	12	20		11	12	**72**
11	1		4	21	12		6	12	**56**
12	9	4	3	2	14		12	6	**50**
13	5		8	91	1		6	5	**116**
14	8			7	6		12		**33**
15	21	5	9	11	9	4	2	12	**73**
16	11	1	9	10	11		12	21	**75**
17	9		8	15	9	5	19	5	**70**
18		2	9	12	10	3	14	21	**71**
19	15		8	9			7	12	**51**
20	6	9		8	9		12	15	**59**
21	12		12		12	1	16	9	**62**
22	9	5	8	10	7		23	5	**67**
23	2		15	20	5		10	9	**61**
24	10		14	9	12		15	6	**66**
∑	**172**	**36**	**165**	**306**	**235**	**36**	**241**	**221**	**1412**
٪	**12%**	**3%**	**12%**	**22%**	**17%**	**3%**	**17%**	**16%**	**100**

القيم في موضوعات الارهاب و العنف

جدول رقم 04: يبين تكرار القيم في موضوع العنف و الارهاب

الاعداد / القيم	الأمن	العدالة	العنصرية	الخوف	الكره	المواطنة	الرفض	العنف	Σ
1	20	1		6	15		10	9	**60**
2	5			8	5		12	5	**35**
3	12			3	7		6	4	**32**
4	2			12	4		3		**21**
5	12		1	1			20	10	**44**
6	1	5		2	8	5	12	9	**42**
7	5			9			3	1	**18**
8	1			10	9		2		**22**
9	11	4	8	8	7	4	20	10	**72**
10	1			4			11		**16**
11	6		4	9			6		**25**
12	8	4		2	9		10		**33**
13	5		8	1	1	9	6	4	**34**
14	1			7	9		2		**19**
15	25			2			30		**57**
16	11	6		2	10		12	17	**58**
17	4						1		**5**
18	15		5	2		3	5		**30**
19	1						2	1	**4**
20	12	5	5	5	1		14		**42**
21	17				12	1	5	1	**36**
22	17			9	5		3		**34**
23	16	6		1			2	7	**32**
24	2			4	10		15		**31**
∑	**210**	**31**	**31**	**107**	**112**	**22**	**212**	**78**	**803**
٪	**26%**	**4%**	**4%**	**13%**	**14%**	**3%**	**26%**	**10%**	**100**

جاءت قيم الرفض و الرفض في المرتبة الاولى بنسبة مئوية متساوية تقدر بـ (26%) ثم قيم الكره و العداء بنسبة (14%) و بعدها الخوف بنسبة (13%) ثم قيم العنف بنسبة (10%)، تليها بعد ذلك قيم العدالة، العنصرية و المواطنة بنسب تقارب الـ (3%) و هي نسب ضئيلة.

ما نلاحظه في هذا التوزيع، هو سيادة قيم الرفض و الأمن بنسب متساوية و هو الامر الذي يعكس سلبية هذه القيم اتجاه العنف و الارهاب في مواضيع العرب. جاءت هذه القيم تبعا لطريقة متابعة الأحداث المتعلقة بالاعمال الارهابية التى امتدت طيلة العام 2015 و العنف الذي كان يمارسه تنظيم «داعش» في حق الانسانية، و تبرز لنا قيمتين اخريتين لا تقلان سلبية عن الرفض و الامن و هما الكره و

الخوف. ان لم يخفي صحفيي جريدة «لوموند» خوفهم من الارهاب الذي طال كل دول العالم و كانوا في كل مرة يبدون كرههم لـ «داعش» و الجماعات الارهابية الاخرى على اختلاف مذاهبها و مناطق نشاطاتها.

كما سبق الذكر سالفا، القيم المتحصل عليها من خلال إفراغ البيانات، كانت كثيرة و كانت مرتبطة ببعضها ارتباطا وثيقا، عدم شعور العرب بالعدالة الاجتماعية و بالأمن في بلدانهم جعلهم يمارسون العنف و العنف يولد عدم الإحساس بالأمن و كذا العنصرية، و بالتالي الرفض و الكره من الطرف الاخر.

ان كنا نحن العرب نحمل قيم سلبية تتجلى في الكره و الرفض و الخوف من الارهاب الغاشم و اعمال العنف التى طالت كل المجتمع الدولي، فأكيد ان الاخر (الغرب) من خلال اعلامه سيحمل هذه القيم السلبية اتجاه الارهاب الذي دحر الامة العربية ... مما سبق، نخلص ان سلبية قيم «لوموند» اتجاه الارهاب ليس بهدف التشويه او الكره او العنصرية، بل هي القيم التى يتقاسمها كل المجتمع الدولي اتجاه الارهاب و العنف في الوطن العربي و كامل البلدان الغربية التى لم تعد في منأى عن العمليات الارهابية

مؤشر القيم في موضوعات الاسلام

جدول رقم 05: يبين تكرار القيم في موضوع الاسلام

الاعداد / القيم	الأمن	العدالة	العنصرية	الخوف	الكره	المواطنة	الرفض	العنف	∑
1	2	1	12	6	15		8	9	**60**
2	5		15	8	5		9	5	**35**
3	1			3	7		3	4	**18**
4	2		2	10	4		3		**21**
5	2		9	1	10		5	10	**37**
6	1	5	2	2	8	5	12	9	**44**
7	5			19			3	1	**28**
8	1			10	9		2	5	**27**
9	11	4	8	8	7	4	19	10	**71**
10	1			12	9		11		**33**
11	6		4	15			6	15	**46**
12	8	4		2	9		12		**35**
13	5		8	91	1		6	4	**115**
14	1			7	6		1		**15**
15	25			11			6		**42**
16	11	6	9	10	10		15	20	**81**
17	4			15			1		**20**
18				12	10	3	9		**34**
19	1		8	9			2	12	**32**
20	6	5		8	2		10		**31**
21	8				12	1	15	1	**37**
22	9		8	10	5		3	4	**39**
23	2	6		20	5		10	9	**52**
24	2			9	10		15	3	**39**
∑	**119**	**31**	**85**	**298**	**144**	**13**	**186**	**121**	**997**
٪	**12%**	**3%**	**9%**	**30%**	**14%**	**1%**	**19%**	**12%**	**100**

جاءت القيم في المواضيع المتعلقة بالإسلام متفاوتة الان ان الابرز فيها هو قيم الخوف التى طغت على باقي القيم، اذ جاءت تمثل نسبة (30%) و هي نسبة كبيرة تعكس خوف جريدة «لوموند» من الاسلام كديانة بصفة عامة و الاسلام الراديكالي بصفة خاصة، فالاسلام الراديكالي هو اكبر خطر يهدد اوربا في نظر «لوموند»، هذا و لم تخفي الجريدة قيم رفضها لهذا المد الاسلامي الراديكالي في المجتمع الفرنسي، فكانت سلبية جدا اتجاه الائمة الراديكاليين الذين يعملون على تنشيط الخلايا الارهابية و اقناع الشباب بهذا الفكر التى ستكون نتائجه حتما وخيمة على المجتمع الفرنسي.

ما لاحظناه في تحليلنا للقيم في مواضيع الاسلام هو سلبية «لوموند» اتجاه الاسلام الراديكالي فقط، اما عن الاسلام المعتدل و القيم الاسلامية السمحاء، فكانت «لوموند» دائما تدافع عنها، و لم تتواني في توجيه الرأي العام الفرنسي لعدم الخلط بين الاسلام و المسلمين، بين الاسلام و الاسلام الراديكالي، و تأتي بعدها و

بنسب متقاربة قيم الأمن، العنف و الكره و هذا منطقي جدا بالنضر الى القيم السائدة اتجاه الاسلام الراديكالي الذي عادة ما يؤدي بمعتنقيه الى القيام باعمال العنف و التعنيف، و بالتالي الاخلال بالأمن العام ما يولد الكره و العداء اتجاه التعصب الاسلامي

تكرار القيم في موضوعات الربيع العربي:

تكرار القيم في موضوع الربيع العربي (الرسم البياني رقم 6) جاء متباين في قيمه فجاءت قيم العدالة في المرتبة الولى و بنسبة (20%)، العدالة التى تحدثت عنها «لوموند» و التى كانت الشعوب العربية تفتقر لها. اذ ان السبب الجوهري للثورات العربية هو عدم تحقيق عدالة، لا اجتماعية و لا اقتصادية بين مختلف شرائح الشعوب العربية، و سبب اندلاع الثورات هو خروج الشعوب الى الشوارع للمطالبة بالعدالة. و اتسمت احداث الربيع العربي بالعنف الشيء التمسناه في قيم الجريدة، فالعنف كان حاضرا و بقوة في احداث الربيع العربي الى درجة انه حتى المسيرات السلمية و الحوارات السياسية، كانت في اغلبها تنتهي بأحداث عنف... ، و تلي قيم العدالة و العنف، قيم الامن و الكره بنسبة متساوية تقدر بـ (16%)، اذ ان الثورات العربية اتسمت بالا امن و هذا ما جعل صحافيي «لوموند» يكررون القيم الامنية خاصة اثناء الفترات التى اتسمت بالانفلات الامنى كما حدث في تونس و ليبيا و غيرها من بلدان الربيع العربي هذا و سجلنا وجود قيم مواطنة، اذ ان الشعوب العربية اندثرت ليدها مشاعر الانتماء الى أوطانهم الشيء الذي جعل بالآلاف يهاجرون مواطنهم و جاءت بنسب مختلفة القيم الاخرى

بيان رقم 06 تكرار القيم في موضوعات الربيع العربي

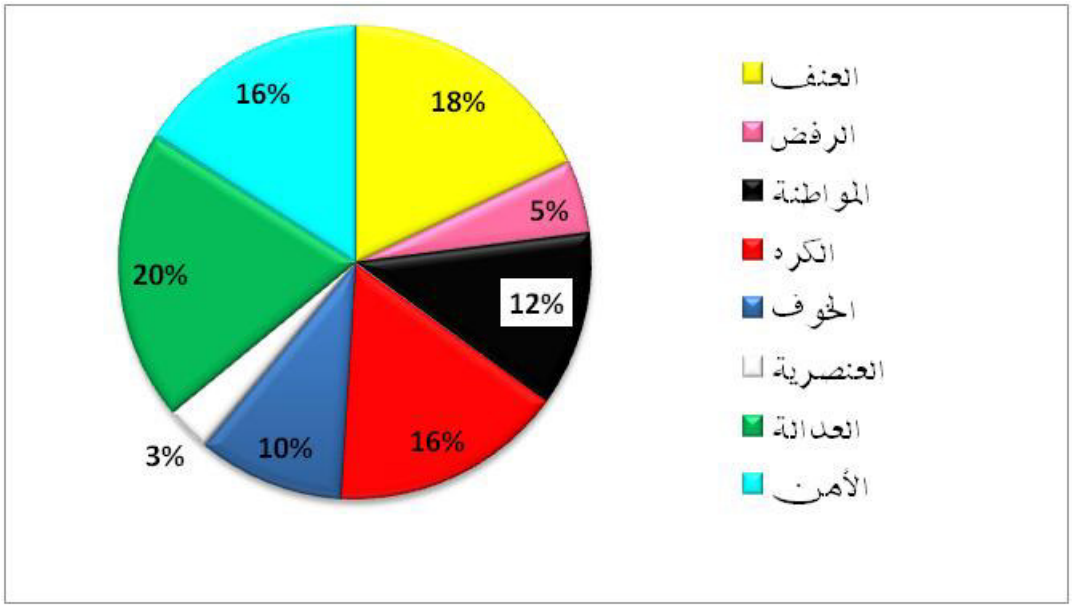

تكرار القيم في موضوعات السياسة

كان تمثيل المواضيع السياسة، (13%) من مجموع المواضيع التى تطرقت اليها «لوموند» في الشأن العربي و السياسة جاءت في المرتبة الرابعة الارهاب، الاسلام و الربيع العربي، و كانت المباحثات السياسة و المؤتمرات غالبة على هذه المواضيع و طالما كانت السياسة الفرنسية طرفا فيها خاصة لما يتعلق الامر بالمبادرات التى تعرض على الامم المتحدة او مجلس التعاون الخليجي و غيرها من المساعي السياسية الهادفة لإنهاء الحروب و الصراعات. و لما يتعلق الامر بالسياسة تعتمد «لوموند» على خيرة خبرائها السياسيون و توظف دومًا الأكاديميين والمتخصصين في الشأن العربي، و لعل الخبراء السياسيون و قيمهم هو من جعل من «لوموند» جريدة عالمية تصدر في كل بلدان العالم و بـ 13 لغة على الاقل.

جدول رقم 06 يبين تكرار القيم في مواضيع السياسة

القيم الاعداد	التضامن	التواصل	الوحدة	العدالة	العنصرية	المواطنة	التنافس	الخوف	الرفض	التشكيك	الانجاز	∑
1				3		5			5			13
2												0
3			6		4					6	2	18
4												0
5	5				2		12			2	6	27
6												0
7		2					2			8		12
8			2	5				13		12		32
9												0
10			2		4		1		5			12
11	2		1		5			2			2	12
12		3				4		5		1		13
13												0
14	2		2		5		11		6		5	31
15												0
16	2			6				5				13
17												0
18												0
19					5			5			5	15
20	9	6				3		5			2	25
21												0
22	5				2						6	13
23												0
24												0
∑	25	11	13	14	27	12	26	35	16	29	28	236
%	11%	5%	6%	6%	11%	5%	11%	15%	7%	12%	12%	100

جاءت القيم في الشأن السياسي متباينة كما يوضحه الجدول التالي، فقد جاءت القيم متباينة بين العدالة، العنصرية التنافس، الخوف، الرفض، التشكيك، الانجاز، التواصل التضامن ... فجاءت في مرتبة متصدرة و متقاربة قيم التشكيك، الانجاز و الخوف اذ لطالما شككت «لوموند» في النوايا التى تخفيها سياسات الحكومات العربية، و هذا للمفاجاءات التى يأتي بها القادة العرب اتجاه القضايا التى تمس شعوبهم و اتجاء القضايا الدولية، لكن التشكيك يكاد ينعدم لما يتعلق الامر بالعرب و الغرب. كما جاءت قيم الانجازات بنسبة (12%) متساوية مع التشكيك و كانت هذه القيم في الانجازات التى تحققت بعقد مؤتمرات السلام... كمؤتمر جونيف و الهدنات التى عرفها الصراع في اليمن و سوريا و العراق لكن دون جدوى للوصول الى حلول نهائية. هذا و تأتي قيم الخوف في المرتبة الاولى و بنسبة (15%) و هو خوف جريدة «لوموند» من سياسات الدول العربية اتجاه شعوبها و اتجاه المصالح الفرنسية في

الدول العربية، و هنا تخوفت كثيرا من سياسة «داعش» التى هدد بضرب الاراضي الفرنسية و هو ما تم فعلا على ثلاث مرات خلال العام 2015 ثم المانيا و بلجيكا و غيرهما

جاءت قيم العنصرية و التنافس في المرتبة الرابعة و بنسبة متساوية ممثلة في (11%) اذ لم تستصيع «لوموند» اخفاء عنصريتها و اشمئزازها اتجاه سياسات بعض الدول العربية خاصة لما يتعلق الامر بقمع المظاهرات السياسية و تعذيب و اعتقال المعارضين السياسيين و الحقوقيين و المدونين. هذا و تأتي قيم التنافس السياسي الفرنسي من خلال التنافس على لعب دور على الساحة العربية، اذ اقحمت فرنسها نفسها في الكثير من الشؤون السياسية العربية و نافست الولايات المتحدة الأمريكية روسيا و الصين.

القيم في مواضيع الاقتصاد العلاقات العربية الفرنسية و موضوعات الثقافة و المواضيع الاجتماعية جاءت محدودة جدا و ذلك لقلة المضمون الاعلامي الممثل للمواضيع سالفة الذكر، هذا و استخلصنا الى سيادة القيم السلبية كالكره، العنصرية، الرفض، العنف التى تحملها الجريدة لعرب فرنسا كونهم كانوا هم المسؤولين عن كل اعمال الارهاب التى ارتكبت على التراب الفرنسي من الاخوة كواشي الى مفجري احداث باريس نوفمبر 2015. الجدير بالإشارة ان «لوموند» لم تتجاهل الدور الايجابي الذي تلعبه الجالية العربية المقيمة بفرنسا في الجانب الاقتصادي خاصة و حاولت قدر الامكان تجنب الوقوع في قيم العنصرية المعبر عتها بـ (13%)، و تشهد باريس العديد من اعمال الجريمة و الشغب و العصيان و عادة ما يكون فيها للعرب المقيمين فيها حصة الاسد من الفاعلين.

في الاقتصاد، جاء تمثيله يقارب الـ (08%) من مجمل مواضيع العرب المعبر عنها على صفحات عينة جريدة «لوموند» و كانت قيم الجريدة غير واضحة في مقارباتها لاقتصاديات الدول العربية، اذ كانت قيم ايجابية تضامنية و قيم عدالة مع اقتصاديات دول الخليج خاصة الدول الغنية منها كالإمارات و قطر و جاءت القيم اتجاه الشؤون الاقتصادية جد سلبية تجسدت في الرفض، الخوف، التشكيك و التكذيب في اقتصاديات دول المغرب العربي خاصة منها الجزائر و مصر

في الأخير جاءت القيم في الموضوعات المتعلقة بالعرب متنوعة بين السلب و الايجاب و عبرت عنها جريدة «لوموند» بقيم اختلفت بين الخوف، الكره، المواطنة، الرفض، التشكيك... العدالة و الامن. و اختلف تكرار و توزيع القيم من موضوع الى اخر. فكانت للجريدة قيم امنية و قيم الكره اتجاه الارهاب و الخوف و التشكيك من سياسات الدول العربية و كذا قيم العدالة و العنف في مواجهات و مجريات احداث الربيع العربي للعام 2015.

5.7. تحليل مؤشر السمات:

تتجلى ميزة صحيفة «Le monde» الفرنسية وقوتها من خلال علاقتها الوطيدة بالحياة ألاجتماعية، السياسية، الاقتصادية و الثقافية للمجتمع القارئ لها، فرنسي كان ام غير فرنسي، و تتميز كذلك بعالميتها من خلال قوة شخصيتها و استقلاليتها النوعية مقارنة بباقي الصحافة المطبوعة، و كذا أثرها الكبير على ارفع المستويات السياسات، فضلا عن كفاءتها في النقد والتحليل والمشاركة الكبيرة في توجيه الرأي العام، باتخاذها لأسلوب تحدده سماتها. من خلال قراءتنا للمواضيع التى تتطرف فيها الجريدة الى العرب و الإسلام، كان للجريدة سمات محددة ساعدت في بناء توجهاتها و مواقفها من العرب و قضاياهم. اظهرت الجريدة أيضاً قدرتها على تناول حقائق العالم العربي و بالاعتماد على محلليها عالجت و فسرت بحياد الى ابعد الحدود مقارنة بباقي جرائد الاعلام الفرنسي، ومن ثم ساهمت الجريدة في طرح البدائل والإسهام بشكل مباشر في توجيه الرأي العام الفرنسي و غير الفرنسي و كذا تنوير الساسة و قادة الامور على راس هرم السلطة الفرنسية.

في مواضيع العرب كانت شخصية الصحفي أكثر وضوحاً من خلال سماته، واستعمل الصحفي كباقي صحفيو الجرائد الفرنسية الكبيرة الأسلوب الأدبي الغنى بالصور الفنية والايقاع المتناغم، مثير بذلك انتباه القارئ ليجعل منه يحس و كأنه طرف في القضية، و يجعله ينفعل و يشعر باللاامن من الارهاب الذي طال العالم بكله، متخوفا من الاسلام الراديكالي، يائسا من سياسات القادة العرب، و اخذا للحيطة من عرب فرنسا الذين اعتنقوا الفكر التكفيري، و غيرها من السمات، السمات التى أظهرت ضمير الصحافي و عواطفه الشخصية بشكل بارز.

في هذا المؤشر و اثناء تفريغنا للبيانات، إرتأينا تفريغ بيانات السمات في جدول واحد دون الفصل بين الموضوعات (الإرهاب، الإسلام، الاقتصاد...)، فعوض تفريغها منفصلة وفقا لموضوع الاهتمام كما فعلنا بالقيم و مراكز الاهتمام. سنُفرغ بيانات السمات في جدول واحد. و هذا يعود اساسا الى تداخل و تشابه المواضيع و السمات. فتفريغها في جداول منفصلة جعل من التعليق عليها مستحيلا و ادى الى اختلاط بيانات السمات مع المواضيع. و هذا بهدف ألا نقع في الخلط فيما بينها و لكي نجنب القارئ للرسالة الوقوع في سوء الفهم.

جاءت السمات العرقية و الطائفية بالدرجة الاولى بنسبة (31%)، اذ ابدى صحافيو الجريدة معرفتهم الجيدة لتركيبة الامة العربية و الشرائح المكونة لمجتمعاتها، و كذا معرفتهم لمختلف الاعراق العربية و اصولها و كل الطوائف التى تنطوي تحت راية العروبة و الاسلام في مختلف المعالجات الاعلامية. و كانت «لوموند» دقيقة جدا في تعاطيها مع الشان العربي من خلال تسميتها لمختلف الطوائف في الاحداث العربية، الى درجة تسمية حتى الجماعات الصغيرة و الاقليات المشتتة بمسمياتها، و هذا ما لم نلحظه في باقي وسائل الاعلام الفرنسية التى تعتبر ان العرب هم العرب دون تشخيص مختلف الطوائف التى تشكل المجتمع العربي الذي توحده اللغة.

تسمي «لوموند» السنة بأهل السنة، و تسمي الشيعة بالشيعة، بل حتى انها تسمي مختلف الطوائف الشيعية كالجعفرية، الدروز، العلوية، الشيعة الامامية، الإسماعيلية، الإباضية و غيرها من الطوائف التى تنحدر من المذهب الشيعي. و في المغرب العربي كانت تسمي مختلف طوائفه العرقية بمسمياتها، كالريف، الاطلس، السواسيين بالمغرب الاقصى و القبائل و الاباظيين و بنو ميزاب و التوارق و غيرها من الطوائف المشكلة للمجمتع الجزائري، و الاقباط و الامويين بمصر ... و العلويين بسوريا و الوهابيين بالمملكة العربية السعودية و غيرها.

فتسمية الطائفة باسمها لم يكن الهدف منه إبزار الفوارق الطائفية و الدينية بالمجتمع العربي، و انما اسهم في مصداقية الجريدة خاصة لما يتعلق الامر بالنزاعات و الصراعات و كذا مواضيع الربيع العربي و ما عرفه من تناحر بين مختلف شرائح و

طوائف الامة العربية الواحدة، إذ لاحظنا في احداث الربيع العربي او ما يحدث في سوريا مثلا اين نجد القاتل يهتف بالتكبير (الله اكبر) و المقتول يهتف بالتكبير كذلك (الله اكبر) و هذا ما يجعل المستهلك للإعلام يطرح اكثر من تساؤل حول القاتل و المقتول و السبب... و تسمية الطوائف بأسمائها كانت تساعد القارئ على فهم الحدث و رفعت اللبس عن الكثير من الإستفهامات و الخلط بين هذا و ذالك، و الدوافع التى تجر هذا و ذالك و باقي التساؤلات التى نصادفها في الاعلام العربي و غيره من وسائل الاعلام الاخرى.

في المرتبة الثانية و بعد السمات العرقية و الطائفية تأتي السمات السياسية و الاسلامية بنسب متقاربة، فمثلت الاولى نسبة (23%) و الثانية بنسبة (20%). السمات الاسلامية او سمات الديانة الاسلامية وردت في مواضيع الإرهاب، الإسلام، السياسة، الثقافة و نعيد الاشارة هنا انه ارتبط الدين الاسلامي بالعرب و الإرهاب، لدرجة انه اصبح من الصعب بمكان الفصل بين المفاهيم السالفة الذكر. ففي نظر الغرب، كل ارهابي هو مسلم و كل ارهابي هو عربي ... لكن ما لم يستوعبه العالم هو انه ليس كل مسلم ارهابي و ليس كل مسلم عربي. جاءت السمات الاسلامية في مواضيع الإرهاب، عرب فرنسا، الربيع العربي و كثيرا ما اختلط مفهوم الاسلام بالإرهاب خاصة و الاسلام الراديكالي. لكن التمسنا جهود الصحافيين الفصل بين المفاهيم رغم ان السمات تجمعهما في اكثر من نقطة.

تجلت السمات السياسية في العلاقات العربية الفرنسية، و في الشؤون السياسية للدول العربية بشكل اكبر و بقدر اقل في مواضيع الارهاب و الربيع العربي و انعدمت في مواضيع الثقافة و المجتمع و الإقتصاد، و جاءت القيم السياسية متوازية مع قيم الدين الإسلامية اذ عرفت المضامين الاعلامية المتعلقة بالعرب نسبة كبيرة من الامور السياسية.

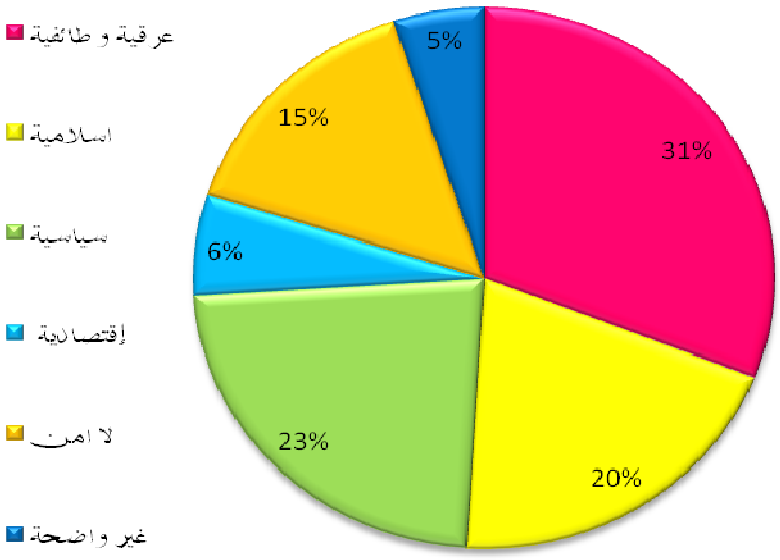

رسم بياني رقم 07 السمات في المواضيع السياسية

سمات الامن او سمات اللاامن جاءت في المرتبة الرابعة بنسبة ممثلة بـ (15%) فكان لصحفيي «لوموند» سمات امنية و هو ليس بالأمر الغريب، بل اننا نتغرب نسبته السمات الامنية الضئيلة، اذ اننا كنا نتوقع نسبة اكبر منها بكثير كون السمات الامنية ترتبط ارتباطا وثيقا في المخيال الغربي بالإسلام و الارهاب و العرب. في فرنسا و بعد احداث شارلي ايبدو و ضربات نوفمبر 2015، فان مجرد الحديث عن العرب يجرك للحديث عن الوضع الامني للبلاد و للحديث عن الدين الاسلامي و الارهاب الذي يمارس باسم الاسلام. فسمات الامن كانت ممثلة بنسبة قليلة مقارنة بالدراسات السابقة التي انجزناها او تعرضنا اليها .

في الاخير و بنسب قليلة جاءت سمات السمات الاقتصادية و التي اندرجت في المواضيع الاقتصادية خاصة و في المواضيع المتعلقة بالعلاقات العربية الفرنسية، اذ ابرز صحافيو هذه السمات كون النزاع الدائر يعود الى المصالح الاقتصادية لكل جهة.

6.7. تحليل مؤشر الفاعلين

خلصت جل الدراسات السابقة ان الاعلام الغربي على وجه العموم و الإعلام الفرنسي خاصة و على اختلاف اطيافه يلعب دورا رئيسا في تشويه صورة العرب و ديانتهم الاسلامية. و لعل تجاهل السياسات الاعلامية و الاجتماعية الغربية لضرورة التعايش مع العرب و المسلمين، هو من زاد من حدة الصراع بين العرب و الغرب، و هذا ما زاد من كراهية الغرب للإسلام خاصة و العرب عامة.

في هذا السياق يجب على علينا تفهم موقف الغرب من خلال وقوفنا على الشق السلبي الكبير الذي يتسم به العرب، خاصة اعمال الارهاب التي يتفنن في ممارستها جهاديي الدولة الاسلامية تحت غطاء الإسلام، اذ لم يقتصر عناصر «داعش» على التفنن في القتل و التعذيب بل نقلو نشاطاتهم و زرعوا نوع من حالة اللاأمن في البلدان الاوربية. و ما دام هذا المنطق سائدا فأننا سوف نظل نعيش في حلقة مفرغة من الصراع وسوء الفهم المتعمد بين العرب بإسلامهم و الفرنسيين. وهذا الأمر يؤكد أن هنالك أزمة محتقنة في علاقات الجانبين باعتبارهم فاعلين أساسيين و مباشرين.

في ضوء هذه المشاهدات يمكن القول انه إن نظرية صراع الحضارات أصبحت واقعاً معاشاً، وهنالك الكثير من المؤشرات التي تؤكد ذلك، خاصة ان الأطراف المنتمية للثقافتين العربية الاسلامية و الغربية الفرنسية بها من يعملون على تفعيل هذه النظرية مدفوعين بمصالح ضيقة، مستعملين بذلك جل وسائل الإعلام بما فيها الصحافة المكتوبة. إلا أن الحقبة التي تعيشها فرنسا حالياً ومنذ احداث شارلي ايبدو بالعاصمة باريس، أفرزت تطورات متعددة على على كل المستويات، فانقسم الشارع الفرنسي بين مؤيد و معارض للتطبيع في العلاقات مع العرب و كذا التدخل العسكري الفرنسي في مناطق النزاع المسلح كسوريا و اليمن

تلعب فرنسا دور الفاعل المؤثر على الوضع في جل الازمات العربية و ان كان دورها اقل اهمية من دور الولايات المتحدة الامريكية و روسيا في سوريا و العراق، فان لفرنسا و سياستها بالغ التأثير على كل دول المغرب العربي كالجزائر و تونس و المغرب و ليبيا كما انها تلعب دور بارز في الشرق الاوسط و دول الخليج العربي.

من خلال قراءتنا للمواضيع التى تتعلق بالعرب في جريدة «لوموند» الفرنسية، انقسم الفاعلون في مواضيع العرب الى عدة أطراف، و تباين تمثيلهم و تكرارهم، فكان الفاعل الاكبر في تغطيات «لوموند» لمواضيع العرب هو تنظيم الدولة الاسلامية «داعش» و الذي تكرر لحوالي 7416 تكرار خلال العام 2015، فاقت نسبة تمثيل الدولة الاسلامية ببلاد الشام الـ (32.19%) من مجموع الفاعلين في موضوعات العرب، و التى سيطر عليها موضوع العنف و الارهاب بنسبة فاقت (28%)، اذ عبرت الجـــريدة عن «داعـــش» بعدة مسميات كان ابرزها (Daesh / État islamique / ÉI ...) و يرجع هذا اساسا الى كثرة الاحداث التى لعب فيها تنظيم «داعش» دور الفاعل خاصة في الفترة التى تزامنت و احداث شارلي ايبدو و هجمات باريس في شهر نوفمبر 2015، كما كان لدور «داعش» كفاعل نسبة تمثيل كبيرة في سوريا، العراق، ليبيا و بنسبة اقل السعودية و تونس. ليس بالأمر الغريب هذه النسبة المرتفعة التى فاعل على صفحات جريدة «لوموند»، اذ لا تخلو النشرات الاخبارية المتلفزة من ذكر هذا التنظيم و ما يقوم به عسكريا، سياسيا بل و حتى ثقافيا. هذا و كان الاخوة كواشي منفذا احداث شارلي ايبدو، كوليبالي، و غيرهم من منفذي العمليات الارهابية غلى التراب الفرنسي ينتمون الى تنظيم «داعش». اضافة الى بعض الاسماء التى تشير مباشرة الى انتمائها الداعشي كابو بكر البغدادي، ابو محمد العدناني، أبو علاء العفري، أبو علي الأنباري، أبو سليمان الناصر، أبو عمر الشيشاني، أبو البراء الأزدي و عبد الرحمن مسلم دوست و غيرهم من الاسماء التى تكررت خلال المعالجات الاعلامية لمواضيع العرب.

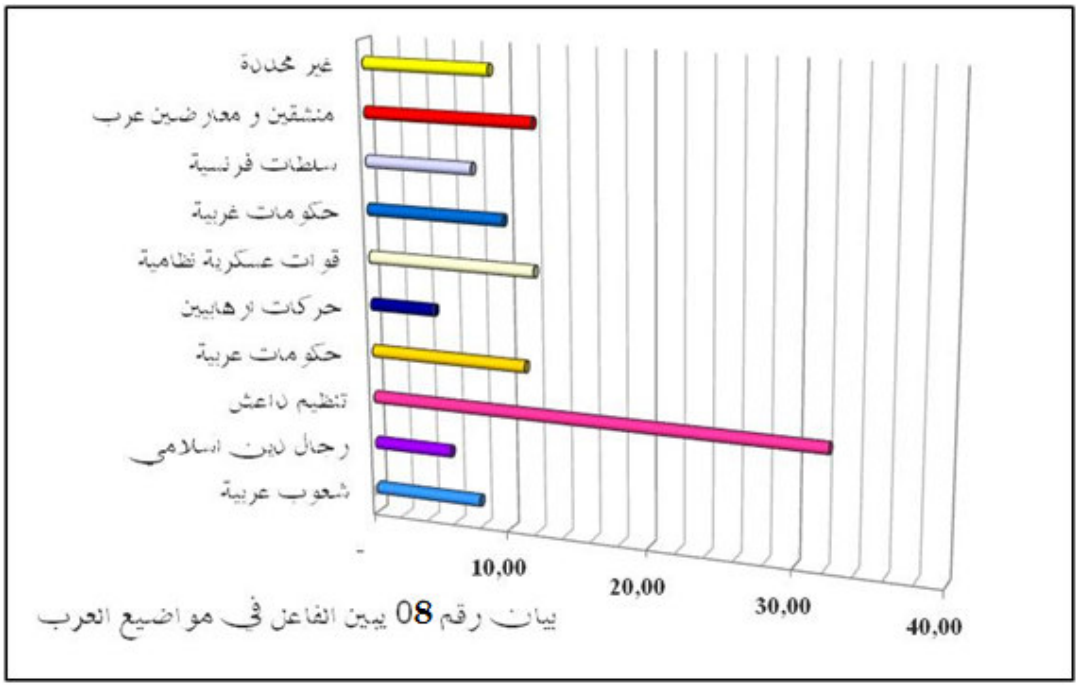

بيان رقم 08 يبين الفاعل في مواضيع العرب

هذا و اضافة الى «داعش» الذي حاز على التمثيل الكبير في مؤشر الفاعلين، فقد تواجدت اطراف ارهابية اخرى جاءت ممثلة بنسبة قليلة جدا تقارب الـ (05%) من اجمالي الفاعلين و تمثلت اساسا في جماعة النصرة و حركة القاعدة و بعض الحركات القليلة ممن يعتبرهم البعض بالإرهابيين في حين تعتبرهم اطرافا اخرى بالمناضلين او المحررين ... كالإخـوان المسلمين و حزب الله و غيرها من الحركات التى تنشط سياسيا و عسكريا على الاراضي العربية.

يأتي في المرتبة الثانية في مؤشر الفاعلين القوات العسكرية النظامية و المنشقين و المعارضين العرب، بنسبة متساوية تقدر بـ (12%) و نقصد هنا بالقوات العسكرية النظامية، الجيوش و القوات الحكومية المعترف بها من طرف الامم المتحدة، و الخاضعة للحكومات الرسمية فمثلا في سوريا يوجد جيشان، الجيش النظامي الذي يخضع لحكومة بشار الاسد و الجيش الحر المعارض و المنشق و الذي يخضع لسلطة المعارضة. اما المنشقين و المعارضين العرب فهم الشخصيات و الهيأة التى لها اعتراف عند المجتمع الدولي كالمعارضة السورية و اليمنية و الفريق حفتر (ليبيا) و غيرها من الشخصيات التى كانت تحظى بالدعوة للمشاورات و الحوارات الرسمية و غير الرسمية. و لعب الاخيران (القوات العسكرية النظامية و المعارضين) دورا كبيرا في الساحة العربية و احداث الربيع خاصة، اذ كانت الجيوش النظامية و الجيوش المنشقة و التحالفات

العسكرية الدولية و الحركات الارهابية ... الفاعل الاساسي في احداث الربيع العربي و الحروب التى شهدها خاصة في ليبيا، سوريا ، العراق اليمن ، تونس .... و غيرها من الدول العربية التى شهدت نزاعات مسلحة. و في مبادرات دولية كثيرة و متكررة كانت تجتمع على طاولة الحوار ممثلي عن الحكومات الغربية و المنشقين و المعارضين العرب مع الحكومات العربية في محاولات للحد من لايجاد حلول سياسية سلمية تنهي الصراعات و الحروب و كذا للحد من سفك الدماء .. و كانت الجيوش الممثلة لكل طرف تعمل بما تمليه عليها الجهات السياسية المسيطرة عليها. و للأسف كانت كل المساعي تنتهي بالفشل مما يضطر بالجهات العسكرية تستعيد نشاطها العسكري على الارض.

بنسبة اقل تأتي الحكومات العربية في المرتبة الرابعة بتمثيل (11.25%) اذ كانت الحكومات العربية طرف اساسي في كل مواضيع العرب، و نشير بها الى السلطات السياسية و التمثيليات الدبلوماسية خارج دولها العربية، و ممثلي النظم من مبعوثين و وزراء و برلمانيين. اذ لعبت السلطات العربية من خلال رؤسائها و حكوماتها دورا تمثيليا بارزا في الاحداث المتعلقة بالعرب، فكانت ممثلهم في المحافل الدولية و المؤتمرات و غيرها من الاتفاقيات في شتى المجالات، الاجتماعية، الاقتصادية الثقافية و غيرها. شانها شان الحكومات الغربية التى كان لها كبير التأثير على الساحة العربية حتى في الامور المتعلقة بالأمور الداخلية للدول العربية، ففي سوريا و العراق كانت و لا تزال الحكومات الغربية تلعب دور الامر و الناهي، كروسيا و الصين و الولايات المتحدة الامريكية، و في اليمن و صراعاتها ضد الحلف الذي تقوده السعودية، كان لسياسة حكومة الولايات المتحدة الامريكية الدور الكبير في توجيه الحوار و الحرب على حد سواء، و في سبيل ذكر الولايات المتحدة الامريكية فحكومتها تؤثر بشكل كبير على سياسات كل الدول العربية خاصة دول المشرق العربي و دول الخليج العربي في حين انها تتقاسم الدور التاثيري في المغرب العربي مع السلطة الفرنسية بحكم تاريخها الاستعماري لكل دول المغرب العربي.

هذا و جاء تمثيل السلطة الفرنسية في مؤشر الفاعلين في الشأن العربي ممثلا بنسبة (7.66%) و جاءت في المرتبة السادسة اذ كان لفرنسا دورا اساسيا لا يقل اهمية

عن باقي الفاعلين غير العرب. فمصالحها كثيرة و متعددة على الاراضي العربية خاصة في دول المغرب العربي، لذا لعبت دورا فاعلا هاما من خلال تدخلها العسكري في سوريا و العراق (خاصة بعدما تبنى «داعش» هجمات شارلي ايبدو)، كما انها كان اول متدخل عسكري في ليبيا بعدما تأزمت الاوضاع، و كانت تدخلت في سرية تامة عسكريا في تونس في اولى ايام الربيع التونسي و هي شريك استراتيجي في المجال العسكري و اللوجستى لكل العرب من خلال ما تبيعه لهم من اسلحة. اما سياسيا ففرنسا طرف لا يمكن استهانته في الساحة العربية و هي دولة لا تقل شانا عن الولايات المتحدة الامريكية و روسيا و غيرها من الفاعلين الاساسيين في الساحة العربية

اخيرا يجدر بنا الاشارة الى وجود اطراف فاعلة اخرى في مواضيع العرب و لو اننا لا نستطيع حصرهم في طرف او فئة واحدة. و جاء تمثيلهم ممثلا بنسبة (09%) من اجمالي الفاعلين

7.7. تحليل مؤشر الاتجاه و اتجاهات وظيفة المضمون

تعتبر جريدة «لوموند» من بين الجرائد الاكثر تأثيرا على المجتمع الفرنسي، و هي الجريدة رقم واحد التى يستهلك اعلامها طبقة النخبة الفرنسية و صانعو القرار، في المجتمع الفرنسي كما على الساحة العالمية.

في فرنسا، يعتبر الاعلام الفرنسي سلطة بحق، لا يقل دوره عن دور السياسيين و صناع القرار، فكم كان دور الاعلام ايجابي و يساهم في ترشيد النفقات العمومية و ترشيد الرأي العام و توجيهه، بل حتى انه كان لجريدة «لوموند» و «لوفيغارو» و غيرهما من الصحافة الفرنسية الاثر الكبير في تغيير اتجاهات سياسية و اقتصادية للبلد بأكمله من خلال تنوير الرأي العام و هذا بفضل التحقيقات التى تنجزها الجريدة حول قضايا شائكة، بفضل شبكة مصادرها الاعلامية الممتدة في كل انحاء العالم. و لعل اكبر القضايا الاخلاقية و الانحرافات السياسية في فرنسا تكشفها الصحافة الفرنسية المكتوبة و امثلة ذلك كثيرة كالتواجد العسكري للقوات الفرنسية المسلحة على الاراضي الليبية، قضية تمويل الحملة الانتخابية للرئيس الاسبق ساركوزي

بأموال الراحل معمر القذافي، و قضية المرشح رقم 1 للرئاسيات 2017 فرانسوا فيون بفرنسا و توظيفه لزوجته و ابنائه برواتب خيالية... الخ

بقدر قوتها و علاقتها الوطيدة بالجمهور المستهلك لها، ثمة أشياء كثيرة مخفية في كواليس الصحافة الفرنسية، ورغم رواجها الكبير بفضل كبر المجتمع المستهلك لها. الا انها مسرحاً لصراعات النخب السياسية و السلطة الحاكمة وكذا النخب المالكة لها، بين مؤيد و معارض، و بين متعاطف و معاد... إذ يكفي متابعتها باستمرار، وقراءة ما بين السطور، لتعرف اتجاه الجريدة في قضية معينة و بالتالي اتجاه مدراء و مالكي هذه الصحف وطبيعة تحالفاتهم مع أجنحة السلطة الحاكمة.

من خلال اتجاهات نشر الأخبار، نرى أن بعض الصحف تبنى منهجها على الصدق، والتأكد من صحة الخبر قبل نشره، وبعضها يبنى منهجه على ما يسمى بالسبق الصحفي كما هو في الجزائر و دول العالم الثالث، حتى ولو ضحى في سبيل ذلك بصحة الخبر من عدمه. وكل من المنهجين يستند إلى حقيقة نفسية عند القراء، فأصحاب السبق الصحفي يراهنون على الفضول البشري، والرغبة في الاستطلاع، ومعرفة الأسرار والمفاجآت إشباعاً للغرور، أو ارضاءا للهفة البشرية. فيما يكون منهج التأكد من صحة الخبر أكثر جدية في الصحافة المكتوبة، و أكثر احتراماً لرسالتها، بل واحتراماً للقراء، خاصة إذا كان الجمهور المقصود، هو المجتمع الفرنسي المعروف بحبه للتطلع، إذ يعتبر من اكبر المجتمعات المستهلكة للإعلام بصفة عامة و الصحافة المكتوبة بصفة خاصة. و لعل الصحافة الفرنسية تعتبر من أصحاب هذا المنهج الأخير، اذ لا يرى صحفيوها، في صحفهم مجرد أداة للإعلام و الإعلان فحسب، بل سجلاً للتاريخ.

و لان الاعلام الحديث الذي يعتمد على التكنولوجيات الحديثة للإعلام و الاتصال يجعل من نفس الاخبار تتداول في كل قنوات التلفزيون و جل الجرائد، لكن باتجاهات مختلفة.

من خلال هما سبق، يأتي مؤشر الاتجاه و اتجاهات وظيفة المضمون لنحلل اتجاهات جريدة «لوموند» في قضايا العرب و هنا سنتطرق الى اتجاهات الجريدة في كل مركز من مراكز الاهتمام كل على حدى.

الاتجاه في مواضيع داعش و الارهاب

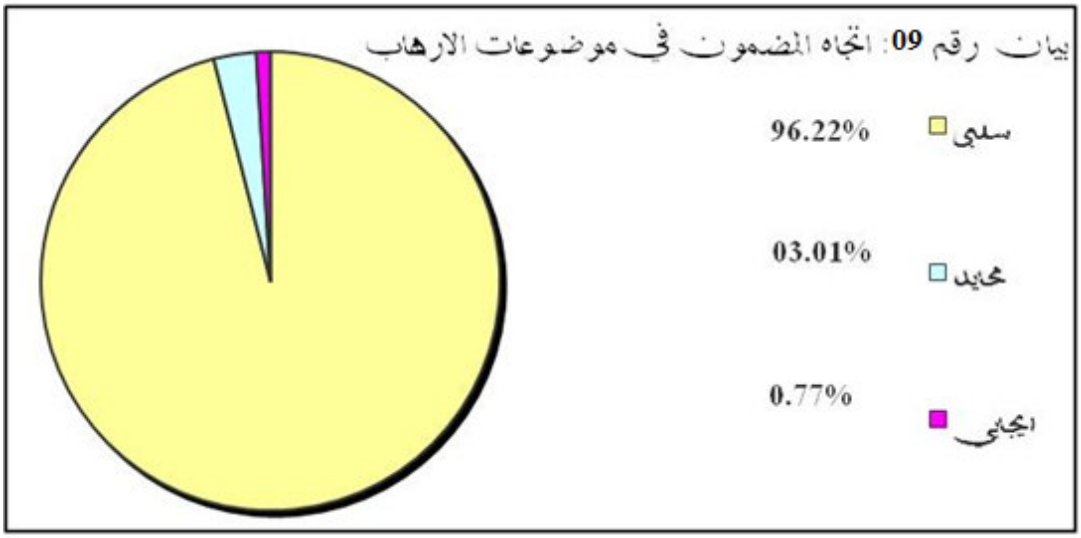

جريدة «لوموند» جد سلبية بكل انواع الارهاب و اينما كان، و لمسنا استنكار كل صحفي الجريدة و محرريها اتجاه الارهاب و اتجاه حركة «داعش» الارهابية. و لم يتوانى الصحافيون في انتقاد الحركات الارهابية و وصفتهم و اعمالهم بالبربرية و بالجاهلية و كان اتجاه الجريدة مماثلا لجل الاعلام الفرنسي و الدولي خاصة اتجاه الفيديوهات التى كانت الجماعات الارهابية تبثها حول اعدام و تعذيب اعدائها. إذ أجمعت كلها على بربرية هذه الجماعة و ارتكابها جرائم ضد الإنسانية، و تصدت «لوموند» لـ«داعش» بسلاح الحملات الدعاية و التى خططت لها وزارة الداخلية الفرنسية، اذ هدفت الى توعية الشباب من اعتناق الفكر الراديكالي و الاسلام المتشدد، و كانت دائما تحث الفرنسيين توحي الحذر و اليقضة اتجاه المشبوهين و التبليغ عنهم. هذا و كانت الجريدة محايدة بنسبة (03%) لما تعلق الامر ببعض الحركات التى لم تصنفها بالارهابية (العام 2015) كالاخوان في مصر و الطوائف المتناحرة في ليبيا و حزب الله ضد «داعش»

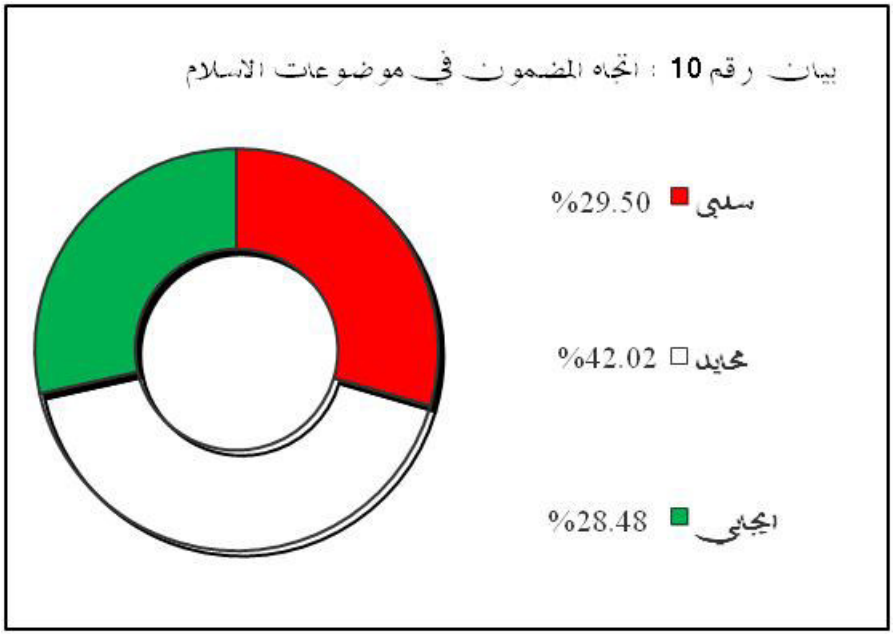

في مواضيع الاسلام جاء المضمون محايد بنسبة (42.02%) و ايجابي بنسبة (28.48%) في حين كان سلبي بنسبة (29.50%). كما و ان سبق لنا عند عرضنا لمؤشر مراكز الاهتمام فالإسلام جاء في المرتبة الثانية من حيث التكرار و المساحة على صفحات جريدة «لوموند» خلال العام 2015 و هنا يجدر بنا تحديد اتجاه الجريدة و اتجاه مضامينها في موضوع الاسلام على اختلاف مفهوم الاسلام لدى الجريدة، اذ في حديثها عن الاسلام، كان لها اتجاه سلبي في الاسلام الراديكالي، سواء ذلك الذي يسود في فرنسا او في الدول العربية، و اتهمت الاسلام الراديكالي كونه بوابة الارهاب المسلح و طريق تمهيدي نهايته ارتكاب جرائم ضد الانسانية، و لان الاسلام الراديكالي هو من اهم اسباب توجه الشباب الفرنسي للجهاد بدول سوريا و العراق، فلم تخفي الجريدة اتجاهها السلبي اتجاه الاسلام الراديكالي. و لطالما انتقدت تطبيق بعد الدول الاسلامية لحكم الاعدام (خاصة بالسعودية) و عدم احترامها لحقوق و حرية المرأة و التضييق عليها في المجتمعات العربية.

كانت الجريدة ايجابية اتجاه الاسلام المعتدل، بل و كانت تحفز الشباب الفرنسي المسلم على اتباع الوسطية و الاعتدال في فكرهم الاسلامي و تجسيد الاعتدال على ارض الواقع و احترام سكان و ديانات البلد المضيف و العيش تحت مبدأ المساوات، العدالة و الحرية و هو شعار الجمهورية الفرنسية. هذا و جاء اتجاه الجريدة ايجابي في

مواضيع الاسلام بنسبة (28.48%) كانت كلها اتجاه الاسلام المعتدل و اسلام اوربا في بعض الاحيان. و كان الحياد في الاتجاه ممثلا بنسبة (40.02%) من مواضيع الاسلام و هذا في معالجتها للشريعة الاسلامية و تطبيقها في مختلف الدول العربية و كانت الجريدة تلم الماما كبيرا بالمنهج الاسلامي و ما يوصي به الاسلام من اقوال و افعال و استشهدت بالسنة النبوية الشريفة و القران الكريم في اكثر من مرة، خاصة في تغطيتها و تحليلها للهجمات التى ضربت باريس بداية و نهاية العام 2015. في حين كان الحياد في تطبيق كل بلد للشريعة الاسلامية خاصة في المناسبات الدينية كشهر رمضان و الاعياد و موسم الحج و احتفالات الشيعة...

الاسلام في مواضيع الربيع العربي جاءت متفاوتة بين الايجاب و السلب و الحياد، فلم تخفي الجريدة سلبيتها اتجاه النظم العربية الحاكمة و التى طـال حكمها كما هو الحال في جل الدول العربية، بل و انتقدت بشدة حكام المغرب العربي و مصر، و لم تخفي سلبيتها ضد الرئيس بوتفليقة و الرئيس السيسي و الراحل معمر القذافي و الحكومة الليبية، كما انها كانت تنتقد بدرجة اقل العاهل المغربي محمد السادس ... في حين كانت تبدي اتجاها محايد الى قريب من الايجابي مع ملوك و امراء دول الخليج رغم انتقادها لقمعهم للحريات و حرية التعبير و الديانات. في حين ابدت تعاطفها الكبير مع الشعوب العربية المقهورة، خاصة تلك التى عانت الحرب و الدمار و التى شردت من بلدانها و اللاجئين الفارين من التصفية، فكانت ايجابية مع مواقفهم الرافضة للحكم الدكتاتوري و ايجابية في مطالبهم بالحرية و العدالة كما التزمت الحياد في اعمال العنف و الشغب التى قامت بها الشعوب العربية.

في الشأن السياسي كان الاتجاه ايجابي في السياسة التى تنتهجها الجمهورية الفرنسية مع الدول العربية، كونها كانت تخدم بالدرجة الاولى الاقتصاد الفرنسي و مصالح الجمهورية بالمنطقة العربية و المتمثلة اصلا في حقول البترول التى تتربع عليها شركة «TOTAL» الفرنسية و بعض ألاستثمارات، و كذا جعل المنطقة العربية سوق مزدهرة تعود بملايير الدولارات على الاقتصاد الفرنسي من خلال بيع الاسلحة و السيارات الفرنسية خاصة و الكثير من المنتجات التى لا تلقى رواجا إلا في المنطقة العربية. هذا و كانت«لوموند» سلبية اتجاه سياسات الدول العربية خاصة في تعاملها مع الارهاب و الحد منه و في سياساتها مع الشعوب المطالبة بالتغيير و

سياساتها مع المعارضين السياسيين و المفكرين و المدويين و غيرهم، فالنقطة السوداء المشتركة في سياسات الدول العربية هو قمع المعارضة و المعارضين و تعتبر «لوموند» ان الممارسات السياسة و الديمقراطية في الدول العربية ما هي الا عبارة عن مسرحيات او تمثيليات يشترك في تمثيلها السلطة و المعارضة و يكون المتفرج هو الشعوب العربية.

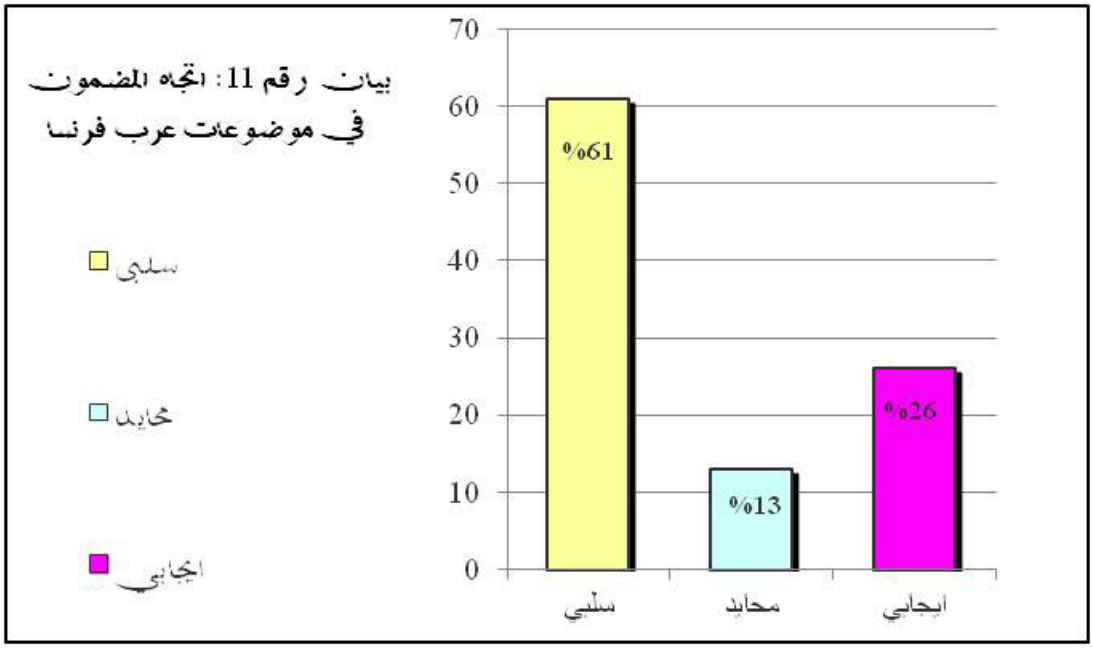

بعد احداث شارلي ايبدو بداية العام 2015 تعرض عرب فرنسا الى حملة عدائية كبيرة من طرف الفرنسيين، تجسدت في اهانتهم و شتمهم بل و ضرب في حوادث فاقت الالف و ثلاث مائة حالة في الشهر الذي تلى الحادثة، كما تم تخبير المساجد و المصليات في ربوع التراب الفرنسي، كما امرت الداخلية بإغلاق عديد المصليات و 4 مساجد... بل ذهب سكان جزيرة كورسيكا الى الخروج الى الشارع في مسيرات ضخمة مطالبين السلطات الفرنسية بطرد و تهجير العرب و المسلمين ... لم يختلف اتجاه جريدة «لوموند» في عرب فرنسا عن المجتمع الفرنسي و باقي وسائل الاعلام الاخرى. فكانت سلبية بنسبة (61%) اتجاه عرب فرنسا و كانت تسمد المضامين الاعلامية المتعلقة بهم خاصة من المحاكم و من تقارير الشرطة اذ ارتبط عرب فرنسا بأحداث، السطو، الجريمة، المخدرات، السرقة، الارهاب... و غيرها من الاحداث التى اصبحت تنسب اليا الى العرب. و كان للجريدة اتجاها ايجابيا ممثل بـ (26%) و محايد بنسبة (13%)

في العلاقات العربية الفرنسية ابدت الجريدة تحفظها اتجاه العلاقات التى تربط فرنسا بالدول العربية، اذ كانت تختلف من بلد الى اخر و تختلف من وضع الى اخر و تعرف تغيرا بتغير الاحداث و المعطيات، في قراءتنا لمواضيع العرب و المتعلقة بالعلاقات العربية الفرنسية لم نسخلص اتجاه معين للجريدة، فكانت تسرد وقائع العلاقات بتحفظ و كانت اتجاهه في معضمه غير محدد. و اخيرا و في مواضيع الثقافة و الاقتصاد، كانت الاتجاهات غير ممثلة تقريبا و هذا للتمثيل القليل للمضوعين من بين باقي مؤشرات مراكز الاهتمام

8.7. تحليل مؤشر القوالب:

الرسالة الصحفية هي الإدارة الصحفية التى تعبر بشكل مباشر عن سياسة الصحيفة وعن آراء كتابها في الأحداث اليومية الجارية، و في القضايا التى تشغل الرأي العام المحلي أو الدولي. و تقوم الرسالة الصحفية بهذه الوظيفة من خلال شرح وتفسير الأحداث والتعليق عليها بما يكشف عن أبعادها ودلالاتها المختلفة. و تتخذ الرسالة المكتوبة قوالب صحفية عديدة.

جدول رقم 07 : يبين توزيع المضمون على القوالب الصحفية

القالب	الخبر	التقرير	تحقيق	آراء و	عمود	صورة و رسم	∑
الأعداد	ك	ك	ك	ك	ك	ك	ك
1	3	1		1		3	8
2	4		1	1	1	2	9
3	6	1	2		1	4	14
4	9	2	1	2	1	2	17
5	9	2		1		3	15
6	11	2	1			5	19
7	5		5	3	1	5	19
8	5	1		5		3	14
9	2	1			2	1	6
10	5	3	1	1		3	13
11	5	2	3	3	1	5	19
12	6	2	1	1	1	6	17
13	2			2		1	5
14	12	6	4	2	1	10	35
15	11	5	2	1	2	6	27
16	8	1	1			2	12
17	7	3		1	1	5	17
18	10	5	1	1		1	18
19	4	2	5	3	1	6	21
20	12	5	1	1	2	12	33
21	6	2	1	1	1	6	17
22	5	2	1	1	2	2	13
23	2	2	1		1	2	8
24	9	1		1		3	14
∑	**158**	**51**	**32**	**32**	**19**	**98**	**390**
٪	**41%**	**13%**	**8%**	**8%**	**5%**	**25%**	**100%**

كان مضمون المواضيع المُعالجة للعرب موزع على ستة قوالب صحفية كما هو ممثل في الجدول رقم 07، جاء الخبر في الصف الأول و بنسبة مئوية تقدر بـ (41%)، يليه بعد ذلك الصورة الفوتوغرافية بنسبة (25%) ثم التقرير الصحفي بنسبة (13%) ثم كل من التحقيق الصحفي و الحوارات و الاراء في المرتبة الرابعة بنسبة (08%). و أخيرا في الصف الاخير العمود بنسبة (05%)

الخبر:

اعتمدت «لوموند» على قالب الخبر بالدرجة الاولى في معالجتها لمواضيع العرب خلال العام 2015، و تابعت الجريدة الاخبار حتى الوصول الى نهاية الحدث و كانت البساطة ميزة الاخبار في الجريدة. و هذا بسبب عالمية الجريدة و جمهور قراءها الذي يمتد الى القارات الخمس و بأكثر من 13 لغة. اذ انها تعتمد على الخبر البسيط مراعاة على تعدد هويات و عقائد و اعراق الطبقات التى تستهلك اعلامها. و كانت بعض الاحداث تتطلب قالبا اوسع من الخبر، اعتمادا على فنون تحريرية اخرى كالحوارات، المقابلات، التحقيقات و غيرها من القوالب الصحفية.

جاء الخبر في جريدة «Le Monde» من حيث مضمونه، مركبا في غالبه، اذ تضمن الخبر الواحد أكثر من واقعة، و ساد هذا النوع من الأخبار على جل المواضيع التى تتعلق بالارهاب، الإسلام، و كذا الصراع العربي الاسرائيلي و ثورات الربيع العربي، اذ نجد تعدد الابعاد في الخبر الواحد و الذي تتداخل فيه عدة ضوابط تجعل المحرر يعطي الاحتمالات و التأويلات. تماما مثل الذعر الذي أصاب فرنسا و الدول الغربية، بل و العالم ككل، بعد اتساع أحداث العنف التى يقوم بها عناصر تنظيم الدولة و التى امتدت الى باريس و برلين و فلوريدا و غيرها من المناطق التى تعتبر الاكثر أمنا في العالم. حيث حمل هذا النوع من الاخبار مثلا، مضامين عديدة منها أسباب حدوث الحدث، علاقة الحدث بالمجريات و السياق الذي جاء فيه و الاشياء التى قد تترتب من وراء الحدث.... كما وردت الأخبار البسيطة في الجريدة محل الدراسة، وهي التى دارت حول واقعة واحدة. كتلك التى جاءت في الشق الاقتصادي او الثقافي مثلا، اذ لم تكن الاخبار البسيطة تحتاج إلى تفسيرات من جانب المحرر لكونها بسيطة ومعلومات موجزة،

تميزت الاخبار التى جاءت بها الجريدة بالصدق و بالموضوعية، و المت الاخبار المتعلقة بالعرب تفاصيل الواقعة أو الحادثة دون زيادة أو نقصان، بل دراية الصحفيين للوضع العربي و الاسلامي زادت من ثراء المضامين الاعلامية. و التمسنا نزاهة كبيرة في نقا الاخبار التى كانت تأتي من قلب العالم العربي، اذ لم تخضع للتحريف او التزييف رغم انها كانت قاسية اتجاه الحكام العرب بدرجة كبيرة بل و

قاسية في بعض الاحيان ضد السلطات الفرنسية خاصة السياسية منها و العسكرية. و كغالبية الصحف في فرنسا اتسم الخبر في عينات دراستنا، بارتفاع نسبة عناصر الإثارة، التشويق، الغرابة في موضوعات العرب و التضخيم في اخبار الضربات الارهابية على التراب الفرنسي.

الصورة الفوتوغرافية:

تحتل الصورة الفوتوغرافية موقعا متميزا بين قوالب وسائل الاتصال، فهي تستمد تأثيرها في الصحافة المقروءة بفضل عناصرها وبوصفها علامة مباشرة تنقل معلومات وأخبارا وتوثق أحداثا و مواقف إلى قطاعات عريضة من القراء. فهي التى توضح النص وتدعمه بتقديم البرهان الذي يغنى النص بعناصر إضافية إعلامية وتعبيرية، ولذا فإن تأثيرها قد يكون أعمق بكثير من المادة الإعلامية المكتوبة، فتسهم بالتأثير في اتجاهات الرأي العام. و تقوم الصورة الصحفية بدور اتصالي ثنائي فهي رسالة و وسيلة معاً، إذ إنها متاحة للجميع بغض النظر عن مستوياتهم الثقافية والعلمية، كونها لغة عالمية يفهمها الجميع رغم تعدد الأمم والشعوب. وتمتاز الصورة الصحفية كوسيلة اتصالية بسرعة أكبر في لفت نظر القراء واستيعابهم مضمونها وبالتالي تحقيق التأثير المطلوب من خلال الوضوح في التفاصيل والبساطة في المضمون، إضافة إلى مقدرتها الإقناعية، فهي أصدق أدوات الصحف، إلى جانب دورها في إثراء المحتوى من خلال تسجيلها الأحداث ودعمها المادة التحريرية وإضافة الجديد إليها.

ركزت «لوموند» على قولبة مضامينها الاعلامية في قالب الصورة الفوتغرافية و الصورة الكاريكاتورية، كونها تنقل الرسالة إلى المتلقي بأقل قدر من التحريف و التزييف او الخطأ، فهي تشارك المادة التحريرية وتتفاعل معها لتقديم خدمة صحفية متكاملة لقارئ لا يقنع بالقراءة عن الأحداث وإنما يريد معايشتها. و اعتمدت على الصورة بشكل كبير كونها تساهم في جذب انتباه القارئ و إثارة اهتمامه، و اختارت لوموند الصور بدقة متناهية و نشرت تلك التى تحمل أفكار أو معانٍ، و تجسد معالم أو أبعاداً، تدعم بها النص المكتوب.

يعتبر الاتصال المصور لدى جريدة «لوموند» النموذج الاتصالي الأمثل، و اعتمدت عله بشكل كبير في موقعها على شبكة الانترت، اذ اعتمدت على الصورة و الصوت من خلال الفيديوهات التى كانت تدعم بها الرسالة المكتوبة، وذلك لأن البعد البصري قادر على إثراء الكلمة وإيضاح التفاصيل أكثر من الكلمة المكتوبة والمسموعة.

مثلت الصورة (25%) من مجموع القوالب الصحفية التى تطرقت فيها الجريدة لمواضيع العرب، و لأهميتها و الدور الذي تلعبه، لم تتردد جريدة «لوموند» في استعمالها (الصورة الفوتوغرافية) ضمن الوسائل الساخنة لجلب اكبر عدد من القراء، و تعبئة الجماهير الفرنسية المتعطشة لأخبار الامنية (خاصة أثناء أحداث باريس)، فصور العناصر الإرهابية، رجال الامن المدججين بالاسلحة، ساعدت بشكل كبير على لفت انتباه عدد كبير من القراء.

التقرير الخبري:

جاء في المرتبة الثالثة و بعد الخبر و الصورة، التقرير الخبري، فاعتمدت الجريدة على قالب التقرير كونه يقوم على شرح وتفسير القيم الإخبارية بالقصة الخبرية المرتبطة بالحدث أو الواقعة، و قدمت فيه معلومات وبيانات عن احداث العرب، و هو امتداد للمضامين التى يعجز الخبر عن تضمنها.

و كانت «لوموند» تقولب الاخبار المركبة و متعددة الابعاد و التى لها دلالة ثقافية أو دينية أو اجتماعية، هذا و اختص في انجاز التقارير خبراء ومتخصصين في الموضوع المطروح، و كانت التقارير الصحفية المعالجة لقضايا العرب شبه يومية في عينة الدراسة و هذا راجع لغزارة الاحداث العربية و لاشتباكها و تداخل عواملها.. تلبية لاحتياجات القراء في التعرف على الخلفيات والتفاصيل التى لم يتسنى نشرها في الأخبار، فقدمت التقارير في جريدة «لوموند» معلومات إضافية عن احداث العرب.

و اتسمت التقارير الخبرية في جريدة «لوموند» بالسطحية و الاستناد إلى أراء خبراء و محللين و شخصيات سياسية كبيرة في معضمها، و يحسب للجريدة انها كانت تستعين

في كل مرة بمحللين و سياسين عرب في معالجتها للقضايا العربية عكس بعض وسائل الاعلام الفرنسية التى تتجاهل العرب في تناولها لمواضيعهم ما يغذي العداء اتجاههم.

التحقيق الصحفي:

يعتبر من أهم الفنون التحريرية في الصحافة الحديثة، فن التحقيق الصحفي، فهو من أحدث الفنون التحريرية في الصحافة وأشملها، فهو يشتمل على بقية الفنون الصحفية الأخرى، كالخبر، المقابلة، الرأي، الاستقصاء، أو البحث. اعتمدت جريدة «لوموند» على التحقيق الصحفي قصد التحري والبحث والاستقصاء في القضايا المتعلقة بالعرب كونها قضايا شائكة و متداخلة فيما بينها، و عادة ما تتداخل الاطراف و الجوانب فيها و هي في اغلبها تهم الجمهور الفرنسي أو بعضا منه، و للوصول الى فهم الموضوع اخذت الجريدة بعين الاعتبار كل الآراء في قضايا العرب، مستعينة بمصادر مختلفة داخلية و خارجية، و كما تبحث في الوثائق والتقارير والملفات بل حتى التجسس و الاعتماد على مخبري الجريدي المنتشرين في ربوع الارض.

من خلال صداها العالمي و تأثيرها على سياسات كبريات الدول، يجب علينا الوقوف عند ثقل التحقيقات التى تقوم بها جريدة «لوموند»، ان لها كبير الاثر على الشعوب و قادتهم. اذ كان صدى بعض التحقيقات الصحفية للجريدة كبير الى درجة استقالة كبار المسؤولين، و كان لها الاثر في تغيير مجرى شؤون سياسية، و قلبت الطاولة على انظمة بأكملها.

و رغم قلة تمثيله كقالب تعتمد عليه الجريدة في معالجتها للمواضيع العربية، إلا ان صداه كان كبيرا و تأثيره قويا في العديد في قضايا العرب، كالتدخل العسكري الفرنسي على الاراضي الليبية و الذي كشفته « لوموند». و مثل التحقيق الصحفي ما تعادل نسبته (08%) من مجموع القوالب الصحفية المعالجة لقضايا العرب، إذ كانت المصادر البشرية هي الأساس في مادة التحقيق الصحفي في صحف العينة و جاء تمثيله مناصفة مع الحوارات و المقابلات التى تبقى من اهم القوالب الصحفية التى تعتمد عليها الجريدة للالمام بالجوانب المتعددة و المتعلقة بموضوعات العرب

اذ تقوم الحوارات و المقابلات الصحفية التى تنشرها «لوموند» على الحوار بين المحرر الصحفي وشخصيته من الشخصيات، و استهدفت الحوارات الحصول على أخبار أو معلومات أو آراء، أو شرح وجهة نظر معينة. و اجرتها الجريدة مع شخص واحد فقط، وكما اجرتها مع عدة أشخاص على طاولة مستديرة. هذا و تكون الصحافة الحديثة قد اعتمدت على الحوار الصحفي منذ مطلع القرن التاسع عشر غير أنه لم يستخدم بشكل عام كفن من الفنون الصحفية إلا مع بداية القرن العشرين، ثم أخذ مكانه في تزايد حتى أصبح واحداً من فنون العمل الصحفي التى لا تستطيع الصحافة أن تقوم بدونه. و اسهمت الحوارات في اثراء مواضيع العرب التى تعد تقريبا كلها شائكة و متعددة العناصر و الأطراف المتداخلة فيها، الامر الذي دفع بصحافيي الجريدة بالاعتماد على المقابلات و الحوارات في اثراء المضمون قبل نشره، حيث اسهمت المعلومات الواردة من خلال تحليل عناصر الخبر و سياقه إلى الإحاطة الشاملة بكل ما يمكن أن يثار في أذهان القراء من تعليقات. وعلى هذا فإن الأخبار المتعلقة بالشأن العربي احتاجت إلى متابعات و تحليلات تفصيلية لإشباع فضول القراء، وخاصة إذا كانت الأخبار تحظى بأهمية كبيرة، إذ يتطلب نشرها في قالب تحليلي، و التحليل عمل عمل صعب يتعدى الصحفي او الإعلامي، و لأنه يحتاج إلى جهد متواصل لجأت جريدة «Le Monde»الى الاستعانة بكوكبة من الخبراء و السياسيين و الاقتصاديين و الرياضيين لتحليل الاخبار و وضعها في السياق الذي يمكن اشباع فضول جمهور القراء و هذا ما دفع بالجريدة الى العالمية.

العمود:

جاء في المرتبة الاخيرة ممثلا بنسبة (05%) من اجمالي القوالب الصحفية التى وردت في معالجة قضايا العرب و العمود عبارة عن مساحة محدودة معينة ثابتة في مكان محدد من جريدة «لوموند»، و في وقت محدد تعطيها الصحيفة لأحد كتابها الكبار، و إن كان متعارفاً على ألا يكون معارضاً لها. فكاتب العمود الصحفي له الحرية في تناول ما يريد من موضوعات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية فيها، يهم الرأي العام ويشغل تفكيره.

9.7. تحليل مؤشر العناوين:

يستمد العنوان الصحفي خصائصه من ظروف نشأته وتطوره، ويرتبط بطبيعة المجتمع الجماهيري الذي ينطوي على كتل بشرية غير متجانسة فيما بينها. و مع تطور صناعة الصحافة أصبحت الحاجة ملحة إلى وجود العناوين لتساعد القارئ على اختيار الموضوعات التى تهمه، وتلبية حاجاته وإشباع رغباته في المعرفة السريعة لطبيعة الأحداث التى تجرى من حوله. حيث أن صفة الجاذبية في العنوان تساعد على كسر جمود مادة النص الصحفي المصاحب للعنوان.

و العناوين التحريرية أنواع، منها العنوان الإخباري، العنوان المقارن، العنوان التساؤل، العنوان الوصفي، العنوان المثل أو الحكمة و الطريف... و غيرها، وعن عناوين جريدة «لوموند» في معالجتها لمواضيع العرب، و كما جاء في الجدول رقم (08) المبين للتصنيف التحريري للعناوين.

جدول رقم 08: يبين التصنيف التحريري للعناوين

التصنيف التحريري	العنوان الوصفي	العنوان النقدي	العنوان المقتبس	العنوان الإخباري	العنوان التساؤل	∑
1	3	2	1	3	2	11
2	2		2	2	1	7
3	1	2	1		1	5
4	3	2		3	1	9
5	1	1	1	5		8
6	1	5	1	2	1	10
7	2	1	1	5	2	11
8	1	1		2	1	5
9	1		1		3	5
10	5	2	2	1	2	12
11	2	3	1	3		9
12	5	2	1	5	1	14
13	6	1		2		9
14	5	1		10	2	18
15	3	3	3	9	1	19
16	1	2	4	5	2	14
17	2	1	1	4	1	9
18	2	4	2	2	1	11
19	1	2		8		11
20	3	6	1	5	2	17
21	1	1		5		7
22	3	1	1	4	1	10
23	5	4		2		11
24	1	2		5	4	12
∑	60	49	24	92	29	254
٪	24%	19%	9%	36%	11%	100%

فقد جاءت متنوعة و غلب عليها العنوان الاخباري الذي جاء بنسبة (36%)، و كتفت هذه العناوين بنقل الأخبار، كما اتسمت في مجملها بالحياد، اذ قدمت في مضامين غير قابلة للتأويل او سوء الفهم او التعقيد متصلة مباشرة بالواقعة او الخبر. و كانت العناوين الإخباري في جريدة «لوموند» مختصرة في نصوص قصيرة، مستقلة عن المحتوى او النص الإعلامي، و كانت مفهومة و مطابقة للموضوع. هذا و جاءت تشمل على المعلومة الرئيسة التي يقدمها النص، مجيبة على سؤال من الأسئلة المرجعية..من؟ ماذا؟ لماذا؟. و كانت في عمومها مشوقة، مغرية و محفزة للقارئ. مكونة من صلب الموضوع

جاء في المرتبة الثانية، العنوان الوصفي و جاء ممثلا بنسبة (24%) من بين انواع العناوين، و قام على رسم صورة وصفية للعرب في ذهن القارئ الفرنسي، و كانت العناوين الوصفية جذابة للقارىء لقراءة الموضوع، و استخدمت الجريدة في هذا النوع الألفاظ القوية.

ثالثا، العنوان النقدي و الذي جاء بنسبة (19%) و اتخذت العناوين النقدية مواقفا سلبية من غالبية أحداث العرب، و إستخدمت خاصة في تلك المتعلقة بالإرهاب و العنف و التى تتناول سياسة الحكام العرب في التحقيقات و الآراء و الحوارات.

و في المرتبة الرابعة جاء العنوان التساؤل بنسبة (11.00%)، و كان هذا النوع على شكل سؤال هام ومثير لاهتمامات الجمهور

في الاخير جاء النوع المقتبس ممثلا بنسبة (09%) و جاء في اغلبه مقتبساً من تصريح المسؤولين أو الشخصيات الفاعلة في مواضيع العرب التى يتم إجراء الحوار معها، هذا و سادت السلبية في عناوين جريدة « لوموند » المُحَرَّرة لموضوعات العرب (التى غلب عليها الارهاب و العنف)، و كانت ألفاظ العناوين لا تعطى أكثر من دلالة، إذ جاءت العناوين في اسطر مستقلة دون عناوين فردية. و تبرُز أهمية عناوين الجريدة في استخدامها للكلمات المألوفة والقصيرة، و تجنبها الإطالة فيها مبتعدة بذلك عن الألفاظ المعقدة و الغريبة. وساعدت عناوين الجريدة على الترويج والتسويق لها، و ساهمت بقدر كبير في تحديد شخصيتها و ميولاتها السياسية، فأعطت لها جاذبية من خلال تقديم أهمية المواضيع المتعلقة بالعرب و الاسلام و فتح شهية القراء لقراءة هذه المواضيع التى تخص امنهم المهدد من طرف العرب و اسلامهم الراديكالي، كما أنها قدمت فكرة سريعة ومركزة للقارئ المتعجل و إثارة حسه الفنى، و ساهمت في بناء الصفحة، وتحديد هيكلها العام في الأعداد المتزامنة مع أحداث شارلي ابدو و هجمات نوفمبر2015.

و عن صياغة العناوين الصحفية و تحريرها، فعلى عكس الاتجاه العربي الذي يرى أن يقوم كاتب المحرر بتحرير عناوينه باعتباره هو الأجدر على استخلاص أهم قيم الخبر، ترى المدرسة الأوربية و الأمريكية أن رئيس التحرير أو المخرج

الصحفي هو من يجب عليه أن يحرر العناوين. أما جريدة «لوموند» مثلها مثل جريدة «لوفيغارو» و غيرها من الصحف الفرنسية، فوضعت محررين متخصصين في العناوين، مهمتهم قراءة الموضوعات و وضع عناوين لها. و لأهميتها في جلب عدد اكبر من القراء، ساعدت عناوين جريدة «لوموند» بشكل كبير من جعلها جريدة عالمية. و كان دور كبيرا في هذا لمهارات محرر عناوين الجريدة.

10.7. تحليل مؤشر الصورة الفوتغرافية:

رب صورة أبلغ من ألف كلمة... التطور التكنولوجي الحديث في مجالات السمعي البصري جعل من الصورة الفوتوغرافية المضمون الاكثر تداولا عبر شبكات التواصل الاجتماعي، فهي لغة عالمية، يتداولها كل سكان المعمورة بكل سهولة و مرونة، و هي اللغة التى لا يختلف في قراءتها الجمهور و يفهمها الجميع بمفهوم واحد

كان لاقتراع الصورة الفوتوغرافية، الاثر الكبير على الاعلام المكتوب بشتى انواعه. اذ رافقت هذه الاخيرة النصوص المكتوبة و اصبحت تلازمها على صفحات الجرائد و المجلات لتصبح الصورة الفوتوغرافية من اهم مصادر توثيق الأحداث، و بدخولها مجال الصحافة، اصبحت تعرف بالصورة الصحفية، اذ تلعب نفس الدور الذي يلعبه النص، فالصورة الصحافية قالب من القوالب الصحفية الاكثر تأثيرا على مجتمع القراء. و هي مادة اساسية لا يمكن للصحف المكتوبة الاستغناء عنها باعتبار انها تجذب انتباه القارئ اكثر من النص و اكثر من العنوان كما انها تلعب دورا بارزا في اضفاء الحيوية و الترفيه على صفحات الجريدة.

في هذا المؤشر سنحاول الوصول الى كيفية توظيف «لوموند» للصورة الصحفية و الاعتماد عليها في ايصال المضمون الاعلامي لدى جمهور القراء. في التغطيات الإخبارية للأحداث المتعلقة بالعرب باعتبارها لغة العصر في ظل التطور التقنى لوسائل الاعلام.

بعد حصر الصور التى وردت في اعداد العينة و التى قاربت المائة، لجانا الى تحليل المضمون الصورة الفوتوغرافية و الذي يسعى الى وصف المحتوى الظاهر

والمضمون الصريح للمادة الإعلامية من حيث الشكل والمضمون. و من خلال جمع المعلومات والبيانات التوصيفية التى تحملها الصورة. ويعد تحليل المحتوى أداة منهجية للدراسة الكمية والكيفية لمضمون وسيلة الاتصال وهو أداة لملاحظة ووصف مادة الاتصال من خلال فئات الشكل و المضمون و هي كالتالي

فئات المضمون : وتشمل ما يأتي

1. موضوعات الصور: وشملت الإرهاب الرؤساء و الملوك العرب، ألاقتصاد تفجيرات، الاسلام، الدول العربية ...
2. مصادر الصور: وتشمل وكالات انباء فرنسية، وكالات اجنبية، وكالات عربية، الارشيف، بدون مصدر
3. نوع الصورة : وتشمل ما يأتي

- صورة اخبارية مستقلة و يقصد بها الصورة التى تستقل بوظيفة الاعلام دون الحاجة لإرفاقها بنص
- صور مرافقة للخبر: ويقصد بها الصور التى تنشر مرافقة للنص الصحفي داعمة له
- صور موضوعات : وهي الصور التى تهدف الى نقل او توصيل صور او تفاصيل عن أحداث وهي صور على عكس من الصور الاخبارية الحالية إذ ان صور الموضوعات يمكن ان تؤجل يوماً أو شهراً وتنشر في اي وقت مع موضوعها النها ال ترتبط بتوقيت او حدث اخباري عاجل
- الصور الشخصية: و هي التى تمثل الشخصية محور الموضوع وتروي تفاصيل ملامح شخصية سواء بحركة او انفعال

ثانياً : فئات الشكل (كيف قيل): وتشمل ما يأتي

1. شكل الصورة : ويشمل الشكل المستطيل ، والشكل المربع، والشكل البيضاوي، والشكل الدائري

2. .موضع الصورة : ويشمل أسفل العنوان، فوق العنوان، جانب الموضوع، اسفل الموضوع، وسط الموضوع

3. موقع الصورة في الصفحة : ويشمل موقع الصورة داخل الصفحة في اعلى يمين أو في أعلى يسار أو في أسفل يمين أو في أسفل يسار أو في وسط الصفحة

4. حجم الصورة: وتعنى المساحة التى افردتها الصحيفة في الصورة و نمثلها بالنسبة المؤوية لحجم الصفحة

موضوعات الصور الفوتوغرافية المتعلقة بالعرب

جدول رقم 09 : يبين موضوعات الصور المتعلقة بالعرب

الموضوع الاعداد	الارهاب	شخصيات عربية	الاسلام	سياسة	ثقافة و مجتمع	الربيع العربي	∑
1	1	1	1				3
2	1		1				2
3	2				1	1	4
4	1		1				2
5	2						2
6	2	2				1	5
7	1		2	1	1		5
8	1		1			1	3
9	1						1
10			1	1	1		3
11	2	1	1			1	5
12	4	2					6
13		1		2	1		4
14	2	2	2			1	7
15	1		3				4
16	1		1				2
17	1	1	1	1		1	5
18			1				1
19	1	1	2			2	6
20	4	1	1	2		4	12
21	3	1	2				6
22		1	1				2
23	1		1				2
24	1	1	1				3
∑	33	17	24	8	4	12	98
٪	34%	17%	24%	8%	4%	12%	100%

انقسمت موضوعات الصور الفوتوغرافية المتعلقة بالعرب على ستة مواضيع أساسية، و شملت الإرهاب، شخصيات عربية، الإسلام السياسة، و بلدان ثورات الربيع العربي

جاء التمثيل الاكبر للإرهاب الذي جاء ممثلا بنسبة (34%) في صور الدمار الذي خلفه الاقتتال بين الطوائف العربية و الغربية و الجماعات الاسلامية المسلحة، و تشابهت فيه الصور بين صور قيادي تنظيم الحركات الارهابية المسلحة، كشخص ابو

بكر البغدادي و كذا بعض الوجوه الملتحية و صور راية «داعش» السوداء و المسلحين الملتحين، و جاء في المرتبة الثانية صور التى لها علاقة بالإسلام و المسلمين و ان كانت صور الدين الاسلامي قد تشابكت في عديد من المرات مع الارهاب و الشخصيات الاسلامية و اعمال العنف و الحجاب و اللحية و غيرها، فكان من الصعب علينا الفصل بين مواضيع الصور المتعلقة بالإسلام، لكن حصرناها في صور تمثل نسبتها بـ (24%) هذا و تأتي في المرتبة الثالثة الشخصيات العربية و التى جاءت بنسبة (17%) و جاءت مصورة للقادة العرب خاصة، كالملوك و الرؤساء و كبار المسؤولين العسكريين للدول العربية و كذا بعض كبار المعارضين العرب و جاءت صور الربيع العربي ممثلة بـ (12%) من اجمالي مواضيع الصور و جاءت مصور للواقع المعاش في البلدان العربية التى شهدت الربيع العربي و اخيرا و بنسب قليلة جاءت الصور السياسية و الثقافية مصورة للاجتماعات و المؤتمرات السياسية و كذا بعض اللقاءات السياسية.

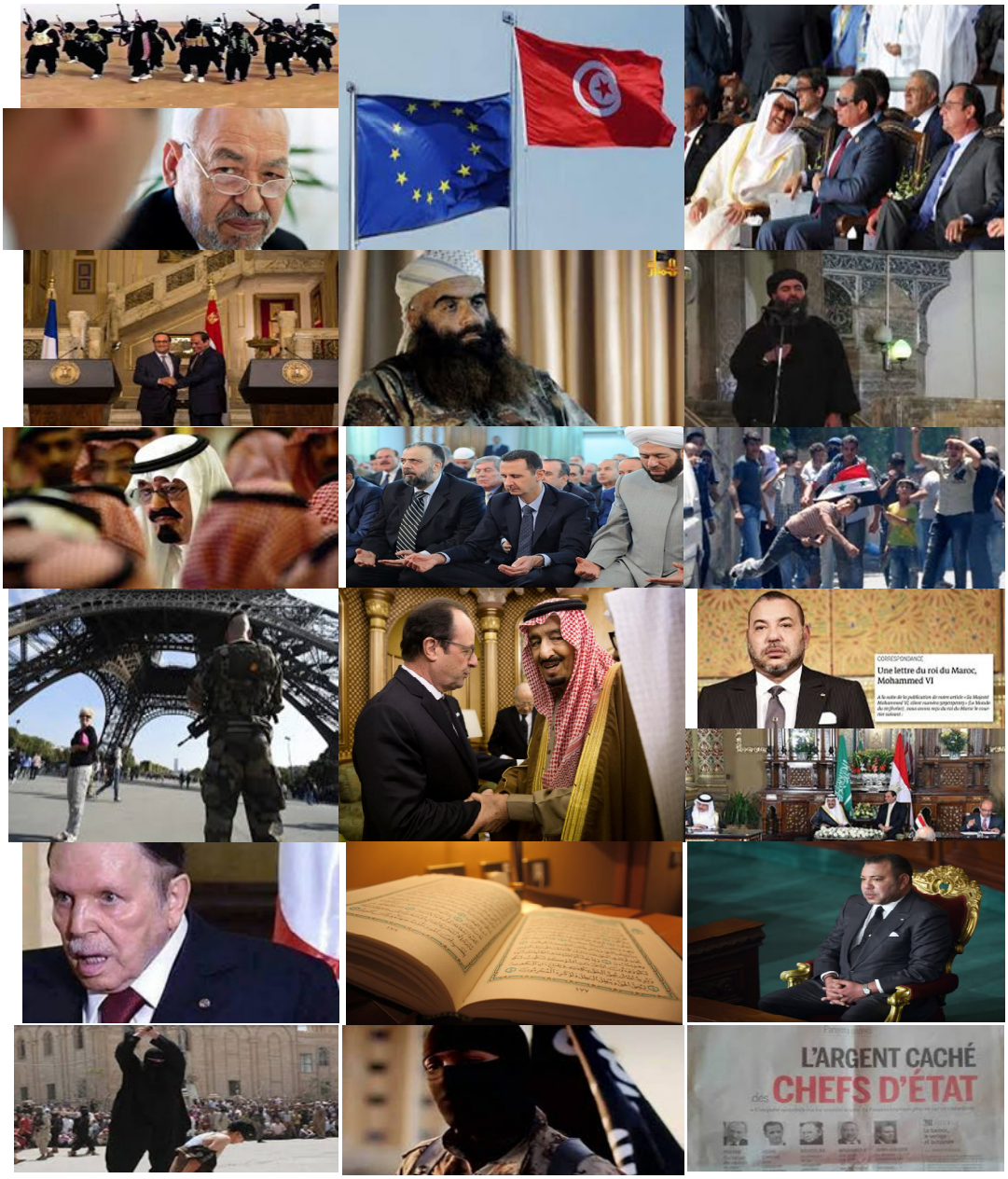
CORRESPONDANCE
Une lettre du roi du Maroc, Mohammed VI
L'ARGENT CACHÉ
des CHEFS D'ÉTAT

مصادر الصور الفوتوغرافية المتعلقة بالعرب

جدول رقم 10 : يبين مصادر الصور المتعلقة بالعرب

الموضوع الاعداد	وكالات انباء فرنسية	و كالة رويترز	وكالات انباء عربية	الارشيف	بدون مصدر	مصورو الجريدة	∑
1		1	1			1	**3**
2	2						**2**
3	2	1				2	**5**
4			2				**2**
5	1	1					**2**
6		2			2	1	**5**
7	3	1		1			**5**
8	1	1			1		**3**
9				1			**1**
10	1	1				1	**3**
11	2	2			1		**5**
12	2	1	2		1		**6**
13	3	1					**4**
14		5	2				**7**
15	3	2		1			**6**
16						2	**2**
17	3	2					**5**
18				1			**1**
19	2		4				**6**
20	6	5			1		**12**
21	1	5					**6**
22	1			1			**2**
23			1		1		**2**
24		3					**3**
∑	**33**	**34**	**12**	**5**	**7**	**7**	**98**
٪	**34%**	**35%**	**12%**	**5%**	**7%**	**7%**	**100%**

اعتمدت الجريدة على عدة مصادر للصورة الفوتوغرافية، و كانت نسبة وكالة الانباء الفرنسية متساوية مع وكالة رويترز كمصدر للصور الفوتوغرافية، اذ جاءت بنسبة (35%) و (34%) و كانت في المرتبة الثانية وكالات انباء عربية، في المواضيع الخاصة بالدول العربية كالاجتماعات و الاحداث التي كان التراب العربي مسرحا لها و جاءت بنسبة متقاربة و اخيرا مصادر من الارشيف و مصورو الجريدة و صور مجهولة المصدر

نوع الصور الفوتوغرافية المتعلقة بالعرب:

أما عن طبيعة عرض الصور التى جسدت العرب و الاسلام في جريدة «لوموند» الفرنسية أظهرت بيانات الجدول أن الصور الصحفية المرافقة للخبر حظيت باهتمام الصحيفتين، اذ ان جل الصور (بنسبة 48%) كانت مرافقة للخبر، اما الصور الخبرية فقد جاءت في المرتبة الثانية بنسبة (20%) و ثلثها صور الموضوعات بنسبة (16%) و صور الشخصيات العربية بنسبة (10%) و اخيرا صور الشخصيات الفرنسية بنسبة (05%)

جدول رقم11: يبين نوع الصور المتعلقة بالعرب

الموضوع الاعداد	صورة اخبارية	صور مرافقة للخبر	صور موضوعات	شخصيات	صور شخصيات فرنسية	Σ
1	1	1	1			3
2				1	1	2
3	3			1		4
4		1	1			2
5	3					3
6	3	2				5
7		4		1		5
8		2	1			3
9			1			1
10		3				3
11	2	3				5
12		6				6
13		3		1	1	5
14	1	4		2		7
15		2	4			6
16		1	1			2
17	1	1	2			4
18			1			1
19	2	3		1		6
20	1	6	1	2	2	12
21		5		1		6
22			2			2
23	1		1			2
24	2				1	3
Σ	20	47	16	10	5	98
٪	20%	48%	16%	10%	5%	100%

و يتضح من هذه النتائج أن جريدة «لوموند» و في عرضها لأنواع الصور، فإنها تعتمد اكثر على الصور المرافقة للخبر و التى تحظى باهتمام القراء، كونها تكمل النص المكتوب تدعمه، كما أنها تزيد من مصداقية الصحيفة وتؤكد الخبر او الحادث، في حين ان الجريدة لم تهمل باقي انواع عرض الصور فكانت هنالك

كل الانواع تقريبا و لكن بنسب متفاوتة تباعا للأحداث و الزمان و المكان و اهمية الخبر و الفاعلين فيه.

شكل الصور الفوتوغرافية المتعلقة بالعرب

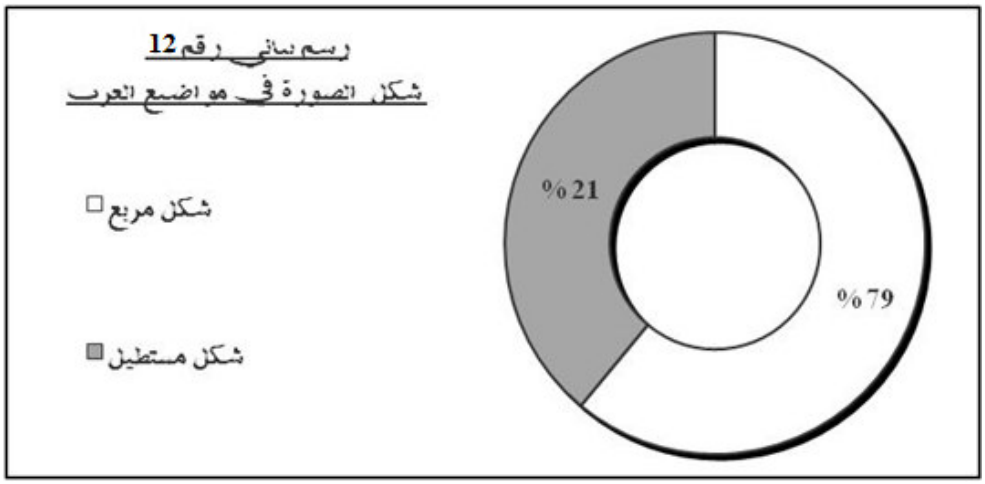

جاءت اشكال الصور المتعلقة بالعرب في شكلين اساسين هما المستطيل و المربع كما يبرزه الرسم البياني رقم (12)، اذ جاءت الصور مربعة الشكل تمثل (61%) من مجموع الصور و جاءت الصور مستطيلة الشكل بما يمثل نسبة (39%)

موضع الصور الفوتوغرافية المتعلقة بالعرب

نشر الصور الصحفية في النصف الأعلى من الصحيفة، حيث بلغت الصور التى نشرتها الصحيفتان في وسط الصفحة بما نسبته (35%) ، فيما بلغت الصور المنشورة في الاعلى الى اليسار بما نسبته (19%) اما الصورة التى كان موضعها الاعلى الى اليمين فقد كان تمثيلها ما نسبته (23%)

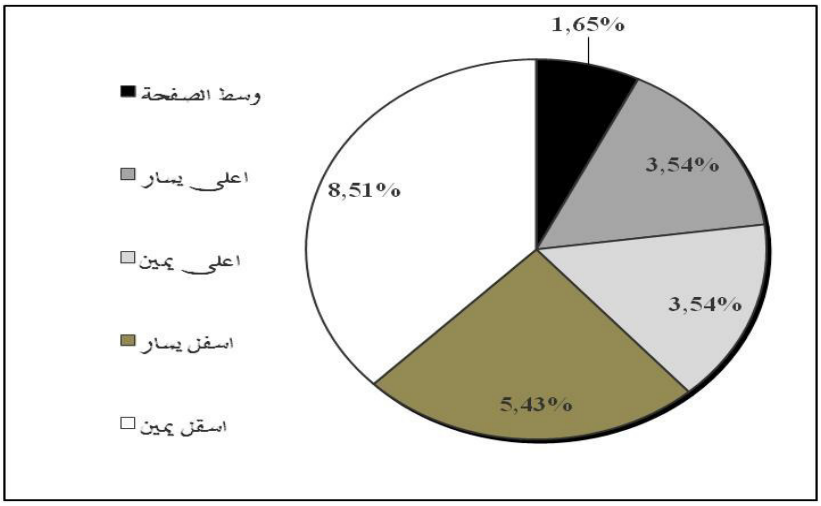

بيان رقم 13 يبين موضع الصورة على الصفحة

و كان تمثيل الصور التى وردت في الاسفل قليلا مقارنة بالتى كان موضعا في الأعلى، اذ جاء تمثيلها متساويا بين اليمين و اليسار بنسبة قاربت الـ (12%) .

تفضل جريدة «لوموند» الفرنسية عرض الصور الصحفية في النصف الأعلى من الصحيفة، يرتبط بطبيعة الموضوعات الصحفية، التى تعرض بكل صفحة على حدى، و التى كانت معظمها في الصفحة الثانية و المتعلقة بالأخبار الدولية، و الصفحة رقم 13 و التى فيها التقريرات الصحفية و التى عادة ما تكون في اربع صفحات متتالية. اضافة الى الصفحة الاخيرة و التى معظمها كانت للاشهارات. هذا و تنشر الموضوعات الأهم في النصف الاعلى من الصفحة، وعادة ما تكون مصحوبة بالصور، كما أن النصف الأعلى من الصفحة هو الذي يلفت انتباه القارئ، لأن التركيز البصري ينصب على ما يتم نشره في هذا الجزء من الصفحة أكثر من سواه.

حجم الصور الفوتوغرافية المتعلقة بالعرب

وفيما يتعلق بحجم الصورة الصحفية من حيث كونها صغيرة أم متوسطة أم كبيرة، تبين من خلال حصر احجام الصور، ان الصور المتوسطة الحجم احتلت المرتبة الأولى في الجريدة، فقد بلغ مجموعها 45 صورة مشكلة بذلك ما نسبته (45%)، تلتها الصور ذات الحجم الصغير التى وصلت إلى 37 صورة بما نسبته (37%) ثم الصور

ذات الحجم الكبير و التى كان تعدادها 16 صورة كانت جلها في مواضيع الارهاب و الشخصيات و كانت الجريدة سلبية في مواضيعها.

ويتضح من هذه النتائج أن هنالك اختلاف كبير في أحجام الصور الصحفية التى تنشرها «لوموند» حول مواضيع العرب، فهي تميل إلى تفضيل الصور كبيرة الحجم في مواضيع الارهاب و الشخصيات العربية، في حين تنشر الصور الصغيرة و المتوسطة في باقي المواضيع (الاسلام الربيع العربي...)

نتائج تحليل الصور الفوتغرافية المتعلقة بالعرب:

أظهر تحليل الصورة الفوتوغرافية في المواضيع المتعلقة بالعرب ان جريدة لوموند تولي الصور الفوتوغرافية أهمية كبيرة، و ذلك كونها تحتوي على 98 صورة في 24 عدد ما يمثل نسبة (25%) من القوالب الصحفية التى تغضي مواضيع العرب. هذا و توزعت الموضوعات التى تناولتها الصور الفوتوغرافية على جميع المجالات، وجاء في مقدمتها المواضيع التى تتعلق بالارهاب و الوضع الأمنى، على تراب الدول العربية، كما على الاراضي الفرنسية، ثم جاء موضوع الاسلام بالدرجة الثانية، اذ كانت الصور التى ترمز للديانة الاسلامية تمثل (24%) ثم صور الشخصيات العربية و الاسلامية و الارهابية و صور الملوك و الرؤساء في المرتبة الثالثة ممثلة بنسبة مؤوية تقدر بـ (17%)

كما اعتمدت الجريدة على وكالة الانباء الفرنسية و وكالة رويتر كاهم مصادر للصور التى لختارتها لمواضيع ، و اعتمدت بنسبة اقل على وكالات الانباء العربية و الارشيف و صور مجهولة المصادر.

عرضت معظم صور العرب في الصفحة الثانية و التى تتناول القضايا الدولية، كما جاءت كذلك بنسب متفاوتة في الصفحة الـ 11 و التى تأتي بالتحقيقات و التقاريير الصحفية، في حين كانت الصور المتعلقة بالعرب قليلة على الصفحة الاولي في عينة دراستنا. هذا و اختلفت الاحجام من الصغير الى المتوسط الى الكبير، و كانت معضمها في النصف الاعلى من الجريدة، يمينا و يسارا، اذا كانت مرافقة

للنصوص الاعلامية في مجملها. و كانت كل الصور ملونة، مختلفة في القيم التى تحملها اتجاه مواضيع العرب.

نتائج الدراسة

كانت صحيفة «لوموند» دقيقة الى ابعد الحدود في معالجاتها الصحافية لقضايا العرب، إذ اتسمت المعالجات الصحفية بالموضوعية و النزاهة و عدم التحيز، فكانت تنشر الاخبار بوجهات نظر متعددة، عدا الأخبار المستندة إلى مصادر رسمية و التى تأتي بها كما جاءتها. هذا و بفضل المحللين و المخبرين و المصادر الذين تعتمد عليهم الجريدة، جاءت اخبار العرب تحمل في مجملها تفاصيل جديدة و انية يجهلها العرب في حد ذاتهم. و نشرت الجريدة كل التفاصيل و حيثيات الاحداث معتمدة على مخبريها و مصادرها الجد موثوقة. ما يجدر بنا ذكره هنا، هو أن لجريدة «Le monde» و على عكس الكثير من الصحف الفرنسية، مصادر ومتعاملين اقوى من اجهزة استخبارات دول باكملها.

من خلال جريدة «لوموند»، حاولت الصحافة الفرنسية المكتوبة استقصاء الحقائق المتعلقة بالعرب. و رغم حساسية العلاقات العربية الفرنسية و الضغوطات الخفية التى كانت تتعرض لها من أصحاب القرار، (مثل وكالة الاستخبارات المركزية في الحكومة الفرنسية) فقد نشرت الجريدة اخبارا كانت بمثابة جد سرية ، و كان لهذه الاخبار صدى عالمي كبير، كاوراق بنما، او التدخل الفرنسي عسكريا على الاراضي الليبية ... و غيرها من المواضيع التى مست نظام السلطة السياسية الحاكمة.

من خلال تحليل بيانات مؤشر مراكز الاهتمام، و القيم و الاتجاهات، كانت جريدة «لوموند» في تغطيتها الإخبارية لمواضيع العرب سلبية في مجملها، و ان ابرزت جل الدراسات السابقة ان الاعلام الغربي يحاول تشويه صورة العرب، فاننا و بالاعتماد على نظرية الاطر الإعلامية، نخلص ان الجريدة كانت سلبية لان الوضع في جل الدول العربية كان سلبى للغاية. و نلخ الصورة التى وصفت بها الجريدة العرب في النقاط التالية:

صورة العرب:

تباينت الصورة التى رسمتها الجريدة للعرب و الدول العربية بتباين واقع دول و مملكات العالم العربي، اذ تشهد بعض الدول كسوريا و العراق و ليبيا الكثير من النزاعات و الاضطرابات و الحروب و استفشاء التنظيمات الارهابية فيها، بينما تنعم

بعض دول الخليج العربي باستقرار سياسي و بحبوحة مالية و مستوى معيشي جد مرتفع و تتخبط دول اخرى في مشاكل سياسية و اقتصادية و اجتماعية كدول المغرب العربي

الشيء المشرك في نظر «لوموند» في صورتها للعالم العربي هو استبداد الحكام و تربعهم على كرسي السلطة لفترات طويلة جدا، كما شككت دائما في سياسات الحكومات العربية التى وصفتها بالقامعة لكل اشكال المعارضة السياسية و المحاربة للحريات و حريات التعبير. اما عن الشعوب العربية، فوصفتها الجريدة بالضحية، اما ضحية السلطة او ضحية الجماعات الارهابية. هذا و رسمت اللاعدالة و اللامساوات التى تعاني منها كل الشعوب العربية تقريبا

صورة عرب فرنسا:

رسمت «لوموند» الفرنسية صورة العرب المقيمين في فرنسا على انهم يعترفون بشرعية القانون العلماني الموضوع كدستور لفرنسا ويحترمونه و في الوقت نفسه يتمسكون بهويتهم الإسلامية و يمارسون شعائرهم الدينية خاصة شهر رمضان و الاعياد و صلاة الجمعة. و تشير الجريدة انه رغم الفتنة الطائفية والعقائدية و المذاهب التى تمزق مجتمعاتهم الأصلية، إلا انهم تجمعهم وحدة إسلامية قوية بسبب الصراعات التى عانت منها الأمة الإسلامية

و تضيف الجريدة استنادا الى الارقام التى تقدمها اجهزة الدولة، كالشرطة و الحماية المدنية و العدالة... و غيرها، ان عرب فرنسا و مسلميها يلعبون الدور الرئيس في جل عمليات السرقات و الجرائم و النزاعات

يعاني عرب فرنسا من العنصرية والاضطهاد الممارسين ضدهم من قبل المجتمع الفرنسي و غيره من المجتمعات الاوربية و الغربية، خاصة في الفترات التى تعقب أي اعمال ارهابية على التراب الفرنسي اين يبلغ التحرش بالعرب و المسلمين و اماكن العبادة ذروته. و لعل كره العرب لدى المجتمع الفرنسي ياتي نتيجة لعدة اسباب و عوامل متداخلة، لخصتها الجريدة في رفض الجيل الثاني و الثالث من الجالية العربية المقيمة في فرنسا ان يعيش كما عاش أبائه و اجداده كأقلية، اضافة

الى ذلك سياسات العنصرية و ان كانت غير ظاهرة للعيان و التى تطبقها الكثير من المؤسسات على اختلافها بفرنسا و غيرها من الدول الغربية الشيء الذي ادى ارتفاع نسبة البطالة في اوساط الجالية العربية مما ادى الى تدهر اوضاعهم الاقتصادية و الاجتماعية

صورة الأقليات المسلمة في العالم:

وصفت «لوموند» أوضاع المسلمين كأقليات في المجتمعات غير الإسلامية، على أنهم مواطنين غير مندمجين ولا متجانسين مع مجتمعاتهم الغربية و الأوروبية ويتملكهم الشعور بأنهم ضحايا. و انهم أقلية تشعر بالاضطهاد وتعاني من التفرقة العنصرية. و تخص «لوموند» الفرنسية الدفاع عن الأقلية المسلمة التى تتعرض للعديد من الأفعال والهجمات العنصرية والبربرية التى تحمل طابع التيار المعادى للإسلام كالمسلمين في بورما و فلسطين و المسلمين في امريكا اللاتينية

و شيدت الجريدة بالنخبة العربية المسلمة التى تعيش في المهجر و القادرة على إدارة شئون الدول و المضي بها الى الامام. لكن سياسات العالم العربي اتجاه هذه النخب ادت الى هجرتها الى الغرب اين تنعم بالاستقرار و الامن ، و لعل فئة كبيرة من الاطباء و المفكرين و غيرهم من العلماء الذي نهضوا بعجلة التقدم في فرنسا هم من اصول عربية

صورة اللاجئين و المهاجرين إلى فرنسا:

أعربت الجريدة عن الخوف الأوروبي الشديد من الوفود الهائلة من اللاجئين العرب و المسلمين الذي اشتاحوا الدول الاوربية و الذين فرو من الصراعات و الحروب و بطش الحركات الارهابية محددة صورتهم على أنهم يشكلون تهديداً على الهوية الفرنسية و مقومات الدولة والأمن الامن بصفة خاصة. و انهم يسعون إلى أسلمت فرنسا و تطبيق الشريعة الاسلامية على المجتمع الفرنسي.

كما أشارت إلى أسباب الخوف الامنى من تلك الهجرة إلى فرنسا و اوربا بشكل عام، ويكمن ذلك في كون الأقلية العربية المسلمة بفرنسا هي الأكثر نشاطاً من

خلال الدعوة التى تقوم بها لتحفيز الفرنسيين على اعتناق الاسلام و الجهاد في سبيل الله، الشيء الذي يعرض المجتمع الفرنسي الانقسام الثقافي و الاجتماعي على حد سواء.

صورة الحكام و الملوك العرب:

وصفت « لوموند» نظم الحكم في الدول العربية بالدكتاتورية و المستبده في معظمها، اذ تعاني المعارضة من القمع و الاضطهاد المخالف للوائح حقوق الإنسان، و وصفت الحكام العرب بالاثرياء الذين يمتلكون ثروات طائلة في حين تعاني شعوبهم من تدني مستوى المعيشة و الفقر المدقع في بعض الأحيان، عدى شعوب دول مجلس التعاون الخليجي، و انتقدت شخصيات نافذة عربية في اكثر من مرة و اتهمتها بالسرقة و الاستبداد و عدم القدرة هذا و لم تبدي الجريدة تأييدها لاي نظام عربي في طريقة حكمه و تسييره لشؤون بلاده باستثناء دولة الامارات العربية المتحدة.

صورة الديمقراطية بالعالم العربي:

كانت جد سلبية اذ اجزمت «Le monde» على أنه لا أمل للعالم العربي في الحصول على الديمقراطية ما داموا لا يسعون إلى تبنى و ممارسة الديمقراطية الحقيقية و قبول الرأي الاخر. اذ انهم يتهمون الغرب بأنه يسعى لتطبيق وفرض نظرية المؤامرة على على العالم العربي و الاسلامي. هذا و تشير الجريدة ان الديقراطية عند العرب مجرد مسرحية يلعب دور البطل فيها، السلطة و المعارضة، تسعى إلى تقليد النمط الديمقراطي الغربي

صورة العنف لدى العرب:

المصطلحات التى استخدمتها الجريدة للتعبير عن احداث العنف والإرهاب الممارس من قبل الحركات الاسلامية المتطرفة خاصة في البلاد العربية (سوريا العراق ليبيا اليمن...) وعلى ربط العرب و المسلمين بالعنف، هذا و استنادا الى التقارير الاستخباراتية حول اعمال العنف تقر وتؤكد على أن معظم الإرهابيين هم من

المسلمين و تشير «لوموند» إلى ان قيم الاسلام تنبذ التطرف و العنف و ان الإرهابيين المسلمين يمثلون القلة القلية والمسلمين المعتدلين هم الأغلبية الوسطية السائدة التى ترفض هذه الأقلية الراديكالية وترفض العنف الذي ترتكبه باسم الإسلام.

و كانت «Le monde» تشير دائما إن العرب والمسلمين هم أكثر من عانى من الإرهاب الإسلامي في العالم قبل سنوات الربيع العربي و كانت الجريدة تدافع عن العرب المسلمين الذين يدافعون عن قيم الاسلام السمحاء وعن أنفسهم ويحاولون تبرئتهما من العمليات الإرهابية التى ترتكب باسمهم وباسم دينهم حول العالم.

صورة العلاقة القائمة بين العرب وفرنسا:

اقرت الجريدة باستحالة إنشاء علاقة جيدة بين فرنسا و العالم العربي والإسلامي. وذلك نتيجة لصدام الحضارات القائم بين العرب و الغرب و كون المسلمين يرفضون أن يتعلموا من الآخر. اضافة الى ان فرنسا تتعامل مع الدول العربية وفق اجندة تخدم مصالحها متبعة سياسات خاطئة نتجت عن البعد الكبير و الاختلاف في النظرة الى الاخر

و ترجع الجريدة استحالة انشاء علاقات متينة كون العرب و الدول العربية غير متحضرة، لا تتمتع بحرية التعبير و ان الحكومات العربية و المماليك لا يعبرون عن اراء شعوبهم بل شتان بين الحاكم و المحكوم هذا و ترسم الجريدة النظم العربية على انها دكتاتوريات كل همها البقاء في سدة الحكم

صورة الإسلام وعلاقته بالعنف:

اكدت الجريدة على أن هنالك عنف دموي كبير يمارس باسم الإسلام والجهاد الاسلامي حول العالم. و خلصت الجريدة ولو انها اخلطت في كثير من المرات بين الاسلام و العرب و الإرهاب، ان دين الإسلام بريء من العنف و مظاهره خاصة لما يتعلق الامر بالعنف الممارس في الدول الاوربية و بالخص في فرنسا. كما

اقرت «Le monde» أن الدين الإسلامي يعاني من صورته المتسمة بالعنف المنتشرة في العالم. خاصة الاعمال التى تقوم بها عناصر داعش باسم الاسلام و الخلافة الاسلامية

ذكرت الجريدة بعض الحلول التى من شانها القضاء على هذه الصورة السلبية و المشوهة كضرورة اعادة تفسير آيات القرآن الكريم التى تبرر العنف،. وأشارت الجريدة الفرنسية أن الغرب هو الأمل الوحيد المطروح أمام الإسلام والإصلاحيين المحدثين الذين يسعون إلى تحديثه وتنويره.

كما أشارت الجريدة إلى أن الإسلام في مفهوم العرب هو الرغبة في قهر وإخضاع العالم له حتى لو تطلب الامر استخدام العنف باسم الدين. وأشارت إلى أن تعرض الإسلام للانتهاك والتطاول على يد الغرب هو الذي أدى إلى انتشار هذا العنف بين أتباعه.

و خلصت المعالجات الاعلامية للإسلام و علاقته بالتطرف و العنف ان الإسلام كدين يتسم بالإيجابية في انه يحث على العدل، و يكفل حرية الأفراد ويحرم قتل وخطف الأبرياء و انه دين التسامح. و هو الدين الوحيد الذي ساوى بين المرأة والرجل في حق التعليم والزواج والمواطنة. و انتقد بشدة ضرب الرجل لزوجته و تعدد الزوجات

في حين ان الجريدة في معالجاتها للاقتصاد و و سوق الاموال أكدت على أن النظم الاقتصادية الإسلامية تحرم الربح بالفائدة، وتقوم على المشاركة و انها السبيل الامثل لتحقيق الربح للبنوك كما للمساهمين إلا انها تعاني من عدم وجود شفافية في الإفصاح عن رؤوس أموالها، وأن للبنوك الإسلامية نظام معقد اكد فعاليته لدى المملكة الامتحدة (انجلترا). كما أضافت أن زيادة النظم المالية الإسلامية في القارة الأوروبية يمثل أحد جوانب تطور النظام المصرفي الأوروبي.

صورة الراديكالية الإسلامية:

القمع السياسي و الفكري الذي عاشه العرب و المسلمين في بلدانهم، و كذا الحروب التى عانت منها الأمة الإسلامية طويلاً هي التى أدت إلى ولادة الفكر الإسلامي الراديكالي والجماعات الراديكالية الإسلامية بشكل عام. و أشارت الجريدة الى ان ثورات الربيع العربي هي التى أدت إلى زيادة عدد الراديكاليين الإسلاميين بالعالم و بالتالي ولادة ما يعرف بالارهاب بمفهومه الحديث اذ كانت الجزائر هي السباقة بظهور مظاهر العنف الاولى سنوات التسعينات و حاول افراد الجيش الاسلامي للإنقاذ نقل المعركة الى خارج الحدود الجزائرية دون جدوى و اشادت الجريدة في كل مرة بالإصرار العالمي على مكافحة الإرهاب الإسلامي والقضاء عليه.

في حديثها عن التطرف و الراديكالية اهتمت الجريدة بتحديد بعض الخصائص الخاصة بالإسلاميين أو الإرهابيين المسلمين دون غيرهم من المسلمين، متفقتان على أن «الله اكبر» هي الصيحة الخاصة بهم، و أن شهر رمضان المقدس هو شهر العنف وتصاعد وتيرة العمليات الإرهابية لديهم وأنهم والعديد من المسلمين يسعون إلى استرداد أسبانيا الأندلس قديماً. وأكدت على أنهم يعادون العرق اليهودي والحكومات الغربية والعربية ويطمعون في الوصول إلى الحكم

و ذهبت الجريدة إلى أن اللحية الإسلامية والحجاب الإسلامي هما رمزان للإسلاميين الراديكاليين، والنقاب هو زى النساء الإسلاميات وأن الإسلاميين الراديكاليين يباركون عودة الخلافة الإسلامية تحت لواء من يعتبرونه الخليفة ابو بكر البغدادي. و انهم يرفضون فكرة فصل الدين عن الدولة والمساواة بين الجنسين.

يكمن خطر الإسلاميين والإرهاب الإسلامي على العالم الغربي في انتشار شبكة عناصر الدولة الاسلامية و عناصر القاعدة و ميليشيات ليبيا و الاخوان المسلمين ... و غيرهم في جميع أنحاء العالم الغربي، خاصة و انهم يعتقدون عقيدة قوية ان ماواهم الجنة بعد القضاء عليهم الشي الذي يجل مكافحتهم امر صعب جدا. هذا ابرزت تحليلات الخبراء الذين تستعين بهم الجريدة في التعاطي مع موضوعات الاسلام تخوفهم الكبير من نقل الحرب الدائرة بين مختلف الاطياف

العربية و الاسلامية من سوريا و العراق و ليبيا ... الى القارة الأوروبية، خاصة و ان هذه الاخيرة ابدت فجوة في نظامها الامنى الذي فشل في اكثر من مرة من صد هجمات اسلامية راديكالية.

و عن استعراضها لبعض الجماعات الإسلامية الراديكالية وبعض القادة الإسلاميين أو الإرهابيين كما أشارت إليها فقد اهتمت بتوصيف الجماعات الإرهابية الآتي ذكرها:

صورة تنظيم الدولة الاسلامية في العراق و الشام:

البربر، المتوحشون، البدائيون،... هي ابرز الاوصاف التى تنعت بها جريدة «لوموند» حركة ما يعرف بـ «داعش» أي شبكة تنظيم الدولة و التى تعتبر العدو العالمي الأول لكل من الولايات المتحدة الأمريكية والقارة الأوروبية والعالم الاسلامي و الغربي ككل، وعلى أنها تمثل خطراً كبيراً على بعض الدول الإسلامية قبل ان تكون خطرا على الدول الغربية، و انها ذات تأثيراً قوياً على الجماعات الإرهابية الإسلامية الأخرى المنتشرة بالعالم من خلال الاستراتيجيات الناجحة التى تعتمد عليها في تجنيد الشباب الاوربي للانضمام اليها. و كونها حركة إسلامية متعددة القوميات تعمل وفقاً لأيديولوجية عرقية مستمدة من تفسير خاص للإسلام جعلها تصبح رمزاً لانتقام العالم الإسلامي من الغرب.

الخـلاصة

الخـــلاصـــــة

على غرار العديد من الأحداث التى ما تزال تفاجئ عالمنا، بدأت أحداث الربيع العربي بدولة تونس بمسيرات عفويةً، جاءت كردة فعل من شباب غاضب من احراق البوعزيزي لنفسه، و كانت الشرطة قد واجهتهم بعنف مفرط لا يمارس حتى ضد العدو. بعد نجاح الثورة التونسية في قلب حكم الرئيس بن علي، وجد الشباب العربي في مصر، سوريا، العراق ، ليبيا و غيرها من الدول العربية، في الثورة التونسية مثالا و فرصة مناسبة له لابداء السخط على مجمل الأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية و المعيشية المتردية التى تعيشها جل شعوب الدول العربية .

سرعان ما تحولت المسيرات السلمية الى مشادات مع رجال الامن، ليتمرد الشباب العربي على سياسات و استبداد الحكام العرب و قمع الحريات و التهميش المعيشي و الاجتماعي وعدم تكافؤ فرص التوظيف . و قامت ثورات مسلحة، و حدثت انشقاقات في اجهزة الحكم و الاجهزة الامنية للدول العربية التى شهدت موجات الربيع العربي

و بعد ظهور الحركات المتطرفة، عرف العالم العربي اعمال قتل و عنف و تنكيل لم تشهدها البشرية من قبل و دخلت دول عربية عديدة في نفق مظلم جعل منها مادة اعلامية خصبة، فالمتتبع للأخبار و عبر كامل وسائل الاعلام على اختلافها سيلاحظ تطرق الاعلام للحالة التى يعيشها العالم العربي. و روج الاعلام العالمي لهذا الصراع الطائفي المسلح الذي ينخر العالم العربي و زاد من حدته، و الكثير من وسائل الاعلام استغلت أحداث العنف و الارهاب للتصعيد من كراهية الغرب للعرب و الاسلام. و خلق صراع تداخلت فيه الجيوش وفقا لمصالح و اجندات الدول الكبرى، فتحولت الثورات العربية ضد نظم الحكم، الى ثورات مسلحة استعملت فيها الاسلحة الثقيلة و الطيران و القصف، و كان لأمريكا و روسيا و فرنسا دور بارز فيها وفقا لمصالحها و فقا لحسابات جد ضيقة.

تداخل سياسات و جيوش الدول الغربية غذى بشكل كبير الصراع بين العرب و الغرب. و في خضم هذه الصراعات جاءت تغطية جريدة «لوموند» الفرنسية للعالم

العربي و العلاقات العربية الفرنسية. و جاءت لنا بصورة سلبية للعرب و اسلامهم في مجمل المعالجات الإعلامية، معالجات طغت عليها مواضيع أعمال العنف و الارهاب و الاسلام الراديكالي. و هذا ما خلصنا اليه من خلال تحليل بيانات مؤشر مراكز الاهتمام في عينة دراستنا.

حاولت الجريدة في معالجتها اتخاذ الحياد في اتجاهها للعرب و ذلك من خلال اشراك وجهات النظر العربية و اعطائها مجالا كبيرا من التغطيات الصحفية، هذا و قدمت الجريدة حقائق دون تحريفها، و اخبارا موضوعية خالية في معظمها من التحيز، عارضة فيها الحقائق الأساسية، والمعلومات المتعلقة بالموضوع، دون مزج الوقائع بوجهات النظر الشخصية

من خلال معرفتها الجيدة بالشأن العربي، و الالمام الكبير لمختلف جوانب الأحداث، حاولت الجريدة فهم الأسباب و الدوافع التى الى حدوث تلك الاحداث. و يجدر بنا الإشارة هنا، إلى مصداقية جريدة «لوموند» التى من خلالها لا زالت تحافظ على اكبر جمهور قراء عبر ربوع القارات الخمس و جعلت منها الصحيفة الاكثر رواجا بفضل كبر المجتمع المستهلك لها.

بإعتمادنا على نظرية الاطر الاخبارية في تحليلنا للصورة، فننا نخلص الى ان سلبية الصورة التى رسمت بها جريدة «لوموند» العرب و فكرهم الإسلامي، جاءت نتيجة الوضع السلبى و السيئ الذي يعيشه العالم العربي و كذا للفهم الخاطئ للإسلام.

المراجع

- الكتب:

1. إدمون غريب، « الإعلام الأمريكي والعرب في : الأعلام الغربي والعربي » أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية، لندن 1979، الإمارات العربية المتحدة، وزارة الإعلام والثقافة، ص ص 90ـ92.
2. حسن عماد وليلى حسين، «الاتصال ونظرياته المعاصرة »، الطبعة الثالثة، الدار المصرية اللبنانية، 2003.
3. حلمي خضر ساري، « صورة العرب في الصحافة البريطانية: دراسة اجتماعية للثبات والتغير في مجمل الصورة »، ط1 (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية)، 1988.
4. حلمي خضر ساري، «صورة العرب في الصحافة البريطانية، دراسة اجتماعية للثبات والتغير في مجمل الصورة» ، ط1 (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية)، 1988.
5. سامي مسلم ، « صورة العربي في الصحافة الألمانية الاتحادية »، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية)، 1985.
6. سامي مسلم، « صورة العربي في الصحافة الألمانية الاتحادية»، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، 1985.
7. سمير حسن ، « تطبيقات في مناهج البحث العلمي : بحوث الأعلام »، الطبعة الثانية، (القاهرة : عالم الكتاب) ، 1991.
8. عبد الباسط حسن ، « أصول البحث الاجتماعي »، الطبعة الثانية ، (القاهرة : مكتبة وهبة) ، 1985.
9. عبد العليم محمد، « الخطاب الساداتي : تحليل الحقل الايدولوجي للخطاب الساداتي »، (القاهرة : مسلسلة كتاب الإجمالي)، أغسطس 1990.
10. عبد القادرة طاش ، « الصورة النمطية للإسلام والعرب في مرآة الإعلام الغربي »، الطبعة الاولي (الرياض: شركة الدائرة للاعلام المحدود) ،1987.
11. على عجوة، « العلاقات العامة والصور الذهنية »، ط 1، (القاهرة، عالم الكتب)، 1983.
12. غازي زين عوض الله، «العرب في الصحافة الأمريكية» ، جدة : مطبوعات تهامة، 1985.
13. غازي زين عوض الهر ، « العرب في الصحافة الأمريكية » ، جدة : مطبوعات تهامة ، 1985.
14. مارلين نصر، «التصور القومي في فكر جمال عبد الناصر: دراسة في عالم المفردات والدلالة »، ط 1،(القاهرة: دار المستقبل العربي) ، 1981 .

15. محمد عبد الحميد ،« نظريات الإعلام واتجاهات التأثير » ، الطبعة الثالثة ، عالم الكتاب ، 2004.
16. محمد محمد الهادي ، «اساليب إعداد و توثيق البحوث العلمية »، الطبعة الأولى ، (القاهرة : مكتبة الاكاديمية) ، 1995 .
17. محمود خليل، « تكنولوجيا بارمج التلحيل العلمي لبحوث الاعلامي »، (القاهرة : العربي للنشر والتوزيع)، 1998.
18. ميخائيل سليمان « صورة العرب في عقول الأمريكيين»، ترجمة : عطا عبد الوهاب، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية)، 1987.
19. ميخائيل سليمان، « صورة العرب في عقول الأمريكيين» ، ترجمة : عطا عبد الوهاب، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، 1987).
20. نادية سالم، « صورة العرب والإسرائيليين في الولايات المتحدة الأمريكية»، ط 1 ، (القاهرة ،: معهد البحوث والدراسات العربية)، 1987.
21. نادية سالم، «صورة العرب والإسرائيليين في الولايات المتحدة الأمريكية»، ط 1، (القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية)، 1987.

- الرسائل الجامعية:

22. إسلام شفيق عبد الهادي عواد، «صورة مصر في الصحافة اليومية لدول مجلس التعاون الخليجي خلال الفترة 1989ـ1991، دراسة تحليلية مقارنة»، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الإعلام – جامعة القاهرة) 2001.
23. أشرف عبد المغيث، «دور الإسلام في تكوين صورة ذهنية عن العالم الثالث لدي الشباب المصري»، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة القاهرة – كلية الإعلام)، 1993.
24. أمال كمال طه محمد ،« صورة العراق في التغطية الصحفية العربية والغربية في التسعينات : دراسة مقارنة» : رسالة دكتوراه غير منشورة، (كلية الإعلام – جامعة القاهرة)،2001.
25. **أيمن منصور أحمد ندا**: « صورة الوطن العربي وأوربا كما تعكسها المواد الإخبارية في القنوات الفضائية العربية والأوروبية » (رسالة دكتوراة) .القاهرة: قسم الإذاعة والتليفزيون كلية الإعلام جامعة القاهرة، 2000
26. إيناس محمد أبو يوسف، « العالم الثالث في الصحافة المصرية والأمريكية خلال الفترة من 1980ـ1989 »، رسالة دكتوراه غير منشورة، (كلية الإعلام – جامعة القاهرة)، 1994.

27. ثريا أحمد البدوي، «دور الاتصال في تكوين الصورة الذهنية لدي الشعب المصري عن الأوروبيين : دراسة ميدانية على عينة من جمهور الشعب المصري»، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الإعلام – جامعة القاهرة)، 1995.
28. حماد إبراهيم ،« صورة الولايات المتحدة الأمريكية في الصحافة المصرية» ، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الإعلام – جامعة القاهرة)، 1986.
29. راجية محمد قنديل، « صورة إسرائيل في الصحافة المصرية أعوام 73 ،74،78» رسالة دكتوراه، غير منشورة (كلية الإعلام – جامعة القاهرة)، 1981.
30. راجية محمد قنديل، «الصراع العربي الإسرائيلي في صحيفة جوزراليم بوست أعوام 1966،1967، 1968» رسالة ماجستير غير منشورة (كملية الإعلام – جامعة القاهرة)، 1976.
31. عزة على عزت عبد العزيز، «صورة دول مجلس التعاون الخليجي في الصفحة البريطانية في الفترة من 1973ـ1981»، رسالة دكتوراه غير منشورة ، (كلية الإعلام – جامعة القاهرة)، 1988.
32. كمال قابل محمد، «المعالجة الصحفية للأحداث الخارجية في الصحافة المصرية، والفرنسية: دراسة مقارنة بنى الأهرام ولوموند» ص 1985ـ 1993، رسالة دكتوراه غير منشورة، (كلية الإعلام – جامعة القاهرة)، 1996.
33. محمد عبد الفتاح، «دور وسائل الإعلام كأداة في إدارة الصراع : دراسة تطبيقية على حرب الخليج الثانية»، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الإعلام – جامعة القاهرة)، 1997.
34. زغبى وليد، «صورة المهاجرين المغاربيين في الصحافة الفرنسية المكتوبة»، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية – جامعة قسنطينة)، 2008

- اوراق بحثية:

35. إدمون غريب ، « الإعلام الأمريكي والعرب في: الأعلام الغربي والعربي» أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية ، لندن 1979 ، الإمارات ، وزارة الإعلام والثقافة،
36. أشرف جلال حسن، «القضايا العربية. والاسلامية في سوائل الإعلام وصورة العرب والمسلمين »، الإعلام وصورة العرب والمسلمين، جامعة القاهرة – المؤتمر العلمي الثامن لكلية الإعلام، الجزء الثاني، ماي 2002.
37. أنياس إدريس ،« صورة العرب في الأجهزة السمعية البصرية في فرنسا»، مجلة الوحدة، عدد 66.
38. سهي بركات، « الإعلام وظاهرة الصورة المنطبعة» ملتقى كلية مجلة العلوم الاجتماعية، الصورو و العرب، جامعة الكويت،. 2001).

39. ميرفت كامل الطرابيشي ،« صورة الدول الإسلامية في الصحف اليومية الأمريكية قبل أحداث 11 سبتمبر وبعدها – دراسة تحليلية مقارنة»، الإعلام وصورة العرب والمسلمين ، جامعة القاهرة – المؤتمر العلمي الثامن لكلية الإعلام، القاهرة،2002 .

- الدراسات غير العربية:

40. - Rapport pour la création d'un centre national de l'histoire et des cultures de l'immigration -, 2002, Migrances, 19
41. - Vie associative et immigration : entre mobilisation et participation, 2000-2001, Migrances hors-série, 17-18, Actes du colloque organisé par le FASILD, 8 oct. 2001
42. Abou Selim, 1998, *L'identité culturelle, relations interethniques et problèmes d'acculturation*. 2ème édition, Anthropos, Paris.
43. Adil jazouli, 1992, *les années banlieues*, le Seuil, paris.
44. Akkari Abdeljalil, 2003, *Les jeunes d'origine maghrébine en France : les limites de l'intégration par l'école,* la Découverte, Paris
45. Albert Pierre, 2004, *La Presse française*, La Documentation française
46. Albert Pierre, *La Presse*, PUF, collection Que sais-je ? 2002.
47. Baillet Dominique, 2001, *La langue des banlieues, entre appauvrissement culturel et exclusion sociale*, In : Hommes et Migrations, 1231, mai – juin, pp. 29-37
48. Balle Francis, *Médias et Sociétés*, Montchrestien, 2005
49. Bancel Nicolas & Pascal Blanchard, 1998, *De l'indigène à l'immigré*, Découvertes Gallimard : Histoire.
50. Barat Christine, 2001, *les mots du publique et du médiatique : vers une négativation de l'immigration -confluences méditerranée*, Hermes science publications, paris.
51. Battegay Alain, 1987, *les immigrés vus par la presse écrite*, document de formation du CFJ,
52. Battegay Alain, 2001, *Les cultures incertaines des jeunes issus de l'immigration maghrébine* , In : Hommes et Migrations, 1231, mai – juin, pp. 5-14
53. Battegay Alain, Boubeker Ahmed, 1992, *Des Minguettes à Vaulx, fractures sociales et discours public*, In : Les Temps Modernes, janvier 1992.
54. Battegay Alain, Boubeker Ahmed, 1993*, Les images publiques de l'immigration*, CIEMI, Paris, Éd. L'Harmattan.
55. Bdioudi Abdelhamid, 1985*, L'image de l'Arabe et des musulmans dans la presse écrite en France, entre 1967 et 1984,* Thèse de doctorat de 3e cycle en sociologie, Université Lyon Jean Moulin.
56. Beaud P, Flichy P, Pasquier D, Quéré L, dirs, 1997, *Sociologie de la communication*, Paris, Cnet.

57. Belbahri Abdelkader, 1985, *Éléments pour une analyse des situations post-coloniales : le cas de des maghrébins en France*, in : Peuples Méditerranéens, n°31-32, avril- septembre 1985.
58. Belin Emmanuel, 1998, *une sociologie des espaces potentiels. télévision dispositive et expérience ordinaire*. Thèse de doctorat, UCL, louvain-La-Neuve.
59. Bonnafous Simone, 1991, *L'immigration prise aux mots*, Kimé.
60. Bonnafous Simone, 1999, *La médiatisation de la question immigrée : état des recherches, La médiatisation des problèmes publics*, Études de communication, 22, Lille 3 Université Charles-de-Gaulle.
61. Bordieu Pierre, 1996, *sur la télévision*, liber, raison d'agir, paris.
62. Boubeker Ahmed, 1999, *Familles de l'intégration*, Paris, Stock
63. Bourdon Jérôme., 1993, *Les étrangers au prime-time : la télé est-elle xénophobe* ? , in : Télés d'Europe et immigration, La Documentation française/ INA, Paris.
64. Boure Robert, *Les origines des sciences de l'information et de la communication. Regards croisés*, Lille, Septentrion
65. Boyer Henri, 1993*, tchador : les mots de il'affaireî*, In : Médiascope, avril 1993.
66. Boyer Henri, Lochard Guy, 1998, *scènes de télévision en banlieues 1950-1994*, paris, Harmattan.
67. Bregman Dorine, 1989, *La fonction d'agenda : une problématique en devenir*, Hermès, 4, le nouvel espace public, 1998.
68. Breton Philippe, Proulx Serge, 2002, *L'explosion de la communication. Á l'aube du XXIè siècle*, Paris, La Découverte
69. Brion Fabienne & Tulkens Françoise, 1998. *Conflit de culture et délinquance. Interroger l'évidence*, In : Déviance et société.
70. Césari Jocelyne, 1997*, Être musulman en France aujourd'hui*, Hachette, Paris.
71. Césari Jocelyne, 1997. *Faut-il avoir peur de l'islam* ? Bibliothèque du Citoyen, Presses de Sciences Politique 1997, Paris.
72. Césari Jocelyne, 1998*, Faut-il avoir peur de l'islam*, Presse de Sciences Politiques 1998, Paris.
73. Césari Jocelyne, 1999*, l'islam : figure de l'ennemi intérieur et extérieur*,(texte polycopie).
74. Césari Jocelyne, Farhad Khosrokhavar., ed., 1997, *L'Islam des jeunes*, Flammarion, Paris.
75. Champagne Patrick, 1993, *La vision médiatique*, In : La misère du monde, Pierre Bourdieu, dir, Paris, Seuil.
76. Champagne Patrick, 1995, *la double dépendance, quelques remarque sur les rapports entre les champs politique, économique et journalistique*, Hermès, n° 17-18.
77. Champagne Patrick, 1997, *Le discours d'information médiatique, la construction du miroir socia*l, Paris, Nathan
78. Charon Jean-marie, 1995, *les médias en première ligne*, In : Autorité, éducation, sécurité, les idées en mouvement hors série, numéro 2.
79. Charon Jean-marie, 1998, *la presse quotidienne régionale et l'immigration*, Les Cahiers du journalisme.
80. Chebel Malek, 1986, *La formation de l'identité politique*, PUF, Paris.

81. Dagnaud Monique, 1991, *Gouverner sous le feu des médias*, In : le débat, numéro 66, sept-oct 1991.
82. Dasen Pierre, Tania Ogay, (sous presse 2000). *Pertinence d'une approche comparative pour la théorie des stratégies identitaires*, L'Harmattan, Paris.
83. De Rudder Véronique, 1994, *Et si l'on parlait des Français ? perception des immigrés en France*, attitudes, options et comportements, revue internationale d'action communautaire.
84. De Rudder Véronique, 1997, *Quelques problèmes épistémologiques liés aux définitions des populations immigrantes et de leur descendance*, in : Aubert France., Tripier Maryse, François Vourch, *Jeunes issus de l'immigration*, L'Harmattan, 1997.
85. Debardieux Eric, 1997, *Insécurité et clivages sociaux. L'exemple des violences scolaires*, paris.
86. Decouflé Ass Complices, 1999, *Cinq ans d'études et de recherches (1993-1997)*, Paris : Ministère de l'emploi et de la solidarité de France. Montréal: Conseil de recherche en sciences humaines du Canada.
87. Dewitte Philips, 1999, *l'immigration et intégration, l'état des savoirs*, paris la découverte
88. Didier Bigo, 1998, *sécurité et immigration : vers une gouvernementalité par l'inquiétude ?* Cultures &Conflits.
89. Dominique Carnoy .1998. *Représentations de l'islam dans la France du XVIIe siècle : la ville des tentations* /. Paris : L'Harmattan, 368 p
90. Dray Dominique, 1999, *victimes en souffrance, une ethnographie de l'agression à Aulnay-sous-bois*, Paris, LGDJ.
91. Dubet François, 1987, *la galère: jeunes en survie*, fayard, paris.
92. Dubet François, 1991, *les lycéens*, le seuil, paris.
93. Dubet François, Didier Lapeyronnie., 1992, *les quartiers d'exil*, Seuil, Paris.
94. Dubied Annik, Marc Lits, 1998, *L'année des médias 1997*, Louvain-la-Neuve : Académia-Bruylant.
95. Einaudi Jean Luc, 1991*, La bataille de Paris*, Seuil, Paris.
96. Eva Fares Y., 1999, *Les processus d'assignation identitaire des jeunes issus de l'immigration*, Thèse, Paris I- Panthéon - Sorbonne.
97. Ferguson Robert Eric, 1998, *Representing-Race: Ideology, Identity and the Media*, Arnold, London
98. Fleras Augaie, 1995, *please adjusts your set: medias and minorities in a multicultural society,* Communication in Canadian society, 4eme éd, Toronto, Nelson canada.
99. Fourcaut Annie., 1986, *Bobigny, banlieue rouge*, éd, ouvrières, Paris.
100. Frachon Claire, Vargaftig Marion., 1995, *European television. Immigrants and ethnic minorities*, John Libbey & Company Ltd, London.
101. Fraser Fil, 1994, *the participation of aboriginal and other cultural minorities in cultural development*, Canadian journal of communication, vol 19, n° 3
102. Gastaud Yvan, 2000, *L'immigration et l'opinion en France sous la V*ème *République*, Seuil, Paris.
103. Geraghty Christine, 1996, *Representation and popular culture*, In: Mass media and society, London.
104. Gerbner Georges, 1995, pouvoir et danger de la violence télévisée, les cahiers de la sécurité intérieur, n°20.
105. Ghernaout Souad, 2000, *Préjugés et stéréotypes*, FLE, Lille.

106. Goffman Erving, 1991, *Evénement et sens de l'immigration*, In raisons Pratiques, n° 11, Paris
107. Grévisse Benoit, 1993, *Autorégulation ou déontologie, les conditions d'un débat sur les pratiques journalistiques*, recherches en communication.
108. Guénif Souilamas, 2000, *Des - beurettes - aux descendantes d'immigrants nord-africains*, Paris, Grasset/Le Monde
109. Hans Jonas, 1990, *le principe responsabilité/ une éthique pour la civilisation technologique*, éd. Du cerf, Paris.
110. Hargreaves Alec, 1992, *L'immigration au prisme de la télévision en France et en Grande-Bretagne*, In : Migrations Société, n° 21, mai juin 1992.
111. Hedibel Maryse, 1997, *jeunes d'origine maghrébine : discrimination observées dans le monde du travail*, In annuaire de l'Afrique du nord, CNRS, 1997.
112. Jeanneney Jean-Noël, *Une histoire des médias, des origines à nos jours*, Seuil, 1996
113. Jehel Sophie, 1999, *protection de l'enfance et de l'adolescence à la télévision*, les brochures du CSA.
114. Joëlle Bordet.1998, *les jeunes de la cité*, PUF, paris
115. Jonas Hans., 1990, *Le principe responsabilité : une éthique pour la civilisation technologique*, Cerf, Paris.
116. Labov William, 1991, *le parler ordinaire*, paris, Ed, de minuit (trad française).
117. Lagrange Hugues, 1992, *Appréhension et préoccupation sécuritaire*, In: déviance et société, paris
118. Lamchichi Abderrahim & Dominique Baillet, 2001, *Maghrébins de France Regards sur les dynamiques de l'intégration*, Confluences Méditerranée, N°39.
119. Laurens Jean-Paul, 1995, *La migrations : une chance contre l'échec Scolaire*, In Hommes & migrations, n° 1185, Mars.
120. Le Guide de la Presse, ouvrage collectif, Editions Alphom, Paris, 2002
121. Leen d'haenens, 1998, *media en multiculturalisme in vlaanderen*, Gent - Academia press.
122. Lemieux Cyril, 2000, *Mauvaise presse : une sociologie compréhensive du travail journalistique et de ses critiques*, Paris, Métailié
123. Lichtenberg Judith, 1996, *defense of objectivity revisited*, In: James Curran Michael Guvevith & Jenet Woollacott (Eds), *Mass media and society*, Auckland: Arnold london.
124. Lochak Danièle, 1985, *Étrangers : de quels droits ?* PUF.
125. Maalouf Amin, 1998, *Les identités meurtrières*, Grasset, Paris.
126. Macé Eric, 2001, *qu'est-ce qu'une sociologie de la presse ?* , publié dans Réseaux n°105- FT R&D/Hermès science publications.
127. Maisonneuve et Larose .*Paroles d' islam : individus, sociétés et discours dans l'islam européen contemporain Islamic words : individuals, societies and discourse in contemporary European Islam* Felice Dassetto. Paris: European science Foundation, 2000
128. Manco Altay A., 2002, *Compétences interculturelles des jeunes issus de l'immigration, perspectives théoriques et pratiques*, Éd. L'Harmattan.

129. Mariet François, 1999, - *Le difficile interculturalisme des médias* -, In : Abdallah-Pretceille M., Porcher L., dirs, 1999, *Diagonales de la communication interculturelle*, Paris, Éd. Anthropos.
130. Mariet Françoise, 1994, *Classe téléviseuse, classe dangereuse ? de la télévision comme bouc émissaire*, les cahiers de la sécurité interieure, n°15.
131. Martin Marc, *Médias et journalistes de la République*, Editions Odile Jacob, 1997
132. Mattelart A. et M., 1986, *Penser les médias*, Paris, La Découverte
133. Mauger Gérard, 1998, *l'age des classements, sociologie de la jeunesse*, Paris
134. Mc Combs, Maxwell E & Donald L, 1972, *the agenda-setting function of mass Medias*, In: public opinion quarterly, 36 n°2.
135. Mc Nair Braian, 1998, *the sociology of journalism*, Arnold, London.
136. Mc Nair Braian, 2000, *journalism and democracy an evaluation of the political public sphere*, London and New York: Routledge.
137. Michael W. Suleiman (1983): «*The Effect of American perceptions of Arabs on Middle East Issues*». In: Edmund Ghareeb (ED) Split vision. Washington D.C., American – Arab affairs Council.
138. Michel Foucault, 1997, *il faut défendre la société*, paris
139. Migrances, revue en ligne sur - *L'Histoire de l'immigration en France et en Europe* -, revue émanant de Génériques, organisme de recherche et de création culturelle spécialisé dans l'histoire et la préservation des archives de l'immigration -.
140. Molotch Harvey & Lester Marilyn, 1974, *L'ausage stratégique des événements, la promotion et le montage des nouvelles*, In : American sociologicalreview, n°39.
141. Moreau Karine, 1997, *Algériens en/de France*, CERIEM, Université Rennes 2.
142. Mucchielli Laurent, 2000, *l'évolution de la délinquances juvénile : essai de bilan critique*, article paru vie sociale, 2002, n°3.
143. Mucchielli Laurent, 2001, *Violence et insécurité. Mythes et réalités dans le débat français,* La découverte, Paris.
144. Negrouche Nasser, 2002, *Ecran noir, images blanches*, Le monde diplomatique, juillet 2002.
145. Noiriel Gérard, 1984, Longwy, *Immigrés et prolétaires*, Paris, Presses Universitaires de France.
146. Noiriel Gérard, 1988, *Le creuset français. Histoire de l'immigration*, Paris, Éd du Seuil.
147. Noiriel Gérard, 1992, *Population, immigration et identité nationale en France*, Paris, Hachette.
148. Noiriel Gérard, 2001, *État, Nation et immigration, vers une histoire du pouvoir*, Paris, Belin
149. Noiriel Gérard, 2002, *La république et ses immigrés, petite histoire de l'intégration à la française*, Monde diplomatique, Février.
150. Noiriel Gérard, 2002, *L'Atlas de l'immigration en France*, Paris, Éd. Autrement
151. Noiriel Gérard, 2002, *Les ouvriers dans la société, du XIXe – XXe*, Paris, Belin.

152. Oledzki Jerzy, 1998, *polish journalists: professionals or not?* In : D.H weaver (ED). The global journalist. News people around the world. Cresskill, New Jersey/ hampton press.
153. Padrun Ruth, 1998, *Vivre et entreprendre en France, les créateurs d'entreprise d'origine immigrée*, situations attentes, IRFED
154. Paugam Serge, 1996, *L'exclusion, l'Etat des savoirs,* la découverte, Paris.
155. Paugam Serge., 1991, *la disqualification sociale, essai sur la nouvelle pauvreté*, la découverte, Paris.
156. Perotti Antonio, 1993, *la pluralité des sociétés européenne, l'état des lieux*, CIEMI ER.
157. Poinsot M., 2001, *Les violences familiales sur les jeunes filles d'origine étrangère et de culture musulmane*, In : Hommes et Migrations, 1232, pp. 99-104, juil. – août
158. Popperl Karl, 1994, *la télévision, un danger pour la démocratie*, Ed. Anatolia 1994.
159. Principe Lorenzo, 1995, *L'image médiatique de l'immigré : du stéréotype à l'intégration*, Migrations Société, n° 42, novembre - décembre 1995.
160. Quiminal Catherine, 2002, *Ville- Ecole- Intégration- Enjeux*, n° 131, décembre 2002.
161. R.S. Zaharna.1997. «*The Palestinian leadership and the American Media: Changing images. Conflicting Results*» In : Yahya Kamalipour (Ed) the U.S. Media & the Meddle East : Image and Perception. London, West Port ,Connecticut, Praeger.
162. Rey Henri, 1996*, la peur des banlieues*, Paris, presses de la fondation nationale des sciences politiques.
163. Ricoeur Paul, 1983, *l'événement en perspective*, seuil, Paris.
164. Saddek Rabah. *L'Islam dans le discours médiatique : comment les médias se représentent l'islam en France ?* /. Beyrouth : Al- Bouraq, 1998. 513 p
165. Sayad Abdelmalek, 1980, *le logement provisoire pour des travailleur provisoires*, recherche sociales, n° 73, janvier mars 1980
166. Sayad Abdelmalek, 1986, *Les effets culturels de l'émigration, un enjeu de luttes sociales*. La découverte, Paris.
167. Sayad Abdelmalek, 1991, *L'immigration ou les paradoxes de l'altérité*, Préface de Pierre Bourdieu, De Boeck, Bruxelles.
168. Sayad Abdelmalek, 1999, *la double absence*, paris, l'Harmatta
169. Sayad Abdemalek, 1999, *Immigration et -pensée d'Etat-*. Actes de la recherche en sciences sociales, n°129-septembre1999, Paris.
170. Schnapper Dominique, 2001, *Exclusions au cœur de la cité*, Economica, Paris.
171. Schor R., 1996, *Histoire de l'immigration en France, de la fin du XIXème s. à nos jours*, Paris, A. Colin
172. Siebert Fredrick, 1956, *peterson theodore, schramm Wilbur*, *four theories of the press*, urbana, university of illinois press.
173. Smith Antony, 2001*, l'indépendance du journaliste*, in : l'année sociologique, n°2, vol 51.

174. Sonia, Guirguis (1988):« *The Image of Egypt in the new York Times 1956-1967 -1979*» PHD discretion. School of Education , Health, Nursing & Arts Professions, New York University.
175. Spire Alexis, 1999, *De l'étranger à l'immigré. La magie sociale d'une catégorie statistique,* n°129-septembre 1999, Paris.
176. Stora Benjamin, 1991, *La Gangrène et l'oubli, la mémoire de la guerre d'Algérie*, La Découverte, Paris.
177. Stora Benjamin, 1999, *Le transfert d'une mémoire de l'Algérie française au racisme anti-arabe*, La Découverte, Paris.
178. Stuart Hall, *The whites of their eyes: racist ideologies and the media* in George Bridges and Rosalind Brunt (eds), Silver Linings: Some Strategies for the Eighties, Lawrence & Wishart, London.
179. Tabart N et Aldeghi I, 1988, *Développement social des quartiers : les sites concernés et leurs caractéristiques socio-économiques par rapport aux autres communes de France ou aux autres quartiers de l'Ile de France,* Paris, Credoc
180. Taguieff Pierre-André, 1996*, Le populisme* , in : *Universalia 1996*, Encyclopédie Universalis.
181. Taguieff Pierre-André, Tribalat Michèle., 1998, *Face au Front national*, la Découverte, Paris.
182. Teun Van Dijk, 1991, *Racisme and the presse*, Routledge, London
183. Teun Van Dijk, 1993, *elite Discourse and Racism*, London.
184. Tévanian Pierre, 1995, *le racisme républicain*, paris, ch, IV.
185. Tévanian Pierre, 2002, *Le racisme républicain. Réflexions sur le modèle français de discrimination,* L'esprit frappeur, février 2002.
186. Thave Suzanne, 2000, *l'emplois des immigrés en 1999, cellule statistiques et études sur l'immigration*, Insee, n° 717, mai 2000
187. Thiéblemont-Dollet S., 2001, - *Mémoires des origines* -, In : Roth F., dir., Lorraine, Terre d'accueil et de brassage, Nancy, Presses universitaires de Nancy
188. Thiéblemont-Dollet S., 2003, - *Interculturalités* -, Questions de communication, 4, Nancy, Presses universitaires de Nancy.
189. Thierry Vedel, 1995, *medias et violence, une relation introuvable*, les cahiers de la sécurité intérieure, n°20.
190. Tintorri Jean-Luc., 1996, *Immigration et opinion sous la Veme République*, Seuil.
191. Todd E., 1997, *Le destin des immigrés, Assimilation et ségrégation dans les démocraties occidentales,* Paris, Éd. du Seuil.
192. Triandafyllidou Anna, 1999, *Nation and immigration, a Study of the italian press discourse*, social identities
193. Tribalat Michèle., 1995, *Faire France, Une enquête sur les immigrés et leurs enfants*, La Découverte, Paris.
194. Tripier, M. Réa, A., 2003, *Sociologie de l'immigration*, Paris, La Découverte, (à paraître).
195. Tsoukala anastassia, 1998, *crime et immigration en europe*, université de Paris X.
196. Tuchman Gaye, 1978, *Making news, a study in the construction of reality, the construction of reality*, the free press, London.

197. Tuchman Gaye., *Making News: A Study in the Construction of Reality*, the free presse, London
198. Verbunt G., 2001, *La société interculturelle*, Paris, Éd. du Seuil.
199. Villechaise Agnès., 1997, - *Les banlieues sans qualité : absence d'identité collective dans les grands ensembles* -, in : Revue française de sociologie, Paris.
200. Villechaise-Dupont, 2000, *Amère banlieue, les gens des grands ensembles*, Paris, Grasset/Le Monde.
201. Viprey Mouna., 2002, - *L'insertion des jeunes d'origine étrangères* -, rapport remis au conseil économique et social, in : la lettre de l'IRES, n°52, juillet 2002, Paris.
202. Von Hoff Wilson, 1995, *les recherches sur médias et violence*, les cahiers de la sécurité intérieure, n°20.
203. Weil Patrick, 1991, *la France et ses étranges, l'aventure d'une politique de l'immigration, 1938-1991*, Galmann-lévy.
204. Wievorka Michel., 1996, *Une société fragmentée ? Le multiculturalisme en débat*, La Découverte, Paris.
205. Wiewiorka Michel, Ohana Jocelyne, 2001, *La différence culturelle, une reformulation des débats,* Paris, Balland.
206. Wilkins, Karin (1997):" *Middle Eastern Women in western Eyes : A study of U.S. press photographs of Middle Eastern Women* " In: Yahya Kamaalipour (Ed). The U.S. Media & The Middle East : Image & Perception. (London : Westport, Connecticut , Praeger)..
207. Wolton Dominique, 1993, *A la recherche du public*, Hermès, 11-12, Paris, Éds. CNRS
208. Wrench John, 1998, *discrimination formelle sur le marché du travail européen*, hommes & migrations, n° 1211
209. Zoghbi Walid, 2001, *La crise algérienne vue par la presse écrites*, mémoire de maitrise en sociologie, université de Constantine, Algérie.
210. Zoghbi Walid, 2003, Regards *croisés entre Beurs et jeunes algériens : la France vue par les jeunes algériens et l'Algérie par les Beurs*, mémoire de maîtrise en sociologie, université de Metz.

الـمـلاحـق

46% 23:34
Europresse.com
nouveau.europresse.com
PAGES EUROPRESSE.COM

« Vous allez payer car vous avez insulté le Prophète »

« Le Monde » a reconstitué les quelques minutes de la tuerie qui a fait douze morts à « Charlie Hebdo »

RÉCIT

Ils étaient tous là, ou presque. Comme tous les mercredis. Réunis entre chouquettes et croissants autour de la grande table ovale qui occupe toute la pièce pour la conférence de rédaction. Un rituel immuable depuis la création de *Charlie Hebdo*. A gauche, comme toujours, Charb, le directeur de la publication. Ce mercredi 7 janvier avaient pris place à ses côtés les dessinateurs Cabu, Wolinski, Tignous, Honoré et Riss, les rédacteurs Laurent Léger, Fabrice Nicolino et Philippe Lançon, l'économiste Bernard Maris ou encore les chroniqueuses Sigolène Vinson et Elsa Cayat.

La conférence de rédaction débute généralement à 10 h 30 et s'anime rapidement à la faveur de quelques blagues grivoises. Un seul sujet tabou : la machine à café, parce qu'elle ne marche jamais. Aux murs sont épinglées quelques « unes » mythiques du journal satirique : celle de « Charia Hebdo », qui avait motivé l'incendie criminel ayant ravagé les anciens locaux de l'hebdomadaire, en novembre 2011, une autre sur Marine Le Pen illustrée par une « merde » sur le drapeau français, une caricature du pape dénonçant la pédophilie dans l'Eglise, un Sarkozy grimaçant... La réunion se finit quand elle finit, c'est-à-dire quand l'heure d'aller casser la croûte aux « Petites canailles », un bistrot de la rue Amelot, dans le 11e arrondissement de Paris.

Vœux prémonitoires

Ce mercredi 7 janvier, personne n'est allé déjeuner aux « Petites canailles ». La réunion avait commencé depuis une heure quand deux hommes cagoulés, une kalachnikov à la main, font irruption au milieu des cagoles, faisant taire le joyeux brouhaha. Ils étaient armés de fusils d'assaut. L'un des agresseurs a dit : « Charb ? » Il a tiré sur Charb. Puis ils ont égrené les noms des membres de la rédaction, et ont fait feu en rafales. Selon les propos des rescapés, ils ont crié « *Allahou Akbar* » et « *Vous allez payer, car vous avez insulté le Prophète* ». A Sigolène Vinson, il a dit, un calcon sur la tempe : « *Toi on te tuera pas, car on ne tue pas les femmes, mais tu finiras le Coran.* »

Sept journalistes sont morts en quelques secondes : Cabu, Charb, Tignous, Wolinski, Bernard Maris, Honoré et une femme, Elsa Cayat, psychanalyste et chroniqueuse. Mustapha Ourrad, le correcteur kabyle qui avait obtenu la nationalité française un mois plus tôt, a lui aussi été assassiné. Franck Brinsolaro, un des deux policiers qui assure la sécurité de Charb en permanence depuis l'attentat de novembre 2011, a également perdu la vie, tout comme Michel Renaud, ancien directeur de cabinet du maire de Clermont-Ferrand, invité par la rédaction.

A 11 h 38, quelques minutes avant la tuerie, l'hebdomadaire avait publié des vœux prémonitoires sur Twitter : un dessin d'Honoré représentant Al-Baghdadi, le leader de Daech, assorti de ce commentaire : « *Et surtout la santé !* ». Il est mort peu après avec ses amis sur la grande table ovale, la même où les caricaturistes gravent leurs derniers dessins les jours de bouclage, où se font les derniers choix de « une » dans une effusion de bons mots et de blagues de mauvais goût. « *Ils ont tiré sur Wolinski, Cabu... ça a duré cinq minutes... Je n'irai pas séparer sous un bureau...* », raconte à l'Humanité une survivante, la dessinatrice Corinne Rey, dite « Coco ».

Dans leur folie meurtrière, les agresseurs avaient abattu quelques minutes plus tôt un des agents d'entretien de l'immeuble au rez-de-chaussée, Frédéric Boisseau, 42 ans. Un deuxième policier blessé, Ahmed Merabet, sera achevé d'une balle dans la tête en tentant d'arrêter la fuite des tueurs, un peu plus tard, boulevard Richard-Lenoir.

Douze morts en tout, onze blessés, dont quatre grièvement. Philippe Lançon est gravement touché au visage. Riss à l'épaule, Fabrice Nicolino à la jambe, Simon Fieschi, le jeune webmaster chargé de gérer le « shit storm », le tombereau d'insultes adressées à la rédaction depuis des années sur les réseaux sociaux et par téléphone, est le plus grièvement atteint. Un « *carnage indescriptible* », selon un témoin ayant pu pénétrer dans la rédaction après la tuerie.

Arrivés sur place peu après la tuerie, les urgentistes ont décrit « *des blessures de guerre* », « *je n'ai jamais vu ça de ma carrière* », témoigne l'un d'eux : « *On est nuls (...), mais pour le vivre dans la réalité.* » « *Le jour le plus noir de l'histoire de la presse française* », a résumé à chaud, au pied de l'immeuble, Christophe Deloire, directeur de Reporters sans frontières. Il s'agit également de l'attentat le plus sanglant ayant frappé la France depuis un demi-siècle.

La brume était tenace et froide ce mercredi matin quand deux hommes vêtus de noir et de gilets pare-balles se sont présentés visiblement mal renseignés, devant le numéro 6 de la rue Nicolas-Appert, à deux portes des locaux de *Charlie Hebdo*. Ils ont profité de l'arrivée de la postière, qui passait remettre un pli recommandé, pour s'engouffrer dans la porte, raconte l'employée d'une entreprise audiovisuelle, l'Atelier des archives, installée dans l'immeuble. Ils ont fait sauter la postière et un employé qui venait récupérer le pli. Puis ils ont demandé : « *C'est où Charlie Hebdo ?* ». Ils ont tiré une balle, qui a traversé la porte vitrée d'un bureau. L'employée qui s'y trouvait est sortie dans le couloir et a échangé un bref regard avec les deux hommes.

Réalisant qu'ils s'étaient trompés d'immeuble, les assaillants sont ressortis et se sont présentés devant le numéro 10, l'adresse où a trouvé refuge le journal satirique depuis le 1er juillet 2014. Particulièrement au fait du jour et de l'heure de la conférence de rédaction de « Charlie », les agresseurs ont en revanche moins renseignés sur la localisation exacte de leurs bureaux. Selon le parquet de Paris, ils cernent dans le hall de l'immeuble deux agents d'entretien, leur demandent où se trouve *Charlie Hebdo*, avant d'en abattre un. Ils prennent ensuite en otage Coco, qui se trouve dans l'escalier. La dessinatrice tente de les égarer en les emmenant au troisième étage, alors que la rédaction se trouve au deuxième.

Depuis l'attentat de 2011 et les innombrables menaces de mort reçues par sa rédaction, *Charlie Hebdo* a rendu ses locaux indétectables. La fière affiche qui ornait l'entrée de ses anciens locaux incendiés dans le 20e arrondissement, désormais couverte de suie, a été rapatriée à l'intérieur de la rédaction. Sur la porte du palier qui donne accès au journal, nulle mention du titre de la publication. « *Les Éditions rotatives* », est-il écrit. Les soixante, eux, ont été priés de ne pas ébruiter la présence du sulfureux périodique dans l'immeuble.

« On a tué Charlie Hebdo ! »

Selon un employé de Premières lignes, une société de production installée en face de la rédaction de « Charlie », au deuxième étage, les deux assaillants égarés au troisième auraient menacé de leur arme un locataire croisé dans le couloir. Avec toujours cette même question, obsédante : « *Où est Charlie ?* ». Ils finiront par trouver la bonne porte. C'est la dessinatrice Coco qui, sous la menace d'une arme, devra accepter de taper le code de la porte blindée qui donne accès à la rédaction.

Après la tuerie, les deux agresseurs s'engouffrent dans une Citroën C3 noire garée en bas du journal. Un témoin a affirmé aux enquêteurs avoir aperçu un complice, arrivé sur la scène de crime à bord de la C3 mais reparti à scooter. Les deux tireurs, eux, s'enfuient par l'allée verte, une ruelle. Ils y rencontrent une première patrouille de police à VTT. Des coups de feu sont échangés, qui n'feront aucun blessé. Une vidéo tournée par des employés de Premières lignes, réfugiés sur le toit de l'immeuble après les premiers coups de feu, a enregistré la fusillade. On croit entendre « *Allahou Akbar* » entre deux rafales. Les assaillants croisent ensuite la route d'un véhicule de police rue Pétion. S'ensuit une deuxième salve de tirs. Une autre vidéo amateur permet d'entendre distinctement les cris : « *On a vengé le prophète Mahomet, on a tué Charlie Hebdo !* »

C'est boulevard Richard-Lenoir que leur fuite va échapper à sa dernière victime. La scène a été capturée par une troisième vidéo amateur. On y voit deux hommes équipés de gilets pare-balles et armés de fusils d'assaut sortir d'une Citroën noire et courir en direction d'un policier tombé au sol, sans doute touché par un tir : « *Tu veux nous tuer ?* demande l'un des tireurs. – *Non, c'est bon chef* », répond le policier à terre. L'homme cagoulé passe devant lui et l'abat d'une balle dans la tête, au fusil d'assaut, sans même freiner sa course. La victime, Ahmed Merabet, 42 ans, était gardien de la paix au commissariat du 11e arrondissement.

Les deux tueurs retournent ensuite à leur véhicule, calmement, sans aucun signe de panique, comme de hommes entraînés au combat. La scène ressemble à un entraînement pour commando. L'un s'assoit au volant, l'autre prend le temps de ramasser une boîte tombée de la portière et prend place sur le siège passager.

Lorenzo habite boulevard Richard-Lenoir. Sa fenêtre donne sur la scène où le policier a été abattu. Il raconte au *Monde* : « *Vers 11 h 30, j'ai entendu des coups de feu. J'ai cru à des pétards, je ne suis approché de la fenêtre. Il y avait plein de policiers ramassés au milieu du boulevard, mais aussi des gens à vélo qui passaient. C'était un matin normal, se remémore le jeune homme. Sur la droite, j'ai vu une voiture de couleur* [illegible]

Le dessinateur Willem a pris connaissance de la tragédie dans un train. Son allergie aux conférences de rédaction lui a sauvé la vie

sombre entrée en plein milieu de la rue. *Deux hommes vêtus de noir en sont sortis, avec des cagoules, armés de fusils noirs. Un policier a tiré dans leur direction. Les deux hommes tiraient aussi. Le policier a été touché et est tombé en poussant un cri. Il a tenté de s'enfuir mais est tombé face contre terre. Les agresseurs ont couru vers lui. Un est arrivé à sa hauteur et lui a tiré une balle dans la tête. Puis ils sont remontés dans la voiture* ».

La Citroën 3once file vers le nord de Paris. Place du Colonel-Fabien, elle percute violemment la conductrice d'un Fourgon Volkswagen. Ses deux occupants finissent par abandonner prématurément leur véhicule après s'être encastrés dans des poteaux au niveau de la rue de Meaux, dans le 19e arrondissement, oubliant à bord une pièce d'identité qui mènera à leur identification ainsi qu'un chargeur vide de kalachnikov et d'autres effets personnels. Ils braquent alors le conducteur d'une Clio, s'emparent de la voiture et repoussent leur future. Les policiers perdront leur trace porte de Pantin.

Mais trois suspects de la tuerie, Saïd Kouachi, 34 ans, son frère Chérif Kouachi, 32 ans, et Mourad Hamyd, 18 ans, sont rapidement identifiés. Des opérations du Raid et du GIPN étaient en cours à Reims et à Charleville-Mézières (Ardennes) dans la nuit de mercredi 7 à jeudi 8 janvier. Un appel à témoin avec la photo des deux frères a été diffusé par la police. Le plus jeune des suspects, Mourad Hamyd, s'est présenté volontairement dans la nuit au commissariat de police de Charleville-Mézières, « *pour s'expliquer* », selon le parquet de Paris.

Ils étaient tous là ou presque, mercredi 7 janvier à la conférence de rédaction de *Charlie Hebdo*. Les rares absents portent aujourd'hui le deuil. Le dessinateur Willem a pris connaissance de la tragédie dans un train entre Lorient et Paris. Son allergie aux conférences de rédaction lui a sauvé la vie. La journaliste Zineb el-rhazoui, elle, en vacances au Maroc, sous pli d'origine. « *Les rescapés comme moi ne le sont que par un concours de circonstances*, raconte-t-elle par téléphone au *Monde*. *Je n'arrive pas encore à réaliser que nous ne verrons plus jamais Charb, Cabu, Tignous et les autres... Presque tous les dessinateurs sont morts. Comment allons-nous faire ?* » ■

SOREN SEELOW

« Papa est parti, pas Wolinski »

L'information sur la fusillade au siège de *Charlie Hebdo* venait de tomber. Mercredi 7 janvier, un peu avant midi, Elsa Wolinski, la fille du dessinateur Georges Wolinski, s'inquiète. Elle l'a tout ce qui se publie, partage son angoisse sur le réseau Instagram. « *Pour @papawolinski* », écrit-elle. Quelques minutes plus tard, elle apprend que son père figure parmi les douze victimes. Dans l'après-midi, elle poste, toujours sur le réseau Instagram, une photo du bureau de son père. Des piles de livres, des photographies au mur, des feuilles blanches qui attendent sur un écritoire, un stylo, une chaise avec un coussin dessus. Elsa Wolinski légende : « *Papa est parti, pas Wolinski.* » Invitée d'Europe 1 jeudi matin, elle a insisté : « *Il va falloir qu'on soit tous soudés. Le combat sera rude mais on ne peut pas tuer des idées.* »

OSP - CESSATIONS DE GARANTIE

COMMUNIQUE - 130881

En application de l'article R.211-33 du livre II du code du tourisme,

L'ASSOCIATION PROFESSIONNELLE DE SOLIDARITE DU TOURISME (A.P.S.T.)

dont le siège est situé : 15, avenue Carnot – 75017 PARIS, annonce qu'elle cesse d'accorder sa garantie à :

COMMUNAUTE D'AGGLOMERATION AMIENS METROPOLE
Immatriculation :
IM 080 11 0004
RCS
Siège social : 4 chemin de la Bataille
78330 FONTENAY LE FLEURY

L'association précise que la cessation de sa garantie prend effet 3 jours suivant la publication de cet avis et qu'un délai de 3 mois est ouvert aux clients pour produire les créances.

COMMUNIQUE - 130883

En application de l'article R.211-33 du livre II du code du tourisme,

L'ASSOCIATION PROFESSIONNELLE DE SOLIDARITE DU TOURISME (A.P.S.T.)

dont le siège est situé : 15, avenue Carnot – 75017 PARIS, annonce qu'elle cesse d'accorder sa garantie à :

PRIMA TRAVEL CONSULTING
Immatriculation :
IM 077 11 0015
SARL au capital de 7 800 €
Siège social : 1 bis Michael Faraday – 77700 SERRIS

L'association précise que la cessation de sa garantie prend effet 3 jours suivant la publication de cet avis et qu'un délai de 3 mois est ouvert aux clients pour produire les créances.

Les bureaux de « Charlie Hebdo », après la tuerie, le 7 janvier. LP

46% 23:33
Europresse.com
nouveau.europresse.com
PAGES
EUROPRESSE.COM
Le Monde
VENDREDI 9 JANVIER 2015
FRANCE | 3
Photos de surveillance policière prises à Muret (Cantal) lors d'une rencontre entre Chérif Kouachi et le terroriste Djamel Beghal, le 11 avril 2010. AFP
Chérif et Said Kouachi, les deux principaux suspects recherchés par la police après l'attentat contre « Charlie Hebdo », mercredi 7 janvier. AFP
LA DGSI S'INTERROGEAIT, JEUDI, SUR LES LIENS POUVANT EXISTER ENTRE KOUACHI, EN FRANCE, BENGHALEM EN SYRIE ET AL-HAKIM EN TUNISIE
RADICALISATION EN PRISON
LES SOLDES D'HIVER
Du 7 janvier au 10 février
rochebobois

2 | L'ATTENTAT CONTRE « CHARLIE HEBDO »

Le Monde
VENDREDI 9 JANVIER 2015

Récit La traque d'une fratrie de djihadistes

Au lendemain de l'attentat qui a fait douze morts à « Charlie Hebdo », les enquêteurs recherchent les principaux suspects, deux frères de 32 et 34 ans. L'un d'eux avait été condamné en 2008 dans le cadre d'une filière djihadiste avec l'Irak. Les services de renseignements le surveillaient encore en 2010

C'est une carte d'identité qui a mis les enquêteurs sur la piste de Said et Chérif Kouachi, les deux auteurs présumés de l'attaque meurtrière qui a coûté la vie, mercredi 7 janvier, à douze personnes et blessé onze autres dans les locaux de Charlie Hebdo, à Paris. Oubliée, selon une source policière, par Chérif Kouachi dans la première voiture qu'ils leur a permis de prendre la fuite, elle a permis à la police de dresser leur portrait et d'espérer les intercepter.

Les informations d'heures notamment par les agents de la Direction de la sécurité intérieure (DGSI) permettent, dans l'après-midi, d'identifier les différents points de chute de deux hommes. Une homonymie conduit d'abord les enquêteurs dans un appartement de Pantin (Seine-Saint-Denis). Ils se rendent ensuite à Gennevilliers (Hauts-de-Seine), une ville où Chérif Kouachi s'est marié et a vécu. En fin, les forces de police tentent de remonter leur trace à Reims et dans sa région, notamment à Charleville-Mézières (Ardennes).

Ils ne trouvent aucun des deux hommes, qui sont de nationalité française, mais leur présence avérée et récente dans un appartement du quartier de la Croix-Rouge à Reims, donne lieu à une longue perquisition et une analyse minutieuse du logement par la police scientifique. Des proches susceptibles de livrer des éléments sur la traque des fugitifs sont placés en garde à vue dans la soirée du mercredi 7 janvier.

Au milieu de la nuit, un proche de la compagne de Chérif Kouachi, dont le nom circulait sur réseaux sociaux, se livre au commissariat de Charleville-Mézières afin d'écarter, explique-t-il aux policiers, les soupçons qui semblent peser sur lui. Né en juillet 1982, il n'était, jeudi matin, pas considéré comme un suspect ayant participé à l'attaque. De source policière, en l'aliquoté même jour), au Monde, qu'« aucune charge » ne pesait sur lui et qu'il ne s'agissait, pour l'heure, « dans son cas, que de simples vérifications ». Said et Chérif Kouachi, qualifiés, par les autorités, « d'armés et dangereux », étaient toujours en fuite, jeudi matin, estimant qu'ils pouvaient bénéficier d'un « réseau de soutien » et craignant « qu'ils puissent, de nouveau, se lancer à un acte sanglant », la préfecture de police de Paris a diffusé dans la nuit un appel à témoins.

LES DATES

20 MAI 1978
Des Palestiniens ouvrent le feu à Orly : 8 morts, 23 blessés.

3 OCTOBRE 1980
Bombe à la synagogue de la rue Copernic à Paris : 4 morts et une vingtaine de blessés.

1982
29 mars Attentat contre le train Le Capitole : 5 morts et 77 blessés.
9 août Jet de grenades dans le restaurant Goldenberg, à Paris : 6 morts et 22 blessés.

1983
15 juillet Une bombe à Orly fait 8 morts et 54 blessés.
31 décembre Deux bombes explosent, l'une en gare Saint-Charles de Marseille (2 morts et 34 blessés), l'autre dans le TGV Marseille-Paris (3 morts).

17 SEPTEMBRE 1986
Attentat devant le magasin Tati, rue de Rennes, à Paris : 7 morts et 55 blessés.

25 JUILLET 1995
Bombe dans le RER à la station Saint-Michel : 8 morts, 116 blessés.

3 DÉCEMBRE 1996
Attentat dans le RER à la station Port-Royal : 4 morts, 91 blessés.

11 AU 19 MARS 2012
Mohamed Merah tue trois militaires à Toulouse et à Montauban, puis trois enfants et un enseignant dans un collège juif de Toulouse.

UNE FRATRIE SUSPECTE

Said et Chérif Kouachi forment une cellule « familiale » dont on ne connaît pour l'instant pas les éventuelles ramifications. Ce qui est certain, c'est qu'avant d'être soupçonné d'être l'un des auteurs des assassinats de Charlie Hebdo, Chérif, le cadet, a apparu à un groupe que l'on pourrait aujourd'hui considérer comme l'un des « pionniers » du djihad à l'étranger. De nationalité française, né dans le XIe arrondissement de Paris, Chérif, qu'il se fait appeler « Abou Issen », a été condamné, le 14 mai 2008, à trois ans de prison dont 18 mois avec sursis dans le dossier dit de la filière « des Buttes-Chaumont », qui envoyait des candidats au djihad en Irak entre 2005 et 2006. Entendu en 2010, sa compagne, animatrice en crèche, avait revendiqué le port le voile intégral depuis son pèlerinage à La Mecque en 2008. Chérif Kouachi l'avait épousé le 1er mars 2008, avec, pour seul témoin, son frère Said. Il est sa seule famille depuis le décès de ses parents. Relu à l'aune des événements d'aujourd'hui, le procès des Buttes-Chaumont montre comment en dix ans, des jeunes du XIXe arrondissement de Paris, âgés à l'époque d'une vingtaine d'années, sont passés de la volonté de se battre en Irak à celle de mener des attaques terroristes sur le sol français.

LE CADET A FAIT PARTIE D'UN GROUPE QU'ON POURRAIT CONSIDÉRER COMME UN DES « PIONNIERS » DU DJIHAD À L'ÉTRANGER

Chérif Kouachi a connu une partie de ses camarades au collège. À l'époque, il est considéré comme le plus violent et le plus impulsif de tous. Ses camarades lui attribuent déjà des projets d'attentats terroristes contre des commerces juifs à Paris. Avec ses copains, il commet des larcins dans le quartier des Buttes-Chaumont, dans le 19e : vols, drogue, petits trafics. Son attrait pour le « djihad » apparaît en 2003, lorsqu'il commence à fréquenter la mosquée Adda'wa, à Stalingrad. Cheveux mi-longs, carrure athlétique, mâchoire carrée, Chérif Kouachi admet à la barre, en 2008, avoir été « un délinquant ». « Mais après j'avais la pêche, je calculais même pas que je pouvais mourir ».

À la mosquée, il rencontre le futur chef de la filière italienne, Farid Benyettou. A peine plus âgé que lui, le jeune homme se vante d'une connaissance approfondie de l'islam et joue les prédicateurs à la sortie de la prière. Avec lui, les jeunes gens suivent des cours de religion, à leur domicile et dans un foyer du quartier. Certains s'y rendent presque tous les jours et coupent, peu à peu, les ponts avec leurs familles. Leur mode de vie change radicalement. Ils arrêtent de fumer, cessent les trafics, visionnent des vidéos sur le djihad. Les images de l'intervention américaine et britannique, en mars 2003, en Irak, les fascinent. « C'est tout ce que j'ai vu à la télé, les tortures de la prison d'Abou Ghraïb, tout ça, qui m'a motivé », raconte, lors du procès de 2008, l'un des proches de Chérif Kouachi.

S'ils se radicalisent en moins d'une année et cherchent à gagner l'Irak, Chérif Kouachi et ses camarades appartiennent à la barre comme un petit groupe amateur. Une sorte de bande de « pieds nickelés » qui comparaît libre, à

Fusillade contre des policiers à Montrouge

Au lendemain de la tuerie à Charlie Hebdo, une policière municipale de Montrouge (Hauts-de-Seine) est morte, prise pour cible par un homme, toujours en fuite. Il est près de 8 h 10, jeudi matin. Des agents de Montrouge (Hauts-de-Seine) interviennent sur un accident de circulation, sur l'avenue de Paris qui sépare les communes de Montrouge et Malakoff. Un homme qui, selon une source policière, portait un gilet pare-balles, arrive derrière les agents. Muni d'une arme de poing et d'un fusil d'assaut, il fait feu sur les agents occupés par la gestion de la circulation, selon une source proche de l'enquête confirmant une information de France Info.

Un agent de voirie serait également blessé. Un riverain raconte au Monde avoir appelé les secours. « J'ai entendu trois coups de feu, ce n'était pas des armes automatiques. Il y avait une femme allongée sur la chaussée et un homme assis sur une chaise, blessé au cou et en état de choc. »

Deux heures après les faits, des versions contradictoires se propageaient y compris auprès des autorités. Des témoins font état de deux hommes munis de fusils d'assaut. L'un d'eux se serait au préalable enfui à pied en direction de la station de métro Châtillon-Montrouge. Le second prenant la fuite en voiture en direction de Paris, certains témoins précisaient qu'il conduisait une Clio blanche. Une voiture correspondant à cette description a été retrouvée vers 9 h 30 à proximité du métro Lafaye.

« Enclencher l'action publique »

Puis des sources policières ont affirmé que l'auteur présumé des coups de feu avait été interpellé peu de temps après dans un bus et qu'il n'y aurait « pas de lien établi avec l'attentat de Charlie Hebdo ». L'individu aurait 32 ans et neuf condamnations à son casier.

Mais le ministre de l'intérieur douche cet espoir. Arrivé à Châtillon après avoir conféré en urgence à la réunion de crise autour de François Hollande, organisée au lendemain de l'attentat contre Charlie Hebdo, Bernard Cazeneuve annonce que l'auteur des coups de feu est encore en fuite. « Le procureur de la République va nous rejoindre et va enclencher l'action publique de manière à ce que l'auteur de ce crime soit immédiatement identifié et puisse être arrêté », déclare le ministre. M. Cazeneuve a appelé au « sang-froid », pour faciliter « le déroulement des enquêtes en cours dans les meilleures conditions ». « Deux personnes sont gravement blessées avec pour l'une d'entre elles, un pronostic vital engagé », a-t-il ajouté. Il était 10 heures, la France replongeait dans l'horreur. ■

MATTHIEU SUC ET LAURENT TELO

Des mosquées visées

Une explosion d'origine criminelle s'est produite jeudi 8 janvier vers 6 heures à Villefranche-sur-Saône (Rhône) devant un restaurant kebab, près de la mosquée, sans occasionner de victime. L'enquête criminelle a été confiée à la police judiciaire.

Par ailleurs, deux coups de feu ont été tirés, mercredi 7 janvier aux alentours de 20 heures, en direction d'une salle de prière musulmane à Port-La Nouvelle (Aude), avec une arme de faible calibre, sans faire de blessés.

Des grenades d'exercice à plâtre ont été tirées par des inconnus, jeudi vers 0 h 30 dans la cour de la mosquée des Sablons, au Mans. Une seule a explosé, sans faire de victimes.

Enfin, la voiture d'une famille musulmane aurait été visée mercredi soir par balles dans le Vaucluse, selon Le Figaro, sans blesser personne.

46% 23:33
Europresse.com
nouveau.europresse.con
PAGES
EUROPRESSE.COM
Le Monde
Vendredi 9 janvier 2015 · 70e année · N° 21766 · 2,20 € · France métropolitaine · www.lemonde.fr
Fondateur : Hubert Beuve-Méry
LE 11-SEPTEMBRE FRANÇAIS
JE SUIS CHARLIE
ENQUÊTE
LA TRAQUE DES DEUX FRÈRES DJIHADISTES
ÉMOTION
DEUIL NATIONAL ET RASSEMBLEMENTS SPONTANÉS
CARICATURES
L'HOMMAGE DES DESSINATEURS DU MONDE ENTIER
DÉBATS
BHL, VILLEPIN : RÉSISTER À L'ESPRIT DE GUERRE
RÉCIT
« ILS ONT TUÉ "CHARLIE HEBDO" »
LE REGARD DE PLANTU
ÉDITORIAL
LIBRES, DEBOUT, ENSEMBLE
PAR GILLES VAN KOTE

45% 23:29
Europresse.com
nouveau.europresse.con
PAGES
EUROPRESSE.COM
Le Monde
Vendredi 25 décembre 2015 - 72e année - N°22065 - 2,20 € - France métropolitaine - www.lemonde.fr
Fondateur : Hubert Beuve-Méry - Directeur : Jérôme Fenoglio
Déchéance : la droite piégée, la gauche divisée, le FN satisfait
▸ La gauche a découvert avec stupeur, au sortir, mercredi, du conseil des ministres, le maintien de la déchéance de nationalité dans le projet de révision constitutionnelle
▸ Martine Aubry, Anne Hidalgo, les Verts et le Front de gauche ont fait part de leur vive opposition. Jean-Marie Le Guen estime, lui, que la réforme « ne heurte en rien nos valeurs »
▸ Pour Jean-Christophe Cambadélis, le patron du PS, « le président a choisi de respecter ses paroles »
▸ La droite, faute de pouvoir s'opposer à une mesure qu'elle réclamait, concentre ses critiques sur Christiane Taubira et les fractures du gouvernement
Chagall et le triomphe de la musique
▸ Marc Chagall, l'auteur du plafond de l'Opéra, avait une passion pour la musique
▸ Deux superbes expositions, à Paris et à Roubaix, lui sont consacrées jusqu'à fin janvier
Projet de costume pour L'Oiseau de feu, 1945.
LIVRES
LE FLORILÈGE DE FIN D'ANNÉE ET LE REGARD D'ALICE McDERMOTT
ÉDITORIAL
LA DOUBLE FAUTE DE FRANÇOIS HOLLANDE
NOËL
PROTECTION RENFORCÉE DANS LES ÉGLISES À LA DEMANDE DE L'INTÉRIEUR
ENTRETIEN
« LE PKK NE VA PAS SE RENDRE »
LE REGARD DE PLANTU
Alors, contrairement à ce que dit l'autre rigolo qui est au bout de la table...
Les Beatles désormais disponibles en streaming
MUSIQUE
PATEK PHILIPPE
GENEVE
Fondez votre propre tradition.

Le Monde
DIMANCHE 15 - LUNDI 16 NOVEMBRE 2015

LES ATTAQUES TERRORISTES À PARIS | 3

Six attaques simultanées au cœur de Paris

AU MOINS 128 PERSONNES ont été tuées et 200 autres blessées, dont 80 grièvement dans la soirée de vendredi 13 novembre à Paris.

Huit des terroristes sont morts, sept d'entre eux se sont fait exploser.

Six attaques simultanées ont frappé les 10e et 11e arrondissements de la capitale et les abords du Stade de France, à Saint-Denis, à partir de 21 h 20.

Au Bataclan, une salle de concert du 11e arrondissement, le bilan est très lourd : au moins 82 morts. Les témoins ont vu « du sang partout, des cadavres ».

Quatre des assaillants sont morts au Bataclan, dont trois en actionnant une ceinture d'explosifs.

Cette vague d'attentats est la plus meurtrière depuis quarante ans en Europe, après les attentats de Madrid en mars 2004 (200 morts, 1 900 blessés).

Pour la première fois en France, les terroristes ont organisé « un attentat complexe », des attaques simultanées et avec des kamikazes.

Une enquête pour assassinats en relation avec une entreprise terroriste a été ouverte, samedi, par le parquet de Paris.

L'état d'urgence a été décrété quelques heures après les attentats par le président de la République, qui a fait rétablir les contrôles aux frontières. Des renforts militaires sont attendus.

François Hollande, au milieu de la nuit, a déclaré : « C'est une épreuve terrible qui une nouvelle fois nous assaille ».

Un conseil des ministres exceptionnel a été réuni vendredi à minuit, un conseil de défense le lendemain matin.

Six projets d'attentats en France ont été déjoués depuis le début de l'année, dont l'un dans une salle de concert.

Les services de renseignement ont été renforcés depuis les attentats de janvier, mais restent débordés.

La COP21, la conférence sur le climat qui doit s'ouvrir dans à peine plus de deux semaines à Paris, pourrait être menacée. Des dizaines de chefs d'Etat y sont invités.

Les principaux partis politiques ont suspendu la campagne des régionales.

Les établissements scolaires et universitaires d'Ile-de-France ont tous été fermés samedi matin, et les voyages scolaires du week-end supprimés.

Barack Obama a estimé qu'il s'agissait « d'une attaque contre toute l'humanité ». Il a promis d'aider la France « à traduire les terroristes en justice ». Les réactions de soutien sont venues du monde entier.

L'Etat islamique n'a pas revendiqué la vague d'attentats, mais la France reste une cible privilégiée après les frappes en Syrie.

Devant le bar Le Carillon, dans le 10e arrondissement.

Des spectateurs du match au Stade de France se réfugient sur la pelouse.

l'Elysée, un conseil des ministres a été convoqué d'urgence, et le président François Hollande décide de prendre très vite la parole. *« Le moment est grave pour notre pays*, dit-il, la voix un peu altérée par l'émotion, *des attaques sont en cours… C'est une horreur. »* Puis le chef de l'Etat annonce qu'il vient de décréter *« l'état d'urgence »* et *« la fermeture des frontières »*. Autant d'affirmer : *« Ce que les terroristes veulent c'est nous faire peur, nous saisir d'effroi. Il y a de quoi avoir peur, saisir de l'effroi. Mais il y a aussi une nation qui saura vaincre les terroristes. »*

Les services de renseignement ont déjà fait remonter jusqu'à la présidence cette information terrifiante : Tous les sites de l'Etat islamique *« célèbrent »* le massacre de Paris. Répétant notamment ce slogan cynique : *« Comme les USA le 11/09, nous n'oublierons pas le 13 novemb… »* Six attaques quasi simultanées ont été menées, entre Saint-Denis et Paris dans une stratégie manifestement préparée.

COMME ASSOMMÉS PAR LE CHOC, DES GENS MARCHENT HAGARDS, RACONTANT DES SCÈNES DE GUERRE

Aux abords du Bataclan, des policiers spécialisés se préparent à donner l'assaut, alors que les témoignages des spectateurs en fuite confirment tous qu'à l'intérieur de la salle de concert, les terroristes tirent méthodiquement sur leurs otages. (Une autre article sur l'assaut). La RATP a fermé toutes les stations de métro environnantes, un périmètre de sécurité de deux cents mètres autour de la salle de concert a été tracé. Derrière les barrières, des centaines de personnes, parfois des parents ou des amis des spectateurs encore pris au piège, attendent, souvent en pleurs, l'attaque finale.

Au Stade de France, le match s'est enfin achevé et, dès le dernier coup de sifflet, les organisateurs ont affiché sur l'écran géant un message qui ne dit rien de la tragédie en cours. *« Suite à un incident extérieur au stade, nous demandons à tous les spectateurs de quitter l'enceinte par les portes sud, ouest et nord. »* Las, le flux ne parvient pas à quitter le stade et une partie de la foule reflue et envahit calmement la pelouse. *« Pas de panique, gardez votre calme »*, disent les hauts-parleurs. Beaucoup de spectateurs craignent de prendre le métro et le RER. Des taxis décident de faire des courses gratuites. On partagent des voitures dans un covoiturage spontanément organisé.

De l'autre côté du périphérique, les rues de Paris se sont vidées comme si la France connaissait vraiment la guerre et ses couvre-feu. Des centaines de personnes, incapables de rentrer chez elles, par manque de moyen de transport ou parce qu'elles sont encore trop choquées, cherchent un asile dans les restaurants ou les commerces encore ouverts. Sur Twitter, des parisiens lancent un hashtag #porteOuverte, afin d'accueillir pour un café, et parfois pour la nuit, ces hommes et femmes en errance. La mairie de Paris annonce que tout les lieux publics de la ville (mairie compris) seront fermés le 14 novembre 2015. Seuls les services de l'état civil seront ouverts. Les manifestations sont aussi suspendues.

Le boulevard des Filles-du-Calvaire, à côté du Bataclan, est totalement envahi par les ambulances, le Samu, la Croix-Rouge, les voitures de police, les motos, la police scientifique, le RAID, la BRI, les démineurs. Quatre cent cinquante soldats de l'opération Sentinelle ont été appelés en renfort dans Paris, en plus des 1 000 qui patrouillaient de façon habituelle quand les attentats sont survenus. Ils viennent sécuriser les zones ▸▸▸

2 | LES ATTAQUES TERRORISTES À PARIS

Le Monde
DIMANCHE 15 - LUNDI 16 NOVEMBRE 2015

Soudain, une détonation retentit

Au Stade de France, au Bataclan, dans des restaurants et des rues des 10e et 11e arrondissements de Paris, des terroristes ont semé la terreur vendredi 13 novembre au soir. Récit d'une nuit qui a déjà fait 128 morts

Aux abords du Bataclan, vendredi 13 novembre.

Le match France-Allemagne a débuté depuis une quinzaine de minutes, sur la pelouse du Stade de France, à Saint-Denis (Seine-Saint-Denis), aux portes de Paris. Les quelque 80 000 places se sont vendues sans difficulté et les tribunes sont pleines pour ce match amical, sans enjeu véritable mais retransmis en direct par TF1. Même François Hollande et le ministre de l'intérieur, Bernard Cazeneuve, se sont déplacés pour l'occasion et regardent, en amateur, la rencontre depuis l'une des loges officielles.

A l'entrée, le dispositif policier est important, comme il l'est chaque soir de match depuis les attentats de janvier contre *Charlie Hebdo* et l'Hyper Cacher. Les spectateurs ont été fouillés, les sacs ouverts, mais l'atmosphère est familière et bon enfant.

Soudain, vers 21 h 20, une première détonation, puissante et nette, retentit à l'extérieur de l'enceinte. Puis une deuxième, dans la foulée. Sur la pelouse, les joueurs ont à peine marqué une légère surprise. Dans les tribunes, les supporteurs des Bleus continuent d'encourager la France, qui marque justement son premier but. Mais, aux abords du stade, c'est la panique. A proximité des portes J, L et H du stade, deux bombes viennent d'exploser devant le café Events, un Mac Donald et un Quick, et les policiers, présents en nombre les soirs de match, ont vite compris qu'il s'agissait d'attentats. Un homme barde dans les débris de verre : « *Explosif ou fusées* ». Quatre morts, déchiquetés, gisent sur le trottoir. Personne ne sait encore que trois d'entre eux seront plus tard suspectés d'être des kamikazes.

Dans la tribune officielle, Bernard Cazeneuve a été rapidement prévenu par le préfet de police de Paris du danger et il a été immédiatement décidé d'exfiltrer le président de la République et le ministre. Le chef de l'Etat a voulu d'abord passer par le PC de sécurité où viennent d'arriver les premiers blessés, mais, bientôt, les voitures officielles quittent la Seine-Saint-Denis et foncent vers l'Elysée et la Place Beauvau. Craignant qu'une attaque ne se produise à l'intérieur même du stade, le préfet a fait discrètement boucler l'enceinte et un hélicoptère survole le site. Pour éviter toute panique, les autorités ont décidé de ne pas interrompre le match, mais l'équipe logistique voit arriver les premiers blessés, soignés en première urgence. Dans les tribunes, de nombreux journalistes venus suivre la rencontre commencent à recevoir des informations stupéfiantes : non seulement les deux explosions que tous ont entendues étaient des bombes, mais d'autres attentats sont en cours, à Paris.

Comme chaque soir, il y a foule au Petit Cambodge et au Carillon, deux restaurants joyeux au cœur des quartiers bobos du nord de Paris, à deux pas du canal Saint-Martin. On profite encore de la douceur du mois de novembre et des deux terrasses chauffées qui permettent de boire un verre et de fumer en regardant les passants. Dans le fond de la salle du Carillon, une dizaine d'internes en médecine, venus de l'hôpital Saint-Louis, à deux pas, écoutent de la musique en sirotant une bière après une journée harassante. Quelques habitués du quartier sont remontés chez eux ou suivre à la télévision le match de football qui se déroule à vingt-cinq minutes de voiture, un peu après le périphérique, mais il y a encore beaucoup de monde, à ce petit carrefour réputé pour son animation, tout au long de l'année.

Soudain, vers 21 h 15, raconte un témoin, « *on a entendu comme des bruits de pétards. Très forts. Le temps de réaliser qu'il s'agissait de bien autre chose, des gens ont commencé à se jeter par terre* ». Un ou deux hommes, munis d'« *armes de guerre* » disent les témoins, se sont arrêtés en voiture au croisement. Dans les restaurants voisins, les convives, qui avaient cru un instant à un feu d'artifice, viennent de comprendre. Des voix hurlent : « *Planquez-vous !* » « *Rentrez, ne restez pas là !* » La devanture du Petit Cambodge a sauté sous l'assaut, qui n'a duré qu'une ou deux minutes. Sur le trottoir, des corps gisent dans des mares de sang, morts et blessés mêlés.

Après le vacarme des tirs, un silence impressionnant s'est installé soudain. Mais, dans les rues voisines, ça tire toujours, comme si les terroristes poursuivaient leur route meurtrière, mitraillant les passants tout en descendant la rue Bichat, puis la rue de la Fontaine-au-Roi, où les cafés et les restaurants sont nombreux. Au Carillon désormais, les jeunes médecins qui buvaient tout à l'heure dans l'arrière-salle, commencent à sortir pour panser les premières victimes.

Une belle jeune femme blonde, d'une trentaine d'années, rédactrice en chef d'un magazine lui, qui avait rendez-vous pour dîner, arrive au milieu de ce carnage. « *Les gens étaient allongés, il n'y avait pas un bruit, décrit-elle, comme glacée d'effroi. Au début, j'ai cru qu'une voiture était entrée dans la vitrine du restaurant, puis j'ai vu un homme avec une fille dans les bras, les yeux révulsés, qui criait "help me", puis une autre fille qui répétait en anglais "gun shot".* » Un jeune homme raconte pour sa part : « *J'habite juste à côté, j'étais à la fenêtre, j'ai entendu trois rafales. Comme je joue beaucoup aux jeux vidéo, j'ai tout de suite compris que c'était du gros calibre. La première rafale a été hyper longue.* » De leurs fenêtres, des témoins terrifiés voient cette scène tragique d'un jeune homme qui porte une jeune fille inconsciente en la suppliant de se « *réveiller* ».

« IL Y A DES MORTS ! »

Déjà, les premières sirènes annoncent l'arrivée des pompiers. Mais les terroristes sont en fuite et redescendent les rues voisines. « *J'ai vu une Ford Focus noire qui tirait, à l'angle de la rue de la Folie-Méricourt et de la rue Fontaine-au-Roi, sur la terrasse du restaurant Casa Nostra. Il y a eu plusieurs rafales. J'ai vu une vingtaine de douilles par terre* », rapporte un témoin. Au Pyrénées Cévennes, 106, rue de la Folie-Méricourt, à une cinquantaine de mètres, une vingtaine d'Américains venus pour le Salon Paris Photo, qui se déroule au Grand Palais jusqu'à dimanche, se sont cachés sous les tables, convaincus de revivre le 11-Septembre. Le cuisinier hurle : « *Fermez la porte !* » Mais, avant qu'on ne se barricade, quatre ou cinq jeunes gens se réfugient dans le restaurant en criant : « *Il y a des morts !* » Les visages se figent. « *Ce sont des garçons ou Daech ?* », demande un Américain.

Deux jeunes femmes entrent en pleurs dans le restaurant, proches de l'hystérie. Impossible de leur parler. On leur donne de l'eau. Et l'une raconte : « *Je suis expert comptable, notre cabinet est en bas de la rue Fontaine-au-Roi. On avait des dossiers à finir tard. Avec ma Smart, nous sommes allés après 21 heures au traiteur chinois, en bas de la rue du Faubourg-du-Temple, au croisement de la rue Fontaine-au-Roi, à côté du Palais des glaces. Le restaurant était bondé. Il pleuvait on a entendu* Tarata... *De gros pétards... Des bubach... Certains se sont réfugiés dans la cuisine. Nous, on est montés à l'étage du Chinois. Le patron du restaurant a baissé le rideau de fer. Une fille a hurlé : « C'est des tirs, putain ! » Il y avait tant de monde dehors qui faisait la queue... Ils ont couru dans tous les sens. J'ai vu une Clio avec une femme à côté qui baignait dans son sang. Je crois qu'on a vu trois morts et un quatrième qui agonise...* »

Dehors, les sirènes hurlent maintenant et la police crie aux passants « *Barrez-vous !* ».

DANS LES RESTAURANTS VOISINS DU PETIT CAMBODGE, LES CONVIVES, QUI AVAIENT CRU UN INSTANT À UN FEU D'ARTIFICE, VIENNENT DE COMPRENDRE. DES VOIX HURLENT : « PLANQUEZ-VOUS ! » « RENTREZ, NE RESTEZ PAS LÀ ! »

Comme assommés par le choc, des gens marchent hagards, racontant des scènes de guerre. D'autres se ruent derrière les portes cochères, dans les escaliers des immeubles. Des dizaines de policiers dans la rue pointent leurs armes jusque sous les voitures, mettent en joues, parfois, des gens terrifiés, les obligeant à rester à l'abri des restaurants.

Les forces de police ont des raisons de craindre tout le monde. Car les informations qui circulent sont terrifiantes. Après le Stade de France, la rue Bichat, la rue de la Folie-Méricourt, l'inquiète meurtrière des terroristes se poursuit avenue de la République, puis rue du Faubourg-du-Temple où un homme à scooter à fait feu sur la terrasse du bar-brasserie Le Phare du Canal, tuant cinq personnes et en blessant gravement huit autres sans que personne sache encore combien de commandos sont en action. Boulevard Voltaire, un des terroristes s'est fait exploser en pleine rue, heureusement sans tuer personne d'autre.

Il est près de 2 heures quand, cette fois, les détonations retentissent au coin de la rue de Charonne et de la rue Faidherbe, devant le restaurant La Belle Equipe. La aussi, la terrasse des beaux jours est encore dressée. Ce café à deux pas du domicile privé du premier ministre, Manuel Valls, est un rendez-vous prisé des jeunes couples. « *J'ai vu un homme sortir d'une voiture, et tirer avec ce qui semblait être une kalachnikov,* témoigne une riveraine. *De longues rafales, méthodiques, pour tuer. Puis il est remonté dans la voiture rue Faidherbe.* »

Un journaliste du *Monde*, qui d'habitude habite à deux pas, arrivée en hâte pour constater le carnage. Au moins une vingtaine de corps jonchent le trottoir. Les secouristes ne sont pas encore là ni les policiers. On entend des cris déchirants, les visages sont hagards, des flaques de sang maculent le sol. Une femme, le visage couvert de sang, marche, les bras tendus devant elle, les yeux clos. Des cadavres, sur le bitume, des silhouettes penchées sur les tables, immobiles, dans des postures étranges. Péniblement, les choses s'organisent. Mais chacun hésite, ne sachant trop comment agir. Faut-il coucher les corps ? Les laisser tels quels ? Un homme, jeune, tente de se lever en hurlant, puis s'écroule. Du sang coule sur son cou. On tente de l'aider. Pactaut, des débris, du verre cassé. Premières crises de nerfs.

Puis, la police et les pompiers arrivent en nombre. Etablissent un périmètre de sécurité. Mais, à quelques rues, un autre attentat est déjà en cours.

Sur le boulevard Voltaire, à deux pas de la place de la République et de l'ancien siège de *Charlie Hebdo*, le Bataclan et ses 1 500 places a fait salle comble pour accueillir le groupe de rock Eagles of Death Metal, un groupe qu'affectionnent dont l'un des albums phares s'intitule *Peace, Love and Death Metal* Un groupe de quatre terroristes arrivent, tuent les vigiles à l'entrée et s'introduisent dans cette salle de concert mythique du cœur de Paris ? Au beau milieu d'une chanson, des hommes font feu sur la foule et jettent des grenades. « *Il y eu deux, trois, arriver en criant : "Ce que vous faites à la Syrie, on va vous le faire"* », témoignera un peu plus tard une femme, blessée. *Je me suis cachée sous un corps et soudain, bing, l'un des hommes m'a tiré dans la cheville.* »

ETAT DE SIÈGE

Les spectateurs les plus proches de la scène sont les plus chanceux et peuvent sortir. Des dizaines de personnes profitent des instants où les terroristes rechargent leurs armes pour fuir, grimpant sur les corps et provoquant l'affaissement de la scène. D'autres se cachent derrière les enceintes, dans les combles. Certains membres du groupe de rock parviennent eux aussi à s'échapper. Mais, bientôt, de centaines de personnes sont prises au piège, otages des tueurs. Pierre Jansak, 35ans, animateur radio et TV qui se trouve dans la salle, témoignera plus tard à l'AFP qu'il a entendu clairement les attaquants lancer à leurs prisonniers terroristes : « *C'est la faute de Hollande. C'est la faute de notre président. Il n'a pas à intervenir en Syrie. Ils ont aussi parlé de l'Irak.* »

Habitant pratiquement au dessus du Bataclan, Daniel Psenny, journaliste au *Monde*, a aussitôt prévenu la direction du journal. Descendu de son appartement jusque dans la rue. Il est touché par une balle au bras, juste au moment où il secourait un blessé et tentait de le mettre à l'abri (lire ci-dessous).

Paris, maintenant, est en état de siège. A

45% 23:26
Europresse.com
nouveau.europresse.com
PAGES
EUROPRESSE.COM
Le Monde
Dimanche 15 Lundi 16 novembre 2015 - 71e année - N°22031 - 2,20 € - France métropolitaine - www.lemonde.fr - Fondateur : Hubert Beuve-Méry - Directeur : Jérôme Fenoglio
VENDREDI 13 NOVEMBRE, 21 H 20
LA TERREUR À PARIS
ÉDITORIAL
PAR JÉRÔME FENOGLIO
L'EFFROI ET LE SANG-FROID
AU MOINS 128 MORTS DANS UNE SÉRIE D'ATTAQUES TERRORISTES
DANS LA SALLE DU BATACLAN, LE « CARNAGE » : PLUS DE 80 MORTS
FRANÇOIS HOLLANDE DÉCRÈTE L'ÉTAT D'URGENCE. DES RENFORTS MILITAIRES À PARIS
LES ATTENTATS PROVOQUENT UNE ONDE DE CHOC INTERNATIONALE
Au Bataclan, « du sang partout, des cadavres »
LA FRANCE, CIBLE PRIVILÉGIÉE
L'antiterrorisme à la peine face à une menace insaisissable
REPORTAGE
« C'EST LA GUERRE »

4G 44% 23:22
Europresse.com
nouveau.europresse.con
PAGES
EUROPRESSE.COM
RÉGIONALES 2015
BOURGOGNE-FRANCHE-COMTÉ
Une longue histoire de rivalités
Le Monde
LE MONDE DES LIVRES
Vendredi 6 novembre 2015 - 71e année - N°22023 - 2,20 € - France métropolitaine - www.lemonde.fr
Fondateur : Hubert Beuve-Méry - Directeur : Jérôme Fenoglio
Le FN révise son discours sur l'économie pour séduire la droite
Marine Le Pen atténue son propos sur la sortie de l'euro pour attirer un nouvel électorat
Immortel René Girard
L'anthropologue s'est éteint à Stanford, mercredi 4 novembre, à l'âge de 91 ans
Académicien, le théoricien du « désir mimétique » laisse une œuvre respectée dans le monde entier
René Girard, en 2006.
DES LIVRES
« Où est le pouvoir ? » : c'est le thème choisi par le Forum philo « Le Monde » Le Mans pour sa 27e édition
Dans L'Intérêt de l'enfant, l'écrivain britannique Ian McEwan pétrit la matière judiciaire
DÉFICIT
POUR BRUXELLES, PARIS NE POURRA PAS RESPECTER SES ENGAGEMENTS
AUTOMOBILE
RENAULT-NISSAN : L'ÉTAT SE PRÉPARE À L'APRÈS-GHOSN
ÉDITORIAL
CLIMAT : LA CHINE SOUFFLE LE CHAUD ET LE FROID
ÉGYPTE
CRASH DE L'A321 : LA PISTE DE L'ATTENTAT PRIVILÉGIÉE
LE REGARD DE PLANTU
Labourage et cafouillage sont les deux mamelles de la France !
TAXE-PAS DE TAXE-TAXE
ARRÊTE DE RAMEUTER TA FRAISE !
En Birmanie, Aung San Suu Kyi est la favorite des législatives
INTERNATIONAL
PICASSO MANIA
GRAND PALAIS
GALERIES NATIONALES
7 octobre 2015
29 février 2016

44% 23:20
Europresse.com
nouveau.europresse.com
PAGES
EUROPRESSE.COM
CONNAÎTRE ET CHOISIR LE VIN
Le Monde
Jeudi 29 octobre 2015 - 72e année - N°22016 - 2,20 € - France métropolitaine - www.lemonde.fr
Fondateur : Hubert Beuve-Méry - Directeur : Jérôme Fenoglio
Apple : un trésor de 205 000 000 000 dollars
► La multinationale dispose désormais de 205 milliards de dollars de trésorerie (186 milliards d'euros), soit l'équivalent du PIB du Portugal
► La firme a annoncé, mardi, des profits record : 53,4 milliards de dollars de bénéfice net (48 milliards d'euros) pour les douze derniers mois
► Le résultat de la compagnie est porté par les ventes d'iPhone. Mais le groupe reste en revanche discret sur les ventes de sa montre connectée
► Les analystes s'interrogent sur la capacité d'Apple à maintenir un tel niveau de profits : les prévisions pour les prochains mois sont moins favorables
► Fragilisé par la concurrence d'Apple Music, le site français de streaming Deezer a reporté son entrée en Bourse
Christine Lagarde : «Pourquoi il faut taxer le carbone»
► La directrice générale du FMI plaide, avec le président de la Banque mondiale, pour une généralisation de la taxe carbone
► La réforme du système fiscal doit pénaliser la pollution au CO2
► Elle ne doit cependant pas produire une hausse des impôts
Christine Lagarde à Lima, le 7 octobre.
BEYROUTH
LE SCANDALE DES ORDURES, SYMPTÔME DU MAL LIBANAIS
RÉGIONALES
MARINE LE PEN MISE SURTOUT SUR LA PRÉSIDENTIELLE
ASIE
LES AMÉRICAINS DÉFIENT PÉKIN EN MER DE CHINE
ÉDITORIAL
CÔTE D'IVOIRE : LES DEUX DÉFIS D'ALASSANE OUATTARA
ENQUÊTE
« AIR COCAÏNE » : QUESTIONS SUR UNE ÉVASION ROCAMBOLESQUE
LE REGARD DE PLANTU
Bavures : MSF bombardé par erreur au Yémen
ON A UNE EXCUSE : ON A ÉTÉ FORMÉS PAR LES AMÉRICAINS !
COALITION ARABE
MSF
Syrie : Paris tente de revenir dans le jeu
ANALYSE
Le Bouton de Nacre
ACTUELLEMENT AU CINÉMA

Europresse.com
nouveau.europresse.con
PAGES
EUROPRESSE.COM

2 | INTERNATIONAL

Le Monde

A Hassaké (nord-est de la Syrie), le 25 août.

A Hassaké, la guerre sans fin des Kurdes syriens

Les Kurdes, qui ont refoulé l'offensive djihadiste de l'EI grâce à l'aide américaine, se partagent la ville avec l'armée loyaliste syrienne

REPORTAGE

« Le régime syrien a prouvé sa faiblesse en reculant devant Daech à Hassaké »

Ruines désertes

Chair à canon

Les YPG accusées de crimes de guerre

Washington livre des armes à des rebelles arabes antidjihadistes

43% 23:17
Europresse.com
nouveau.europresse.con
PAGES
EUROPRESSE.COM
Le Monde
SCIENCE & MÉDECINE
Mercredi 14 octobre 2015 - 71e année - N°22003 - 2,20 € - France métropolitaine - www.lemonde.fr
Fondateur : Hubert Beuve-Méry - Directeur : Jérôme Fenoglio
Les idées reçues sur l'immigration bousculées par une étude de l'Insee
Le solde migratoire, c'est-à-dire la différence entre les entrées et les sorties, s'est effondré : + 33 000 personnes en 2013, contre + 112 000 en 2006
Le chiffre a été divisé par plus de trois. Les entrées d'immigrés en France ont certes augmenté, mais moins que la progression du nombre de leurs départs
Le nombre de personnes nées en France qui sont parties a également doublé en sept ans. Le pays comptait 65,8 millions d'habitants en janvier 2014
L'Insee rappelle ainsi la complexité des mouvements de population en France, loin des slogans politiques réducteurs
SYRIE
LA GUERRE SANS FIN DES KURDES D'HASSAKÉ
INDUSTRIE
FUSION HISTORIQUE DANS LE MONDE DE LA BIÈRE
ÉDITORIAL
EUROPE : LE DANGER CAMERON
ENQUÊTE
LE PRIX AMAZON DU ROMAN SE PASSE DES ÉDITEURS
ISRAËL
ZEEV STERNHELL : LA RÉVOLTE DES PALESTINIENS EST LÉGITIME
Que faire des squelettes du Musée de l'homme ?
Le statut des restes humains entreposés dans les musées français fait aujourd'hui débat
Visite des réserves du Palais de Chaillot, où sont conservés 30 000 squelettes
SOCIÉTÉ
LES POLICIERS DEVANT LE MINISTÈRE DE LA JUSTICE
LES MÉMOIRES D'ANDRÉ ROUSSELET
De l'Élysée à la création de Canal+
« Un livre qui fourmille de révélations » Renaud Revel, L'Express
LE REGARD DE PLANTU
PLAYBOY supprime ses photos de femmes nues
UN PEU COMME SI LA GAUCHE SUPPRIMAIT SON PROGRAMME DE GAUCHE !
Bande à Baader : itinéraire d'une jeunesse allemande
CINÉMA

43% 23:15
Europresse.com
nouveau.europresse.com
PAGES EUROPRESSE.COM

Le Monde
FRANCE | 11

Le FN refait de la lutte contre l'immigration sa priorité

Mme Le Pen a dénoncé, lundi dans l'Essonne, une « invasion »

Marine Le Pen, avec Wallerand de Saint-Just et Audrey Guilbert, à Arpajon (Essonne), le 14 septembre.

Pour le Front national, une campagne électorale se mène d'abord au niveau national, même quand elle concerne un scrutin local. Les élections régionales des 6 et 13 décembre, qui vont concerner des territoires pour certains grands comme la Suisse, ne dérogent pas à la règle. Une même slogan, « ambition régionale, passion ambitieuse », une même tête d'affiche – Marine Le Pen qui se tient ou incite un meeting par région dans la bonne ville –, et un même thème de campagne, que le FN n'a pas besoin d'aller chercher bien loin compte tenu de l'actualité : l'immigration.

Qu'importe quelles régions, qui s'interpénètrent tout le développement économique, n'aient qu'une compétence toute relative dans le domaine : les candidats frontistes expliquent vouloir baisser les subventions accordées aux associations qui viennent en aide aux migrants. Depuis la rentrée, le FN s'est emparé de la crise migratoire qui secoue l'Europe pour marteler son rejet de l'immigration, fond de commerce du parti depuis sa fondation. Il y a quarante-cinq ans.

« Il serait piquant que le FN ne parle pas d'immigration quand l'Europe entière en parle », juge Marine Le Pen. Elle résume l'idée selon laquelle le Désastre doit passer la question au second plan ces derniers mois, derrière la critique de l'Union européenne ou la défense de l'Union européenne.

Présente dans l'Essonne, lundi 14 septembre, pour soutenir Wallerand de Saint-Just, candidat du FN en Île-de-France, Mme Le Pen a axé son déplacement sur la dénonciation de « l'invasion » que constitue à ses yeux l'immigration. « Les migrants qui arrivent en Île-de-France sont chercher des emplois que vous n'avez pas, les gens fortunés soutenus que vous n'avez pas », a dénoncé la présidente du FN dans un discours prononcé en début de soirée, à l'occasion d'une réunion publique à Arpajon.

Pour la députée européenne, qui avait reçu l'accueil des réfugiés une « immigration d'installation », l'exil de populations venus de Syrie et d'Irak peut être comparé aux invasions barbares. « Cette même action de la part du peuple français, l'invasion migratoire mène à court à celle du IVe siècle, et aura pour elle les mêmes conséquences », a-t-elle assuré devant environ 400 personnes. La veille, dans un discours prononcé en marge de la fondation d'Hénin-Beaumont (Pas-de-Calais), Mme Le Pen avait déjà estimé que « les migrants constituent [...] des armées en marche ».

« Mur de la réalité »

La présidente du FN avait commencé son déplacement dans l'Essonne par une visite surprise dans la paisible ville d'Auvers-Saint-Georges, au nord du moulin de Vaux, une résidence accueillant des familles de réfugiés. Accompagnée de Mme Le Pen des la première à la « politique de peuplement » menée par M. Valls, et encouragée par M. Raffarin ou Mme Pécresse », le candidat du parti Les Républicains aux régionales.

La députée européenne n'est pour autant pas allée jusqu'à imiter Robert Ménard, le maire de Béziers, soutien sur le FN, qui s'est rendu, vendredi, dans des immeubles de la cité héraultaise pour dire à ses réfugiés, sous l'œil des caméras, qu'ils n'étaient « pas les bienvenus » dans sa ville. « Robert Ménard est un homme courageux. Il est motivé, il a eu l'idée, objectif n'est pas de stigmatiser des personnes mais de dénoncer les responsables de cette situation », a-t-elle expliqué.

Le FN se démarque ainsi des derniers jours pour tenter de profiter de la crise migratoire. Julien Sanchez, maire FN de Beaucaire (Gard), a pendant, samedi 12 septembre, la première organisée par le ministère de l'intérieur, Bernard Cazeneuve, avec les élus accueillant d'accueille des réfugiés dans leurs villes. Le maire frontiste a rappelé, sous les huées, son refus d'accueillir un logement au moins réfugié, une position qu'il partage avec les autres maires FN. Dimanche, Marine Le Pen s'est aussi dite « inquiète de se retrouver sur le mur de la réalité », après que des centaines de tentes provisoirement à la frontière avec Calais pour faire face à l'afflux de migrants. Il faut « que le gouvernement français suspende à son tour les urgences accords de Schengen et rétablisse ses frontières », a-t-elle plaidé dans un communiqué.

Alors qu'il reprise Pôle en phase avec le pays sur le sujet, le FN doit faire face à une opinion apparemment de plus en plus versatile. Selon un sondage, paru le 9 septembre, une majorité de Français approuvent un système de répartition des réfugiés par pays dans l'Union européenne. Mais près de 60 % des sondés estiment que le FN « manque d'humanité » dans son approche de la crise, quand 51 % considèrent qu'il « défend de défendre une position ferme ». Un chiffre sur lequel M. Le Pen veut s'appuyer pour renforcer son électorat. ■

OLIVIER FAYE

« Il serait piquant que le FN ne parle pas d'immigration quand l'Europe entière en parle »
MARINE LE PEN
présidente du Front national

L'HISTOIRE DU JOUR

François Hollande, seul en campagne

L'adolescente se tourne, radieuse, vers sa copine : « Trop bon, je vais mettre ma photo de Hollande sur Snapchat ! » François Hollande a eu raison de venir à Vesoul. Pendant quelques heures, lundi 14 septembre, le président de la République s'est offert une visite-surprise politique. Une de plus en cette rentrée, après la Savoie et l'Indre-et-Loire et avant la Corrèze. Son entourage jure qu'il ne s'agit pas de déplacements de pure campagne, à trois mois des régionales et à vingt mois de la présidentielle. À Vesoul, pourtant, M. Hollande a retrouvé ses réflexes de candidat.

« Belle ambiance, hein, Manuel ? »

Le chef de l'Etat a présidé en Haute-Saône un conseil interministériel aux ruralités, en présence de Manuel Valls et de onze ministres. Mais du premier ministre, comme des autres membres du gouvernement, nous n'aurons rien vu ni entendu. M. Hollande a pris toute la lumière médiatique et étouffé le temps de parole des autres. Comme dans l'usine de meubles made in France qu'il visite avec M. Valls à Fallon, loup sur Scimcaux, c'est lui et lui seul qui discute et plaisante avec les salariés. Le premier ministre, un pas en retrait, est condamné à chercher le regard d'une employée pour demander à faire une photo, c'est uniquement avec le président. « Belle ambiance, hein, Manuel ? », glisse M. Hollande à son chef du gouvernement avant de quitter l'atelier.

À Vesoul, il s'est également réservé les hommes nouvelles en direction des territoires ruraux. Passés François Ier moins de trente minutes d'interview d'urgence en 2012, du haut débit pour tous, une multiplication par dix des maisons de santé d'ici à la fin du quinquennat, des aides en faveur du maintien des commerces dans les villages... M. Hollande s'engage à la chaîne. Avec un objectif : remédier aux territoires qui font sécession et se réfugient de plus en plus dans l'abstention ou le vote FN. « La ruralité, ce n'est pas une nostalgie », affirme le chef de l'Etat, mais « une chance pour la France ».

Le « Hollande-des-champs » n'oublie aucune catégorie d'électeurs : même agriculteurs, en pleine crise, qui sont « de premier intérêt des territoires ruraux », ni les chasseurs, dont il vante « le bon sens », ni les maires ruraux, qui « sont des personnes à ne point volontiers pour accueillir des réfugiés ». À plusieurs reprises, le chef de l'Etat descend de sa voiture pour s'offrir un bain de foule, multiant à l'épreuve les mets de ses gardes du corps. « Vous voulez que je vous remonte ? Mais bien sûr ! » répond-il à une dame devant la préfecture. « Ici, à Vesoul, je m'adresse à tous les Français », conclut, entre deux selfies, M. Hollande, comme en campagne. ■

BASTIEN HUMBERTCLAUDE

LE « HOLLANDE-DES-CHAMPS » N'OUBLIE AUCUNE CATÉGORIE D'ÉLECTEURS : AGRICULTEURS, CHASSEURS, MAIRES RURAUX...

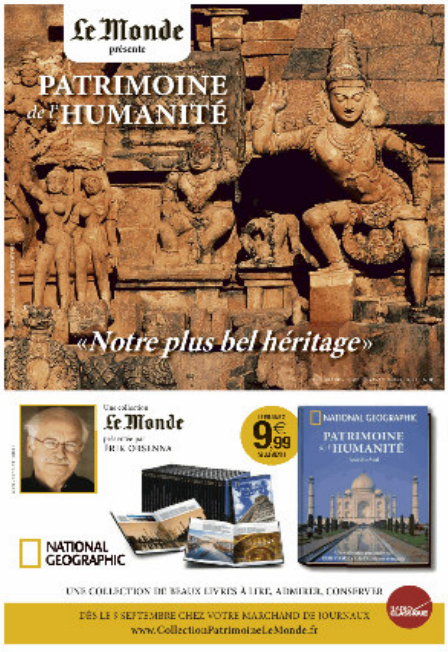

42% 23:12
Europresse.com
nouveau.europresse.con
PAGES
EUROPRESSE.COM

Un couple de migrants fait demi-tour face aux barbelés de la frontière tout juste fermée par la Hongrie, lundi 14 septembre.

Nouveau fiasco européen sur les réfugiés

L'Allemagne menace de réduire les fonds structurels des pays qui refusent l'application des quotas

BRUXELLES - Bureau européen

Le ministre allemand de l'Intérieur, Thomas de Maizière, a évoqué, mardi 15 septembre, la possibilité de réduire les fonds structurels versés par l'Union européenne (UE) aux pays qui rejettent l'idée de quotas de répartition des réfugiés, après un nouveau fiasco européen la veille sur les migrants. Les ministres de la justice et de l'intérieur de l'UE se sont quittés sans accord sur le partage équitable de 120 000 réfugiés, dans la soirée, à Bruxelles. « Nous devons parler de moyens de pression », a-t-il dit à la chaîne publique allemande ZDF. Les pays qui refusent la répartition par quotas « *sont souvent des pays qui reçoivent beaucoup de fonds structurels* ». « *Je trouve aussi juste (...) qu'ils reçoivent moins de moyens* », a poursuivi M. de Maizière sur ZDF.

La menace du ministre est la première à être formulée de manière aussi claire même si, au cours des dernières semaines, divers responsables européens – et notamment la présidence luxembourgeoise de l'Union – ont voulu rappeler l'aide et la solidarité dont ont bénéficié les pays d'Europe centrale et orientale depuis la chute du mur de Berlin, sans cacher son agacement devant leur attitude. La Commission s'est, elle efforcée de calmer le jeu, en évitant tout stigmatisation.

La République tchèque, la Slovaquie et la Roumanie ont campé fermement sur leur position de refus. La Pologne et la Lettonie n'ont à aucun moment caché leur scepticisme. Si elle s'est tue lors du dernier round de négociations – le plan de la Commission visait à lui venir en aide, en répartissant 54 000 réfugiés présents sur son sol –, la Hongrie reste, elle aussi, hostile.

Excédé, le ministre Thomas de Maizière a menacé, dans la soirée, de recourir à un vote qui aurait permis à une majorité de se dégager, sans parler alors de couper les fonds structurels. Son homologue français, Bernard Cazeneuve, soulignait en vain que « *chaque minute perdue, ce sont des morts supplémentaires* ». D'autres insistaient sur les attentes de l'opinion publique. « *Comment vouloir-vous que j'aille expliquer ma décision devant mon Parlement ?* », répliquait le ministre slovaque, l'un des pays les plus hostiles à l'accueil de Syriens, hormis quelques dizaines de chrétiens éventuellement.

« *Les uns et les autres ont passé trois heures à échanger des déclarations sur l'urgence de la situation et la nécessité de faire preuve de responsabilité, au final, on n'a même pas évoqué la proposition de la Commission de refonder de manière permanente les réfugiés. Les pays ont bloqué sur le chiffre de 120 000, c'est tout* », raconte une source européenne. « *Nous sommes déçus mais il est impossible de forcer des pays à accepter des demandeurs d'asile s'ils n'en veulent pas* », résumait une source de la Commission.

Profondes divisions

Un nouveau conseil ministériel aura lieu au plus tard le 8 octobre mais le pronostic est pessimiste si un vote est organisé, comme l'autorisent les traités, à la majorité qualifiée à cette occasion, il ne fera que confirmer les profondes divisions du continent. Et si les chefs d'Etat et de gouvernement, réunis en sommet, devaient s'emparer du dossier – comme le réclament notamment la Hongrie –, l'échec serait entériné : leurs décisions doivent être adoptées par consensus.

La Commission, comme la France, l'Allemagne et la présidence luxembourgeoise estiment que le travail va toutefois pouvoir commencer, au plan technique, pour aboutir à la relocalisation de 120 000 réfugiés. Avec la fixation d'une clé de répartition et l'examen des compensations financières à acquitter par un Etat qui refuserait son « quota ».

La France et l'Allemagne ont fait savoir, ce qui a déclenché de fortes tensions, M. Cazeneuve les exhortant, en vain, d'être « *à la hauteur de la situation* ».

Paris et Berlin avaient, dans la journée, tenté de les convaincre avec un texte « renforcé » insistant sur le contrôle strict des frontières, l'enregistrement rapide des demandes d'asile et une politique de retour plus efficace pour les migrants irréguliers. Ces points se retrouvent dans les conclusions du conseil mais n'ont pas suffi à emporter la décision des pays du « groupe de Visegrad » (République tchèque, Hongrie, Slovaquie, Pologne) et leurs alliés de circonstance, Roumanie et Lettonie.

Les « hot spots », structures chargées d'enregistrer et d'identifier les demandeurs d'asile, devraient être mis en place rapidement en Italie et en Grèce. Ils devraient distinguer plus rapidement les demandeurs d'asile des migrants « économiques ». Les moyens de l'agence de surveillance Frontex devraient être augmentés pour assurer des retours accélérés des déboutés du droit d'asile. La répartition de quelque 40 000 réfugiés présents en Italie et en Grèce a, elle, été enfin avalisée (la décision avait été prise fin juin). Les ministres ont évoqué une aide financière accrue aux pays voisins de la Syrie.

Dans les prochaines semaines, les Européens sont également censés plancher sur une liste des « pays sûrs », ce qui permettrait de renvoyer plus rapidement certains demandeurs d'asile et de désengorger les administrations nationales. Une autre question polémique avec, au cœur des discussions, la définition à donner de la Turquie.

Enfin, la décision prise par l'Allemagne – rapidement imitée par d'autres pays – de rétablir des contrôles aux frontières a mis sur la table la question de l'avenir de la zone sans passeport de Schengen. Lundi, tout le monde voulait éviter le débat de fond, en parlant d'une « *décision temporaire* » et d'un retour rapide à la normale. « *Si nous échouons sur la question des réfugiés, ce sera l'enfermement de Schengen* », prophétisait inutilement une source diplomatique française. ■

CÉCILE DUCOURTIEUX
ET JEAN-PIERRE STROOBANTS

« Chaque minute perdue, ce sont des morts supplémentaires »

BERNARD CAZENEUVE
ministre français de l'intérieur

La Hongrie scelle son rideau de fer avec la Serbie

REPORTAGE

RÖSZKE (HONGRIE) - envoyé spécial

Un impressionnant silence, décliné à intervalles régulières par le claquement d'une fanfare métallique, a marqué, lundi 14 septembre, la fermeture de la dernière portion encore ouverte de la clôture anti-migrants hongroise, à la frontière avec la Serbie.

Journalistes, policiers et militaires hongrois ont observé sans un mot les gestes du policier qui a fixé à la nuit tombée les barbelés au wagon obstruant la ligne de chemin de fer qui constituait le dernier point de passage non officiel, près de la petite ville de Röszke, à l'endroit exact où passait le rideau de fer il y a près de vingt-six ans.

Il aura fallu à peine quelques heures aux forces de l'ordre hongroises pour boucher cette brèche de 40 m de large sur une clôture censée couvrir les 175 km de frontière. Depuis quelques semaines, des milliers de migrants empruntaient tous les jours cette voie tolérée par les autorités hongroises, avant d'être arrêtés, gardés quelques heures dans un camp de fortune, puis transportés vers l'Autriche. Vers 16 heures, les policiers ont subitement bloqué le passage, interrompant dans leur course une mère avec ses deux enfants, soudainement bloqués côté serbe.

Rapidement, des dizaines d'autres migrants l'ont rejointe, au départ désarçonnés, voire en larmes. Mais ils ont ensuite été redirigés par la police hongroise vers un poste-frontière officiel situé à quelques centaines de mètres. Jusqu'à minuit, les policiers hongrois laissaient passer par ce poste tous les migrants qui se présentaient, avant de les amener à la gare pour prendre un train direct pour l'Autriche.

« Chance »

Retenu par la police hongroise dans un bus en attendant ce fameux train, Ahmed Lababidi, 19 ans, ne cachait pas son bonheur « *d'avoir eu la chance de passer la frontière avant minuit* ». Au total, 9 380 migrants et réfugiés ont traversé la frontière dans la seule journée de lundi, selon les autorités hongroises.

A cette heure, entrait en effet en vigueur une nouvelle loi voulue par le premier ministre ultra-conservateur hongrois, Viktor Orban, pénalisant de trois ans de prison ferme toute traversée illégale de la clôture. « *Nous avons tout fait pour arriver avant minuit* », raconte dans un anglais parfait cet étudiant en psychologie syrien venu d'Alep, qui voyage avec son père. Il se souvient encore avec inquiétude de la police serbe qui l'a retenu douze heures au sud du pays avant de le laisser continuer son chemin. Maintenant, il espère continuer sa route le plus vite possible pour allier « ses donateurs d'Allemagne ». Les nouvelles des renforcements des contrôles dans tous les pays européens l'inquiètent toutefois fortement.

Mais ce n'est rien en comparaison du sort des milliers de migrants qui n'ont pas pu franchir la frontière hongroise à temps. Des dizaines ont dû passer la nuit côté serbe, avant, finalement, de pouvoir à nouveau rentrer au petit matin. Certains ont tenté de découper la clôture dans la nuit mais ont été immédiatement arrêtés, selon la télévision hongroise. Si elle a pénalisé la traversée de la clôture, la Hongrie n'a pas pour autant dit qu'elle allait leur barrer complètement la route. Il est donc probable que des postes-frontières officiels leur resteront ouverts. Mais, selon les ONG hongroises, les migrants seront contraints d'y déposer une demande d'asile, alors que la plupart ne souhaitent en fait que traverser la Hongrie.

Que sera le devenir de ces futurs demandeurs d'asile ? Ni les ONG, ni les envoyés du Haut-Commissariat des Nations unies pour les réfugiés présents à la frontière lundi soir ne le savaient. La Hongrie a seulement dit qu'elle comptait examiner les demandes en quatre semaines et refouler systématiquement les déboutés. ■

JEAN-BAPTISTE CHASTAND

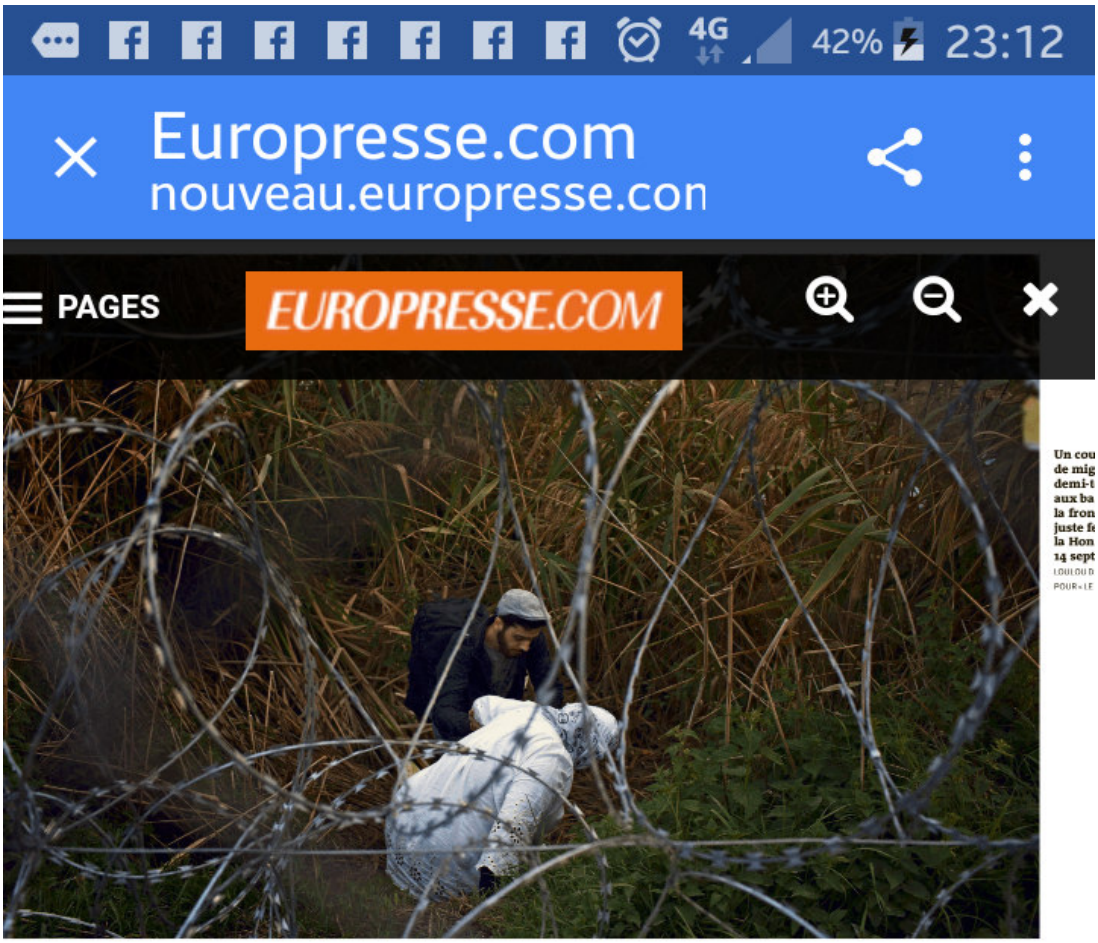

Un cou
de mig
demi-t
aux ba
la fron
juste fe
la Hon
14 sept
LOULOU D
POUR «LE

ouveau fiasco européen sur les réfugiés

nagne menace de réduire les fonds structurels des pays qui refusent l'application des quotas

ELLES - bureau européen

inistre allemand de
érieur, Thomas de
zière, a évoqué, mardi
eptembre, la possibi-
ire les fonds structu-
par l'Union euro-
) aux pays qui rejet-
le quotas de répart-
réfugiés, après un
sco européen la veille
ants. Les ministres de
le l'intérieur de l'UE se
s sans accord sur le
itable de 120 000 réfu-
a soirée, à Bruxelles.
ns parler de moyens de
t-il dit à la chaîne pu-
nande ZDF. Les pays
t la répartition par
t souvent des pays qui
oucoup de fonds struc-
trouve aussi juste (...)
ivent moins de
poursuivi M. de Mai-
F.
e du ministre est la
être formulée de ma-
claire même si, au
rnières semaines, di-
sables européens – et
la présidence luxem-
le l'Union – ont voulu
le et la solidarité dont
ié les pays d'Europe
orientale depuis la
ur de Berlin. Sans ca-
acement devant leur
Commission s'est, elle
calmer le jeu, en évi-
gmatisation.
que tchèque, la Slova-
oumanie ont campé
sur leur position de
logne et la Lettonie
n moment caché leur
. Si elle s'est tue lors
ound de négociations
a Commission visait à
aide, en répartissant
iés présents sur son
ger, sans parler alors de couper les fonds structurels. Son homologue français, Bernard Cazeneuve, soulignait en vain que *« chaque minute perdue, ce sont des morts supplémentaires »*. D'autres insistaient sur les attentes de l'opinion publique. *« Comment voulez-vous que j'aille expliquer ma décision devant mon Parlement ? »*, répliquait le ministre slovaque, l'un des pays les plus hostiles à l'accueil de Syriens, hormis quelques dizaines de chrétiens éventuellement.

« Les uns et les autres ont passé trois heures à échanger des déclarations sur l'urgence de la situation et la nécessité de faire preuve de responsabilité. Au final, on n'a même pas évoqué la proposition de la Commission de relocaliser de manière permanente les réfugiés. Les pays ont bloqué sur le chiffre de 120 000, c'est tout », raconte une source européenne. *« Nous sommes déçus mais il est impossible de forcer des pays à accepter des demandeurs d'asile s'ils n'en veulent pas »*, résumait une source de la Commission.

Profondes divisions

Un nouveau conseil ministériel aura lieu au plus tard le 8 octobre mais le pronostic est pessimiste : si un vote est organisé, comme l'autorisent les traités, à la majorité qualifiée à cette occasion, il ne fera que confirmer les profondes divisions du continent. Et si les chefs d'Etat et de gouvernement, réunis en sommet, devaient s'emparer du dossier – comme le réclame notamment la Hongrie –, l'échec serait entériné : leurs décisions doivent être adoptées par consensus.

La Commission, comme la France, l'Allemagne et la présidence luxembourgeoise estiment que le travail va toutefois pouvoir commencer, au plan technique, pour aboutir à la relocalisation de

> **« Chaque minute perdue, ce sont des morts supplémentaires »**
> BERNARD CAZENEUVE
> ministre français de l'intérieur

presque tout tenté, lundi. Y compris les pressions sur leurs partenaires par médias interposés. A l'heure des journaux télévisés, MM. Cazeneuve et de Maizière ont détaillé devant la presse ce qui était, selon eux, *« l'accord politique »* conclu sur l'accueil des 120 000 réfugiés. En réalité, les pays d'Europe centrale et orientale restaient toujours opposés et l'ont fait savoir, ce qui a déclenché de fortes tensions. M. Cazeneuve les exhortant, en vain, d'être *« à la hauteur de la situation »*.

Paris et Berlin avaient, dans la journée, tenté de les convaincre avec un texte *« renforcé »* insistant sur le contrôle strict des frontières, l'enregistrement rapide des demandes d'asile et une politique de retour plus efficace pour les migrants irréguliers. Ces points se retrouvent dans les conclusions du conseil mais n'ont pas suffi à emporter la décision des pays du « groupe de Visegrad » (République tchèque, Hongrie, Slovaquie, Pologne) et leurs alliés de circonstance, Roumanie et Lettonie.

Les « hot spots », structures chargées d'enregistrer et identifier les demandeurs d'asile, devraient être mis en place rapidement en Italie et en Grèce. Ils devraient distinguer plus rapidement les demandeurs d'asile des migrants « économiques ». Les moyens de l'agence de surveillance Frontex devraient être augmentés pour assurer des retours accélérés des déboutés du droit d'asile. La répartition de quelque 40 000 réfugiés présents en Italie et en Grèce a, elle, été enfin avalisée (la décision avait été prise fin juin). Les ministres ont évoqué une aide financière accrue aux pays voisins de la Syrie.

Dans les prochaines semaines, les Européens sont également censés plancher sur une liste des « pays sûrs », ce qui permettrait de renvoyer plus rapidement certains demandeurs d'asile et de

désengorger les adm
nationales. Une au
polémique avec, au c
cussions, la définiti
de la Turquie.

Enfin, la décision p
magne – rapidemen
d'autres pays – de
contrôles aux frontiè
la table la question d
la zone sans passepo
gen. Lundi, tout le m
éviter le débat de fon
d'une *« décision ter*
d'un retour rapide à
« Si nous échouons su
des réfugiés, ce sera
de Schengen », proph
fois une source d
française. ■

CÉCILE D
ET JEAN-PIERRE

La Hongrie scelle son rideau de fer avec la Serbie

REPORTAGE

RÖSZKE (HONGRIE) - *envoyé spécial*

Un impressionnant silence, déchiré à intervalles réguliers par le claquement d'une fixeuse métallique, a marqué, lundi 14 septembre, la fermeture de la dernière portion encore ouverte de la clôture antimigrants hongroise, à la frontière avec la Serbie.

Journalistes, policiers et militaires hongrois ont observé sans un mot les gestes du policier qui a fixé à la nuit tombée les barbelés au wagon obstruant la ligne de chemin de fer qui constituait le dernier point de passage non officiel, près de la petite ville de Röszke, à l'endroit exact où passait le rideau de fer il y a près de vingt-six ans.

Il aura fallu à peine quelques heures aux forces de l'ordre hongrolérée par les autorités hongroises, avant d'être arrêtés, gardés quelques heures dans un camp de fortune, puis transportés vers l'Autriche. Vers 16 heures, les policiers ont subitement bloqué le passage, interrompant dans leur course une mère avec ses deux enfants, soudainement bloqués côté serbe.

Rapidement, des dizaines d'autres migrants l'ont rejointe, au départ désarçonnés, voire en larmes. Mais ils ont ensuite été redirigés par la police hongroise vers un poste-frontière officiel situé à quelques centaines de mètres. Jusqu'à minuit, les policiers hongrois laissaient passer par ce poste tous les migrants qui se présentaient, avant de les amener à la gare pour prendre un train direct pour l'Autriche.

frontière avant minuit ». Au total, 9 380 migrants et réfugiés ont traversé la frontière dans la seule journée de lundi, selon les autorités hongroises.

A cette heure, entrait en effet en vigueur une nouvelle loi voulue par le premier ministre ultra-conservateur hongrois, Viktor Orban, pénalisant de trois ans de prison ferme toute traversée illégale de la clôture. *« Nous avons tout fait pour arriver avant mardi »*, raconte dans un anglais parfait cet étudiant en psychologie syrien venu d'Alep, qui voyage avec son père. Il se souvient encore avec inquiétude de la police serbe qui l'a retenu douze heures au sud du pays avant de le laisser continuer son chemin. Maintenant, il espère continuer sa route le plus vite possible pour aller *« sans doute en Allemagne »*. Les nouvelles des renfor-

frontière hongroise
dizaines ont dû passe
serbe, avant, finalem
voir à nouveau ren
matin. Certains ont
couper la clôture dan
ont été immédiaten
selon la télévision
elle a pénalisé la trave
ture, la Hongrie n
autant dit qu'elle alla
complètement la rou
probable que des post
officiels leur resten
Mais, selon les ONG
les migrants seront c
déposer une dema
alors que la plupart n
en fait que traverser
Que sera le devenir
demandeurs d'asile?
ni les envoyés du Hau
riat des Nations unie
fugiés présents à la fr

Europresse.com
nouveau.europresse.com
PAGES
EUROPRESSE.COM
Le Monde
SCIENCES & MÉDECINE
MATHÉMATIQUES : DÉTOURNEMENTS MAJEURS
Berlin menace de sanctions les pays réfractaires à l'accueil des réfugiés
Catherine Frot, athlète française du loufoque
ÉDITORIAL
L'EUROPE DES ÉGOÏSMES NATIONAUX
TAUX D'INTÉRÊT
L'ÉCONOMIE MONDIALE SUSPENDUE À LA DÉCISION DE LA FED
GRÈCE
MEÏMARAKIS, POMPIER DE LA DROITE
ENVIRONNEMENT
GRENOBLE À 30 À L'HEURE
GABON
L'ENCOMBRANT DIRECTEUR DE CABINET D'ALI BONGO
LE REGARD DE PLANTU
Europe
Lecture : vers la fin de la guerre des méthodes ?
ÉDUCATION
"Volubile, vif et tendre !"
LES DEUX AMIS
LOUIS GARREL
23 SEPTEMBRE

42% 23:10
Europresse.com
nouveau.europresse.com
PAGES EUROPRESSE.COM

Le Monde
MARDI 1er SEPTEMBRE 2015

L'enquête sur l'attentat de Bangkok progresse

Un suspect a été arrêté et deux autres sont recherchés, alors que la police n'exclut aucun scénario

BANGKOK, correspondant en Asie du Sud-Est

Deux autres suspects sont recherchés dans l'enquête sur l'attentat de Bangkok après l'arrestation, samedi 29 août dans un quartier à prédominance musulmane situé à l'est de la capitale thaïlandaise, d'un homme âgé d'une trentaine d'années, porteur d'un faux passeport turc et soupçonné d'avoir été l'un des responsables.

Les policiers ont révélé qu'ils avaient trouvé chez le suspect des roulements à billes semblables à ceux placés dans la bombe qui a explosé le 17 août dans un temple hindou du centre de Bangkok. Vingt personnes avaient été tuées, dont quatorze étrangers. Plus de cent personnes avaient été blessées, dont une douzaine sont toujours dans un état critique.

Lundi 31 août, le porte-parole de la police Prawut Thavornsiri a précisé que les recherches portaient sur une femme de 26 ans et un autre homme, « étranger », dont la nationalité n'a pas été donnée. « L'enquête va dans la bonne direction », avait assuré le chef adjoint de la police, Chaktip Chaijinda, après la première arrestation. Alors que les autorités avaient ces derniers jours multiplié les déclarations contradictoires indiquant que les investigations en cours ne menaient nulle part.

C'est dans l'appartement de la femme, une Thaïlandaise connue du suspect, Wanna Suanson, âgée de 26 ans, que les enquêteurs ont retrouvé du matériel servant à l'assemblage d'un engin explosif. Ishaan aurait pu, selon le quotidien *Bangkok Post*, que d'autres attentats étaient en préparation...

Les photos de l'homme arrêté montrent un barbu menotté, dont le passeport apparaît comme étant un faux grossier : la date d'expiration est mentionnée deux fois tandis que le nom d'Istanbul est mal orthographié. L'identité n'est montré pour l'instant « *pas confirmé* », selon la police. Sa nationalité n'a pas encore pu être établie.

Le chef de la police, Somyot Pumpanmuang, insiste sur le fait que l'attentat, suivi le lendemain par l'explosion d'une bombe lancée d'un pont sur la rivière, mais sans faire de victimes, n'est « *probablement pas un acte de terrorisme* ».

Les deux cents passeports retrouvés chez le suspect indiqueraient qu'il pourrait s'agir d'un « *règlement de comptes personnel* » : l'homme appartiendrait à un gang de faussaires, furieux des récentes opérations menées contre cette « mafia des passeports » par les autorités. Qui ont aussi évoqué une autre hypothèse, celle d'une revanche d'autres gangs, trafiquants d'êtres humains ceux-là, eux aussi traqués par la police...

« Piste ouïgoure »

Si la nationalité turque du suspect devait se confirmer, la « piste ouïgoure » serait malgré tout réunie : plus d'une centaine de clandestins appartenant à cette minorité chinoise turcophone de la province du Xinjiang avaient été expulsés par le gouvernement thaïlandais en juillet. Certains commentateurs estiment que la bombe était destinée à tuer un maximum de Chinois dans un lieu souvent fréquenté par des touristes venus de l'empire du Milieu, toujours plus nombreux en Thaïlande.

Le correspondant à Bangkok de l'hebdomadaire *Jane's Defence Weekly*, Anthony Davis, a avancé ces derniers jours une thèse qui en a séduit plus d'un : l'attentat aurait pu être commandité par le mouvement pan-turc fascinant des « loups gris » pour frapper la Thaïlande et venger les Ouïgours. Des mouvements d'extrême droite turque, plus ou moins liés à cette organisation, dont l'appellation est sombre aujourd'hui en désuétude, avaient organisé en juillet une violente manifestation contre le consulat thaïlandais d'Istanbul après l'expulsion des Ouïgours de Bangkok.

Mais le chef de la junte militaire au pouvoir en Thaïlande depuis le printemps 2014, le premier ministre Prayuth Chan-ocha, semble désireux d'éviter cette thèse. Comme s'il voulait se défausser de toute responsabilité après le retrait de Londres les premiers jours où avait été placée la bombe, étaient placardées dans Bangkok. Ce portrait montrait le visage d'un jeune homme à lunettes, la figure joufflue et un début de barbiche. Les caméras avaient filmé avant l'explosion cet homme vêtu d'un tee-shirt jaune qui avait déclenché grâce à un gros sac à dos sous un banc avant de s'éloigner.

La photo du suspect arrêté apparaît cependant bien différente de celle du portrait de l'homme en jaune. Ce qui fait dire à d'autres policiers qu'il pourrait être l'un des membres d'un réseau plus important. ■

BRUNO PHILIP

Diffusées par la police thaïlandaise, ces extraits de vidéosurveillance montrent le suspect dans l'attentat du 17 août. AFP

En Malaisie, le premier ministre Najib Razak refuse de céder à la pression de la rue

Les opposants au chef du gouvernement, accusé de corruption, ont défilé en masse

BANGKOK, correspondant en Asie du Sud-Est

La pression populaire monte en Malaisie contre le premier ministre, soupçonné de pratiques frauduleuses : des dizaines de milliers de manifestants se sont rassemblés en fin de semaine à Kuala Lumpur pour forcer Najib Razak à la démission. La police avait interdit la manifestation, mais n'est pas intervenue.

Le chef du gouvernement est accusé par ses adversaires de malversations, une somme de 2 milliards six cents millions de ringgits (572 millions d'euros) ayant été versée sur son compte par des compagnies liées au fonds souverain 1MDB, l'un des projets phares de « Najib », surnom familier du premier ministre.

Les protestataires, vêtus de chemises jaunes aux couleurs de Bersih (« propre » en malais), le mouvement citoyen organisateur de l'événement, ont occupé une partie du centre de la capitale, dans une ambiance qui mêlait à la fois du meeting politique et du carnaval.

Une figure célèbre aime de l'histoire de la Malaisie est venue, dimanche 30 août, apporter un soutien imprévu aux manifestants : l'ancien premier ministre Mahathir Mohamad, 90 ans et pas spécialement connu pour son soutien à la liberté d'expression durant son long règne (1981-2003), a défilé aux côtés des protestataires.

Il demandait lui aussi la démission de son ancien allié. M. Mahathir fut l'un des caciques de l'United Malays National Organisation (UMNO), principal parti d'une coalition qui est au pouvoir sans interruption depuis l'indépendance de 1957... et dont Najib Razak est le président. « *Najib ne démissionnera pas, a prévenu son illustre prédécesseur. Il sait que lorsqu'il perdra son poste, il va se retrouver devant la justice et que la justice pourrait le condamner et l'envoyer en prison.* »

Les manifestants ont conclu leur rassemblement dimanche à minuit en chantant l'hymne national. Les organisateurs ayant préalablement indiqué qu'ils ne voulaient pas gâcher le déroulement des fêtes d'anniversaire de l'indépendance, lundi 31 août. « *Nous voulons la démission du premier ministre et une réforme des institutions* », a déclaré Maria Chin, présidente du mouvement. Ironie du calendrier, Najib Razak devait prononcer un discours mercredi pour inaugurer une conférence organisée sur la lutte anticorruption. Aux dernières nouvelles, sa présence à l'événement ne semble plus être confirmée.

Une figure politique, l'ex-premier ministre Mahathir Mohamad, a défilé aux côtés des protestataires

Généreux donateur

La colère est croissante contre ce chef de gouvernement dont le pouvoir ne cesse de se raidir : il a récemment « purgé » son prédécesseur adjoint, qui était favorable à la poursuite de l'enquête sur le transfert des capitaux, et a remplacé le procureur général. Il avait en début d'année soutenu au Parlement des amendements durcissant un peu plus une loi antisédition libéricide qu'il avait auparavant promis d'abroger...

M. Razak a été les accusations de corruption, mais son gouvernement a depuis admis que des « *donations politiques* » avaient bien été effectuées sur son compte. La somme provenait d'un généreux donateur d'une monarchie pétrolière arabe non identifiée. Un groupe de manifestants a défilé samedi en brandissant une immense pancarte en forme de chèque bancaire où était inscrite la somme de deux milliards six cent millions de ringgits barrée de la phrase suivante : « *Vous pensez qu'on est stupide à ce point ?* »

Une manière de dire que l'opinion publique en a assez d'être manipulée par ce premier ministre issu d'une lignée politique prestigieuse : son père, Abdul Razak Hussein, fut le second chef du gouvernement de la Malaisie indépendante, entre 1970 et 1976.

Désormais, alors que même des membres de son gouvernement ou de sa formation semblent prêts à le lâcher, la position de Najib Razak paraît plus que jamais fragilisée, même s'il continue de tenir fermement les rênes de l'UMNO, qui a frôlé la défaite lors des dernières élections de 2013. Une bonne partie des populations des campagnes, plus conservatrices, continuent de soutenir la formation au pouvoir, qui, grâce à un système de discrimination positive, a satisfait les aspirations de la population malaise musulmane majoritaire.

Le journal en ligne Malaysiakini relevait dimanche que l'écrasante majorité des protestataires était sino-malaisiens, les Chinois (24,6 % de la population) s'étant massivement ralliés à l'opposition lors du scrutin de 2013. Un sondage d'opinion effectué par Malaysiakini.com, un autre site d'information sur Internet, a cependant de quoi inquiéter le premier ministre : 62 % des personnes interrogées se déclarent en faveur d'un changement de gouvernement. ■

B. P.

L'HISTOIRE DU JOUR

Le fait divers bollywoodien qui passionne l'Inde

NEW DELHI, correspondance

Une baronne des médias, Indrani Mukerjea, accusée du meurtre de sa sœur, qui s'est révélée être sa fille, l'implication d'une longue liste de maris comme il n'en existe qu'à Hollywood, la dénonciation du crime trois ans plus tard par un chauffeur, et un mobile toujours inconnu : l'Inde tout entière se passionne pour l'affaire du meurtre de Sheena Bora.

Arrêté vendredi 21 août, à Bombay, pour une affaire de trafic d'armes, l'ancien chauffeur d'Indrani Mukerjea a fait des aveux fracassants. Il a expliqué aux policiers avoir aidé la reine des médias à étrangler sa fille, avant de cacher le corps, en 2012, dans une forêt à 100 kilomètres de Bombay.

L'ANCIEN CHAUFFEUR D'INDRANI MUKERJEA A EXPLIQUÉ AUX POLICIERS AVOIR AIDÉ LA REINE DES MÉDIAS À ÉTRANGLER SA FILLE

Mme Mukerjea était une habituée des pages people des journaux avant d'être incarcérée le 25 août. Elle avait fondé, avec son troisième mari, la vedette du petit écran Peter Mukerjea, un puissant groupe de médias. Personne ne se doutait que Sheena Bora, présentée comme sa sœur, était en fait sa fille née d'un premier mariage.

Sans attendre les résultats de l'enquête, les médias se sont emparés de cette affaire. Il illustrant par des arbres généalogiques, comme il n'en existe que pour les familles royales. Le premier mari d'Indrani Mukerjea était le père de la fille assassinée, le deuxième aurait été le complice du meurtre et le troisième... donne des interviews à la presse pour dire toute sa stupéfaction. Avant que lui aussi soit rattrapé par le scandale, puisque son fils né d'un précédent mariage entretenait une relation avec Sheena Bora. Une relation qui, à l'époque, suscitait la désapprobation de leurs parents. Peter Mukerjea persuait alors que son fils voulait se marier avec sa belle-sœur et non pas sa belle-fille.

« *Le récit s'inspire de la fiction* », s'exclame Mahesh Bhatt dans le quotidien *Hindustan Times*. Ce cinéaste de Bollywood explique avoir terminé il y a quelques mois un scénario ressemblant étrangement à cette affaire. L'affaire du meurtre de Sheena Bora ne fait que commencer. Et qu'importe si la police n'a pas encore rendu ses conclusions, la sortie du « film dont le récit est *inspiré* » est déjà prévue pour la fin décembre. ■

JULIEN BOUISSOU

40% 23:07
Europresse.com
nouveau.europresse.com
PAGES EUROPRESSE.COM

Le Monde

La Belgique s'adapte à l'afflux massif de réfugiés

Le royaume a vu bondir le nombre de demandeurs d'asile en provenance d'Irak et de Syrie

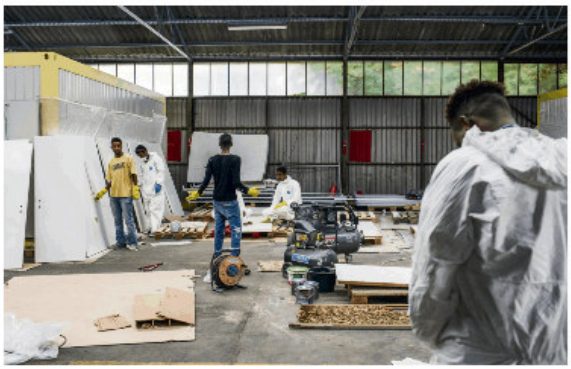

En haut : dans le centre pour demandeurs d'asile de Rocourt (près de Liège), des réfugiés somaliens volontaires pour les petits travaux communautaires, sont mis à contribution. Ci-contre : Mazama Sediqi, Rayhilah Azizi et leurs enfants, une famille afghane qui a fui les talibans.

REPORTAGE

LIÈGE (BELGIQUE) – envoyé spécial

Pour se faire livrer des lits et couvertures par centaines, mieux vaut ses tympans être un client comme. Car « chez les fournisseurs, c'est toute l'équipe qui connaît », lâche Laurent Bainotti, logisticien de la Croix-Rouge, en observant le chantier de l'extension du centre pour demandeurs d'asile de Rocourt, près de Liège.

La Belgique, comme la plupart de ses voisins européens, a vu bondir en un an le nombre de candidats au statut de réfugié (+ 20 % par rapport à juillet). Pour tenter de trouver une parade, la présidence luxembourgeoise des Vingt-Huit a convoqué, le 22 décembre, une réunion d'urgence des ministres de l'intérieur pour le 14 septembre. Tandis que certains pays, comme la Hongrie, renforcent à leur manière – barbelés, matraques et gaz lacrymogènes – leur arsenal, le gouvernement belge a annoncé, vendredi 28 août, qu'il comptait relever à 28 200 d'ici à la fin de septembre le nombre de places d'accueil, contre environ 16 200 avant les premiers mesures d'urgence prises début août.

Le centre de Rocourt, ouvert en 2001 sur le site d'une ancienne caserne, est l'un des plus grands du royaume, pouvant loger dans de bonnes conditions 500 demandeurs. Ils étaient déjà la dernière semaine d'août. Mais la direction s'apprête à en accueillir 200 de plus le 2e septembre, indiquent des bureaux trop, qu'elle devra héberger dans un exemple de 800 m² initialement en dernier plein, sera « horrible pour l'hiver ». L'objectif : une fois le matériel livré, est de former des petites cellules de quatre lits délimitées par des grilles de chantier, munies de rideaux occultants, explique Pascale Moreau, directrice du centre. « On ressemble plus d'un camping, reconnaît-elle, et nous aurons vu souvent mieux [3e septembre] sont rester nécessaires plus de trois mois. »

Situation inédite

Dans un entrepôt voisin, les demandeurs d'asile, volontaires pour les petits travaux communautaires, sont mis à contribution. Au milieu des palettes, dans une odeur de colle, huit jeunes Somaliens en combinaison blanche, masque sur le nez, peignent les parois des cabines mobiles contenant douche et WC. Ils travaillent sous l'autorité d'Ismaïl Gueltem de 55 ans, qui, comme eux, a fui son pays où il gérait un garage.

Les demandes d'asile déposées à un rythme de 1 000 à 1 600 par mois depuis le mi-2014 en Belgique, un commencé à dérouler en mai, et depuis cela ne cesse de s'accélérer… Le 18 août, 2 039 en juillet et probablement autour de 4 300 en août, selon l'Office des étrangers. Un phénomène qui est d'abord lié à l'exil massif des Irakiens, des Syriens et des Afghans, les trois nationalités qui se présentent le plus aux portes de la Belgique. La question de leur accueil a dominé le débat politique tout le mois d'août, mettant sur la défensive la même le secrétaire d'Etat à l'asile Theo Francken, de la Nouvelle Alliance flamande (N-VA).

Selon l'Office des étrangers belge, 2 289 demandes d'asile ont été déposées en juin, 2 975 en juillet et autour de 4 300 en août

Alors que ce parti nationaliste tient volontiers des propos durs et parfois très controversés sur l'immigration, M. Francken a montré un visage plus humain. Il a notamment tenu tête à la maire socialiste de Roumal, qui a prévu début août contre l'ouverture de 300 lits dans une caserne de la commune une polémique simplement relayée par les médias dans laquelle des élus de l'ancienne majorité de centre-gauche ont donné l'impression de ne pas mesurer l'ampleur de cette crise humanitaire.

Vendredi lors du conseil de ministres de rentrée, Theo Francken a annoncé une nouvelle série de mesures, dont l'embauche de personnel pour traiter les demandes. Pour répondre à la pénurie d'hébergements, Médecins sans frontières va fournir 400 tentes, l'armée belge continue d'en laisser que à disposition. Et pour la première fois, le secteur privé est sollicité, par le biais d'un appel d'offres, afin que, si besoin est, l'Etat bénéficie de 10 000 places supplémentaires en avril 2016.

L'urgence est diversement ressentie. Elle a été saisie la force de certains mais est de dans de ses enfants par des passeurs en Serbie. Par ailleurs, leur se sont retrouvés à Rocourt après un mois sans nouvelles. Quand on lui demande, souriant, si ce parti, son épouse, Fatullah Azizi, un fonctionnaire qui a fui parce qu'il était menacé par les talibans, montre les bleus et les cicatrices sur ses jambes, stigmates d'un épouvantable périple de quatre mois, « On a connu pire », répond-il.

MATTHIEU DELESTRE

En Grèce, un scrutin plus serré que prévu pour Alexis Tsipras

A trois semaines des élections, provoquées par sa démission, l'ancien premier ministre doit remobiliser sa base et sa formation

En janvier, le parti de gauche radicale Syriza avait remporté les élections en proclamant : « L'espoir arrive. » Neuf mois plus tard, il se présente aux élections du 20 septembre avec un slogan plus prudent [encore prudent] : « Seulement ça. » sans savoir si l'espoir sera au bout du chemin. Pendant deux jours, samedi 29 et dimanche 30 août, les militants démissionnaires de Syriza étaient en congrès pour discuter du nouveau programme du parti et clôturer le feu qui se propageait en son sein depuis la signature du Mémorandum avec les pays créanciers, qui prévoit de nouvelles mesures d'austérité et a provoqué la scission de la Plate-forme de gauche du parti.

Le premier ministre démissionnaire Alexis Tsipras a cherché à imposer l'échiquier des formations. L'ancien ministre des finances Yorgo Dalakoulaxos a affirmé qu'il se présenterait aux élections sur les listes de Syriza – de même que l'ancien porte-parole du gouvernement Gabriel Sakellaridis. Ces deux membres importants du groupe des 53, un courant créé après les élections européennes de 2004, à gauche de la majorité, sont rentrés dans le rang. La situation d'extrême tension suffisamment compliquée pour M. Tsipras pour qu'il évite de nouvelles défections importantes, après celles de Panagiotis Lafazanis, le chef de la Plate-forme de gauche, qui vient de créer le parti Unité populaire, contre le Mémorandum et l'euro, et de Dimitris Papadimitriou du Potami. Zoé Constantinopoulou, quitte rapidement M. Lafazanis.

Les premiers sondages réalisés depuis la démission du gouvernement le 20 août indiquent un scrutin plus serré que prévu. Ils donnent un avantage à Syriza de 1,5 % à 3 % sur le parti conservateur Nouvelle démocratie (ND). Le plus important pour M. Tsipras concerne les opinions sur le bilan du gouvernement et sa tactique. Plus de 50 % sont déçus par son action. Seulement 38 % des électeurs de Syriza en sont satisfaits. Les Grecs sont également sceptiques sur l'opportunité d'organiser de nouvelles élections. En même temps, ils sont 70 % à considérer qu'il fallait signer le Mémorandum avec les créanciers en échange d'un nouveau plan d'aide. « Alexis Tsipras a perdu son mouvement pendant le mois d'août. Ecologiquement d'inspiré hypocritement, explique le politologue Elias Nikolakopoulos. Il doit reconstituer une bonne partie des électeurs de janvier en Syriza qui nous restera toujours. »

« Nous avons été obligés d'accepter cet accord. Nous allons l'appliquer mais sous nos propres propositions des mesures alternatives qui vont en atténuer les effets », explique de son côté Yiannis Dimou, responsable de la stratégie internationale du parti, et l'un des proches d'Alexis Tsipras.

Rejet du « vieux système »

Pour aller « seulement en avant », M. Tsipras s'est lancé dans une stratégie offensive, afin d'approcher la majorité absolue, seul ou avec son partenaire de gouvernement, les Grecs indépendants. Mais la plupart des sondages placent ce parti souverainiste de Panos Kammenos sous la barre des 3 % qui permet l'entrée au Parlement. Le portefeuille établi sous un scandale sur les comptes offshore d'un député.

Or, Alexis Tsipras a changé la donne. Il a tiré un trait sur l'alliance avec ce qu'il appelle les partis du « vieux système » : Nouvelle démocratie, Pasok, mais aussi Potami, le parti créé en 2014 par le journaliste Stavros Theodorakis. Si certains prédisent une surprise provoquée par une abstention de XX, plusieurs sondages font de cette formation son favorable à un gouvernement de coalition. Quant à M. Tsipras, le parti conservateur ne peut pas parler des élections. La victoire de M. Tsipras au référendum a creusé le fossé de son chef, l'ancien premier ministre Antonis Samaras. Il son successeur, Evangelos Meïmarakis, est considéré comme un pape de transition avant pour mission d'apaiser le parti, affecté par la défaite du chef de M. Samaras et de ses conseillers.

L'ancien [illegible] parti socialiste Pasok essaie de limiter les dégâts et se même de progresser, grâce à l'alliance avec la Gauche démocratique, un petit parti issu du Synaspismós qui a fait [illegible] ces dernières semaines et qui n'avait pas franchi la barre des 3 % en janvier.

A l'aube de Potami, M. Theodorakis, aujourd'hui, lui, participer à un gouvernement de coalition, mais reste réservé sur Syriza. « Je ne suis pas sûr qu'il soutient ici changement. On peut ignorer les conséquences du Mémorandum sur notre pays, mais il faut l'accepter, après l'avoir signé. Ne pas faire certaines réformes serait dramatique », admet-il. M. Tsipras refuse pour sa part une alliance avec le Potami qu'il considère comme un « parti du système ». « C'est le peuple grec qui va s'exprimer sur les alliances futures. Pas M. Tsipras », ironise M. Theodorakis.

ALAIN SALLES

40% 23:06
Europresse.com
nouveau.europresse.con
PAGES
EUROPRESSE.COM
Le Monde
LE RENDEZ-VOUS INCONTOURNABLE DE LA RENTRÉE
Mardi 1er septembre 2015 - 71e année - N°21966 - 2,20 € - France métropolitaine - www.lemonde.fr
Fondateur : Hubert Beuve-Méry - Directeur : Jérôme Fenoglio
La rentrée scolaire sous le signe de la laïcité et de la morale
Après le choc des attentats de janvier, l'éducation nationale a mis en place un nouvel enseignement sur la citoyenneté
NOUVEAU à partir du 2 septembre
Et si vous réserviez vos bouteilles de prestige en ligne ?
Donald Trump, aux racines d'un phénomène
Le milliardaire américain continue de bénéficier d'une popularité très élevée
Le magnat de l'immobilier profite des divisions au sein du Parti républicain
Donald Trump en campagne à Des Moines, dans l'Iowa, le 15 août.
MAROC
LA VERSION DES JOURNALISTES SUR LE CHANTAGE ENVERS LE ROI
POLITIQUE
UNE GAUCHE EN MILLE MORCEAUX
ÉDITORIAL
UKRAINE : UNE RÉDUCTION DE DETTE TRÈS POLITIQUE
ÉCONOMIE
BAISSE DU PRIX DU PÉTROLE ; QUELLES CONSÉQUENCES POUR L'ÉCONOMIE FRANÇAISE ?
Migrants : des mineurs isolés en quête d'une vie meilleure
Nouvelle destruction à Palmyre
L'Etat islamique a détruit à l'explosif le temple de Baal, un des joyaux de la cité antique syrienne
DU MERCREDI 2 AU SAMEDI 5 SEPTEMBRE
LIDL

40% 23:05
Europresse.com
nouveau.europresse.com
PAGES EUROPRESSE.COM

Le Monde
DIMANCHE 23 - LUNDI 24 AOÛT 2015

Le dilemme de la minorité druze de Syrie

Cette petite communauté, dont le soutien est vital pour Damas, s'interroge sur la façon de se défendre

« Nous sommes contre tous ceux qui nous attaquent. (...) Si l'Etat nous attaque, il sera notre ennemi »

CHEIKH OUADIH AL-BALOUS

Le journaliste druze Hamed Aweidat, basé à Majdal Chams, et sa fille.

Accrochage à la frontière israël-Syrie

Washington annonce la mort du numéro deux de l'Etat islamique

Fadhil Ahmed Al-Hayali, un Turkmène irakien et ancien militaire, a été tué dans une frappe de drone américain

« Les Etats-Unis disposeraient d'excellents renseignements à Mossoul »

CHARLES LISTER
chercheur à Doha

NAGEOIRE
Migrants: incidents à la frontière avec la Grèce

SYRIE
L'Etat islamique détruit un monastère

40% 23:04
Europresse.com
nouveau.europresse.con
PAGES EUROPRESSE.COM

Le Monde
DIMANCHE 23 - LUNDI 24 AOÛT 2015

Erdogan retourne aux urnes en plein chaos

Le président turc a annoncé des élections le 1er novembre, alors que la région kurde s'enfonce dans la violence

ISTANBUL - correspondance

Alors qu'il sortait de la prière du vendredi, le président turc Recep Tayyip Erdogan a confirmé la tenue de nouvelles élections législatives, fixées au dimanche 1er novembre. « *Si Dieu le veut, la Turquie vivra une répétition des élections [législatives], le 1er novembre* », a-t-il expliqué à l'adresse de quelques journalistes, en quittant la mosquée de Kisikli, non loin de sa résidence privée du quartier d'Ukkidar, dans la partie asiatique d'Istanbul.

Sûr de son fait, le chef de l'Etat prévoit qu'il sortira renforcé du scrutin à venir. En témoigne sa résolution à mener le pays aux urnes sans aucun égard pour la Constitution. En temps normal, il aurait dû demander l'avis du Parlement avant d'annoncer la tenue de nouvelles élections. Il aurait dû aussi passer la main au Parti républicain du peuple (CHP, social-démocrate, opposition) après l'échec de son Parti de la justice et du développement (AKP, islamo-conservateur), à former une coalition.

Rompant avec la tradition, M. Erdogan a omis de passer le flambeau au chef du CHP, Kemal Kiliçdaroglu, motivant son refus par le fait que ce dernier refuse de reconnaître l'existence du palais présidentiel de 1 150 pièces à Beytepe, un quartier périphérique d'Ankara. « *Pourquoi devrais-je inviter quelqu'un qui ne connaît même pas le chemin de Beytepe ?* », a ironisé M. Erdogan.

Guerre interne

Tôt lundi, la formation d'un gouvernement de transition ou deux commencer. D'après la Constitution, tous les partis représentés au Parlement devraient en être. Mais l'opposition a clairement fait savoir qu'elle n'y participerait pas. Les kémalistes du CHP, deuxième force au Parlement, et les ultra-conservateurs du Parti de l'action nationaliste (MHP) veulent éviter de se commettre avec les islamo-conservateurs dont la popularité chancelle. Seul le Parti démocratique des peuples (HDP, prokurde) s'est dit prêt à jouer le jeu, suggérant toutefois qu'un référendum soit organisé sur l'« hyper-présidence » voulue par M. Erdogan, dont les ouvrages dirent qu'elle n'a pas l'heur de plaire aux électeurs turcs.

L'AKP a beau être le premier parti de Turquie, il a perdu sa majorité lors des législatives du 7 juin. Survenue après treize ans d'un règne sans partage, cette déconvenue a ramené le pays à la situation de guerre interne entre le Parti des travailleurs du Kurdistan (PKK), comme dans les années 1990.

Le président turc Recep Tayyip Erdogan, le 16 août, à Çeyküre, lors des funérailles d'un officier de police tué dans un attentat.

A l'époque, sous la houlette de la première ministre libérale Tansu Çiller, des escadrons de la mort semaient la terreur dans les régions majoritairement peuplées de Kurdes au sud-est, en représailles aux attaques du PKK. Ce climat d'instabilité disparut à l'avènement des islamo-conservateurs en 2002, résolus à trouver une solution pacifique au « problème kurde ».

Depuis la reprise des hostilités, la Turquie semble revenue treize ans en arrière. Sans gouvernement, la plupart des projets stagnent tandis que la crise financière gagne, sur fond de dégringolade de la livre turque et de fort endettement – 400 milliards de dollars de dette publique et privée confondues – à court terme.

Les régions kurdes glissent aussi irrésistiblement vers le chaos. Pour répondre aux embuscades meurtrières qui se produisent chaque jour sur les routes de Diyarbakir, de Siirt ou de Hakkari, l'armée traque sans relâche les jeunes militants kurdes constitués en « *unités de défense* ». Fermés pendant les années d'accalmie, où le processus de paix apparaît tout de même comme irréversible, ces jeunes ont désormais pris les armes et creusent sans relâche des tranchées autour de leurs quartiers pour empêcher les véhicules blindés d'y pénétrer. Ils aiment la mort en faisant exploser des mines télécommandées au passage des convois militaires.

Comment organiser un scrutin juste et démocratique dans une atmosphère de guerre civile ?

Le couvre-feu a été décrété dans plusieurs petites municipalités du sud-est. Des habitations ont été mitraillées et parfois brûlées, les accès aux villes, entre autres à Varto et à Silvan (dans les régions de Mus et de Diyarbakir), ont été coupés pendant plusieurs jours. A Varto, le couvre-feu est intervenu après qu'une assemblée de la société civile composée de militants du KCK (un groupe d'ONG liées au PKK) a déclaré l'autonomie. La première localité à lancer le mouvement a été Silopi, le 10 août. Dans la foulée, d'autres villes (Idil, Silopi, Hakkari, Siir, Silvan, Bulanik, Silopi, Cizre, Yuksekova, Nusaybin) ont suivi.

Face au retour de la violence, les autorités auraient tout intérêt à chercher un moyen de renouer au cessez-le-feu. Un vœu des électeurs en dépend. Comment, en effet, organiser un scrutin juste et démocratique dans une telle atmosphère de guerre civile ? A moins qu'Etat d'urgence, levé progressivement de 1999 à 2002 dans les régions kurdes, ne vienne à être déclaré à nouveau. Suggérée par le chef de file des ultra-nationalistes, Devlet Bahçeli, cette éventualité a été écartée par le premier ministre Ahmet Davutoglu.

Réforme électorale

Les élections auront bien lieu. Pour le moment, l'AKP tisse sa toile pour tenter de gagner les 18 députés qui lui manquent afin de former seul un gouvernement. Un projet de loi a été concocté par le gouvernement. Selon ce texte, les 6 millions de Turcs expatriés qui votent dans les consulats à l'étranger auront droit à une dizaine de députés chargés de les représenter. Jusque-là, les voix des expatriés, dans l'ensemble plutôt favorables à l'AKP, étaient comptabilisées dans le vote national. ■

MARIE JÉGO

LES DATES

7 JUIN

L'AKP, le parti d'Erdogan, remporte les élections, avec 40,7 % des voix, mais il perd la majorité absolue au Parlement.

20 JUILLET

32 jeunes militants kurdes sont tués dans un attentat suicide attribué à l'Etat islamique, à Suruç, dans le sud du pays.

22 JUILLET

Des rebelles du PKK tuent deux policiers turcs en représailles. La Turquie commence à bombarder l'EI et le PKK deux jours plus tard.

Les pertes militaires provoquent la colère des familles contre l'AKP

Des dignitaires du gouvernement turc ont été pris à partie lors des obsèques de soldats et policiers tués par les combattants kurdes du PKK

ISTANBUL - correspondance

Le ministre turc de la santé, Mehmet Müezzinoglu, était loin de s'attendre à un tel accueil lorsqu'il a franchi les portes du cimetière de Bursa, jeudi 20 août. Il était venu participer aux funérailles de Bahadir Aydin, un gendarme tué la veille avec sept autres de ses camarades dans une embuscade tendue par les rebelles kurdes du PKK à Siirt, dans le sud-est du pays.

« *Honte à toi !* », « *Dieu te punira !* », « *Ta place est en enfer !* », s'est écrié une partie de la foule réunie au cimetière en le voyant arriver. Visé par des jets de pierre, de pièces de monnaie et de bouteilles d'eau, le ministre a dû être évacué par ses gardes du corps vers un local de la municipalité, sans avoir pu prendre part à la cérémonie.

M. Müezzinoglu avait été dépêché à Bursa pour y représenter le Parti de la justice et du développement (AKP, islamo-conservateur), aux manettes du pays depuis 2002, la présence des cadres du parti dans les cimetières est devenue routinière depuis la fin du mois de juillet. Les hostilités ont alors repris entre les militants du Parti des travailleurs du Kurdistan (PKK, interdit en Turquie) et l'armée régulière, causant la mort de plus de cinquante soldats, officiers, policiers, tués dans des embuscades et 771 rebelles kurdes, selon un bilan officiel publié vendredi.

A première vue, la visite du ministre à Bursa n'aurait pas dû poser de problème. Située non loin d'Istanbul, la ville de 2,5 millions d'habitants, industrielle et prospère, est un fief du « parti de l'ampoule » (le surnom de l'AKP), qui y bat le plein de voix à chaque élection.

Dès son arrivée au cimetière, M. Müezzinoglu s'est vu repocher sa déclaration du 16 août. Il avait alors assuré que « *le chaos* » auquel la Turquie est actuellement confrontée « *aurait pu être évité si les électeurs avaient opté pour le système présidentiel* » souhaité par le numéro un turc. Recep Tayyip Erdogan. « *Combien de nos fils faudra-t-il encore sacrifier pour qu'Erdogan soit élu président ? Soyez tous maudits !* », lui a crié l'un des proches du défunt.

La presse hostile

Un autre membre du gouvernement, le vice-premier ministre Yalçin Akdogan, avait, lui aussi, été chahuté par une foule en colère alors qu'il participait, le 17 août, à l'inhumation d'un autre soldat (« *martyr tombé pour la patrie* ») à Elmadag, non loin d'Ankara. Accueilli au cimetière aux cris d'« *AKP assassins !* », M. Akdogan dut quitter l'endroit au plus vite, protégé des jets de bouteilles par ses gardes du corps qui le ramenèrent à sa voiture.

Pour ramener le calme, la presse a été bannie des enterrements de soldats, à l'exception de l'agence Anatolie et de la télévision officielle TRT. Il faut dire que ces derniers temps les cimetières sont devenus les nouveaux terrains d'expression de la propagande électorale. Le 25 août, le soldat Hüseyin Turan, tué la veille dans une embuscade à Diyarbakir, était enterré avec les honneurs à Tokat (centre de la Turquie) en présence du préfet Cevdet Can et de Salih Uslu, député de l'AKP.

La cérémonie se déroula sans incident. Les choses se gâtèrent un peu plus tard, lorsque le député Uslu félicita le préfet et les forces de l'ordre sur son compte Twitter pour « *leur succès et leur sincérité dans l'organisation de la cérémonie* ». Sa petite phrase déclencha un tel tollé sur les réseaux sociaux qu'il se dépêcha de l'effacer. ■

M. JE.

40% 23:04
Europresse.com
nouveau.europresse.com
PAGES
EUROPRESSE.COM
Le Monde
TÉLÉVISIONS
SÉRIES : LA SUÈDE CONFIANTE EN SES AUTEURS
Dimanche 23 - lundi 24 août 2015 - 71e année - N° 21959 - 2,20 € - France métropolitaine - www.lemonde.fr
Fondateur : Hubert Beuve-Méry - Directeur : Jérôme Fenoglio
La piste terroriste privilégiée après l'attaque déjouée dans le Thalys
▸ Le suspect, qui a été maîtrisé par deux militaires américains, serait fiché dans trois pays comme islamiste radical
La police scientifique et technique, en gare d'Arras, vendredi 21 août.
Turquie : Erdogan convoque de nouvelles élections
▸ Le président turc, Recep Tayyip Erdogan, a annoncé, vendredi 21 août, la tenue de nouvelles élections législatives, fixées le 1er novembre
▸ L'AKP, le parti islamo-conservateur du chef de l'Etat, n'était pas parvenu à former une coalition après le précédent scrutin, qui s'était déroulé le 7 juin
▸ Au Kurdistan turc, le processus de paix apparaît incertain. Les violences se multiplient et l'état d'urgence a été décrété dans plusieurs villes de la région
▸ Le pays est en outre menacé par une crise financière. La monnaie turque a chuté et la dette publique s'envole
Le Monde FESTIVAL
L'ÉTÉ EN SÉRIES
7 JANVIER, LA COLLISION TRAGIQUE
SIX VIES DE MICHEL HOUELLEBECQ
KASPAROV-DEEP BLUE, ÉCHEC ET BUG
ENNEMIS INTIMES
AUX PAYS-BAS, LE HASCHISCH TOMBE DU CIEL
CANNABIS EN LIBERTÉ
IRAK
LE NUMÉRO DEUX DE L'ÉTAT ISLAMIQUE TUÉ PAR UN DRONE
POLITIQUE
À GAUCHE, LA PRÉSIDENTIELLE A COMMENCÉ
FRONT NATIONAL : L'ÉCHEC DE L'OPÉRATION LE PEN
ÉDITORIAL
Les mutations de l'économie du partage
▸ Deux personnes sur trois sont motivées par des considérations financières
Extrait de la série photo « Système d'échange local ».
DÉBATS
L'HOMME DOIT CHANGER SON RAPPORT À LA NATURE
mobeco
PRIX SACRIFIÉS
MATELAS - SOMMIERS
Matelas TRECA
Gamme Hôtel
A partir de 490 €
CANAPES - SALONS - RELAX
CONVERTIBLES - CLIC-CLAC
Canapé Convertible
A partir de 990 €
01 42 08 71 00

39% 23:03
Europresse.com
nouveau.europresse.con
PAGES
EUROPRESSE.COM
Le Monde
Mardi 11 août 2015 - 72e année - N° 21948 - 2,20 € - France métropolitaine - www.lemonde.fr
Fondateur : Hubert Beuve-Méry - Directeur : Jérôme Fenoglio
Un djihadiste français sur sept trouve la mort en Syrie
Selon le ministère de l'intérieur, 910 Français sont partis faire le djihad en Syrie depuis le début du conflit. 126 y ont trouvé la mort, soit un sur sept
Parmi eux, Omar Diaby, considéré comme l'un des principaux recruteurs français, serait mort vendredi 7 août des suites de blessures par balles
Le taux de mortalité des recrues françaises a explosé : il a augmenté de 280 % depuis juillet 2014. En moyenne, sept d'entre elles meurent chaque mois
Les Français montent dans la hiérarchie de l'Etat islamique et sont envoyés au combat, ce qui accroît le risque qu'ils soient tués
EUROPE
LA GRÈCE PROCHE D'UN ACCORD AVEC SES CRÉANCIERS
FOOTBALL
PSYCHODRAME À MARSEILLE APRÈS LA DÉMISSION DE BIELSA
ÉGYPTE
AU CAIRE, LE COMMISSARIAT DE LA TERREUR
CLIMAT
SÉGOLÈNE ROYAL EN TOURNÉE AFRICAINE AVANT LA COP21
RESTAURATION
DANS UN MARCHÉ SATURÉ, LES SUSHIS NE FONT PLUS RECETTE
Tensions aux Etats-Unis, un an après Ferguson
Un manifestant a été blessé grièvement pendant la commémoration de la mort de Michael Brown, tué par un policier en 2014
Au Texas, un jeune Noir a été abattu par la police dans la nuit du 6 au 7 août
LA MENACE TERRORISTE ET LES LEÇONS DE TARNAC
ÉDITORIAL
L'ÉTÉ EN SÉRIES
AU VIENNET, LE VÉLO AU BOUQUET DE FLEURS
BETTE DAVIS ET JOAN CRAWFORD, LES VIPÈRES D'HOLLYWOOD
ENNEMIS INTIMES
L'OLIVIER EN GUERRE DANS LES POUILLES
ARBRES MALADES
BAL D'IMPOSTEURS AU PÔLE NORD
LA VIE APRÈS LE MENSONGE
LALOU BIZE-LEROY, UNE GRANDE DAME DU VIN
VIGNERONNES NATURE
La qualité italienne à 1990€
Je dis • Si !
Espace Topper

39% 23:00
Europresse.com
nouveau.europresse.con
PAGES
EUROPRESSE.COM
Le Monde
WEEK • END
CULTURE & IDÉES
LE COLISÉE DÉGRADÉ PAR LES TOURISTES
SPORT & FORME
LA LUTTE CONTRE LE DOPAGE, UN FIASCO
Road trip à la française
Samedi 18 juillet 2015 - 71e année - N° 21928 - 4 € - France métropolitaine - www.lemonde.fr — Fondateur : Hubert Beuve-Méry
Directeur : Jérôme Fenoglio
« L'atmosphère, aujourd'hui, est très similaire à 1968 en Europe »
▸ Donald Tusk, président du Conseil européen, s'inquiète des remises en cause idéologiques nées de la crise grecque
Hissène Habré jugé trente ans après
▸ Le dictateur tchadien (1982-1990) est responsable de la mort de 40 000 personnes
▸ Son procès pour crimes contre l'humanité s'ouvre le 20 juillet à Dakar, au Sénégal
Hissène Habré, à N'Djamena, au Tchad, lors du coup d'Etat, le 4 juin 1982.
JAPON
SHINZO ABE BIEN PEU PACIFIQUE FACE AUX PRESSIONS CHINOISES
ÉDITORIAL
L'AFRIQUE ORGANISE UN PROCÈS HISTORIQUE
JUSTICE
LES ÉCOLOGISTES GAGNENT UNE MANCHE CONTRE LE CENTER PARCS DE ROYBON
CINÉMA
« SORCERER », « LE SALAIRE DE LA PEUR » VERSION AMÉRICAINE
L'appétit numérique (et très politique) d'Emmanuel Macron
▸ Le ministre de l'économie plaide pour une réforme du droit du travail
Emmanuel Macron, au Bourget, le 20 juin
Le management sans gants de Netflix
ÉCONOMIE
NASSIM AMAOUCHE LAETITIA CASTA
ANDRÉ DUSSOLLIER
DES APACHES
AU CINÉMA LE 22 JUILLET
Le Monde

Europresse.com
nouveau.europresse.com
PAGES EUROPRESSE.COM

Depuis 2012, à Téhéran, « Zahra » est devenue traiteur à domicile pour essayer de compenser la baisse de revenu de son mari, liée aux sanctions contre l'Iran.
NEWS-LA TAWAQ-VA POUR LE MONDE

« Les sanctions sont comme un cance

A Téhéran, la classe moyenne soutient un accord sur le nucléaire pour en finir avec le fardeau

REPORTAGE

TÉHÉRAN - *envoyée spéciale*

L'appartement de Zahra (son prénom a été modifié), situé à Chahran, quartier modeste dans l'extrême ouest de Téhéran, est rempli à craquer de canapés, chaises et tables, témoignage du temps où la famille habitait des demeures bien plus grandes.

Zahra se souvient avec nostalgie de son ancien appartement de 180 m² à Janat Abad, quartier de la classe moyenne dans l'ouest de Téhéran, qu'elle payait *« vraiment pas cher »* jusqu'en 2012 : *« 5 000 000 de rials »*, soit 150 euros, raconte cette femme au foyer de 53 ans. Aujourd'hui, elle paie 15 millions de rials, trois fois plus, pour un appartement deux fois plus petit. *« Ici, mes deux fils sont obligés de partager la même chambre, ce qui n'a jamais été le cas »*, regrette-t-elle, assise sur un canapé usé recouvert de coussins brodés.

Pour Zahra, il n'y a pas de doute : les sanctions internationales, votées dans le but de dissuader l'Iran de poursuivre son programme nucléaire ont, dit-elle, *« cassé notre dos »*, une expression persane chaîne depuis les petits contrats. Son salaire n'étant plus suffisant et l'inflation atteignant 40 %, tous les membres de la famille ont mis un terme à leurs achats superflus et à leurs sorties. Autrefois, ils louaient, pendant une petite semaine, une villa au bord de la mer Caspienne, mais ne peuvent plus se permettre ce luxe.

Effets désastreux

Pour *« boucher les trous »*, explique Zahra, toute la famille s'est mobilisée. La fille de la famille, Mariam, 30 ans, a multiplié les cours d'anglais qu'elle dispensait dans un institut privé, avant de quitter l'Iran pour étudier en Italie. Le benjamin, Amir, a commencé à travailler dès ses 19 ans. D'abord garçon dans un café à Téhéran, il monte aujourd'hui des vidéoclips de chanteurs autorisés en Iran et des annonces publicitaires, tout en étudiant la métallurgie dans une université privée.

Depuis 2012, la mère est devenue traiteur à domicile. Elle n'avait jamais travaillé hors de la maison. *« Je me demandais ce que je pouvais faire pour aider. C'est ainsi que l'idée m'est venue »*, dit-elle en montrant, dans sa modeste cuisine, une belle brioche blabla, produite en Iran, deux fois plus chère et d'une qualité bien moindre. *« La machine en question est restée en panne pendant six mois et nos frais ont doublé. »*

Mariam, la fille de Zahra, a subi, elle aussi, l'effet désastreux des sanctions. Etudiante brillante en design industriel à l'université d'Amir-Kabir de Téhéran, Mariam a obtenu une bourse de l'Ecole polytechnique de Milan, où elle vit depuis septembre 2012. Or, peu de temps après son arrivée en Italie, les transactions financières entre les banques iraniennes et leurs homologues américaines ou européennes ont été interdites. *« Je ne peux même pas lui envoyer directement 50 euros si elle en a besoin »*, regrette Zahra.

Zahra a été obligée de faire jouer son réseau familial et son cercle de connaissances pour lui faire

> **« Ici, tout le monde se ment et personne ne fait confiance à l'autre »**
> MORTEZA
> un Téhéranais de 48 ans

passer de l'argent. De surcroît, chaque fois que la jeune Mariam reçoit de l'argent d'une personne d'origine iranienne vivant en Occident, elle doit donner des explications à sa banque italienne. Une prudence des banques européennes et américaines accrue depuis la lourde amende infligée à BNP Paribas par les autorités américaines, à l'été 2014, pour avoir organisé des transactions avec des pays sous embargo, dont l'Iran.

« Les sanctions sont comme un cancer qui a métastasé. Chaque cellule de notre corps en a été touchée », explique Morteza. A écouter cet Iranien de 48 ans, les dégâts ne s'arrêtent pas là. *« Les sanctions ont joué avec la psychologie des gens. Cette instabilité dans la société, cette mentalité consistant à profiter des autres à tout prix n'ont fait que dégrader les relations entre les uns et les autres, explique-t-il. Ici, tout le monde se ment et personne ne fait confiance à l'autre. »*

« L'isolement n'est pas la solution »

En juin 2013, la famille de Zahra, comme la quasi-totalité des classes moyennes urbaines, a voté en bloc pour l'actuel président modéré Hassan Rohani, qui avait

Les opposants à un compromis avec l'Occident se r

LA SECTION RÉSERVÉE AUX FEMMES de l'immense complexe de Mosala, situé au nord-est de Téhéran, se remplit, ce vendredi 3 juillet, à mesure que des Iraniennes arrivent pour assister à la prière hebdomadaire du vendredi. Kokab s'assoit sur la

trent M. Zarif et son homologue américain, John Kerry, en train de sympathiser.

Quelques mètres plus loin, Mina, une enseignante à la retraite, s'inquiète que *« l'honneur »* et *« l'indépendance »* de l'Iran ne soient ternis par ces pourparlers. *« Nous*

autorisé
iraniens.
négociati
Lors de
modéré,
gné. *« Il n'*

37% 22:52
Europresse.com
nouveau.europresse.com
PAGES
EUROPRESSE.COM
Le Monde
Les Iraniens espèrent un accord sur le nucléaire pour lever les sanctions
L'emprise de Vincent Bolloré sur Canal+
Solar Impulse, l'exploit Pacifique
SNCF
LES FAILLES DU RÉSEAU DÉNONCÉES, DEUX ANS APRÈS LA CATASTROPHE DE BRÉTIGNY
GESTATION POUR AUTRUI
LA COUR DE CASSATION VALIDE L'INSCRIPTION À L'ÉTAT CIVIL DES ENFANTS NÉS À L'ÉTRANGER
CULTURE
DÉPLOYER LE FESTIVAL D'AVIGNON HORS DES REMPARTS
L'HISTOIRE DU JOUR
Monsieur Assange, la France ne peut pas donner suite à votre demande
M. HOLLANDE A DÉCOUVERT LA REQUÊTE DU COFONDATEUR DE WIKILEAKS DEPUIS L'ANGOLA
Le Monde // HISTOIRE
GORBATCHEV
LES GRANDS HOMMES DU XXe SIÈCLE PAR LES GRANDES SIGNATURES DU MONDE

Le Monde
SAMEDI 13 JUIN 2015

DÉBATS | 15

Le régime saoudien entend réguler les tensions au Proche-Orient et compte sur le soutien occidental pour parvenir à ses fins. Agit-il en puissance stabilisatrice ou en Etat qui attise les conflits dans la région ?

L'Arabie saoudite, allié infréquentable ?

Une monarchie qui alimente le djihadisme international

Malgré une propagande échevelée soutenue par les immenses revenus du pétrole, Riyad est en réalité et depuis longtemps l'un des principaux facteurs de déstabilisation du Moyen-Orient et le premier soutien du fondamentalisme musulman

PAR PIERRE CONESA

On peut rire des imams saoudiens pour qui la Terre est plate (grand mufti Abd Al-Aziz Ibn Baz) ; qu'elle ne tourne pas autour du soleil (cheikh Al-Bandar Khaibari) ; des effets de la Muslim World League pour faire reconnaître le créationnisme version coranique ; rappeler les premières destructions archéologiques, dont le fameux cimetière Al Baqi des compagnons du Prophète (cheikh Mohamed Al-Tayeb) lors de la prise de La Mecque ; ou s'étonner que les juges ne soient pas tenus d'enregistrer le témoignage de non-musulmans. La liste des inepties saoudiennes, aussi longue que les interdits concernant les femmes, occuperait un double annuaire téléphonique.

On rit moins de la condamnation de Raif Badawi à dix ans de prison et 1 000 coups de fouet (heureusement pas puisqu'il mourra certainement avant la fin des mille coups de fouet auxquels il est également condamné). Si encore ces règles n'étaient applicables que sur le territoire ! Mais le salafisme auquel la France est confrontée est un produit d'exportation du wahhabisme saoudien, exemple de stratégie d'influence rarement analysée par notre réseau diplomatique. Depuis quelques décennies, la diplomatie religieuse est devenue plus active que la diplomatie de la laïcité et de la tolérance, et l'Arabie saoudite, pays allié et bon client, à qui le boom pétrolier fournit en trois jours ce que le pays gagnait en un an avant 1973, y a joué un rôle particulièrement actif.

PROPAGANDE

Les dépenses pour « cause religieuse » à l'étranger tournent en moyenne autour de 2 à 3 milliards de livres engagées par an depuis 1955 (équivalent de 27 à 41 milliards d'euros, soit deux à trois fois plus que le budget de la propagande soviétique). Chaque année, plusieurs milliers d'étudiants musulmans sont accueillis dans les universités religieuses du royaume qui exporte imams, livres, media, bourses, écoles, centres islamiques, madrasas... Plus de 1 500 mosquées ont été financées en cinquante ans, en Europe, en Afrique subsaharienne, en Asie et même en Russie. L'argent sert également à ouvrir des campus satellites autour des grands lieux de la théologie musulmane comme l'université Al-Azhar, la plus vieille et la plus influente.

Une étude des manuels wahhabites trouvés dans les mosquées, réalisée par l'ONG américaine Freedom House, aux Etats-Unis, relève des énoncés comme : « Les musulmans ne doivent pas seulement s'opposer aux infidèles, mais aussi les haïr et les combattre » ou « les démocraties sont responsables de toutes les guerres en association avec les chiites ». Un rapport britannique de même nature, du Office for Standards in Education Children's Services and Skills, constatait les mêmes dérives en 2014 outre-Manche. L'association des leaders musulmans américains a donc rédigé le traditionnel communiqué appelant à « ne pas stigmatiser » et à convaincre par la discussion. Mais est-ce possible dans un pays où la nouvelle loi antiterroriste, promulguée en 2014, qualifie les athées et les manifestants pacifiques de « terroristes » ?

APOCALYPSE

L'apostasie comme le blasphème y sont passibles de la peine capitale. Mais certaines interrogations sont plus préoccupantes. D'abord, pourquoi ce pays phare de l'islam n'accueille-t-il aucun réfugié des guerres en Syrie et en Irak et, bien au contraire, construit un mur long de 800 kilomètres, plus long que le mur israélien, pour empêcher des entrées de réfugiés clandestins sur son territoire ? Payer oui, accueillir des exilés non ! Solidarité bien ordonnée... L'expulsion forcée de réfugiés est d'ailleurs un mode d'action fréquent à Riyad, comme par exemple à l'encontre des Somaliens.

Et le djihadisme ? Cette nouvelle version islamique de la lutte anti-impérialiste a supplanté en une trentaine d'années le tiers-mondisme des années 1960 et 1970 avec les mêmes arguments : légitimation de la violence par dénonciation de l'impérialisme et du capitalisme occidental, solidarité internationale, promesse d'une société égalitaire et juste ; et enfin dénonciation des partis réformateurs (les Frères musulmans et des révisionnistes (les mauvais musulmans). Durant la guerre soviétique en Afghanistan, entre 1982 et 1988, près de 25 000 des 25 000 combattants étrangers auraient été saoudiens. Le prince Turki, qui finançait 75 % de l'aide aux combattants antisoviétiques, imposa au Pakistan du maréchal Zia des madrasas hanbalites (salafistes) d'où sortiront, dix ans plus tard, les talibans (étudiants en religion) que personne ne VEUT arrêter.

Dans les années 1980, une quarantaine de groupes terroristes s'entraînaient dans les camps palestiniens de l'OLP. Aujourd'hui, près de cent nationalités sont présentes en Syrie dont plus de 2 500 Saoudiens. Les réseaux salafistes y ont développé depuis peu les techniques de recrutement des sectes de l'apocalypse en annonçant la fin du monde imminente et le retour du Messie. Si Riyad dépense si peu d'avions contre Daech (autant que les forces danoises et belges réunies) seulement et deux fois moins que le Français et le double contre l'insurrection houthiste au Yémen, c'est que le véritable ennemi du wahhabisme est le chiisme. En revanche, les sympathies intérieures à l'égard du salafisme djihadiste sont patentes, et une action militaire trop agressive contre l'EI serait mal comprise à l'intérieur, voire déstabilisatrice. L'immense richesse de l'Arabie saoudite suffit-elle à en faire un allié ? Si oui, contre qui ? La France va-t-elle voter en faveur de la candidature de Riyad à la Commission des droits de l'homme de l'ONU ? ■

¶

Pierre Conesa est spécialiste des questions stratégiques internationales. Il est l'auteur de l'étude « Quelle politique de contre-radicalisation en France ? », téléchargeable sur l'Ifrt.org

Tirons les leçons de l'échec de l'option militaire au Yémen

Il n'y a rien à attendre de la conférence sur le Yémen qui s'ouvre le 14 juin à Genève si les Occidentaux continuent de soutenir la logique intransigeante des Saoudiens

PAR LAURENT BONNEFOY

Le 14 juin doivent s'ouvrir à Genève, sous l'égide de l'ONU, des discussions entre les belligérants d'une guerre qui personne n'est en train de gagner. Cette conférence pourrait amorcer un long processus de pacification et réclamera une implication des acteurs internationaux. Celle-ci ne pourra alors se limiter à un suivisme aveugle de la politique saoudienne.

Il y a deux mois et demi, la coalition emmenée par l'Arabie saoudite débutait son offensive au Yémen. L'opération « Tempête décisive » avait pour objectif affiché de rétablir le pouvoir du président Abd Rabo Mansour Hadi. Chassé et aussi été poussé vers la sortie en janvier par la rébellion houthiste et avait trouvé refuge à Riyad. Il espérait mettre les houthistes à genoux, tout en écrasant leurs soutiens militaires liés aux réseaux de l'ancien président Ali Abdallah Saleh.

L'attaque saoudienne s'est révélée bien peu « décisive ». La pertinence d'une intervention armée pouvait déjà en elle-même être considérée comme discutable, mais elle s'appuyait sur une vision stratégique tangible. De fait, les avancées houthistes généraient du rejet de la part de très larges segments de la population yéménite et constituaient une impasse isolationniste. Qui pouvait accepter de voir à la tête d'un pays aussi dépendant que le Yémen une rébellion dont le slogan principal est « Mort à l'Amérique » ? L'Iran avait certes choisi de soutenir les miliciens « médites-chiites » dans le pré carré yéménite des Saoudiens mais l'effet a finalement lâché son allié houthiste. Il n'a en tout état de cause pas fait de l'offensive saoudienne un cinus belli et se tient en retrait en dépit d'un discours offensif.

FRAPPES AÉRIENNES SUR ADEN

Malgré tout, l'inefficacité de « Tempête décisive » est patente. Les frappes aériennes deviennent permettre de « sauver » Aden, la deuxième ville du pays, vers laquelle les houthistes avançaient mi-mars. Les bombardements saoudiens ont participé à sa destruction. La ville portuaire reste l'objet d'âpres combats et les soldats de la coalition n'ont toujours pas pu y poser un pied. Père, la capacité de projection des houthistes affecte maintenant les villes saoudiennes. Alors que les armes lourdes étaient censées avoir été détruites, début juin, trois missiles Scud étaient tirés vers le nord, explosant au-delà de la frontière. En dépit d'une communication efficace et du contrôle exercé sur les chaînes d'information, l'échec de la stratégie yéménite portée par le roi Salman et son fils Mohamed Ben Salman, jeune ministre de la défense, risque d'apparaître au grand jour. Leur position pourrait s'en trouver fragilisée, dans un contexte de concurrence au sein de la famille royale.

Par ailleurs, les pays membres de la coalition n'apportent qu'un soutien timide à « Tempête décisive ». De fait, la manne pétrolière ne peut pas tout ! Aucune armée ne semble prête à jouer les supplétifs des Saoudiens en intervenant au sol. Les Egyptiens gardent un très mauvais souvenir de leur intervention au Yémen entre 1962 et 1967. Le Parlement pakistanais a même voté début avril pour son retrait de la coalition. Et ce ne sont pas les 2 100 soldats sénégalais promis mais toujours attendus qui viendront efficacement changer la donne sur le terrain.

Dans ce cadre, la stratégie aérienne se révèle bien inefficace pour rétablir le pouvoir de Hadi. En revanche, elle tue des civils par centaines, détruit des infrastructures ainsi qu'un patrimoine culturel et archéologique unique au monde. La vieille ville de Sanaa, joyau classé par l'Unesco, le mythique barrage de Mareb, au cœur du royaume antique de Saba, ont été touchés par les bombardements. Le blocus maritime et aérien imposé par les Saoudiens plonge le pays dans la famine. Les groupes djihadistes sunnites, Al-Qaida mais aussi l'Etat islamique qui émerge, voient leur logique sectaire anti-chiite légitimée par l'offensive saoudienne. Ils bénéficient en même temps du chaos ambiant et de l'affaiblissement militaire des houthistes qui les combattaient avec ardeur depuis de nombreux mois.

La communauté internationale est pendue à au dossier yéménite. Elle soutient sans nuance la stratégie saoudienne et apporte même une aide logistique à la coalition. En avril, le Conseil de sécurité de l'ONU a voté à l'unanimité (moins l'abstention russe) la résolution 2216 qui demande aux seuls houthistes de rendre les armes et les considère donc comme uniques responsables du conflit. La résolution échoue ainsi à prendre en compte les racines de la détérioration de la situation et l'ampleur du ressentiment de la population à l'égard des Saoudiens mais aussi du pouvoir de Hadi, dit « légitime ».

Dans ce contexte, qu'attendre de la conférence de Genève que Hadi a lui-même refusé de qualifier de « négociations » ? Sans doute pas grand-chose si les puissances et l'ONU continuent de suivre la logique intransigeante des Saoudiens et de Hadi. A priori, ce dernier ne se rendra pas à Genève, tout comme son premier ministre, Khaled Bahah, un temps pourtant perçu comme l'homme providentiel. Avec l'approche du ramadan qui débute le 28 juin, un cessez-le-feu pourrait toutefois être obtenu. Il ne réglerait rien sur le long terme mais offrirait du répit aux civils, comme aux acteurs humanitaires. Il permettrait aussi à la coalition de sortir la tête haute de ce qui devient une impasse stratégique, en offrant du temps pour les négociations.

Le pari d'une solution militaire et d'un retour au pouvoir de Hadi a fait perdre du temps. Mettons en avant des alternatives, élaborées notamment par la diplomatie omanaise, et faisons pression sur toutes les parties en conflit de façon équilibrée. Genève pourrait alors inaugurer une phase de reconstruction, qui sera longue et difficile. L'Union européenne, Allemagne en tête du fait de sa diplomatie au Yémen, a là une carte à jouer. Cette dernière, qui devrait aussi impliquer la France, exige certes un peu de compétence mais surtout le courage de faire de la stabilité une priorité, même si celle-ci est au prix de quelques contrats d'armement payés en pétrodollars. ■

¶

Laurent Bonnefoy est chercheur CNRS au CERI (Sciences Po et membre du projet ANR Yemen Authoritarianism Fails in the Arab World (YAAFAW)

LE GRAND RENDEZ-VOUS
Europe 1 Le Monde
DIMANCHE À 10H
MARION MARÉCHAL-LE PEN
EN DIRECT SUR EUROPE 1 ET i>TÉLÉ
interviewée par
Jean-Pierre Elkabbach, Arnaud Leparmentier et Michaël Darmon

37% 22:47
Europresse.com
nouveau.europresse.con
PAGES EUROPRESSE.COM

venir entrepreneurs. Mais il n'y a pas d'investisseurs, se désole N. Ghorayshi-Ardeh, qui chapeaute la communauté d'entreprises high-tech en Iran et organise des formations dans différentes villes du pays. *Le marché en Iran est inexploité alors qu'il détient un grand potentiel pour les investisseurs étrangers.* »

Les sanctions internationales rendent difficiles, voire impossibles, les transactions financières. « *Nous avons un défi pour ces entreprises, mais je pense que, si les sanctions sont levées, cela deviendra enfin possible* », explique Mehdi Jafari, le directeur général d'une entreprise spécialisée dans la gestion d'eau.

La fuite des cerveaux constitue aussi un défi pour ces entreprises. Chaque année, entre 150 000 et 200 000 spécialistes iraniens diplômés des universités nationales sont très brillants et bien formés, explique Mehrzad Michael Khoi, qui a monté il y a huit mois sa propre société dans le domaine de l'Internet entre Téhéran et Lausanne. *Mais j'ai préféré n'employer que des Suisses pour les postes concernant la technologie de l'information, car je ne suis pas sûr que mes employés iraniens ne partiront pas d'Iran au bout de quelques mois.* »

Le gouvernement du président modéré Hassan Rohani, arrivé au pouvoir en août 2013, semble avoir compris l'importance des entreprises high-tech en Iran. Quelques mesures ont ainsi été prises par l'Etat dont l'exonération d'impôt sur le revenu pour des entreprises qui travaillent dans le domaine des sciences et l'attribution à ces sociétés de prêts à des taux privilégiés. Les démarches administratives ont aussi été simplifiées.

L'Etat iranien exonère d'impôt sur le revenu les entreprises qui travaillent dans le domaine des sciences

« *C'est vrai que l'approche du président Rohani dans ce secteur est plus raisonnable*, explique Yahya Tabesh, l'un des fondateurs d'iBridges et l'un des pionniers d'Internet en Iran. *Mais nous voulons surtout que ce secteur devienne indépendant de l'Etat.* » ■

GHAZAL GOLSHIRI

Les négociations sur le nucléaire à Genève auraient été espionnées

La session de mars des négociations sur le nucléaire iranien, qui s'est tenue en Suisse, aurait été espionnée par un Etat étranger. C'est en tout cas ce que soupçonne le ministère public de la Confédération helvétique, qui a ouvert jeudi 11 juin, à Berne, une enquête pénale pour « *soupçon de services de renseignements politiques prohibés* ». L'Autriche, qui a également abrité ces discussions, a elle aussi porté plainte. Ces annonces font écho aux déclarations de l'entreprise Kaspersky Lab, une société de sécurité informatique basée en Russie, qui a la première décelé et rendu publiques des cyberattaques contre elle et dans trois des hôtels qui ont hébergé les pourparlers sur le nucléaire iranien, en mars.

En Algérie, Ali Benflis lance son propre parti

Ancien premier ministre d'Abdelaziz Bouteflika, le candidat malheureux à la présidentielle de 2014 dénonce la « vacance du pouvoir » et la « crise du régime »

En avril 2014, il avait été le candidat malheureux à l'élection présidentielle face à Abdelaziz Bouteflika (12,8 % des voix), dénonçant des fraudes et un scrutin joué d'avance. Un an plus tard, Ali Benflis, l'un des chefs de file de l'opposition en Algérie, s'apprête à lancer sa propre formation politique, Talaiou El-Houriyet (« l'avant-garde des libertés »), dont se tiendra les 13 et 14 juin le premier congrès, dans la capitale algérienne. « *C'est une réponse à l'engouement qui s'est manifesté lors de la présidentielle d'avril 2014, où des millions de gens ont voté pour moi. J'ai décidé de créer un parti pour que l'action politique puisse se poursuivre* », souligne-t-il à la veille de l'événement.

A 70 ans, l'homme, issu du sérail – il a été ministre de la justice, directeur de campagne de M. Bouteflika en 1999 puis premier ministre de 2000 à 2003 et secrétaire général du Front de libération nationale (FLN), le parti au pouvoir depuis l'indépendance –, se présente aujourd'hui comme l'un des principaux contempteurs du pouvoir algérien. « *Notre objectif*, avance-t-il, *est de porter un programme capable de réformer le pays : par un retour au pouvoir du peuple, une transition démocratique négociée et une modernisation du système politique sur la base d'une nouvelle Constitution.* »

Dans un pays confronté depuis un an à une chute vertigineuse des cours du pétrole, l'opposant ne cesse de fustiger ce qu'il considère comme les effets de la politique économique menée par le régime : des dépenses publiques élevées, une évasion fiscale aux proportions alarmantes, une corruption généralisée mais aussi « *ces rentes de situation que le pouvoir en place a multipliées ces dernières années au profit des diverses clientèles et groupes d'intérêt qui gravitent dans son orbite* ». « *On n'a fait que dépenser, sans penser à construire une économie alternative qui soit productive et performante* », estime M. Benflis. « *Sur les dix dernières années, trois plans de relance ont été adoptés, représentant des centaines de milliards de dollars, sans que la nature rentière de notre économie ait changé d'un iota* », poursuit le dirigeant, pour qui « *le pays va au-devant de sérieuses difficultés s'il n'y a pas un changement de vision dans la gestion économique et politique* ».

Alors que l'état de santé du président algérien, victime d'un AVC en 2013, alimente toutes les spéculations, M. Benflis dénonce, à l'image du reste de l'opposition, une « *incontestable vacance du pouvoir* ». « *Notre Etat n'est plus incarné, ni à l'intérieur, ni à l'extérieur*, juge-t-il. *La dernière adresse présidentielle au peuple algérien remonte à mai 2012. On ne sait plus qui décide. Il y a en Algérie une véritable crise de régime.* »

Courrier « gravissime »

Sa dernière sortie, virulente, date du 9 juin. Il réagissait à la lettre de félicitations adressée par le puissant chef d'état-major de l'armée, Ahmed Gaïd-Salah, au secrétaire général du FLN, Amar Saadani, après sa reconduction controversée à la tête du parti. La démarche a provoqué de vifs remous dans le pays où l'armée s'est officiellement engagée en 1989 à ne pas interférer dans les affaires politiques – même si elle reste un acteur-clé, notamment dans le choix du chef de l'Etat. Dans un communiqué, Ali Benflis a dénoncé « *le caractère gravissime et absolument inédit* » de ce courrier, « *de nature à perturber tant la cohésion de* [leurs] *forces armées que celle de la nation elle-même* ».

« Notre Etat n'est plus incarné, ni à l'intérieur ni à l'extérieur. On ne sait plus qui décide »

ALI BENFLIS

Pour l'opposant, « *seul un retour à la légitimité par des élections incontestables peut donner à l'Algérie une réelle stabilité* ». Il demande pour cela la mise en place d'une instance indépendante chargée d'organiser le scrutin. « *C'est la première fois depuis l'indépendance que l'opposition se réunit pour se mettre d'accord sur un même constat : la vacance du pouvoir, la crise du régime et le fait que la solution réside dans un retour aux urnes* », explique M. Benflis, en référence à l'ICSO, une instance élargie de concertation entre partis d'opposition.

A ses détracteurs qui lui opposent le fait qu'il ait longtemps été un homme du système, le chef de « L'Avant-garde des libertés » objecte qu'il l'a définitivement quitté depuis 2003. En 2004 déjà, il s'était présenté contre M. Bouteflika lors de l'élection présidentielle, ne recueillant alors que 6,4 % des suffrages, contre 85 % pour son adversaire. Et se verrait bien aujourd'hui en homme de la transition. ■

CHARLOTTE BOZONNET

36% 22:41
Europresse.com
nouveau.europresse.com
PAGES EUROPRESSE.COM

Le Monde
SAMEDI 23 MAI 2015

La difficile réadaptation des captives de Boko Haram

Plus de 270 femmes et enfants ont été aux mains du groupe djihadiste pendant plusieurs mois

Des femmes et des enfants libérés par l'armée nigériane attendent dans le camp de réfugiés de Yola, le 4 mai. SUNDAY ALAMBA/AP

YOLA (NIGERIA) – envoyée spéciale

Ces femmes, dont le regard était voilé par la tristesse et la résignation lorsqu'elles sont arrivées à Yola, début mai, retrouvent progressivement le sourire. C'est dans cette ville de l'est du Nigeria, près de la frontière avec le Cameroun, que l'armée nigériane les a déposées après les avoir sorties de la forêt de Sambisa, environ 300 kilomètres plus au nord, où les combattants de Boko Haram les gardaient captives depuis des mois. Soixante-dix femmes et plus de 200 enfants hagards, recroquevillés ou le ventre gonflé par la malnutrition ont échoué dans ce camp abritant des centaines de personnes qui ont fui leurs villages attaqués par les islamistes.

Fatima, elle, n'a pas pu quitter à temps sa maison près de Maiduguri quand les hommes au drapeau noir ont commencé à tirer à tout-va sur leur passage en décembre 2014. Elle est alors laissée prisonnière avec sa fille de 3 ans et demi. « *On est passés par plusieurs villes avant d'arriver dans la forêt*, raconte-t-elle. *En plus de ma fille, je devais m'occuper de sept enfants originaires de mon quartier, séparés de leurs parents quand on a été enlevés. Ce n'était pas facile, parce qu'on n'avait pas assez de nourriture, souvent je ne mangeais pas, les enfants étaient ma priorité.* »

Séparées en petits groupes, les captives tentent d'organiser leur survie, tout en essayant de garder la force de résister aux assauts des combattants de Boko Haram. « *On était souvent fouettées si on se trompait de direction en marchant, ou si on mettait trop de temps à ajuster notre voile*, explique-t-elle sur un ton presque mécanique. *On jeûnait constamment parce qu'on ignorait si on serait libérées un jour. Certaines de celles qui refusaient de se marier avec eux avaient baissé les bras, elles croyaient qu'elles seraient tuées. On ne pensait pas s'en sortir.* »

Violences sexuelles

Difficile d'évoquer les violences sexuelles dont une grande partie de ces femmes ont été victimes dans la forêt ; la question paraît si déplacée. Alors, on ne prononce jamais le mot « viol », et c'est tout juste si, en parlant de « mariage », Fatima affirme n'avoir jamais résisté à l'union qu'on cherchait à imposer les combattants à plusieurs de ces femmes : une secte de conversion à l'islam de Boko Haram, même pour celles qui sont déjà musulmanes. Une manière pour ces hommes de consommer l'acte sexuel en conformité avec leurs principes religieux, en faisant mine d'oublier les coups, humiliations, menaces parce qu'elles oseraient refuser.

Fatima, qui ne quitte jamais son immense voile beige à carreaux rouges et bleus, est l'une des rares à ne pas fuir les questions des journalistes. « *J'ai appris que mon mari était vivant, j'espère qu'il va me voir à la télévision ou sur les photos et qu'il viendra me chercher* », affirme la jeune femme de 27 ans d'une voix soudain joyeuse.

Mais le chemin du retour sera long pour un grand nombre d'entre elles, encore traumatisées. Elles suivent des thérapies de groupe pour commencer à se reconstruire, même si les tabous sont encore très forts. « *Il y a une dame qui a voulu parler de violences sexuelles dont elle avait été victime, mais subitement, une femme a coupé court et a dit de ne rien*, regrette Christian Mazuley Saturn, qui coordonne la prise en charge psychosociale au Fonds des Nations unies pour la population. *Elle lui disait : "Vous savez que votre mari pourrait écouter cela et ça pourrait avoir des conséquences sur votre mariage".* »

« J'espère que mon mari va me voir à la télévision et qu'il viendra me chercher »
FATIMA
ex-captive de Boko Haram

Ces femmes qui ont été coupées de tout, certaines pendant plus d'un an, doivent aussi réapprendre à vivre. Les autorités nigérianes ont mis du temps à le comprendre, prenant une semaine pour leur confectionner des vêtements et leur donner l'essentiel : du savon, du lait en poudre, des couches et des bâtons, alors que la plupart des bébés sont sous-alimentés. Quand elles reçoivent ces produits de première nécessité, le visage de ces mamans s'illumine : non seulement elles possèdent enfin quelque chose, mais elles vont pouvoir aider leurs enfants, elles qui ne supportaient plus leur impuissance à la vue de leurs corps chétifs.

Restent celles qui sont enceintes, une trentaine selon un travailleur social qui refuse d'être cité. Les chiffres les plus farfelus circulent sur le sujet, faute d'évaluation officielle. Terriblement mal à l'aise, elles tentent de cacher cette grossesse sous leurs larges voiles. Quelques-unes portaient pourtant déjà leur enfant avant leur enlèvement, mais elles ne pourront pas échapper à la stigmatisation par leur communauté.

Beaucoup de ces captives viennent de Mubi, à 200 kilomètres de là, plus au nord, une ville occupée pendant des semaines par Boko Haram fin 2014 avant d'être reprise par l'armée. Près des trois quarts des habitants sont revenus, mais il sera difficile pour ces femmes de rejoindre leur famille. « *On sait qu'elles ont vécu des choses très dures, mais ça nous fait peur, parce que leurs enfants pourraient devenir de mauvais œufs pour la nation*, raconte Petrus, qui dirige avec d'autres hommes de Mubi à l'ombre d'un manguier. *On ne sait pas ce qu'est dans leur tête, alors on préfère que le gouvernement les garde en observation pour l'instant.* » Jeudi 21 mai, l'armée nigériane a annoncé que les femmes et les enfants de Yola ont été déplacés vers une destination inconnue pour y suivre un traitement médical et psychologique. ■

MARLIÈSE GUIDERT

L'HISTOIRE DU JOUR

Quand Mitterrand se préparait à attaquer Kadhafi

Le porte-avions français est prêt à appareiller, pour aller se camper devant le port de Tripoli avec ses missiles. Une frégate l'accompagne, ainsi que deux sous-marins, l'un nucléaire, l'autre classique. Objectif : Mouammar Kadhafi. Nous ne sommes pas en mars 2011, quand la France intervient pour empêcher le régime de raser la ville rebelle de Benghazi, mais… en septembre 1984.

L'existence de l'opération militaire secrète, nommée « Mirmillon », a été révélée jeudi 21 mai, à Paris, par l'amiral Jacques Lanxade. Ce marin, qui fut chef d'état-major particulier du président de la République entre 1989 et 1991, puis chef d'état-major des armées jusqu'en 1995, intervenait dans le cadre d'un poissonnant colloque réuni à l'école militaire sur le thème : « François Mitterrand et la défense ».

Pas tranquille

Pendant deux jours, sous la houlette de l'ex-ministre des affaires étrangères Hubert Védrine et de l'actuel ministre de la défense, Jean-Yves Le Drian, la garde rapprochée du président socialiste a témoigné de l'importance que ce dernier aura accordée à l'outil militaire. Le chef de l'Etat, en deux septennats, a lancé plus d'opérations extérieures qu'aucun autre durant la Ve République : près d'une trentaine.

En cette rentrée 1984, les troupes françaises doivent quitter le nord du Tchad, où elles ont combattu les soldats de Kadhafi, dans le cadre de l'opération « Manta ». Un accord a prévu qu'elles se replient vers le sud – les Français, depuis, n'ont pas quitté N'Djamena –, tandis que les Libyens réintègrent leurs frontières. La bande d'Aouzou, disputée par Kadhafi à la frontière tchadienne, devait devenir un cordon étanche.

A Paris, on n'est pas tranquille. Les Américains, avec leurs satellites, confirment : le Guide libyen ne tient pas ses engagements. A l'époque, l'amiral Lanxade commande la zone Méditerranée et planifie l'opération « *en cas d'action de Kadhafi contre les forces françaises*, qu'[il a craint] *dans une situation de vulnérabilité* ». Les plans sont si secrets « *que même le préfet maritime de l'Atlantique les a ignorés* ». Les rageurs de combat étaient prêts à détruire les vedettes du Guide dans le port de Tripoli, les avions à bombarder les pistes de Mararta, d'où décollaient les MIG libyens.

« MÊME LE PRÉFET MARITIME DE L'ATLANTIQUE A IGNORÉ [LES PLANS SECRETS] »
JACQUES LANXADE
amiral de la marine

Le plus étonnant est ailleurs : « Mirmillon » a duré environ un mois. Un mois durant lequel, sans Internet, sans réseaux sociaux, « *la presse n'a rien su* », rien vu, du mouvement des bateaux devant les côtes libyennes. C'était en 1984. C'était au siècle dernier. ■

NATHALIE GUIBERT

34% 22:30
Europresse.com
nouveau.europresse.con
PAGES EUROPRESSE.COM

Le Monde
JEUDI 23 AVRIL 2015

L'Arabie saoudite change de stratégie au Yémen

Riyad a annoncé une pause dans sa campagne de bombardements aériens et mise sur l'action diplomatique

RIYADH (RIYAD), NEW YORK (NATIONS UNIES) – correspondants

Après un mois de frappes ininterrompues, l'Arabie saoudite revoit à la baisse son opération militaire au Yémen. Mardi 21 avril, le royaume a annoncé la fin de la première phase, qui avait été baptisée « Tempête décisive », et le début d'une nouvelle, nommée « Restaurer l'espoir ».

Aux vagues de bombardements contre les milices houthistes et les unités de l'armée restées fidèles à l'ex-président Ali Abdallah Saleh, devrait succéder une nouvelle campagne, moins intensive, qui serait centrée, selon Riyad, « *sur la sécurité, le contre-terrorisme et la recherche d'une solution politique* ».

Le porte-parole de la coalition rassemblée par l'Arabie saoudite, le général Ahmed Asseri, a prévenu que celle-ci « *continuera à empêcher les milices de se déployer ou d'entreprendre des opérations à l'intérieur du Yémen* », ce qui sous-entend que des raids aériens pourraient continuer à être menés, de façon plus ponctuelle. « *Après la phase purement militaire, on entre dans une phase politico-militaire* », résume un diplomate occidental en poste à Riyad.

Le camp anti-houthistes s'est empressé de présenter cette annonce comme une victoire. Selon le ministère saoudien de la défense, les frappes de la coalition sont parvenues « *à éliminer les menaces pesant sur la sécurité de l'Arabie saoudite et des pays voisins* ». Depuis Riyad, où il est réfugié, le président yéménite Abd Rabo Mansour Hadi a promis « la victoire (...). *Nous allons bientôt retourner dans notre patrie, à Aden [sud] et à Sanaa [la capitale]* ».

Au titre des accomplissements de « Tempête décisive », le quotidien panarabe Al-Sharq Al-Awsat, propriété de la famille du roi Salman, cite la destruction des rampes de lancement de missiles balistiques et des armes lourdes saisies dans les dépôts de l'armée. Il mentionne aussi le récent ralliement au président Hadi du général Abderrahman Al-Halili, le chef de la région orientale, qui commande 25 000 hommes.

Satisfecit saoudien

Autre signe d'affaiblissement de la rébellion dont Riyad peut se prévaloir : le soutien que le Congrès Populaire général (CPG), le parti de M. Saleh, a accordé à la résolution 2216 adoptée le 14 avril par le Conseil de sécurité de l'ONU, qui somme les houthistes de se retirer des territoires conquis ces derniers mois. « *L'opération a réussi à remplir ses objectifs avec le moins de pertes possible, non seulement dans les zones de l'intérieur, mais également dans la population yéménite* », se félicite Salman Al-Dossary, le directeur de la rédaction d'Al-Sharq Al-Awsat.

Au siège de l'ONU, à New York, le satisfecit saoudien laisse cependant les diplomates perplexes. Lorsque le secrétaire général des Nations Unies, Ban Ki-moon, avait appelé lundi à un *cessez-le-feu immédiat*, le représentant saoudien Abdallah al-Mouallimi avait opposé une fin de non-recevoir. L'ambassadeur avait affirmé vouloir lui aussi « *une fin rapide des hostilités* » mais « *qu'il y aurait des conditions pour y parvenir qui ont été énumérées dans la résolution* ».

Or, contrairement à ce que stipule le texte onusien, les combattants zaïdites, une branche du chiisme, n'ont manifesté aucune intention d'évacuer Sanaa et Taëz, les deux grosses villes sous leur emprise, ni même leurs positions dans la ville d'Aden, théâtre ces dernières semaines de violents combats avec les forces pro-Hadi. Il y a deux jours, Abdel Malek Al-Houthi, le jeune chef de la rébellion, déclarait même « *ne jamais vouloir surrendre* », agitant le spectre d'un conflit interminable. « *Les houthistes sont toujours là où ils étaient avant* », reconnaît une source diplomatique, citée par l'AFP.

Bilan humain très lourd

La volte-face saoudienne semble en partie liée à la crise humanitaire qui ravage le Yémen et que les bombardements menaçaient de porter à un paroxysme. L'ONU s'était récemment alarmé d'un bilan humain très lourd : près d'un millier de morts, plus de trois mille blessés et une situation humanitaire catastrophique avec des populations qui manquent d'eau, de nourriture, de médicaments et d'électricité. Mardi, deux raids de la coalition, contre un pont dans le centre du pays et une base des services de sécurité, dans le Nord, ont fait de sources médicale une quarantaine de morts, en majorité des civils.

Le royaume saoudien, conscient qu'une intervention terrestre risquerait de s'enliser très rapidement, semble désireux de donner une chance à la diplomatie. Trois événements récents poussent dans cette direction. L'abstention de la Russie, lors du vote de la résolution 2216 ; la nomination imminente du mauritanien Ismaël Ould Cheikh Ahmed au poste d'envoyé spécial de l'ONU pour le Yémen, qui pourrait remplacer les Nations unies au centre des négociations, suite à la démission du marocain Jamal Benomar, qui avait perdu la confiance de Riyad ; et surtout, la promotion au poste de vice-président du Yémen de Khaled Bahah, l'actuel premier ministre, âgé de 50 ans.

Originaire de la province de Hadramout, dans l'est du pays, où il garde de nombreux contacts, ancien ambassadeur à l'ONU, M. Bahah est perçu comme un politicien habile et un homme de consensus. Il avait été nommé à la tête du gouvernement en octobre 2014, en pleine crise politique. Après le parachutage, conclu en janvier entre le président Hadi et les houthistes, ceux-ci et le CPG avaient exigé que M. Bahah soit maintenu à son poste. Les rebelles l'avaient peu après assigné à résidence avec le président. M. Hadi avait réussi à fuir vers Aden en février et M. Bahah avait négocié sa libération en mars.

« *Pour nous, c'est une carte importante, car le président Hadi est fatigué, usé, affecté tout comme les membres de sa famille qui ont été maltraités par les houthistes*, confie un diplomate occidental. *Le rôle de Bahah devrait être crucial. Il a vécu dans le cœur de la révolution, votre place. Il a de la hauteur de vue, du caractère et de la détermination. Même pas ici on pense que cela suffise, car la situation est très désespérée.* »

Comme en écho à ce constat, des combats ont éclaté mercredi matin, dans plusieurs villes du sud comme Aden et Taëz, où des combattants houthistes se sont emparés de la base d'une brigade loyaliste. Mardi soir, dans la foulée de l'annonce de l'arrêt des bombardements, des formations pro-Hadi, dans le sud du Yémen, avaient juré de continuer à lutter contre les milices zaïdites. Dans les couloirs de l'ONU, à New York, un diplomate confie son pessimisme face à une situation très volatile : « *Les Saoudiens peuvent arrêter leurs raids aériens, mais continuer à armer des groupes pour combattre les houthistes. Ils ont déjà fait cela par le passé.* »

BENJAMIN BARTHE, MAHIR BOUSSEMAT ET HÉLÈNE SALLON (À PARIS)

Le camp anti-houthistes a présenté cette annonce comme une victoire

Une photo du roi Salman dans les ruines du centre culturel saoudien à Sanaa, bombardé le 20 avril. MOHAMED AL-SAYAGHI/REUTERS

LES DATES

2014

Septembre Les houthistes s'emparent de la capitale Sanaa.

2015

Janvier Les houthistes placent le président Hadi sous résidence surveillée. Il s'enfuit à Aden en février.

25 mars Après une offensive houthiste sur Aden, le président Hadi fuit à Riyad, en Arabie saoudite. Une coalition arabe sous bannière saoudienne lance l'opération « Tempête décisive ».

14 avril Le Conseil de sécurité des Nations unies vote une résolution sous chapitre VII, qui impose aux houthistes un embargo sur les armes, des sanctions ciblées et les appelle à se retirer des zones qu'ils contrôlent.

21 avril Riyad annonce la fin de l'opération « Tempête décisive » et le début de l'opération « Restaurer l'espoir ».

Déploiement naval américain

Les Etats-Unis ont envoyé dix navires militaires, dont le porte-avions *Theodore-Roosevelt* et le navire lance-missiles *Normandy*, dans le golfe d'Aden et la mer de l'océan Indien, « *en réponse à la détérioration de la situation sécuritaire au Yémen* », a annoncé mardi 21 avril Steven Warren, porte-parole du Pentagone. Washington craint ainsi à l'arrivée d'un convoi iranien soupçonné d'apporter des armes aux rebelles houthistes, en violation de l'embargo décrété par les Nations unies. Plusieurs sources américaines ont laissé entendre qu'un contrôle ou une interception des bateaux iraniens relevaient plutôt des pays de la région, au premier rang desquels l'Arabie saoudite et l'Egypte.

Europresse.com
nouveau.europresse.com
PAGES
EUROPRESSE.COM
Le Monde
Terrorisme : un projet d'attentat déjoué fortuitement à Paris
Génocide des Arméniens : la mémoire à vif
Cent ans après le massacre d'un million et demi d'Arméniens, le tabou du génocide perdure en Turquie
La famille Bongo se déchire pour son magot
HOLLANDE DOIT ARBITRER ENTRE SAPIN ET LE DRIAN
ART BRUSSELS
Sam 25 – Lun 27 avril
Vernissage Ven 24 avril
Alea jacta est !
PROF DE GREC
PROF DE LATIN
MANIFESTEZ VOUS !

34% 22:24
Europresse.com
nouveau.europresse.con
PAGES
EUROPRESSE.COM

Le Monde
MERCREDI 18 MARS 2015

A Tikrit, l'Iran en première ligne contre l'EI

Le rôle de Téhéran et des milices chiites déterminera l'avenir de l'Irak

Un religieux chiite bénit des volontaires qui partent combattre l'Etat islamique à Tikrit (Irak), le 15 mars. KHALID MOHAMMED/AP

L'offensive sur Tikrit est à l'arrêt. Le gouvernement irakien a officialisé, lundi 16 mars, la suspension des combats après deux semaines d'opérations qui ont permis aux forces pro-gouvernementales d'encercler ce bastion de l'Etat islamique (EI), à 160 kilomètres au nord-ouest de Bagdad. Après avoir repris les faubourgs de la ville et engagé des combats dans les quartiers nord, sud et ouest, elles se heurtent à la défense mise sur pied par les combattants djihadistes. Quelques centaines seraient retranchés dans le centre autour de l'ancien palais présidentiel de Saddam Hussein.

Le gel des combats vise à « *réduire les pertes dans les rangs de nos forces héroïques (...) et préserver les infrastructures qui n'ont pas été détruites* », a justifié le ministre de l'intérieur, Mohammed Al-Ghabban. Leur avancée est ralentie par les milliers d'engins explosifs disséminés dans les bâtiments et sur les routes, les tireurs embusqués et les kamikazes de l'EI. Si des voix s'élèvent au sein du gouvernement pour réclamer un appui des forces de la coalition, M. Ghabban, issu de l'organisation politique chiite Badr, a assuré : « *Nous contrôlons la situation et nous choisirons le moment opportun pour attaquer l'ennemi et libérer le secteur.* »

Gestion de l'insurrection sunnite

Les combattants de l'organisation Badr et des milices chiites sont en première ligne de la bataille, avec plus de 20 000 volontaires mobilisés au sein des unités de mobilisation populaire (MP), aux côtés d'unités de l'armée et de la police fédérale et de combattants sunnites, entre 5 000 et 6 000 membres. Cette alliance déjà éprouvée pour la libération des provinces de Diyala et de Salaheddine prend à Tikrit une ampleur inédite. Le soutien de l'Iran s'affiche désormais au grand jour, en la personne du général Ghassem Soleimani, le chef de la force d'élite Al-Qods, qui dirige la bataille avec des dizaines de conseillers et 2 000 à 3 000 combattants iraniens, selon un expert.

Pour ces forces, la bataille de Tikrit est symbolique. Le fief haussein de l'ancien président Saddam Hussein est devenu un bastion de l'insurrection sunnite. Certaines tribus sont accusées d'avoir participé au massacre perpétré par l'EI contre 1 700 soldats chiites du camp Speicher, lors de la prise de la ville en juin 2014. Tikrit est aussi un test à grande échelle de leur capacité à mener des batailles autrement plus stratégiques, à Mossoul, le fief de l'EI à 250 kilomètres plus au nord, ou à Falloudja, dans la province de Diyala, sans le soutien des forces de la coalition.

Lorsque le général Martin Dempsey, chef d'état-major interarmées américain, a averti à Bagdad, la semaine dernière, que le retrait des combattants de l'EI hors de Tikrit ressemblait à un piège, cela a été vu par les milices chiites comme une tentative d'intimidation. A l'opposé, le général Abdel-basset Al-Saadi, un des principaux commandants de l'opération, le vice-ministre de la défense, a demandé lundi « *un soutien aérien de nouvelle force susceptible de travailler avec nous contre l'EI* ». Un souhait que ne partagent pas les milices chiites. Vendredi, le chef de l'organisation Badr, Hadi Al-Ameri, a salué le « *soutien inconditionnel de l'Iran* » et critiqué ceux qui « *baisent la main des Américains et réchignent en retour* ».

Craintes d'exactions

L'envoyé spécial du président Barack Obama, le général John Allen, n'a pas commenté ces divergences au sein du camp gouvernemental irakien. L'ouverture des vols à Tikrit, interdite à la coalition internationale, qui ne les soutient que depuis la reprise sur le terrain, la détermination de l'armée irakienne et sa lente restructuration les placent en première ligne de la lutte contre l'EI. Mais leur alignement sur l'Iran et le rôle affirmé de Téhéran sur le terrain renforcent les craintes d'une marginalisation des populations sunnites, pourtant indispensables à la lutte anti-EI. Au sénat américain, le général Dempsey s'est dit inquiet que des exactions puissent être perpétrées dans les zones sunnites après leur « libération ». Ces craintes sont étayées par Human Rights Watch, qui accuse les milices, les forces de sécurité irakiennes et kurdes d'avoir détruit délibérément des biens et brûlé des maisons sunnites à Amerli, libérée en septembre avec le soutien de la coalition.

L'évolution de la bataille de Tikrit pourrait avoir de grandes répercussions militaires et politiques. Une victoire des milices chiites et de leur allié iranien sans l'aide américaine pourrait les conforter dans leur volonté de mener les batailles au cœur du pays sunnite, à Mossoul et dans l'Anbar. « *Aux yeux des Iraniens, la coalition internationale est arrivée plus précocement par la question politique de l'après alors que les Iraniens sont entrés avant. L'Irak est un vaste enjeu stratégique pour l'Iran, qui se projette avec autres ses capacités dans sa zone d'influence* », analyse Hosham Dawood, anthropologue au CNRS.

La mainmise des milices sur le champ de bataille met en péril la légitimité de l'Etat et amplifie la guerre sourde qui se joue au sein du camp chiite. « *Les Iraniens font campés. Ils mettent leurs hommes en première ligne dans la bataille, sachant que la politique sera déterminée par le terrain* », analyse M. Dawood. Coincés entre les forces de la coalition et les milices chiites, populaire mais sans assise politique, le premier ministre Haïder Al-Abadi avance prudemment face à ceux qui, dans son propre camp, convoitent déjà le pouvoir. ■

HÉLÈNE SALLON

Kidal rejette l'accord avec l'Etat malien

Plusieurs groupes touareg estiment que le texte, paraphé le 1er mars à Alger, doit être « amélioré »

BAMAKO (Mali) – *envoyé spécial*

La conclusion d'un accord de paix entre le gouvernement du Mali et les groupes armés qui revendiquent l'autonomie du nord du pays devra encore attendre. Après huit mois de discussions à Alger menées comme une course de fond, le pays hôte, chef de file de la médiation, avait réalisé une accélération finale en produisant un document que seules les autorités de Bamako et les milices alliées avaient accepté de parapher le 1er mars.

Des responsables de l'autre camp, la Coordination des mouvements de l'Azawad (CMA) composée de quatre groupes rebelles touareg et arabes, avaient été tenus de faire de même, selon plusieurs sources, mais accepter un accord excluant toute perspective d'autonomie ou de fédéralisme alors que leur base n'a pas renoncé à son rêve d'indépendance comportait pour eux le risque de se suicider politiquement.

« Bonne base de travail »

L'enjeu fut de demander un « délai raisonnable » afin d'organiser des consultations à Kidal. Les trois jours de prises de parole et de manifestations, où s'affichait sans retenue l'hostilité à l'Etat malien et à tous ceux qui poussent à « *la capitulation* », qui se sont tenus entre le 12 et le 15 mars dans l'épicentre des rébellions qui ont secoué cette région désertique depuis 1963, laissaient peu de place à un apaisement sans conditions.

A leur issue, la CMA n'hésitait pas publiquement de fin de non-recevoir et estimait que « le document (...) constitue une bonne base de travail qui mérite d'être améliorée dans l'intérêt supérieur de la paix ». A sa requête, une équipe de diplomates (ONU, France, Algérie, Union européenne, Union africaine...) est partie pour Kidal, mardi 17 mars, mais avant le voyage, l'un des membres de la délégation estimait que ce n'est point formulé était « *de manière inégale* » et qu'il n'était « *pas question de revenir sur le fond* » d'un document préservant notamment une décentralisation plus poussée et concédant que « *l'Azawad recouvre une réalité socioculturelle, mémorielle et symbolique* ».

« *Nous demandons une reconnaissance de l'Azawad en tant qu'entité politique, juridique et administrative* », résume Ambéry ag-Rhissa, l'une des figures du Mouvement national de libération de l'Azawad (MNLA). *La délimitation géographique de la région reste floue, et l'unité des populations qui la compose a la consistance d'un mirage.* Des milices formées sur des bases ethniques (Touareg Imghad, Arabes, Songhaï, Peul) opposent à toute idée d'autonomie. Le Groupe d'autodéfense touareg Imghad et alliés (Gatia) ainsi qu'une faction du Mouvement arabe de l'Azawad (MAA) poursuivent leurs propres objectifs mais agissent comme les supplétifs de l'armée malienne contre la CMA.

Quelques tirs ont claqué, lundi 16 mars, près d'Anéfis entre groupes ennemis, rappelant l'extrême précarité du cessez-le-feu sur cette route du trafic de cocaïne, de la contrebande de cigarettes et de tout ce qui est interdit.

Pour les dirigeants de la CMA, dont l'unité est fragile, l'équation posée est complexe. S'ils refusent trop longtemps de signer cet accord avec des autorités maliennes envers lesquelles ils n'ont aucune confiance, « *ils seront considérés comme des obstacles à la paix* », souligne un diplomate, insistant sur la possible mise en œuvre de sanctions ciblées (gels des avoirs, interdictions de voyager). S'ils se soumettent à la pression, les risques d'éclatement des mouvements, d'apparition de nouvelles rébellions ou de basculement de leurs combattants vers les groupes de la mouvance djihadiste actifs dans la zone sont réels.

Selon plusieurs sources bien renseignées, les menaces d'Iyad ag-Ghali, le chef d'Ansar Eddine qui a fait allégeance à Al-Qaïda au Maghreb islamique et demeure l'un des personnages-clés de l'Adrar des Ifoghas, expliquent certaines hésitations. La marge est également étroite pour Bilamokoïa, aussitôt après son parapher, a énormément douze pages de réserves à la médiation.

Dans le sud du pays mais aussi dans une partie des populations du Nord, l'animosité envers les rebelles autonomistes est ancrée dans les cœurs et toute concession trop large est fermement rejetée. ■

CYRIL BENSIMON

La délimitation géographique de la région reste floue, et l'unité des populations qui la compose a la consistance d'un mirage

L'HISTOIRE DU JOUR

Au Mexique, la journaliste qui dérange limogée par sa radio

MEXICO – *correspondance*

C'est un attentat contre la liberté d'expression ! », tonnait, lundi 16 mars à Mexico, la journaliste Carmen Aristegui devant les locaux de Radio MVS. La veille, son employeur avait annoncé la rupture du contrat qui le liait à l'animatrice de Noticias MVS, l'émission matinale d'information la plus écoutée du Mexique.

L'affaire remonte au 10 mars. Ce jour-là, Mme Aristegui annonce à l'antenne que son équipe et Radio MVS participent au projet de Mexicoleaks, un site Internet indépendant qui invite les citoyens à dénoncer des affaires de corruption. Le lendemain, la direction de Radio MVS la désavoue : « *L'usage de notre marque [sans autorisation] a trompé le public.* »

Deux journalistes de l'équipe d'investigation de Noticias MVS, Daniel Lizarraga et Irving Huerta, sont licenciés. Ils étaient les auteurs d'une enquête fracassante, publiée en novembre 2014, sur un possible conflit d'intérêts dans l'achat d'une somptueuse demeure, surnommée la « Maison blanche », par l'épouse du président Enrique Peña Nieto. « *Cette bataille est celle de notre droit à informer* », avait réagi Mme Aristegui, en exigeant la réintégration des deux enquêteurs, avant d'être licenciée à son tour.

Mme ARISTEGUI PARTICIPE À UN SITE QUI VISE À DÉNONCER DES AFFAIRES DE CORRUPTION

« *L'entreprise ne peut pas accepter les ultimatums de ses collaborateurs* », a justifié Radio MVS. « *C'est un problème pour exclure des cadres les deux journalistes qui ont révélé l'enquête sur la "Maison blanche"* », a dénoncé la politologue Denise Dresser, dans une tribune intitulée « Le suis Carmen ». Aux côtés d'une centaine d'intellectuels, Mme Dresser a signé une lettre ouverte réclamant la réintégration de Mme Aristegui.

Cette dernière a déjà eu des démêlés avec ses employeurs pour son franc-parler. En février 2011, elle avait été renvoyée de Radio MVS après avoir sommé le président, Felipe Calderon (2006-2012), de répondre à une rumeur sur ses problèmes d'alcoolisme. Une semaine plus tard, face au tollé, la station la réintégrait. Lundi, une manifestation de soutien a rassemblé des centaines d'auditeurs. La protestation enfle sur le Web. La mobilisation sauvera-t-elle, à nouveau, cette figure du journalisme ? ■

FRÉDÉRIC SALIDA

4 | HSBC & LES SWISSLEAKS

Le Monde

Les 1 001 visages des évadés fiscaux

Dans la liste HSBC se côtoient des célébrités, mais aussi des « prête-noms » : des mineurs, des étudiants et des femmes au foyer...

Récupérées par l'administration fiscale en 2009, les bases de données dérobées par Hervé Falciani sont anonymes au premier coup d'œil. Entre secret bancaire et ayants droit dissimulés derrière des sociétés-écrans au Panama et aux îles Vierges britanniques, les clients français pouvaient se sentir protégés. La banque elle-même ne semblait pas plus préoccupée que cela, assurant ces derniers que ces montages fiscaux les rendaient invisibles.

Après plusieurs coups de tamis, les 120 000 lignes du fichier révèlent un peu moins de 3 000 noms français. Adresses en France, indicatifs téléphoniques, numéros de passeport : ces données contiennent de multiples critères pour rattacher de potentiels fraudeurs. Plus de 6 000 personnes physiques et morales sont identifiées par les enquêteurs, mais la moitié seulement des données sont exploitables. Le nombre de 3 000 sera évoqué un dimanche d'août 2009 par Eric Woerth, alors ministre du budget.

Ces clients de la banque genevoise ne sont pas tous des fraudeurs mais une bonne partie le sont. Une infime partie des comptes – 0,2 % selon le rapport parlementaire établi en 2013 par Christian Eckert, alors député (PS) de Meurthe-et-Moselle – sont en effet déclarés au fisc français par les résidents fiscaux français. Selon les calculs des enquêteurs, 5,8 milliards d'euros ont été déposés par des clients français dans des sociétés offshore. Ils se répartissent entre les îles Vierges britanniques à 54 % et le Panama à 34 %.

Cette longue liste cache cependant des situations très différentes, dont seuls les clients ont la clé. Les profils sont variés. Les clients ont en moyenne 60 ans, et plus de la moitié sont nés entre 1935 et 1958. Une vingtaine de mineurs à l'époque de la récupération des fichiers y figurent également, souvent inscrits comme ayants droit.

DEVOIR D'EXEMPLARITÉ

Les mineurs côtoient d'autres ayants droit, étudiants ou femmes au foyer. « profession » la plus présente dans le fichier, et des *« employés HSBC »*. Parmi les autres professions enregistrées par les gestionnaires de fonds, de nombreux commerçants, dirigeants d'entreprise et quelques libéraux. On compte une centaine de médecins et une cinquantaine d'avocats.

Mais ce ne sont pas les noms qui ont attiré en premier l'œil des enquêteurs ou celui du *Monde*. Rapidement, certains profils apparaissent plus susceptibles que d'autres de posséder des avoirs dissimulés. Pour séparer le bon grain de l'ivraie, les enquêteurs ont appliqué toute sorte de critères. Ils ont, par exemple, croisé les noms de la liste avec ceux présents dans les fichiers judiciaires. *« 220 personnes physiques sont connues des différents fichiers d'antécédents judiciaires, et 356 personnes sont liées par le biais d'un compte bancaire HSBC aux 160 personnes précitées »*, notent-ils dans la procédure judiciaire.

La démarche journalistique, elle, ne se substitue pas à celle du juge, du policier ou de l'agent du fisc. Pour autant, l'accès privilégié à ces données, d'ordinaire masquées, révélatrices d'un système de fraude fiscale d'ampleur, nous interdisait de ne pas en faire état. Mais en l'expliquant, le nuançant, le contextualisant. En donnant la parole à chaque personne figurant sur la liste aussi.

Parmi cette liste de 3 000 noms, nous avons privilégié les comptes dont la fraude apparaissait la plus importante, mais aussi ceux dont la fonction ou la notoriété pouvait appeler à un devoir d'exemplarité. Ce sont ces personnes que nous avons contactées systématiquement pour savoir pourquoi leurs noms apparaissaient dans les fichiers.

Certaines personnalités déjà impliquées dans des affaires judiciaires ont aussi retenu notre attention, mettant en lumière les failles du contrôle interne de la banque. Mais les coffres-forts de la finance ne se sont pas tous ouverts. Parmi les titulaires de ces comptes figurent aussi beaucoup d'anonymes. Difficile de dire combien de personnalités cachées derrière l'identité d'un parent sont parvenues à rester dissimulées.

Parmi les titulaires de ces comptes figurent aussi beaucoup d'anonymes. Difficile de dire combien de personnalités cachées derrière l'identité d'un parent sont parvenues à rester dissimulées

Une fois ces clients contactés, il apparaît que les cas sont variés. Que ce soit pour leur travail ou en raison d'un exil fiscal, certains sont domiciliés fiscalement en Suisse, et leur compte est donc tout à fait légal.

Pour les autres, la situation est souvent régularisée, la « cellule de dégrisement » de Bercy ayant fait son œuvre. Le tout dépeint un vaste système de fraude, organisé par la banque elle-même : des 1 001 visages de l'évasion fiscale, le plus important est sans doute celui de la banque HSBC. ■

ALEXANDRE LÉCHENET, ANNE MICHEL ET SIMON PIEL

166 802

euros

Ce chiffre correspond au montant moyen des avoirs dissimulés par les clients français.

Artistes, sportifs, médecins, avocats, chefs d'entreprise...

Le compte en Suisse se révèle être une stratégie financière partagée par les professions les plus rémunératrices

Les professions des Français présents sur la liste HSBC sont d'une grande diversité. Mais une diversité avec plusieurs zéros sur le compte en banque. Point d'ouvriers, d'artisans ou de techniciens de surface. Plutôt des entrepreneurs, des hommes d'affaires, des avocats, des médecins, quelques célébrités, des héritiers et parfois même des personnes mises en cause par la justice française.

Du show-biz au milieu des affaires en passant par le monde de l'art et du sport, le compte en Suisse se révèle une stratégie financière partagée par les professions les plus rémunératrices. Qu'ils aient été déclarés – c'est très rare – ou non lors de leur ouverture, un bon nombre de ces comptes ont été depuis régularisés auprès du fisc français.

300 millions d'euros ont été recouvrés par l'administration française, en quatre ans de travail sur la liste. Comme ce fut le cas en février 2014, lors du précédent article révélant les noms de détenteurs de comptes chez HSBC Genève, *Le Monde* a joint toutes les personnalités citées dans le cadre de ses enquêtes, ou a tenté de le faire, afin de leur permettre de réagir et de livrer leurs explications. Seule une minorité n'a jamais répondu.

Gad Elmaleh est sans doute le nom le plus connu parmi les clients français de la banque. Alors qu'il est apparu ces derniers mois dans une publicité où il regagnait sa banque idéale, l'humoriste disposait entre 2006 et 2007 à Genève, d'un compte sur lequel étaient déposés jusqu'à 80 000 euros. Selon nos informations, M. Elmaleh, qui n'a jamais répondu aux sollicitations du *Monde*, aurait régularisé sa situation auprès du fisc français.

Qu'ils aient été déclarés – c'est très rare – ou non lors de leur ouverture, un bon nombre de ces comptes ont été depuis régularisés auprès du fisc français

Lisa Azuelos, réalisatrice du film *LOL*, figure également sur la liste des clients. Elle assure, par la voix de son attachée de presse, que *« tout est maintenant réglé »*, sans donner plus de précisions. L'artiste Christian Bollaert, qui n'a pas souhaité répondre aux sollicitations du *Monde*, a lui aussi officialisé une régularisation, selon nos informations. Il disposait d'un compte numéroté dans la banque suisse.

La présence de certaines personnes parmi les clients s'explique par un compte reçu en héritage. C'est le cas, par exemple, de Stella, l'épouse du scientifique et écrivain Joël de Rosnay, qui disposait d'un compte à la suite d'un héritage, explique le conseil du couple. Leur situation a été, depuis, régularisée.

Le chanteur Philippe Lavil était dans la même situation. *« Ça date de très longtemps, explique-t-il, je n'ai jamais créé de compte à l'étranger. Il n'y a pas eu de moi part un désir de m'évader fiscalement, je n'en ai d'ailleurs jamais eu les moyens. »* Il avait hérité d'avoirs à l'étranger et a été contacté par le fisc il y a quelques années. Sa situation est maintenant régularisée.

On peut également trouver le nom de Christophe Dugarry, le champion du monde de football en 1998, reconverti en consultant sportif, a ouvert en 2005 un compte associé à une société offshore – Fame Capital, ouverte par la filiale de HSBC dans les îles Vierges britanniques – nanti de plus de 2 millions d'euros selon les données de la banque. Celui-ci n'a pas souhaité répondre aux questions du *Monde*.

SCANDALES AFFAIRISTES

Les paradis fiscaux sont parmi les rares endroits où l'on retrouve côte à côte les noms de footballeurs et d'hommes politiques. Ainsi, Aymeri de Montesquiou, sénateur (UDI) du Gers, est associé dans les fichiers de la banque à un compte numéroté, ouvert dans les années 1990 et fermé en 1994, lui-même lié à une société-écran basée au Panama et nommée Suzanti Finance Corporation. Cependant, M. de Montesquiou *« n'a jamais eu de compte à l'étranger »*, affirme-t-il.

Parfois, les avoirs sont placés en Suisse pour démarrer des affaires. Peter Lindbergh, photographe de mode, a déposé quelques centaines de milliers d'euros sur un compte à Genève. Son agente explique que c'est *« dans le cadre d'un projet de développement d'activités photographiques »*. Elle précise d'ailleurs que le bureau genevois n'a jamais été lancé. Et que la situation a depuis été régularisée sans que le photographe ait à payer d'amende.

Les dirigeants d'entreprise et les entrepreneurs, grands, moyens et petits, sont d'ailleurs présents en nombre dans la liste HSBC. Le coiffeur Jacques Dessange – de son vrai prénom Hubert – est de ceux-là. En 2012, associé dans la procédure de contrôles engagée par l'administration fiscale, l'homme d'affaires français a régularisé sa situation. *« M. Dessange s'est mis en règle avec le fisc en 2012. Cela lui a coûté cher »*, a confirmé au *Monde* l'un de ses conseils. Le propriétaire de salons de coiffure avait dissimulé 1,6 million d'euros en Suisse, selon les relevés de 2006-2007, derrière le paravent d'un compte à numéro et d'une fondation au Panama. Hacienda, créée en 2005.

Citons aussi la famille Mentzelopoulos, propriétaire, entre autres, du prestigieux domaine viticole Château Margaux. A la mort d'Corinne Mentzelopoulos, qui régna longtemps sur le domaine, ses héritiers ont été ratrapés par les avoirs dissimulés en Suisse et sur des places offshore, notamment aux îles Caïmans. Une procédure de régularisation de ces avoirs a été engagée avec l'administration fiscale.

La famille Ouaki – propriétaire de Initiatives 2004 – figure également dans les listings. Fabien Ouaki, qui a vendu la société familiale en 2004, a hérité de son père un compte caché en Suisse, assorti d'*« une société artificielle à Panama »*. Ce compte avait été créé dans les années 1950 par Isaac Ouaki, le fondateur de l'enseigne de vêtements à bas prix, dans la banque de l'ex-financier milliardaire Edmond Safra, rachetée ensuite par HSBC. Lé « fils Ouaki » a reconnu la fraude et régularisé sa situation.

La liste HSBC peut également se lire à travers le prisme de scandales affairistes qui ont ponctué la fin des années 1980 et le début des années 2000. C'est le cas de l'affaire Elf et de l'Angolagate pour lesquels plusieurs protagonistes figurent sur la liste. De l'homme d'affaires André Guelfi, dit « Dédé la sardine », à André Tarallo, l'ancien patron d'Elf au Gabon.

En filigrane apparaissent les puissants réseaux d'alors, précisément ceux de Charles Pasqua. L'ancien ministre de l'intérieur n'y figure pas, mais c'est le cas de l'un de ses hommes forts, Jean-Charles Marchiani, condamné dans l'affaire de l'Angolagate, figure ainsi dans la liste. ■

AL. LE., A. MI. ET S. PI.

180 675 394 118,16

euros

Ce chiffre, au 30 juillet 2014, calculé par les enquêteurs de la section de recherches de la gendarmerie de Paris, correspond à la totalité des avoirs détenus sur tous les comptes de HSBC Private Bank.

LE GOTHA DES ÉVADÉS

LES CÉLÉBRITÉS. L'acteur américain John Malkovich a déclaré n'avoir pas connaissance du compte à Genève qui porte son nom. Même réponse pour l'actrice britannique Joan Collins. David Bowie et Tina Turner ont tous deux répondu qu'ils étaient résidents en Suisse, tout comme l'ex-pilote de formule 1 Michael Schumacher. Youssou N'Dour, le chanteur sénégalais, n'a pas répondu.

LES ALTESSES. Outre le roi du Maroc, on trouve, parmi les clients de HSBC, le sultan Qaboos d'Oman et le sultan de Brunei, Hassanal Bolkiah Muizzodin Waddaulah, ainsi que le prince Salman Ben Hamad Ben Issa Al-Khalifa, de Bahreïn, et le roi Abdallah de Jordanie.

LES POLITIQUES. Le compte de l'ex-vice-premier ministre libanais Elias Murr affichait plus de 40 millions de dollars. Mêmes que celui de son compatriote, Mohammad Safadi, ex-ministre des finances, aujourd'hui député de Tripoli (15 millions de dollars). Rami Makhlouf, le cousin du président syrien Bachar Al-Assad, avait, lui, 27 millions de dollars à HSBC-Genève. Quant à Li Xiaolin, la fille de l'ancien premier ministre chinois Li Peng, elle avait 3 millions de dollars sur son compte.

La banque comptait de très nombreux clients saoudiens, dont une dizaine de membres de la famille royale. Mais aussi les figures des régimes renversés en 2011 par les « printemps arabes », comme Belhassen Trabelsi, le beau-frère de l'ex-président Ben Ali (22 millions), et Rachid Mohamed Rachid, ancien ministre égyptien du commerce et de l'industrie (31 millions).

32% 22:11
Europresse.com
nouveau.europresse.con
PAGES
EUROPRESSE.COM
Le Monde
Mardi 20 janvier 2015 - 72e année - N°21775 - 2,20 € - France métropolitaine - www.lemonde.fr
Fondateur : Hubert Beuve-Méry
Comment lutter contre l'islam radical ?
Le pape à Manille, la plus grande messe de l'Histoire
Six millions de Philippins ont écouté François défendre la famille traditionnelle
ÉCONOMIE
L'ASSEMBLÉE CRÉE UN DÉLIT DE SECRET DES AFFAIRES
INTERNATIONAL
OBAMA CHOISIT LE RAPPORT DE FORCE AVEC LE CONGRÈS
ÉDITORIAL
EN ATTENDANT MARIO DRAGHI (ET LA CROISSANCE)
ÉCONOMIE
CHANGEMENT DE PATRON CHEZ LACOSTE
ÉCONOMIE
CORRUPTION INTERNATIONALE : LA FRANCE PIÉGÉE
LE REGARD DE PLANTU
GRÈVE DES ROUTIERS: Charlie s'interroge
Allez !... J'ai envie de dessiner le visage de la CGT !
ARGH!
HOULÀÀÀ!! FAIS GAFFE QUAND MÊME !!
Après « Charlie », 25 artistes face à la liberté d'expression
CULTURE
Et si l'Assimilation était clé dans l'efficacité d'un anti-rides ?

2 | INTERNATIONAL

Le Monde

Le portrait de Mohammed VI au ministère de l'intérieur marocain, le soir des élections législatives anticipées du 25 novembre 2011.

LES DATES

1999

23 juillet Décès du roi Hassan II. Son fils accède au trône sous le nom de Mohammed VI.

2011

20 février Manifestations dans plusieurs villes pour réclamer une démocratisation du pays.

1er juillet Référendum pour adopter la nouvelle Constitution promise par le roi (98 % de oui).

25 novembre Le Parti de la justice et du développement (PJD, islamiste) arrive en tête des élections législatives. Abdelilah Benkirane devient premier ministre.

L'étrange « WikiLeaks » marocain

CHARLOTTE BOZONNET

Un hacker anonyme publie des documents confidentiels sur la diplomatie parallèle du royaume. L'informateur, qui souhaite « déstabiliser le Maroc », dévoile en vrac pièces authentiques et courriels apparemment modifiés

Pas de tremblement de terre, mais de petites secousses régulières qui finissent par ébranler l'édifice. Depuis deux mois, un hacker anonyme publie sur Twitter – sous le compte @chris_coleman24 – des révélations sur les dessous de la diplomatie du Maroc. Celles-ci auraient été obtenues par le piratage des messageries de hauts responsables marocains : des agents des services secrets, des diplomates, des journalistes, jusqu'à celles du ministère des affaires étrangères, Salaheddine Mezouar, et de la ministre déléguée, Mbarka Bouaida. Depuis le 3 octobre 2014, des centaines de documents ont ainsi été mis en ligne (lettres diplomatiques, courriels privés, documents confidentiels) dans une sorte de WikiLeaks marocain qui, s'il n'a ni l'ampleur ni le sérieux de son aîné américain, malmène la politique d'influence menée par le royaume chérifien.

La grande majorité des documents confirment aussi tout l'abnégation du Maroc pour le dossier du Sahara occidental, un territoire qu'il revendique et occupe à 80 % contre les visées indépendantistes du Front Polisario, soutenu par l'Algérie voisine. Cette « question nationale » semble être au cœur d'une foisonnante diplomatie parallèle, destinée à s'assurer le maximum de soutiens dans le monde sur le sujet et à contrer les plans de l'adversaire. Pour cela, Rabat déploierait toute une palette de jeux d'influence : auprès de journalistes et de centres de recherche afin qu'ils relaient les points de vue marocains ; de groupes de pression, dont le lobby israélien aux États-Unis, de gouvernements étrangers ou dans les organisations internationales.

Précieux relais à l'ONU

Les documents mis en ligne dévoilent la relation tendue que le Maroc entretient avec le secrétariat général de l'ONU. Dans un fax du 22 août 2014, Omar Hilale, représentant du Maroc auprès des Nations unies à New York, prévenait une nouvelle stratégie contre « *la tentative de délégitimation de la marocanité du Sahara* » menée par le secrétariat général, à l'origine d'un « *véritable complot* ». Christopher Ross, l'envoyé spécial de Ban Ki-moon pour le Sahara occidental, semble particulièrement détesté. Il faut, écrit M. Hilale, « *isoler Ross, l'affaiblir et le pousser dans ses derniers retranchements au sujet de son agenda caché sur le Sahara* ». M. Ross est décrit dans un document comme un « *vieil allumé* ».

Le royaume déploie beaucoup d'énergie en direction de ses alliés traditionnels occidentaux, les États-Unis en premier lieu. Nombre de documents se réfèrent à l'épisode d'avril 2013, lorsque Washington avait présenté une résolution proposant d'élargir le mandat de la Mission des Nations unies pour l'organisation d'un référendum au Sahara occidental (la Minurso) aux droits de l'homme. Le projet avait échoué mais décidé le Maroc à redoubler d'initiatives alors que les pays du Maghreb « *semblaient être relégués à une position de moindre importance sur l'échiquier des intérêts stratégiques de la diplomatie américaine* ». De « petits » pays a priori très éloignés du conflit au Sahara occidental sont eux aussi courtisés. Ainsi l'Argentine, le Chili, appelés à siéger au Conseil de sécurité. En octobre 2013, on espère obtenir du nouveau gouvernement du Paraguay le « *retrait de la reconnaissance de la pseudo-RASD* » (République arabe sahraouie démocratique). Rien ne semble laissé au hasard.

Au sein du système onusien, le Maroc disposerait de précieux relais pour défendre les intérêts du royaume et être informé des faits et gestes de l'adversaire. Ainsi, la visite de Mohamed Abdelaziz, le président de la RASD, au Haut-Commissariat de l'ONU aux droits de l'homme à Genève en mai 2015 fait l'objet d'une intense activité de lobbying. « *Les démarches que j'ai effectuées, particulièrement auprès de mes interlocuteurs au sein des deux Hauts-Commissariats aux droits de l'homme et pour les réfugiés* », est perçu de faire de cette visite « *un échec à tous les égards* », se félicite en juin 2015 Omar Hilale, alors ambassadeur auprès de l'ONU à Genève.

La sphère médiatique n'est pas épargnée par Chris Coleman. Mis en ligne le 20 décembre, des échanges de courriels visent Samira Sitaïl, la directrice de l'information de la chaîne de télévision 2M, apparemment en chevilles avec un interlocuteur qui pourrait être le chef de cabinet de Yassine Mansouri, le directeur de la DGED, les services secrets extérieurs.

« Opération des services algériens »

Trois mois après le début de l'affaire, l'authenticité des documents publiés continue à faire débat. Le journaliste Jean-Marc Manach, spécialiste des questions de cybersécurité, a publié deux enquêtes sur le sujet pour le site Arrêtsurimages. Après avoir démonté dans un premier temps une « *intox* », il a estimé à la mi-décembre, après consultation de 38 courriels dans leur format original, qu'une bonne partie étaient « *techniquement impossibles* [à] *authentifier* » mais qu'une vingtaine d'entre eux étaient authentiques. « *Va la manœuvre frauduleuse et leur niveau de précision, il est exclu que ce hacker ait pu tout inventer ex nihilo. En outre, s'ils étaient faux, le gouvernement aurait protesté. Celui qui se cache derrière Chris Coleman a bien pénétré un certain nombre de boîtes mail, même s'il n'est pas exclu qu'il ait modifié certains messages* », estime le journaliste marocain Ahmed Benchemsi. Les autorités marocaines ont longtemps gardé le silence sur l'affaire, sans toutefois nier, avant de pointer du doigt l'ennemi de toujours : l'Algérie. Le ministre marocain des affaires étrangères, Salaheddine Mezouar, a dénoncé mi-décembre une « *opération des services algériens* » d'« *une dernière cette sensitive de « déstabilisation »*.

Si l'identité du hacker reste inconnue, sa sympathie pour la cause indépendantiste du Sahara occidental est évidente. La plupart des observateurs jugent sa démarche très éloignée de celle d'un Edward Snowden ou d'un Julian Assange. Ces lanceurs d'alerte avaient agi à visage découvert et fait appel à plusieurs médias pour authentifier et relier les documents dérobés. Chris Coleman publie lui en vrac courriels, câbles diplomatiques mais aussi photos d'ordre privé et commentaires parfois acerbes, apparemment sans logique véritable, mêlant le vrai et le faux, dans le but de « *déstabiliser le Maroc* », a-t-il expliqué. « *Après ça, la diplomatie marocaine va devoir reconfigurer ses réseaux d'influence. Elle est certes fragilisée mais elle retombera vite sur ses pattes* », estime M. Benchemsi. ■

Des journalistes français visés

PARMI LES DOCUMENTS PUBLIÉS par Chris Coleman sur son compte Twitter, plusieurs mettent en cause quatre journalistes français, laissant entendre qu'ils auraient reçu de l'argent en échange d'écrits favorables au royaume. Dans un échange de courriels, Ahmed Charaï, patron de presse marocain, s'abîlement très proche du pouvoir, demande de l'argent à un interlocuteur afin, dit-il, de payer quatre journalistes, leurs noms étant accolés à des sommes d'argent (6 000 euros). Tous ont rejeté ces accusations. Après plusieurs semaines de silence, trois se sont résolus à prendre la plume dans le but de mettre fin à la polémique.

Dans un texte intitulé « *Non, je n'étais pas à la solde du Maroc* », Dominique Lagarde, journaliste à *L'Express* de 1996 à 2003, explique qu'Ahmed Charaï a été l'un de ses interlocuteurs. « *Un homme de réseaux, très introduit au sein de ce que l'on appelle le Makhzen* (...). *Sauf à considérer qu'un journaliste ne doit rencontrer que des opposants, cela en fait un bon contact* », écrit le journaliste, qui répète : « *Je n'ai jamais reçu d'argent, ni de cadeaux.* » José Garçon, journaliste à *Libération* jusqu'en 2007, et Mireille Duteil, au *Point* depuis 1980, ont elles aussi cosigné un texte – « *Algérie-Maroc : nous sommes otages d'une mécanique à sous* » – rappelant le climat de tensions entre les deux pays.

« Une sorte de "produits d'appel" »

Éditorialiste de politique étrangère sur la chaîne LCI, Vincent Hervouët est également visé. Outre les accusations de corruption, des mails laissent penser qu'il aurait dans ses sujets mis en avant des liens entre les camps du Polisario et Al-Qaïda. M. Hervouët est actionnaire à hauteur de 20 % d'une radio défendue par Ahmed Charaï (Radio Medi), pour laquelle il réalise une chronique hebdomadaire. Le journaliste, qui a déposé plainte, ne s'en cache pas, mais dénonce pour le resto des correspondances totalement tronquées.

Tous les journalistes incriminés voient dans ces accusations une volonté d'attirer l'attention sur les failles de Chris Coleman alors que le sujet du Sahara occidental intéresse peu. « *Dans cette cybeguerre, les journalistes ne sont qu'une sorte de "produit d'appel" destiné à taper, grâce à un aspect sulfureux ("la corruption de la presse française"), cette campagne que Rabat impute à Alger et que l'Algérie attribue à "un hacker marocain"* », écrivent José Garçon et Mireille Duteil. ■

C. B.

« VU LA MASSE DE DOCUMENTS ET LEUR NIVEAU DE PRÉCISION, IL EST EXCLU QUE CE HACKER AIT PU TOUT INVENTER »

AHMED BENCHEMSI
journaliste marocain